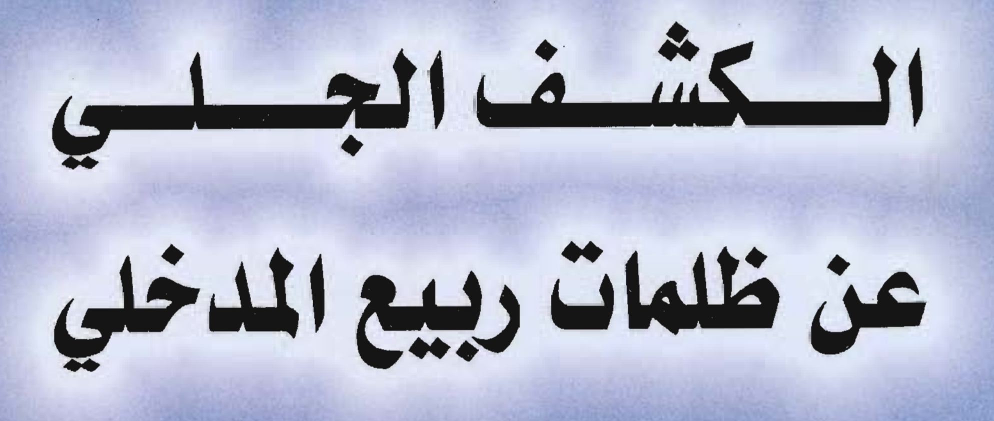
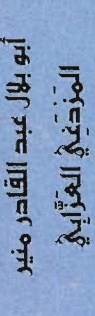


نقد لكتاب: أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره

للدكتور: ربيع بن هادي عمير المدخلي

تأليف: أبو بلال عبد القادر منير المَزْدَغِي العَزَّابِي



الكشف الجلي
عن ظلمات ربيع المدخلي

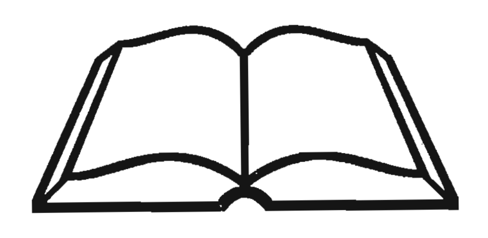
نقد لكتاب: أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره
للدكتور: ربيع بن هادي عمير المدخلي

الكشف الجلي

عن ظلمات ربيع المدخلي

نقد لكتاب: أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره
للدكتور: ربيع بن هادي عمير المدخلي

تأليف: أبو بلال عبد القادر منير المزدغي العزابي



قال عز من قائل:

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً. وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً. وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾. النساء: (110-111-112).

الكتاب	:	**الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي**
المؤلف	:	أبو بلال عبد القادر منير المَزْغَدي العَزَّابي
الطبعة الأولى	:	يوليوز 2002
الإيداع القانوني	:	2001/1377
الطبع	:	**طوب بريس** – هـ: **21 31 73 037** الرباط

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي يدافع عن أحبابه المخلصين، والمؤذن بالحرب أعداء أوليائه الصالحين، والصلاة والسلام على صاحب الخلق العظيم، الخافض جناحه للمؤمنين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الميامين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمدﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: هذا كتاب يتضمن نقد ما ورد في كتاب" أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره" لصاحبه ربيع بن هادي المدخلي، هداه الله وغفر لنا وله، فالرجل فتحت له الشهوة لأكل اللحوم البشرية لا سيما لحوم الدعاة والعلماء، ففي هذا الكتاب تناول سيد قطب بجملة من الاتهامات، ونسبه إلى مجموعة من الانحرافات، كثيرة في عددها، وخطيرة في نوعها، واستعراض عاجل لعناوين فصول الكتاب السبعة عشر ترى فيه سيد قطب متهما بأخطر التهم والبدع، لقد اعتبر الدكتور ربيع المدخلي سيد قطب شاذا في تفسير كلمة التوحيد ومضيعا لتوحيد العبادة، وقائلا بخلق القرآن، وقائلا بوحدة الوجود، ومكفرا للمجتمعات الإسلامية، ومجوزا أن يشرع الناس قوانين في حياتهم، تخالف شرع الله تعالى، ومؤمنا بالاشتراكية المادية الغالية، وغير ذلك مما يجعل من سيد قطب رقما قياسيا في البدع والابتداع!

فماذا بقي من إسلام من يجوز للبشر أن يشرعوا من عند أنفسهم، والله تعالى يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44][2].

وسؤال يطرح نفسه ونهمس به في أذن الدكتور ربيع، أين كان علماء الإسلام طيلة نيف وعشرين عاماً؟! لا سيما وقد قال الدكتور في مقدمة كتابه ضمن الأسباب التي دفعته إلى تأليف كتابه:

أن السكوت عن منكرات سيد" بعد العلم بها من أعظم الغش والخيانة للإسلام والمسلمين"[3].

لا جرم أن كثيرين مدحوا سيد قطب وأثنوا عليه، فضلا عمن سكتوا و لم يذكروه بشيء، فهل يعد هؤلاء خونة للإسلام والمسلمين وغشاشين لهم؟! كلا وحاشاهم من ذلك! لاسيما وفيهم الرجل المبارك والشيخ الفاضل[4] عبد العزيز بن

---

[1] (يوسف/ 40).

تنبيه: قد يلاحظ القارئ الكريم أنا نستعمل في إحالاتنا الأرقام المشهورة عند الأوروبيين والمهجورة عند أكثر المسلمين، ويعود سبب اختيارنا لهذا الترقيم إلى الرغبة في استرداد ما هو لنا ومن حقنا، ذلك أن هذه الأرقام هي الأرقام العربية حقيقة كما هو رأي كل الباحثين كما ذكر الدكتور عبد الهادي التازي! لا كما يظن كثير من الناس أن الأرقام الهندية (١-٢-٣-٤) هي العربية، وهذا خطأ شائع فأحببنا التنبيه عليه(1)

[3] "الأضواء" (ص: 9).

[4] وإنما ذكرنا الشيخ ابن باز- رحمه الله- لمكانته في نظر الدكتور، وإلا فعلماء الإسلام والحمد لله كثيرون و لم يتنقصوا من سيد قطب على النحو الذي جاء في " الأضواء" وإن أخذوا عليه بعض الأخطاء شأنه شأن غيره، فكل واحد يؤخذ منه ويرد عليه سوى محمد ﷺ.

انظر الفيصل عدد: 256، ص: 132، مقالا تحت عنوان: والأرقام الهندية ...لماذا؟ لعضو أكاديمية المملكة المغربية د. عبد الهادي التازي.

باز مفتي المملكة الذي يترحم على سيد قطب ويصفه بسعة العلم والإطلاع، ولم ينسب إليه ما نسب إليه الدكتور ربيع.

ومما يؤسف له حقا، ويحز في النفس صدقا، أن معظم الاتهامات التي ألصقت بسيد قطب غير صحيحة، ولا قريبة من الصحة، وفي غالب الأحيان يلقي الدكتور التهمة في وجه سيد قطب دون أن يقيم عليها دليلا ثم ينصرف لاستعراض أقوال أهل العلم فيمن تلبس بها، فتكون دعوى الدكتور في معظم الأحيان أوسع من الدليل، وتارة لا يكون ثمة دليل أصلا[1] ورغم أننا سنستعرض تفاصيل ذلك في ثنايا هذا الرد، فلا بأس أن نقبض من ذلك مثالا واحدا نختاره مختصرا يناسب هذه المقدمة.

قال الدكتور ربيع: "اعتقاد سيد قطب أن الروح أزلية منفصلة من ذات الله" هذه الدعوى جعلها الدكتور عنوان فصله الثاني عشر من "أضوائه"، فما دليل هذه الدعوى الخطيرة والتهمة الكبيرة؟! دليلها هو النص التالي الذي صدر به الدكتور الفصل فقال:

"قال سيد قطب:

"لقد قال الله للملائكة: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[2].

وقد كان ما قاله الله، فقوله تعالى إرادة، ينشئ الخلق المراد، ولا نملك أن نسأل كيف تلبست نفخة الله الأزلي الباقي بالصلصال المخلوق الفاني، فالجدل على هذا النحو عبث عقلي، بل عبث بالعقل ذاته، وخروج به عن الدائرة التي يملك فيها

---

[1] قال ابن القيم في "بدائع الفوائد" (324/4): هذا الذي تسميه النظار والفقهاء التشهي والتحكم فيقول أحدهم لصاحبه: لا حجة لك على ما ادعيت سوى التشهي والتحكم الباطل، فإن جاءك ما لا تشتهيه دفعته ورددته، وإن كان القول موافقا لما تهواه وتشتهيه، إما من تقليد من تعظمه، أو موافقة ما تريده قبلته وأجزته فترد ما خالف هواك، وتقبل ما وافق هواك.

[2] (الحجر/ 28 و29).

أسباب التصور والإدراك والحكم، وكل ما ثار من الجدل حول هـذا الموضـوع، وكل ما يثور، إن هو إلا جهل بطبيعة العقل البشري وخصائصه وحدوده، وإقحـام له في غير ميدانه؛ ليقيس عمل الخالق إلى مدركات الإنسان، وهو سفه في إنفـاق الطاقة العقلية، وخطأ في المنهج من الأساس، إنه يقول كيف يتلبس الخالد بالفـاني، وكيف يتلبس الأزلي بالحادث، ثم ينكر أو يثبت ويعلل! بينما العقل الإنساني ليس مدعوا أصلا للفصل في الموضوع؛ لأن الله يقول: إن هذا قد كـان، ولا يقـول: كيف كان[؟][1] فالأمر إذن ثابت، ولا يملك العقل البشري أن ينفيه، وكذلك هـو لا يملك أن يثبته بتفسير من عنده، غير التسليم بالنص؛ لأنه لا يملك وسائل الحكـم، فهو حادث، والحادث لا يملك وسائل الحكم على الأزلي في ذاته، ولا علـى الأزلي في تلبسه بالحادث، وتسليم العقل ابتداء بهذه البديهية أو القضية، وهي أن الحـادث لا يملك وسائل الحكم على الأزلي في أي صورة من صوره، يكفي ليكف العقـل عن إنفاق طاقته سفها في غير مجاله المأمون"[2].

هذا هو النص الذي قدمه الدكتور دليلا على دعواه التي جعلها عنوان فصلـه هذا، وأكدها عقب كلام سيد بقوله" في هذا النص أن كلام الله هو إرادته، وهـذا تعطيل لصفة الكلام، تعالى الله عن ذلك[3]، وفيه اعتقاد سيد أن الروح أزليـة غـير مخلوقة، أي أنها جزء من الله تعالى عن هذا القول علوا كبيرا"[1].

---

[1] الاستفهام غير موجود في النص الأصلي من " الظلال" وإنما هو من كيس الدكتور، والسياق يأباه أيضا، ووضعه يشوش بل يشوه المعنى فيصبح استفهاما من الله تعالى بدل أن يكون إخبارا عنه، مما يدل على أن الدكتور في كثير من الأحيان يقصر فهمه عن استيعاب كلام سيد قطب، فتأمل!

[2] "الأضواء" (ص: 177-178).

[3] سيأتي الكلام بتفصيل في ذلك، وسيتبين أن سيد قطب تارة يؤول الصفات وتارة يسلك فيها مذهب السلف، لكنه صرح آخر الأمـر بـلا لبس أو غموض أنه ينبغي أن يسلك النـاس مسلك السلف في ذلك، واعترف أنه أخطأ هو نفسه فيما سبق، ووعد أن يستدرك لاحقـا=

ثم بعد هذا انصرف الدكتور ربيع يذكر نقلا عن ابن القيم -رحمه الله تعالى- كلام العلماء في القائلين بأزلية الروح، وختم الفصل بقوله: "فيا عجبا لسيد قطب! يثبت أن الروح أزلي! مع إجماع[2] أهل السنة على أنه مخلوق؛ استنادا إلى كتاب الله وسنة رسوله"[3] (ﷺ).

هذا مثال لتصرفات الدكتور ربيع في غالب فصوله، بل هذا المثال صورة مصغرة من الأضواء.

والحقيقة أني عندما قرأت النص الذي قدمه الدكتور: ليستدل به على دعواه بقيت مشدوها أول الأمر، وأعدت قراءته مرات للعثور على محل الشاهد أو الشبهة التي لها علاقة بالدعوى، وعدت بعد لأي صفر اليدين! وتساءلت عن إمكانية وقوع سقط في النقل، فلما رجعت إلى أصل الكلام من "الظلال" لم استفد شيئا؛ فالكلام هو هذا!

فمن أين فهم الدكتور اعتقاد سيد بأزلية الروح؟! سؤال محير فعلا! لقد وردت كلمة أزلي في النص أربع مرات وهي كالتالي:

- .. نفخة الله الأزلي الباقي ..
- و.. كيف يتلبس الأزلي بالحادث..
- و .. لا على الأزلي في تلبسه بالحادث..
- و .. أن الحادث لا يملك وسائل الحكم على الأزلي في أي صورة من صوره..

=ولكن الأجل لم يمهله! لا أدرى أقرأ الدكتور هذا التصريح من سيد أم لا؟! هما أمران أحلاهما مر!

[1] "الأضواء" (ص: 178).

[2] أين هو هذا الإجماع المزعوم؟

[3] "الأضواء" (ص: 179).

فسيد قطب يصف الإنسان بالحادث والله تعالى بالأزلي، أما الروح فلم يصفها سيد بالأزلية؛ بل لو قائل قال: إنه وصفها بالحدوث لكان أسعد بالدليل من الدكتور، علما أن الإنسان -وهو روح وجسد- جاء وصفه مرارا بالحدوث! مؤسف جدا أن يبني إنسان ما هذا النوع من الاتهام على السراب والأوهام! لا سيما من يتشرف بتدريس الأجيال! أهذا هو الحق الذي أراد الدكتور بيانه وجعله سببا من أسباب تأليفه " الأضواء" أهذا هو الذي "حتم الله عليك البوح به"؟!

الحقيقة أن الدكتور ربيع له منهج فريد في نقد الناس، رسم بعض معالمه في "منهجه" في نقد الرجال، وطبقه عمليا في بعض كتبه لاسيما هذه "الأضواء" وما هي بأضواء! وأضافها إلى الإسلام وما هي من الإسلام! كما كذب تعالى بعض من انحرفوا ونسبوا انحرافهم إليه سبحانه -ليتترسوا بتلك النسبة وتنفق أقوالهم وأفعالهم عند السذج-، ذلكم قوله عز وجل، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

فكذلك لا يمكن لتلك الدعاوى التي تضمنتها فصول "الأضواء" أن تكون إسلامية، فهي مبنية على الأوهام، وقائمة على الظنون، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[2]، وإذا كان الظن بعضه إثما فما بالك بالوهم؟ فنسبة اعتقاد أزلية الروح إلى سيد قطب وهم تحذر لا أدري والله كيف من رأس الدكتور وجرى على قلمه وكان الأحوط لدينه، والأنفع لطلبته أن يتوقف حتى لا يجرئهم على أعراض الناس، ويكون قدوة سوء لهم وشيخ ضلال في طريقهم فيحمل وزره إلى أوزارهم.

هذا كان رجاؤنا مجرد التوقف حيث لا شيء يشهد لتلك الدعوى الكبيرة في حجمها. و لم نتمن من الدكتور أن يحسن الظن، لأن من خبر كتبه وجد عنده حسن الظن بالناس كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود!

---

[1] (آل عمران/78).

[2] (الحجرات/ 12).

لقد حوى كتاب الأضواء كما سبق جملة من الدعاوى الكبيرة، وهي وإن كانت تتعلق بسيد قطب -مع براءته في معظمها- إلا أن المنهج -الذي سلكه الدكتور نموذجا ومثالا- مبني على أوهام وخيالات، هذا المنهج لو سلكه الناس في النقد لطال جمهور المسلمين، ولما سلم من شرره المتطاير إلا القليل، بل هذا ما حصل فعلا، فإن بعضهم طار في رحلة من دولة الإمارات وشد الرحل إلى عمان عاصمة الأردن ليسأل بعض الأفاضل[1] عن جواز الترحم على المبتدعة أمثال النووي وابن الجوزي وابن حزم وحسن البنا وسيد قطب! فأنت ترى لم يعد الأمر متعلقا بفرد من الناس له ماله وعليه ما عليه، ولكنه تحول إلى منهج جراح يجدد ويحيي منهج الخوارج الذين تسلطوا على المسلمين، مدعين أنهم أيضا يريدون حكم الله -زعموا- لا حكم الرجال، ولم يذكروا مستندهم في حكمهم على أن ما حصل بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- ليس حكم الله، وإنما ألقوا التهمة عارية وانصرفوا لشحذ السيوف! ولما بلغ عليا[2] اعتراضهم قال: بيني وبينهم كتاب الله تعالى، يقول الله تعالى في كتابه ﴿فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا﴾[3].

فأمة محمد أعظم حقا وحرمة من رجل وامرأة"[4] فليس بالدعاوى المجردة والعارية عن الدليل تثبت الأحكام!

وهكذا يعود منهج الخوارج القاتل اليوم من جديد، وسيان أن يكون الذبح بالسيف أو أن يكون بالحرف[1] كلاهما خروج عن المنهج، ويؤدي إلى نتيجة واحدة، تعددت الأسباب والموت واحد كما يقال!

---

[1] هو الشيخ العلامة محدث الديار الشامية محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى-.

[2] ترجمته في (ص: 62).

[3] (النساء/ 35).

[4] "تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين" للإمام الذهبي (ص: 591).

إنه منهج كما قال ابن الجوزي[2] في "صيد الخاطر"[3]، "مبني على إساءة الظن بالغير، ويضن على المخالف حتى بالدعوة له بالرحمة"، كشأن أولئك الذين سألوا فضيلة الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- عما إذا كان جائزا أن يترحموا على من سموهم "مبتدعة" ومن فطنة الشيخ أن أجابهم "أن الرحمة جائزة لكل مسلم محرمة لكل كافر" ويبدو أن هذا الجواب لم يرق القوم واعترضوا بأن السلف[4] لم يكونوا يترحمون على أهل البدع! وهذه دعوى أخرى من دعاوى هذا المنهج الخاطئ، وقد نبههم إلى خطئها الشيخ وتدرج معهم رويدا رويدا، ولو أراد ذبحهم بسكينهم لأمكنه ذلك؛ لأنه أوضح أن هذا المنهج في التعامل مع المسلمين هو "البدعة" ثم قال فضيلته: ويحق لي على مذهبكم أن أسميكم مبتدعة، ولكن لا أخالف مذهبي[5].

أي ليس كل من تلبس ببدعة، يسمى مبتدعا، ويترتب عليه ما يترتب على المبتدع من أحكام !

---

[1] وهو في بعض الأحايين أشد من السيف. لحديث رسول الله ﷺ الذي رواه مسلم في صحيحه (فضائل الصحابة/ فضائل حسان بن ثابت -رضي الله عنه- بشرح النووي)، وهو الذي بوب كتاب مسلم فليعلم ذلك. من حديث عائشة -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال لحسان: ((**اهج قريشا فإنه أشد عليها من رشق بالنبل**)).

[2] الإمام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر القرشي، التيمي البكري البغدادي، الحنبلي المعروف بابن الجوزي، جمال الدين، أبو الفرج، ولد سنة (510 هـ) وتوفي سنة (597 هـ) انظر، تذكرة الحفاظ: (1342/4).

[3] هذا حال الخوارج على أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه- فإنهم **استحسنوا ما وقع لهم** ولم يرجعوا إلى من يعلم (ص: 381).

[4] وهذا يقابل قول الخوارج "حكم الله" وهو مرض من أمراض هذا المنهج يجتهد هو ثم يلبس لباسه أسماء نحو "منهج إلهي" أو "منهج سلفي" ونحو ذلك!

[5] مختصر بتصرف يسير من شريط سمعي برقم: 109 تسجيلات الهداية القرآنية، فاس، المغرب.

ولست أدري هل هؤلاء الذين سألوا الشيخ من "المدرسة الربيعية" أم ممن تأثر بمنهجه الفريد هذا: لأنه في "أضوائه" كلها قابل سيد قطب بكل حدة وجفاء، وبخل عليه بمجرد الدعاء، وضن عليه بالرحمة، فما ترحم عليه ولا مرة![1] كيفما كان الحال فسيد قطب ذهب إلى رب رحيم يغنيه عن دعاء الدكتور ودعاء من كان على مذهبه، بل إن كثيرا من أهل الفضل يثنون ويترحمون على سيد قطب، فهذا الشيخ ابن باز يقول: "قال السيد[2] قطب -رحمه الله-"[3] وغيره كثير كما في المثل:

لأجل هذا فإن هذا الرد سيجد فيه القارئ تبرئة سيد قطب مما رماه به الدكتور ومعظمه كما سيتبين -إن شاء الله تعالى- مجرد دعوى لا دليل عليها، وكثيرا ما يكون في كلام سيد ما ينقضها، وثمة تهم يوجد في كلام سيد -رحمه الله تعالى- ما يشهد لها ولكن يوجد في كلامه ما يشهد لتراجعه عنها، إلا أن الدكتور ربيع هدانا الله وإياه يعمد إلى التهمة فيغرسها، ولا يلتفت إلى كلام سيد الذي يبرئ ساحته منها، كما أن ثمة تهما لم يأت في كلام سيد ما يشهد لرجوعه عن القول بها، وهي أخطاء له فيها أكثر من عذر، وهي محدودة، وكفى نبلا بالمرء أن تعد معايبه!

---

[1] إلا أنه ترحم عليه في كتابه "منهج الأنبياء" (ص: 139)، الطبعة الأولى، قائلا: "رحم الله سيد قطب لقد نفذ من دراسته إلى عين الحق والصواب، لقد وصل في تقريره هذا إلى عين منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام". لكن الدكتور ربيع سرعان ما استيقظ من سباته ووجد، أن هذه العبارة لا تتماشى مع منهجه -الأعرج- الذي رسمه، فقلب له ظهر المجن، ثم قام بحذفها من الطبعة الثانية.

[2] بالتعريف هكذا.

[3] في مناقشته فيما يتعلق بحركة الشمس والأرض، وللشيخ رأي معروف يخالف ما عليه سيد وغيره ومع ذلك فما نسب سيدا إلى شيء ، مما ورد في الأضواء، ومعاذ الله، أن يمدحه وهو لم يعلم عنه ، ويصفه بعد ذلك بسعة العلم والإطلاع! ومعاذ الله أن يكون اطلع على تلك المعتقدات الباطلة وكتمها ليكون غاشا للإسلام والمسلمين! فأين الدكتور من كل هذا؟!

كما أن هذا الرد سوف يتناول جملة من المباحث المنهجية التي خالف فيها الدكتور ربيع المنهج الصحيح في الجرح والتعديل، حتى استحق منهجه أن يسمى "الجرح والتجريح"، فميزانه في النقد وحيد اللسان وأحادي الكفة! هذا منهج خطير، يتلخص في أنه يجوز إشهار عيوب "الرجال" و"الكتب" و"الطوائف"، دون حاجة إلى ذكر محاسنهم مستدلا على ذلك بأشياء غريبة تضحك الثكلى، وتجهض الحبلى! وحسبك في هذه المقدمة مثالا واحدا نأخذه للأدلة القرآنية التي زعم أنها تشهد لمذهبه، قال الدكتور ربيع: "قال الله تعالى:﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ. سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ. وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [1].

ولا شك أن لأبي لهب وزوجه محاسن وهما من بيوتات الشرف والمجد، لكنهما أهدرا كل ذلك بكفرهما ومواقفهما المشينة من رسول اللهﷺ.

وذلك المنهج الخاطئ[2] قد يؤدي إلى أن هذا المنهج الرباني قد جانب العدل، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا."[3] ففي رأي الدكتور بما أن الله عز وجل ذم أبا لهب وزوجه مع أن لهما محاسن "ولاشك" -كذا قال- فيسوغ لنا ذم "الرجال" والكتب والطوائف ولا حاجة إلى ذكر المحاسن. وهذا جنوح بعيد، وانحراف منهجي شديد يتعجب لصدوره من الدكتور ربيع.

---

[1] سورة المسد.

[2] أي المنهج الذي يقول بضرورة ذكر الإيجابيات والسلبيات في تقويم الرجال والحكم عليهم بما يستحقون من جرح أو تعديل، فهذا منهج خاطئ في نظر الدكتور، ومنهجه هو الصواب، بل هو منهج أهل السنة، فاقرأ واعجب!

[3] "المنهج" (ص: 24-25).

◆ **وغلطه بين من وجوه:**

أولا: إن الذي حكم على أبي لهب وذمه ليس هو الدكتور ربيع، بل الله سبحانه وتعالى الذي لا يخطئ، فكيف يقاس بمن يخطئ؟! بل بالخطاء؟! وهل يستطيع أحد غير الله سبحانه أن يذم غيره ويقول فيه "سيصلى نارا ذات لهب" إن هذا خاص بالحق جل جلاله فلا يقاس عليه أحد، بل إنك لا تستطيع أن تحكم على أكفر الكفار أنه سيصلى نارا ما دام حيا لأنك لا تدري خاتمته!

ثانيا: الذي ذمه الله عز وجل في الآية كافر مجرم، فبالله كيف يقاس عليه رجل مسلم؟! قال سبحانه وتعالى: ﴿**أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ، مَا لَكُمْ؟! كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[1]. ألا وإن من عيوب الخوارج أنهم يعمدون إلى آيات نزلت في الكفار، فيصرفونها إلى أهل الإسلام! وشتان بين مسلم كريم وكفور أثيم!

ثالثا: سبب نزول الآية معروف ومشهور، فإنها نزلت في معرض الرد على أبي لهب بسبب استهزائه برسول الله ﷺ وصرفه الناس عن سماعه، وقوله له ((**أَلِهَذَا جمعتنا؟ تبًّا لك**)) ![2] فالمقام هنا مقام بيان إثم فعله وجرمه، وما أظن أحدا ممن خصص الدكتور كتابه للرد عليهم يقول للناس، إذا كنتم بصدد الرد على عدو من أعداء الإسلام، فلا تذكروا معايبه فحسب بل لابد من ذكر المحاسن أيضا! فهذا لا يقوله عاقل، وإن اعتقد الدكتور ذلك فهو وهم من أوهامه ليس إلا.

خلاصة القول أن الدكتور ربيع سلك منهجا خاطئا في تقويم الرجال، ومسلكا خاطئا في الاحتجاج لمنهجه، حيث يكون مغربا ويأتي بدليله من المشرق، كما فعل في المثال الآنف الذكر، وله من مثله الشيء الكثير، ولا يحصل التنافي والتباعد بين

---

[1] (القلم/ 35 و36).

[2] طرف من حديث رواه البخاري (4971) في كتاب التفسير، (111) باب: تفسير سورة: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ**﴾. و(4972) في التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿**وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ**﴾.

الدعاوى والأدلة التي يذكرها فحسب بل حتى الأقوال التي ينقلها عن الأئمة لا تشهد لما يريد.

من ذلك أنه احتج لمنهجه الذي عرفت بقوله "ثم إن أئمة الإسلام تكلموا في أهل البدع وفي الرواة، و لم يشيروا من قريب ولا من بعيد إلى وجوب أو اشتراط هذه الموازنة، وألفوا كتبا في الجرح والتعديل. و.. الخ"[1] وذكر مصنفات الأئمة في ذلك، ثم كرر أهم "لم يشترطوا هذه الموازنة"[2]. ويلاحظ على كلامه ما يلي:

أولا: أن كلام الأئمة في البدع، وأهل البدع لم يحكم عليهم فيه بمنهج الدكتور بل وازن العلماء بين مالهم من محاسن وما عليهم من مآخذ مما لا عذر فيها، وكانت المآخذ راجحة، حينئذ أصدروا فيهم حكم البدعة، بعد هذا لا لوم عليك إن ذكرت أحد هؤلاء لسبب من الأسباب المشروعة، و لم تذكر سوى عيبه ليحذره الناس، أو لعدم الاغترار به ونحو ذلك، لكن أين نحن من قضيتنا في نقد "الرجال"، فالدكتور ربيع لم يجعل عنوانه خاصا بأهل البدع، وإنما جعله نقدا "للرجال" هكذا مطلقا، ولا خص الفرق الضالة ولكن الطوائف عامة، فلا نصيب في الاحتجاج بهذا، فلا هو من ذوي الفروض! ولا من العصبة! ماله سوى الصبر والعزاء! كما يقول علماء الفرائض!

ثانيا: ما قيل في المبتدع يقال في "الضعفاء" فهم أيضا لم يولدوا "ضعفاء"، و لم يحكم عليهم بالضعف إلا بعد ما وضعوا في ميزان يحوي كفتين -لا كفة واحدة- وينطق بلسانين -لا واحد- ثم لما رجح ضعفهم وكثر خطؤهم صنفوا في الضعفاء.

ثالثا: ثم إن الذين وضعوا في كتب الضعفاء ليسوا مذمومين مطلقا، بل ذمت روايتهم، وعادة يتناولهم العلماء بالجرح والتعديل من هذه الحيثية، فقد يكونون صالحين في دينهم ضعفاء في روايتهم، لهذا فموضوع كتب الضعفاء خاص بجهة الرواية، وليس بغريب أن يقتصر كلام أصحابها على ذكر ما له علاقة بالرواية نحو

---

[1] "المنهج" (ص: 40).

[2] "نفسه" (ص: 41).

قولهم: فلان منكر الحديث، ليس بالقوي وغير ذلك، وهذا هو الحكم الذي ينتـــهي إليه صاحب الكتاب.

ولكن كلام الدكتور يوهم القارئ أن هؤلاء الذين استقرت أسماؤهم في كتـــب الضعفاء ودواوين المجروحين، إنما طبق عليهم منهجه الذي ينادي به، كلا بل مـــروا من مرحلة الموازنة ثم رسبوا [1]، في الوقت الذي فاز غيرهم فتـــألقت أسمـــاؤهم في كتب "الثقات" التي لم يذكر عنها الدكتور شيئا كأن لم تكن بينه وبينها مودة!

رابعا: وحتى الكتب التي في الضعفاء التي ذكرها، لم يضرب بعض الأمثلـــة لمـــا اشتملت عليه فهل حقا ما بداخلها يدل على ما زعمه أول كلامه من أن الأئمـــة لا يذكرون سوى العيوب والمثالب؟! كلا، حتى كتب الضعفاء ذكر فيـــها التعديـــل والتجريح وإليك بعض الأمثلة مما حجبه الدكتور، وما ينبغي له!:

1- المغني في الضعفاء للذهبي:

- **جابر بن يزيد الجعفي** -وهو من رؤوس المبتدعة- ومتهم باتهامات كبـــيرة، ومع ذلك قال الذهبي في ترجمته: "مشهور عالم، فقد وثقه شعبة والثوري وغيرهمـــا، وقال أبو داود: ليس عندي بالقوي، وقال النسائي: متروك، وكذبه بعضهم، وقـــال ابن معين: لا يكتب حديثه، توفي سنة: (128 هـــــ)".

---

[1] خذ مثلا: ما جاء في ضعفاء الذهبي في ترجمة جسر بن الحسن الكوفي فقد اكتفى الذهـــبي بقوله: "ضعفه النسائي" لماذا لأنه وزنه في ميزانه فقال: ضعفه النسائي، وقال الجوزجاني: واهي الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: ما أرى به بأسا. ففي الميزان تفتيـــش، إذن لا بد من استيعاب الجرح والتعديل، فلما ترجح الجرح فلا يشترط استصحاب التوثيـــق فأين هذا من منهج الدكتور ربيع ؟!

2- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي:

-**الحارث بن حصيرة الأزدي، أبو النعمان الكوفي**، قال ابن عـدي: إذا روى عنه الكوفيون فهو عامة روايات الكوفيين عنه في فضائل أهل البيت وإذا روى عنه عبد الواحد بن زياد والبصريون فرواياتهم عنه أحاديث متفرقة وهو أحد من يعد من المحترقين بالكوفة في التشيع، وعلى ضعفه يكتب حديثه. وقال ابن معين: الحارث بن حصيرة: خشبي ثقة، وقال أبو أحمد الزبيري: كان الحارث بن حصيرة وعثمان أبو اليقظان يؤمنان بالرجعة.

3- المجروحين لابن حبان:

- **الجراح بن مليح بن عدي، أبو وكيع الكوفي**. قال ابن حبان: كان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل وزعم يحيى بن معين أنه كان وضاعا للحديث، وثقه أبو الوليد هشام بن عبد الملك، وأبو داود، ويحيى بن معين في رواية عباس الدوري عنه، وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال العجلي: لا بأس به وابنه أنبل منه، وقال الأزدي يتكلمون فيه وليس بالمرضي عندهم، وقال محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي: ضعيف، وقال النسائي: لا بأس به، وقال الدارقطني: ليس بشيء، وهو كثير الوهم، ولا يعتبر به.

ونكتفي بهذه المصنفات التي تتضمن أنزل المراتب في الجرح، ومع ذلك لا تخلو من ذكر المحاسن -على أنها غير لازمة هنا- مما يدل على بعد الدكتور عن منهج أهل العلم، ويظهر أنه متطفل على موائدهم!

♦ الكشف الجلي عن ظلمات ربيع المدخلي:

لقد احتوى كما سبق كتاب هذا الرجل على جملة من الاتهامات الخطيرة، تجدها منسوبة إلى سيد قطب -رحمه الله تعالى- وهو منها -في الغالب- إما بريء وإما معذور؛ لولا أن الدكتور يعتصر عباراته، ويتلاعب بكلامه سواء في اللفظ أو

المعنى، وكلا الأمرين مخالف للأمانة العلمية، لأنه حتى لو ساق كلام سيد قطب بلفظه وألصق به معنى من عنده فهذه خيانة بل هذا النوع من الخيانة -لخفائه- أخطرها، ولذلك عمد إليه كثير من المستشرقين لأنهم لو حرفوا النص -في مبناه- لسهل كشف تحريفهم! لهذا عاب العلامة أحمد شاكر -رحمه الله تعالى- الذين مجدوا المستشرقين، وانخدعوا بأساليبهم فقال: "إنهم جهلوا أو نسوا، أو علموا وتناسوا، أن المستشرقين طلائع المبشرين، وأن جل أبحاثهم في الإسلام وما إليه إنما تصدر عن هوى وقصد دفين، وأنهم كسابقيهم (يحرفون الكلم عن مواضعه) وإنما يفضلوهم بأنهم يحافظون على النصوص، ثم يحرفونها بالتأويل والاستنباط"[1]، ولئن قال الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله تعالى- ما قال، وكتب ما كتب؛ لتحذير المسلمين من الاغترار بالمستشرقين، فهذا الكتاب يهدف إلى تحذيرهم مما جاء في "أضواء" أحد المستعربين الذي يحرف النصوص التي يسوقها مرتين، ويتلاعب بها من الوجهين[2]، وخشية أن ينخدع به الشباب، لا سيما حينما يسوق كلام سيد قطب، -محملا بفهم ربيعي-، فلابد من تتبع لكلام هذا الرجل -الذي لم يرعَوِ رغم نصح الناصحين-، لفضح ما يفعله بأعراض الناس أحياء وأمواتا، وكشف أمراض المنهج الذي يسير عليه، وبيان أنه دخيل على الدعوة التي يزعمها دعوة السلف الصالح، فهذا لا يعدو أن يشبه الذين يشربون الخمر ويسمونها بغير اسمها، ظنا منهم أن الشكل يغير حكم المضمون، فكذلك لن ينفع الدكتور أن يتغنى بالأسماء التي يحلو له التغني بها، حين عرف أن مضمون منهجه مناقض لحقائق تلك الأسماء، فهل يصبح الخنزير حلالا إذا سماه الدكتور كبشا؟! كلا!

[1] "تصحيح الكتب" (ص: 13) [العنوان الكامل: تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتاب وسبق المسلمين الإفرنج في ذلك] بقلم: العلامة المحدث أحمد شاكر، اعتنى به وعلق عليه وأضاف إليه: أبو غدة.

[2] كما ستقف عليه مرارا وتكرارا -إن شاء الله تعالى-.

لأجل هذا نعتقد أن هذا الرد —القاسي- يناسب من تمرد على نصائح العلماء وترفع عن إرشاداهم —رغم أنه استرشدهم أول الأمر[1]- واستمر في أكل اللحوم المحرمة فحقه أن يضرب على يديه، ويوقف عند حده، وأفضل من هذا وذاك أن يهديه المولى جل جلاله ويرده إلى رشده، وهذا —شهد الله- أرجى ما لنا عنده.

◆ **كلمة إلى العلماء الذين يشهر الدكتور منهجه على حسابهم:**

لا يخفى على الدكتور أن الذي خرج به على المسلمين من دعاوى على سيد قطب وإخوانه ومحبيه لن يكون له رصيد، ولن يلتفت إليه، إذا كان من نكرة من نكرات الشرق والغرب، وأن ذلك سيقال فيه مثل قولهم:

قالوا عندنا يجوز، قيل فمن أنتم حتى يكون لكم عند؟!

لأجل هذا عمد الدكتور إلى أسماء لها وقعها في العالم الإسلامي، وتترس بها لحماية الباطل، فأساء إليها من وجهين:

أولا: حين قدم باطله بوضع أسمائهم في مقدمات كتبه، كأنما يفهم القارئ أن هذا الذي كتبته وأكتبه وأسير على هديه، إنما هو منهج يباركه هؤلاء الأفاضل من العلماء، مع أن هذا غير صحيح، فقد يكون أحدهم أثنى عليه في مسألة أو جانب ويوهم القارئ أنه مزكى مطلقا!

ثانيا: إذا وقف القارئ على التدني المنهجي الذي تنضح به كتابات الدكتور، لا شك لا يشرف أولئك العلماء أن تكون أسماؤهم مرتبطة بكتب كهذه، لأنهم إنما

---

[1] كان في طليعة هؤلاء الشيخ بكر أبو زيد، الذي وصفه الدكتور في "الحد الفاصل" بأوصاف ذميمة واتهامات خطيرة، منها، أن بكرا أبا زيد: فرغ قلبه من خشية الله، ومراقبته.. من الغلاة في سيد قطب.. يذب ويدافع عن الباطل وأهله بحرقة وعنف.. يدفع الشباب إلى محاربة الحق وأهله.. ذو شر على الإسلام والأمة.. إلى غير تلك التهم -الربيعية- التي سيتعرف عليها القارئ الكريم لاحقا -إن شاء الله تعالى-.

تربعوا على قلوب الجماهير المسلمة، بما وفقهم الله إليه من علم صحيح[1] وعمل صالح -نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحدا- فعار على الدكتور أن يتاجر لإنفاق باطله على حساب ماهم من رصيد في نفوس المسلمين!

لذلك فإنا نتوجه إلى أولئك الأفاضل ليقوموا بواجبهم نحو هذا الرجل الذي يتترس بهم، ويعبر من خلالهم إلى عقول الشباب ليفسدها بتجريئها على الدعاة والعلماء باسم الأمر بالمعروف، والجهاد في المبتدعة، وباسم السنة، وتصحيح العقيدة و.. وغير ذلك من الأمور التي مجتها العقول، عندما لم تعد تخرج في محلها وتوجه في أوانها!

وكنت قبل كتابي هذا أرسلت جملة من الرسائل إلى عدد من المشايخ، ولكني لم أتوصل بشيء حتى الآن!

بل جاءني رد من الشيخ مقبل بن هادي الوادعي قرئ عليه من بعض تلاميذه فزادني حسرة على حسرة!

ففي جواب الشيخ -أو بالأحرى التلميذ المجاز من الشيخ- تجد أكثر من أربعة أخطاء في الآيات القرآنية،[2] والخطاب مرقون بالآلة مختوم بختم الشيخ! ناهيك عن الأخطاء النحوية، والركاكة اللغوية، أما الحكم على كتب سيد قطب فيكفيك قول التلميذ -المبارك من الشيخ طبعا-: "قد وضعنا كتاب الظلال في كتب الضلال ووضعنا عليها إعلان[3] بالخط العريض هذه كتب الضلال" وفي الوقت الذي يعترض فيه هذا الطالب على سيد قطب في مسألة

---

[1] ولا عصمة لواحدهم!

[2] مع أن مجموع الآيات الواردة في الخطاب ستة! وقرئت على الشيخ من التلميذ المجاز.

[3] كذا في الخطاب: (ص: 1) وهل مثل هذا الطالب أو الطويلب يوكل إليه فحص عقيدة وفكر وعرض سيد قطب؟!

"تكفيـــر المجتمعـــــات" ويستـــدل عليـــه -في غير محل الاستدلال[1]- بقولهﷺ لأسامة[2] -رضي الله عنه- ((**هلا شققت على قلبـــه**))[3] يختم جوابـــه بقولـــه: "وسيد وإن قتل على أيدي الظلمة فإنه كان سعى لأخذ السلطة مـــن أيديـــهم.. وهذه طريقة الإخوان المفلسين[4].. وربما إذا تمكنوا من الحكم لا يرجعون إلا علـــى أهل السنة.."[5] ألا يقال لهذا. هلا شققت على قلب سيد لتعلم أنه إنما كان يســـعى لأخذ السلطة؟!، وهلا شققت على قلوب الإخوان المسلمين لتعلم هل إذا تمكنـــوا من الحكم يرجعون على أهل السنة -لأنهم في نظرك ليسوا منهم- ؟!

لأجل هذا، فإني أعتقد أني حيث أرسلت إلى مجموعة من أهل العلم أبثهم هـــذا الهم الذي سببه نطق الرويبضة -كما أخبر المصطفىﷺ[6]- أكـــون قمت بواجبي،

---

[1] انظر تفاصيل كلام سيد قطب في الفصل المخصص له من هذا الرد.

[2] هو الصحابي الجليل، والحب بن الحب، أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العـزى ابن زيد بن امرئ القيس، أبو محمد ويقال أبو زيد وأمه أم أيمن حاضنة النبيﷺ، كان عمـــــر رضي الله عنه يجله ويكرمه، وفضله في العطاء على ولده عبد الله بن عمر -رضي الله عنـــهما- توفي سنة: (54هـــــ)، انظر "الإصابة في تمييز الصحابة" (29/1) للحافظ ابن حجر.

[3] سيأتي تخريجه في الصفحة: 185.

[4] كذا في الخطاب، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَنَابَزُواْ بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ (الحجرات/11).

[5] انظر الملحق.

[6] بقوله: ((**إن بين يدي الساعة سنين خداعة، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصـدق، ويؤمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة. قيل: وما الرويبضة، قيـــل: المرء التافه يتكلم في أمر العامة**)) رواه أحمد (291/2)، وابن ماجه (4036)، في الفـتن، (24) باب: شدة الزمان، والحاكم (465/4، 512)، من طريق عبد الملك بن قدامة الجمحـــي، عـــن إسحاق بن أبي الفرات عن المقبري، عن أبي هريرة مرفوعا. =

=قال الحاكم: "صحيح الإسناد".

قلت: وهذا إسناد ضعيف فيه علتان:

الأولى: عبد الملك بن قدامة الجمحي، قال الذهبي في" الكاشف": ضعيف، ونقل في " الميزان" تضعيفه عن جمع.

الثانية: إسحاق بن أبي الفرات، قال الحافظ: مجهول.

لكن للحديث طريق أخرى، عن أبي هريرة يرويها فليح، عن سعيد بن عبيد بن السباق، عنه به.

رواه أحمد (338/2).

قلت: وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيحين غير سعيد بن عبيد وهو ثقة، وفليح وهو ابن سليمان الخزاعي قال عنه الحافظ:" صدوق يخطئ كثيرا".

ثم إن للحديث شواهد يتقوى بها عن أنس بن مالك، وعوف بن مالك.

1-أما حديث أنس:

فرواه أحمد (220/3)، من طريق محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن دينار، عنه مرفوعا.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (284/7:

رواه البزار، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع من عبد الله بن دينار، وبقية رجاله ثقات.

قلت: وهذا إسناد حسن لما صرح ابن إسحاق بالتحديث.

ورواه أحمد (220/3) من طريق أخرى عنه، عن محمد بن المنكدر عن أنس مرفوعا.

2-أما حديث عوف بن مالك:

فرواه البزار في "المسند" (3373،كشف الأستار)، والطبراني في "المعجم الكبير" (125/18)، و"مسند الشاميين"(51/1)، من طريق يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبيه، عنه مرفوعا.

قلت: وهذا إسناد ضعيف، لعنعنة ابن إسحاق، وأبو عبلة، واسمه شمر بن يقظان، لم يرو عنه غير ابنه، فهو مجهول، ذكره ابن حبان في "الثقات" (367/4)، وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (376/4) وسكت عنه. =

وعليهم هم أن يقوموا بواجبهم في البراءة من الباطل الذي يتحرك بأسمائهم، لا سيما أسماء مثل الشيخ الفاضل عبد العزيز بن باز والشيخ الفاضل محمد ناصر الدين الألباني والشيخ الفاضل محمد بن صالح بن عثيمين، ففي ذلك إنقاذ لكثير من الشباب -بل وغير الشباب- ممن لا يميز بين الخطأ والصواب وتخدعهم الألقاب والأحساب!

وفي انتظار ردودهم، أتقدم بهذا الكتاب الذي يتضمن بابين -بعد هذه المقدمة-

أولهما: أورد فيه بعض الفصول التي شذ فيها الدكتور عن المنهج العدل، ومرد عن الصراط المستقيم، سواء من الناحية العلمية الصرفة، أو من الناحية الأدبية، أو هما معا.

وثانيهما: وهو صلب الكتاب وأساسه، فهو تتبع لمعظم التهم التي أطلقها هذا الرجل بلا خطم ولا أزمة في حق سيد قطب، نوردها واحدة واحدة مع الإشارة إلى خطإ سيد قطب إن تحققناه ولا نحابي في الحق أحدا، بل لا نريد من هذا السرد دفاعا عن سيد قطب -رحمه الله تعالى- فليس يربطنا به سوى الإسلام، ولسنا من جماعته، ولا أفرادا متسترين من حزبه بل لنا مؤاخذات عليه وعلى حزبه لكن هيهات أن نسوقها سوقا ربيعيا، فيكون علينا أكثر مما على المؤاخذ عليهم، والله يغفر لنا ولهم، ويسامحنا وإياهم، ويرد الضال منا إلى الحق ردا جميلا، والذي ندين

=ثم إن محمد بن إسحاق توبع من:

إسماعيل بن عياش، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن عوف بن مالك مرفوعا.

رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (124/18).

قلت: وهذا إسناد منقطع بين إبراهيم بن أبي عبلة وعوف بن مالك، ومن خلال الرواية السابقة يتبين لنا أن بينهما والده.

فالحديث بمجموع هذه الطرق حسن -إن شاء الله تعالى- والله أعلم.

الله به منهج السلف الصالح الذي له في كل عصر رجال يذودون عـــن حياضــه ويجاهدون ويسعون في شرحه ونشره، نحسب من هؤلاء في هذا العصر:

الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن صالح بن العثيمين، والشيخ محمـــد ناصر الدين الألباني -رحمهم الله تعالى- وغيرهم، وهذا أوان الشروع في المقصـــود وبالله التوفيق.

اعتذار: كان متوقعا أن يظهر هذا الكتاب قبل سنتين من هذا التـــاريخ، لـــولا أمور خارجة عن إرادتي، وذلك أن الناشر الذي سلمته إياه اعترضته مصاعب فـوق طاقته هو الآخر، بسبب الظروف الأمنية التي تشد الخناق على كتـــب إســـلامية معينة، ولكل أجل كتاب، والمشيئة مشيئة رب الأرباب.

مراسلة المؤلف على العنوان التالي:

alkhalil@webmails.com

******

الباب الأول: أخطاء الدكتور المنهجية:

كتاب "أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره" يندرج ضمن كتب نقد وتقويم الرجال، وموضوع نقد الرجال بحر خطير، وميدان كبير، لابد لمن يتصدى للبحث فيه، ويتأهل لخوض أغواره، أن يعد لذلك العدة ويشحذ الذهن ويضبط النفس والهوى، وأنى له ذلك! فحسبنا قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾.[1]

وعلماء الحديث خير من وضع لهذا الموضوع ضوابطه وأسسه، وذلك ضمن علم جامع وهو علم "الجرح والتعديل"، بل جعلهما الحاكم[2] علمين مستقلين كل منهما علم قائم بذاته[3] أي علم الجرح لوحده وعلم التعديل لوحده[4].

وقد تباينت مواقف الناس حيال هذا العلم، وكانوا في ذلك أصنافا ثلاثة:

صنف أغلق باب نقد الرجال تماما واعتبر ذلك غيبة، واعترض على علماء الجرح والتعديل لأجله، كالذي قال لابن المبارك:[5] "أتغتاب الناس"؟!.[1] ودخل

---

[1] (التغابن/ 16).

[2] الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع صاحب التصانيف، ولد سنة (321 هـ) في ربيع الأول، طلب الحديث من الصغر باعتناء أبيه وخاله فسمع سنة ثلاثين ورحل إلى العراق وهو ابن عشرين سنة وحج ثم جال في خراسان وما وراء النهر وسمع بالبلاد من ألفي شيخ أو نحو ذلك وقد رأى أبوه مسلما، توفي سنة: (405 هـ) "تذكرة الحفاظ" (1039/3) للإمام الذهبي.

[3] "معرفة علوم الحديث" (ص: 52).

[4] لكن الدكتور ربيع فيما يبدو لا يعرف شيئا عن العلم الثاني! وفارس من فرسان الأول ويتفنن في إتقانه!!

[5] الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام فخر المجاهدين قدوة الزاهدين أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم المروزي التركي الأب الخوارزمي الأم التاجر السفار صاحب التصانيف النافعة=

يوسف بن الحسين الرازي الصوفي[2] على عبد الرحمن بن أبي حاتم[3] -وقيل كان من الأبدال- وهو يقرأ كتاب الجرح والتعديل لتلاميذه فقال:

- يا أبا محمد! ما هذا الذي تقرأ على الناس؟
- قال: كتاب صنفته في الجرح والتعديل.
- قال: وما الجرح والتعديل؟
- قال: أظهر أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقة.

=والرحلات الشاسعة ولد سنة (118 هـ) أو بعدها بعام وأفنى عمره في الأسفار حاجا ومجاهدا وتاجرا. توفي سنة: (181 هـ). "تذكرة الحفاظ" (274/1-275). للإمام الذهبي.

[1] "شرح علل الترمذي" لابن رجب: (ص: 77).

[2] هو يوسف بن الحسن بن علي، أبو يعقوب الرازي الصوفي، كان عالما زاهدا ورعا كبير الشأن، سمع أحمد بن حنبل وصحب ذا النون المصري، وهو صاحب قصة الفأرة مع ذي النون، وكان قد بلغه أن هذا الأخير يحفظ اسم الله الأعظم فقصده ليعلمه إياه. قال:...فخدمته سنة ثم سألته أن يعلمني الاسم الأعظم، فلم يبعد مني ووعدني، فمكثت عنده بعد ذلك ستة أشهر، ثم أخرج إلي طبقا عليه مكبة مستورا بمنديل، فقال لي: اذهب بهذا الطبق إلى صاحبنا فلان، قال: فجعلت أفكر في الطريق ما هذا الذي أرسلني به؟ فلما وصلت الجسر فتحته فإذا فأرة ففرت وذهبت، فاغتظت غيظا شديدا، وقلت: ذو النون سخر بي، فرجعت إليه وأنا حنق فقال لي: ويحك إنما اختبرتك، فإذا لم تكن أمينا على فأرة فإنك لا تكون أمينا على الاسم الأعظم بطريق الأولى، اذهب عني فلا أراك بعدها، وقد رئي أبو الحسن الرازي هذا في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بقولي عند الموت: اللهم إني نصحت الناس قولا وخنت نفسي فعلا، فهب خيانة فعلي لنصح قولي، توفي سنة: (304 هـ) "شذرات الذهب" (245/2). "البداية والنهاية" (144/11).

[3] الإمام الحافظ الناقد شيخ الإسلام، أبو محمد عبد الرحمن بن الحافظ الكبير أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، ولد سنة: (240 هـ) وتوفي سنة: (327 هـ). "تذكرة الحفاظ" (829/3) للإمام الذهبي.

- فقال له يوسف بن الحسين: استحييت لك يا أبا محمد كم من هؤلاء القـــوم قد حطوا رواحلهم في الجنة منذ مائة سنة ومائتي سنة وأنت تذكرهم وتغتابهم علـى أديم الأرض.

فبكى عبد الرحمن وقال: يا أبا يعقوب لو سمعت هذه الكلمة قبل تصنيفـــي هذا الكتاب لما صنفته[1] وكذلك قال كثير غيره، بل شنع بعضهم على إمام أئمة هذا الشأن يحيى بن معين[2]، ونظم فيه أبياتا يوبخه فيها، منها قوله:

ولابن معين في الرجـــال مقالـــة*سيسال عنهـــا والمليك شهيـــد**

فإن تك حقا فهي في الحكم غيبة*وإن تك زورا فالقصاص شديد.**[3]

---

[1] "الكفاية في علم الرواية": (ص: 38).

[2] يحي بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن، وقيل ابن غياث بن زياد بن عـون ابن بسطام، وقيل: ابن عون بن زياد بن نهار بن خيار بن بسطام المري الغطفاني، أبو زكريـــا البغدادي، الحافظ، مولى غطفان، إمام أهل الحديث في زمانه والمشار إليه من بين أقرانه، ولـــد سنة: (158 هــ)، وتوفي سنة: (233 هــ) "تهذيب الكمال" (220/20) "تهذيب التـــهذيب" (178/6). للحافظ ابن حجر.

[3] "الكفاية في علم الرواية" (ص: 38). وفي "شرف أصحاب الحديث" (ص: 124) للخطيـــب البغدادي:

فإن يك صدقا فهو في الحكم غيبة*وإن يك كذبا فالحساب شديـــد...**

و"جامع بيان العلم" لابن عبد البر، (125/2):

ولابن معين في الرجـــال مقالـــــة*سيسال عنهـــا والمليك شهيـــد**

فإن يـــك حقـــا قولـــه فهي غيبة*وإن يك زورا فالقصاص شديـــد**

قال أبو عمر: قد رد هذا القول على بكر بن حماد (أبو عبد الرحمن الفقيه العمدة الفـــاضل الإمام الثقة العالم بالحديث وتمييز الرجال الشاعر المغربي، توفي بالقاهرة سنة: 295 هــ) جماعة نظما، اهـــ.

من ذلك:

=

هكذا نظر هؤلاء إلى مسألة نقد الرجال واعتبروها حراما وإثما!

- ويقابل هؤلاء صنف فتحوا الباب على مصراعيه، وتكلموا في الناس فوق الحاجة وجرحوا مواضع من الرواة لا دخل لها في الرواية، ولم يسلم من هذا حتى بعض الأكابر في هذا الفن، كما حصل من ابن معين -رحمه الله تعالى وغفر له- عندما قال عن "مروان بن الحكم" [1] أنه "أبخر الفم[2] وكان رجل سوء "-فلم يقبل الأئمة منه- على جلالته -مثل هذا الكلام- لأنه تجاوز في حكمه حدود الرخصة: فالأصل أن الكلام في الناس حرام، بل من الكبائر، ولئن فتح بابه لمصلحة من المصالح الشرعية، فلا يجوز تخطي قدر الرخصة والضرورة.

ووقف أهل العدل والإنصاف وعلماء الجرح والتعديل حكما وسط هذا اللجج الكبير ففتحوا بابه احتياطا لشرع الله، وللتحقق من عدم المتاجرة بحديث رسول الله ﷺ ولهذا لما اعترض أبو بكر بن خلاد[3] على يحي بن سعيد[1] لكلامه في الرجال،

= **ولابن معين في الذي قال أسوة * * * ورأي مصيب للصواب سد يد**
وأجر به يعلي الإله محله * * * ويترله في الخلد حيث يريد
يناضل عن قول النبي ويطرد الأ* * * باطيل عن أحواضه ويذود
وجلة أهل العلم قالوا بقوله* * * وما هو في شيء أتاه فريد

[1] مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو عبد الملك، وثب على الخلافة بالسيف، ولد بعد الهجرة بسنتين، وقيل بأربع، توفي سنة: (65 هـ) "تهذيب الكمال" (13/1). "تهذيب التهذيب" (404/5).

[2] أبخر من بخر بخرا، فهو أبخر وهي بخراء: وهي الرائحة المتغيرة من الفم، قال أبو حنيفة البخر: النتن يكون في الفم وغيره (لسان العرب مادة: بخر).

[3] محمد بن خلاد بن كثير الباهلي، توفي سنة: (239 هـ) "تهذيب الكمال" (256/16) "تهذيب التهذيب" (99/5).

وقال له: "أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة؟ فقال: لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب إلي من أن يكون خصمي رسول الله ﷺ، يقول: لم حدثت عني حديثا ترى أنه كذب"[2]؟! وصدق -رحمه الله تعالى- فقد قال عليه الصلاة والسلام ((**من حدث عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**))[3].

---

[1] يحي بن سعيد بن فروخ القطان التميمي، أبو سعيد البصري الحافظ الثقة المتقن الإمام القدوة، ولد سنة (120 هـ)، وتوفي سنة: (198هـ)، "تهذيب الكمال" (91/20)، "تهذيب التهذيب" (138/6) "التقريب" (ص:591).

[2] "الكفاية في علم الرواية" (ص:44).

[3] رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (237/5)، ومن طريقه مسلم في "المقدمة"(1/62-63، بشرح النووي)، ورواه أحمد (20/5)، وابن ماجه (39)، في: المقدمة (5) باب: من حدث عن رسول الله حديثا وهو يرى أنه كذب، من طرق عن شعبة، عن الحكم، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، عن سمرة بن جندب مرفوعا.

وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، رجال الصحيحين.

وله شاهدان من حديث علي بن أبي طالب، والمغيرة بن شعبة.

-أما حديث علي بن أبي طالب:

فرواه ابن أبي شيبة في " المصنف"، (237/5)، وأحمد (113/1)، والترمذي (2662) في: العلم، (9) باب: ما جاء فيمن روى حديثا وهو يرى أنه كذب، وابن ماجه (38-40)، في المقدمة، والدارقطني في "العلل" (271/3)، من طرق عن الحكم، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عنه مرفوعا نحوه.

قال الترمذي: وكأن حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى عن سمرة عند أهل الحديث أصح.

قال الدارقطني: اختلف فيه عن الحكم.

قلت: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، رجال الصحيحين.

-وأما حديث المغيرة بن شعبة:

=

ولا يتحقق هذا الواجب إلا بتفتيش الرواة، وما لا يتحقق الواجب إلا به فهو واجب، وبذلك لم يعد نقد الرواة والشهود ونحو ذلك مجرد أمر جائز فعله بل أصبح بهذا واجبا متعينا على من كان أهلا لذلك، وما هو بغيبة ولئن سلمنا بجواز تسميته كذلك، فلا يكون له حكم الغيبة، بل هو غيبة بحكم قربة، ولهذا كان شعبة[1] يقول: "تعالوا حتى نغتاب في الله"[2] ! ويقصد بذلك كلامه في "الجرح والتعديل".

إلا أن هؤلاء العلماء مع احتياطهم للشريعة كي لا يفشو فيها الكذب وما لا يصح فقد فتحوا الباب بحذر، وتكلموا في هذا الغرض بقدر، وكانوا على وعي أن الميدان الذي ولجوه محفوف بالأخطار، والباب الذي فتحوه يهدد بالنار، بل صرحوا فعلا: "أن أعراض المسلمين حفرة من حفر النار، وقف على شفيرها طائفتان من المسلمين: المحدثون والحكام"!![3] لأجل هذا أحاطوا حفرة الأعراض،

=فرواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (237/5)، وأحمد (250/4-255)، ومسلم في "المقدمة" (62/1-63 بشرح النووي) باب: وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين، والترمذي (2662) في: العلم (9) باب: ما جاء فيمن روى حديثا وهو يرى أنه كذب، من طرق عن حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب عنه مرفوعا، نحوه.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قلت: حبيب بن أبي ثابت مدلس، وقد عنعنه، لكنه مصرح بالسماع عند أحمد (250/4).

[1] شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، أبو بسطام الواسطي. الثقة الحافظ المتقن، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال وذب عن السنة وكان عابدا، ولد سنة: (82 هـ) وتوفي سنة: (160 هـ) "تهذيب الكمال" (344/8) "تهذيب التهذيب" (498/2)، و"التقريب" (ص: 266).

[2] "الكفاية" (ص:45)، و"مقدمة الكامل" (69/1).

[3] صاحب هذه القولة ابن دقيق العيد. "الاقتراح" (ص:61).

أعراض المسلمين هذه بسياجين لا تنازل عنها، لكل من رام اقتحام الميدان، والعبور عبر هذا الباب:

الأول: سياج أدبي أخلاقي، وهو عبارة عن ورع خلقي، وزهد فكري، يحق للمسلمين أن يفتخروا ويميسوا به بين الناس لإعطائهم دروسا في الأدب الثقافي! هذا الأدب الذي لا يقبلون التنازل عنه، ولا يسكتون عمن يخل به كائنا من كان!

- **الحافظ الذهبي[1] يعترض على ابن أبي ذئب[2] لإساءة الأدب مع مالك[3].**

فهذا الإمام ابن أبي ذئب وهو من كبار علماء المدينة، وله مواقف مشرفة في الصدع بالحق وقول ما يجب قوله دون هيبة أو وجل، وبلا تملق أو خجل، غير مبال بما يمكن أن يصيبه من الحكام بسبب موقفه! ومع ذلك فإن الإمام الذهبي اعترض عليه بشدة، ورد عليه بقوة، عندما رآه أساء الأدب، واخترق سياجا محرما؛ وذلك عندما

---

[1] هو الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي -وابن الذهبي- الدمشقي، الحافظ المحدث الجهبذ البصير، والمؤرخ الناقد الواعي المحقق عديم النظير، شيخ الحفاظ والمحدثين، وإمام القراء والمؤرخين في عصره وإلى ما شاء الله من الدهور والأعصر، ولد سنة: (673 هـ)، وتوفي سنة: (748 هـ) "طبقات الشافعية الكبرى" (101-100/9)، و"شذرات الذهب" (153/6)، و"الوافي بالوفيات" (163/2)، و"طبقات الحفاظ للسيوطي" (ص:517).

[2] هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، أبو الحارث المدني، الثقة الفقيه الفاضل، ولد سنة: (80 هـ)، وتوفي سنة: (159 هـ)، "تهذيب الكمال" (500/16)، "تهذيب التهذيب" (195/5) "التقريب" (ص:493).

[3] هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر الأصبحي، أبو عبد الله المدني الفقيه، إمام دار الهجرة، رأس المتقنين، وكبير المتثبتين، توفي سنة: (179هـ) "تهذيب الكمال" (381/17)، "تهذيب التهذيب" (350/5)، "التقريب" (ص:156).

ترك مالك العمل بحديث "**خيار المجلس**[1]" رغم صحته، متعللا بخلافه لعمل أهل المدينة.

عندئذ قال الإمام ابن أبي ذئب:

-يستتاب مالك، فإن تاب وإلا ضربت عنقه

فعلق الإمام أحمد [2] -رحمه الله تعالى- على هذا فقال:

-كان ابن أبي ذئب أصلح في بدنه وأورع ورعا، وأقول بالحق من مالك عند السلاطين! لكن الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالى- لم يشأ أن يدع هذه الحادثة تمر دون أن يصوب ما بها من خروج عن منهج النقد الصحيح، لاسيما وقد سكت عنها الإمام أحمد، فخشي شيخ الجرح والتعديل أن يعتقد معتقد أن ما صدر عن ابن

---

[1] حديث ((**البيعان بالخيار**)). رواه مالك في "الموطأ" كتاب: البيوع، باب: بيع الخيار (583)، والبخاري (2079) في: البيوع، (19) باب: إذا بين البيعان و لم يكتما ونصحا، و(2082) في: البيوع (22) باب ما يمحق الكذب والكتمان في البيع، و(2107-2108) في البيوع (42) باب:كم يجوز الخيار و(2109) في: البيوع (43) باب: إذا لم يوقت في الخيار هل يجوز البيع؟ و(2110-2111) في: البيوع (44) باب: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، و(2114-2113-2112) في: البيوع (46) باب: إذا كان البائع بالخيار هل يجوز البيع؟ ورواه مسلم (43-44-45-46) في البيوع (10) باب: ثبوت خيار المجلس للمتبايعين، و(47) في البيوع (11) باب: الصدق في البيع والبيان (بشرح النووي).

[2] هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله ين حبان بن عبد الله ابن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان ين ذهل بن ثعلبة بن كعابة بن صعب بن علي بن بكر وائل، أبو عبد الله الشيباني إمام السنة الثقة الحافظ الفقيه الحجة، ولد سنة: (164هـ) وتوفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الأول سنة (241هـ) "تهذيب الكمال" (226/1) و"تهذيب التهذيب" (49/1) و"التقريب" (ص:84) و"تاريخ دمشق" (252/5) و"مناقب الإمام أحمد بن حنبل" لابن الجوزية.

أبي ذئب من كلام، وسكوت أحمد بن حنبل الإمام، صواب! فقال كلمة تستحق أن تكتب بماء من ذهب، وإن كان الشيء من معدنه لا يستغرب! وإني لأدعو بحرارة السيد ربيع أن يتملى عبارة الذهبي، ففيها دواء لما في منهجه من داء، لقد تعقب الذهبي الورع الذي نسب إلى ابن أبي ذئب فقال:

لو كان ورعا كما ينبغي لما قال هذا الكلام القبيح في حق إمام عظيم، كمالك، فمالك في هذا الحديث وفي كل حديث له أجر ولابد فإن أصاب ازداد أجرا آخر وإنما يرى السيف على من أخطأ في اجتهاده الحرورية!"[1].

فلله ذر الحافظ الذهبي، ولكن أين اليوم مثل الذهبي؟!

وبدهي أن اعتراضه على ابن أبي ذئب، ليس من أجل تخطئته لمالك، فمن حقه أن يخالف مالكا لاسيما ومعه دليله، ولكن اعترض على أسلوبه في الرد، وطريقته في الاعتراض!

فيا له من درس ما أحوج المسلمين إلى استيعابه والوقوف عنده كثيرا، خصوصا من يسلكون هذا الأسلوب -الربيعي- الفظ في الاعتراض على غيرهم ممن يخالفهم الاجتهاد، لأن هذا الأسلوب حروري غير سني، كما علمت! ولا يشفع له دعوى نصرة الحديث أو السنة لأنها شنشنة نعرفها من أخزم كما يقال، ولأن كلا يدعي وصلا بليلى ولكن ليلى لا تقر لهم بذاك!

هذا إذن عن السياج الأول، السياج الأدبي، والضابط الخلقي، والورع الحقيقي كما وصفه الذهبي وستأتي تفاصيل عنه بعد قليل -إن شاء الله تعالى-..

أما السياج الثاني الذي أحاط به العلماء حفرة الأعراض، فجملة من الضوابط العلمية الصرفة تكون بمثابة المعالم، التي ترسم الطريق للمتصدي لجرح وتعديل الناس، ويجب مراعاة تلك الضوابط لضمان العصمة من "الخروج" عن الحدود

---

[1] "سير أعلام النبلاء" (142/7).

المرسومة للقيام بمهمة متأرجحة بين الوجوب والتحريم، فهي واجبة من وجه ومحرمة من وجه آخر، وهذه الضوابط التي سيأتي تفصيلها فيما بعد -بحول الله وقوته- هي التي تضع اللسان والقلم على الجرح الذي يجب ذكره وتصرفهما عن العرض الذي لا يجوز هتكه! إن هذين السياجين إذن، الأدبي والعلمي -وهما الساقان اللذان يمشي بهما كل سائر في ميدان النقد عامة، ونقد الرجال خاصة- قد أخل بهما الدكتور ربيع أيما إخلال في "أضوائه" فلم يراع أصول الأدب وقواعده، كأن في يمينه رشاشا يطلق رصاصات، لا قلما يرسم كلمات!

وكذلك لم يراع الدكتور ربيع أصول وقواعد النقد العلمي، ولهذا كان سيره أحيانا أعرج لإخلاله بأحد هذين السياجين، وأحيانا كان يزحف لشلل ساقي المنهج معا، وهذا الفصل يوقفك على أخطاء السيد ربيع من الناحيتين معا، الأدبية والعلمية، فلنبدأ بالناحية الأولى إذن:

*****

أخطاء الدكتور الأدبية :

أ- غِلظة في الخطاب:

حسب علمي ليس للدكتور قبل "أضوائه" مؤلف أثبت فيه أن سيد قطب مبتدع أو ضال، وكذلك ما علمت أن العلماء في حياته أو بعد استشهاده[1] قالوا: إنه مبتدع ضال[2].

وعليه فإن الخطاب القاسي، والأسلوب الغليظ، الذي استعمله الدكتور لا يستحق أن يخاطب بمثله رجل كسيد قطب -رحمه الله تعالى- ولئن بدرت منه أخطاء، ولا شك ذلك حاصل، فالصواب في الأدب، والواجب في الأخلاق، أن ينبه على أخطائه بلطف إشارة ورفق عبارة. لكن مع الأسف حاد الدكتور عن الأدب العلمي، ورشق سيدا بعبارات غير مناسبة، تنم عن حاجته إلى استكمال نصيبه، وتحصيل ما يجب عليه، من أخلاق، فإن النبيﷺ قال: ((**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**))[3].

---

[1] نحسبه كذلك، ولا نزكي على الله أحدا!

[2] ولو فرضنا أحدا تكلم فيه بشيء من ذلك، فهو محجوج ومعارض بقول الذين أثنوا عليه وبرؤوه كما سبق في التمهيد.

[3] رواه أحمد (381/2)، والبخاري في "الأدب المفرد" (273)، والحاكم (613/2) والبيهقي في "الكبرى"، (192/10)، وابن سعد في "الطبقات" (192/1) وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (252/19). من طرق عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا.

قلت: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

قلت: ابن عجلان لم يحتج به مسلم إنما أخرج له في المتابعات. ورواه مالك في "الموطأ" كتاب: حسن الخلق، باب: ما جاء في حسن الخلق، (ص:789) بلاغا. وقال ابن عبد البر في=

فليس من الخلق في شيء أن يوصف سيد قطب أنه "لم يخرج من دوامة الحيرة والبلبلة والاضطراب" [1] ويقال "إنه يطعن في عثمان [2] من منطلق اشتراكي يتباكى فيه على التوازن الذي خيل إليه الشيطان أن تصرف عثمان قد أودي به، ومن منطلق شيعي دفعه إلى إسقاط خلافة عثمان" [3]. والاتهامات التي يهواها الدكتور ربيع ويقول: "إنه ولا مصدر لهذه الاتهامات والطعون إلا خيالاته الناشئة عن عقيدته الاشتراكية الغالية، وإلا السموم التي ارتواها من مصادر الرفض وتعاليم الاشتراكيين" [4].

وهل يليق أن يقول مسلم لمسلم أنه ضيع توحيد العبادة، حتى لو فرضنا أنه أخطأ في مسألة من مسائل التوحيد، علما أن الخطأ سواء كان في الأصول أو كان في الفروع، كلاهما يشمله حديث الأجر والأجرين، وعليه فليس من الأدب أن يقول السيد ربيع "إن توحيد العبادة الذي جاء به جميع الأنبياء...أضاعه سيد

="التمهيد" (333/24)، وهذا الحديث يتصل من طرق صحاح، عن أبي هريرة وغيره، عن النبيﷺ.

[1] "الأضواء" (ص:18).

[2] عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله، ويقال أبو ليلى الأموي، أمير المؤمنين، الخليفة الثالث، ذو النورين -رضي الله عنه-، أسلم قديما وهاجر الهجرتين، وتزوج ابنتي رسول اللهﷺ رقية فماتت عنده، ثم تزوج أم كلثوم فماتت عنده أيضا. قتله خبيث من أهل مصر يقال له جبلة بن الأيهم. ترجمته مستوفاة في "تاريخ دمشق" (3/39).

[3] "الأضواء" (ص:41).

[4] "نفسه" (ص: 43).

قطب"[1]، فلئن فرضنا أن سيدا أخطأ في ذلك، لوجب احتمال خطئه بحسن الظن به، فكيف إذا كانت هذه التهمة لا أساس لها من الصحة؟[2]!

ومثل هذا اعتبار الدكتور سيد قطب أنه "أقل مبالاة ضد عبادة الأوثان من الروافض والقبوريين؛ لأن هؤلاء لا يشكون ولا يترددون في الحكم على عبادة الأوثان أنها أعظم الذنوب"[3].

إنها عبارات تقشعر لها الجلود، حتى أن المرء ليتساءل إن كان هذا كتاب نقد لبيان الخطأ والصواب أم تقرير من تقارير المخابرات؟! صدق والله الشيخ بكر أبو زيد وبر، حين وصف عباراتكم، أنها عبارات استفزازية! فهي كذلك بل أكثر من ذلك!

تلك الكلمات التي فيها "التكفير الضمني" على حد تعبير الشيخ بكر أبو زيد، لا تناسب مسائل الاجتهاد، ولا تليق بما يجوز أن يكون الصواب فيه مع الدكتور، كما يجوز أن يكون مع غيره، فأولى أن يجعل الأدلة تنوب عنه في التعبير عن الصواب، مما يغنيه عن الكلمات المتشنجة والعبارات الغضبى!

وعلى كل حال فقد أخل الدكتور بأدب مخاطبة غيره، وهذا هو الأسلوب الذي اعترض عليه الحافظ الذهبي، بل سماه أسلوبا حروريا! لأن الأحكام والأوصاف التي يطلقها، لا تتناسب، والأخطاء التي يتعقبها، خاصة وأن "الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل -إن شاء الله تعالى- مأجور لاجتهاده فلا يجوز أن يتبع فيها ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته في قلوب المسلمين".

---

[1] "نفسه" (ص: 60).

[2] سيأتي بيان براءة سيد من هذه التهمة بقلمه في الفصل الثالث -إن شاء الله تعالى-.

[3] "الأضواء" (ص:81).

– وهذا الذي نرجوه من الدكتور أن يعود إلى الصواب، فذلك خير من التمادي في الخطأ ! نعم إن الخطأ، قد يصدر لأسباب كثيرة تتلبس بالنفس لا تخفى عليه –إن شاء الله– ولا ينجو من هذا حتى بعض الكبار، فهذا يحيى بن معين –رحمه الله تعالى– يقول:

– من فضل عبد الرحمن بن مهدي على وكيع بن الجراح، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين!

وما هذا إلا لأن وكيعا أقرب إلى يحيى، وبلديه وشيخه، فحين ترامى إلى سمعه أن البعض رجح عليه غيره، انتفض تلك الانتفاضة التي لا تتناسب وحجم ما هو مختلف فيه،[1] لأن المسألة لا تقتضي مثل تلك العبارات الكبيرة، لأجل هذا اعترض

---

[1] ومثل هذا حصل بين بعض الناس قديما حين يفاضلون بين العلماء. سئل شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– عن الشيخ عبد القادر أنه أفضل المشايخ، والإمام أحمد أنه أفضل الأئمة فهل هذا صحيح أم لا؟

فأجاب:

أما ترجيح الأئمة والمشايخ على بعض: مثل من يرجح إمامه الذي تفقه على مذهبه، أو يرجح شيخه الذي اقتدى به على غيره، كمن يرجح الشيخ عبد القادر، أو الشيخ أبا مدين، أو أحمد أو غيرهم، فهذا الباب أكثر الناس يتكلمون فيه بالظن وما تهوى الأنفس، فإنهم لا يعلمون حقيقة مراتب الأئمة والمشايخ، ولا يقصدون اتباع الحق المطلق، بل كل إنسان تهوى نفسه أو يرجح متبوعه فيرجحه بظن يظنه، وإن لم يكن معه برهان على ذلك، وقد يقضي ذلك إلى تحاجهم وقتالهم وتفرقتهم، وهذا مما حرم الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا! اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون، ولتكن منكم أمة يدعون إلى–**

- الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولائك لهم عذاب عظيم، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾.

قال ابن عباس –رضي الله عنهما-: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدع والفرقة : فما دخل في هذا الباب مما نهى الله عنه ورسوله من التعصب والتفرق والاختلاف والتكلم بغير علم: فإنه يجب النهي عنه، فليس لأحد أن يدخل فيما نهى الله عنه ورسوله (ﷺ) وأما من ترجح عنده فضل إمام على إمام أو شيخ على شيخ بحسب اجتهاده، كما تنازع المسلمون: أيهما أفضل: الترجيع في الأذان أو تركه ؟ أو إفراد الإقامة أو إثنائها؟ وصلاة الفجر بغلس أو الإسفرار بها؟ والقنوت في الفجر أو تركه ؟ والجهر بالتسمية؛ أو المخافتة بها؛ أو ترك قراءتها؟ ونحو ذلك: فهذه مسائل الاجتهاد التي تنازع فيها السلف والأئمة، فكل منهم أقر الآخر على اجتهاده، من كان فيها اجتهد وأصاب الحق فله أجران، ومن كان اجتهد فأخطأ فله أجر، وخطؤه مغفور له، فمن ترجح عنده تقليد الشافعي لم ينكر على من ترجح عنده تقليد مالك، ومن ترجح عنده تقليد أحمد لم ينكر على من ترجح عنده تقليد الشافعي، ونحو ذلك.

ولا أحد في الإسلام يجيب المسلمين كلهم بجواب عام، أن فلانا أفضل من فلان، فيقبل منه هذا الجواب، لأنه من المعلوم أن كل طائفة ترجح متبوعها، فلا تقبل جواب من يجيب بما يخالفها فيه، كما أن من يرجح قولا أو عملا لا يقبل قول من يفتي بخلاف ذلك، لكن إن كان الرجل مقلدا فليكن مقلدا لمن يترجح عنده أنه أولى بالحق فإن كان مجتهدا اجتهد وتبع ما يترجح عنده أنه الحق، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، وقد قال الله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾، لكن عليه ألا يتبع هواه ولا يتكلم بغير علم، قال تعالى: ﴿هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾، وقال تعالى: ﴿يجادلونك في الحق بعدما تبين﴾. =

الذهبي وقال: "وهذا كلام رديء، يغفر الله ليحيى، فالذي أعتقده أنا أن عبد الرحمن ابن مهدي أعلم الرجلين وأفضل وأتقن، وبكل حال هما إمامان نظيران"![1] أي فلا حاجة لضرب المقارنات ولا ينبغي إرسال نحو تلك العبارات فهي عبارات رديئة.

• **سوء الظن:**

إن حسن الظن من القيم الأصيلة، والشيم الأثيلة التي يتربى عليها المسلم، والشيطان يجري من المرء مجرى الدم!

ولهذا كان يجب لهذا الخلق العريق أن يكون بارزا في ما يدور بين المسلمين من حوار، حالة الاتفاق والائتلاف، وحالة التباين والاختلاف، فمثلا لو وجدت من يقول بإباحة شيء تراه أنت حراما، فلا يجوز أن تتهمه -حتى لو كانت إباحته في صالح شهوة من الشهوات- بالتساهل والميوعة ورقة الدين، ونحو ذلك! كما لا يجوز أن يتهمك بالجمود أو الشذوذ ونحوه، كلا! كلاكما يظن بصاحبه خيرا ويعتقد في اجتهاده أجرا، ومن أجمل ما يذكر في هذا المقام اختلاف العلماء حول النبيذ الذي يسكر الإكثار منه، فكان جل من بالعراق يستحلونه، وجل من بالمدينة يحرمونه، ومع ذلك فلا يجوز الطعن لا في هؤلاء ولا في أولـئك، بل قالوا قالة رفيعة المقام، مفعمة بحسن الظن بأهل الإسلام، قالوا:

-إذا رأيت العراقي يتعاطى النبيذ فلا تتهمه، لأنه إنما يتعاطاه تدينا! وإذا رأيت المدني يتعاطى النبيذ فاتهمه، فإنه يتعاطاه زندقة!!

ومما يؤسف له أن كتاب "الأضواء" بدل أن يكون منورا مضيء المحيا بهذا الخلق الجميل، وجدناه على عكس ذلك مشحونا بنفسية الاتهام، ومثخنا بعقلية الإدانة

= وما من إمام إلا وله مسائل يترجح فيها قوله على قول غيره، ولا يعرف هذا التفاضل إلا من خاض في تفاصيل العلم، والله أعلم، اهـ "مجموع الفتاوى" (20/291-292).

[1] "سير أعلام النبلاء" (9/152).

وسوء الظن، حتى أنه كلما وقف أمام احتمالين أحدهما حسن والآخر سيئ، فالراجح عنده هو السيئ، ومتى خير بين الإدانة والبراءة يختار الإدانة، بل إن سوء الظن بسيد قطب بلغ بالدكتور مستويات خطيرة حجبت عنه حقائق واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار!

فكثيرا ما نجد السيد ربيع يستعمل عبارات نحو: والظاهر أن...ويبدو أن...والراجح أن...وفي كل مرة يكون الذي رجحه الدكتور أولى به أن يكون مرجوحا، والذي "يبدو له" يستحق أن يكون مستبعدا، لولا سوء الظن الذي تلبسه! وإليك أمثلة تدل على ذلك، نقبضها من الأمثلة الكثيرة المتناثرة في كل صفحات الكتاب:

- **المثال الأول:**

قال سيد قطب -رحمه الله تعالى- "إن هذا المجتمع الجاهلي الذي نعيش فيه ليس هو المجتمع المسلم، ومن ثم لم يطبق فيه النظام الإسلامي، ولن تطبق فيه الأحكام الفقهية..لن تطبق لاستحالة هذا التطبيق الناشئة من أن قواعد النظام الإسلامي وأحكامه لا يمكن أن تتحرك في فراغ، لأنها بطبيعتها لم تنشأ في فراغ، ولم تتحرك في فراغ كذلك"!

ففسر الدكتور كلام سيد هذا بأنه "يصرح سيد هنا باستحالة تطبيق الأحكام الفقهية الخاصة بالنظام الإسلامي"[1]، هكذا مطلقا، مع أن هذا أسوأ الاحتمالات الممكن فهمها من كلام سيد قطب لو كان يحق لنا أن نجعله احتمالا أصلا! إذ لا يعقل أن يصدر عن مسلم أن تطبيق الفقه الإسلامي مستحيل، لكن المعنى الواضح، والفهم اللائح الذي ينادي به كلام سيد -وحجب عن الدكتور- وحجبه عن القارئ بسبب سوء الظن - هو أن الفقه الإسلامي الذي يؤتي أكله ويحقق هدفه هو

---

[1] "الأضواء" (ص:99).

الذي يطبق في مجتمع بشروط معينة، ووصف المجتمع الإسلامي الذي ينجح فيه التطبيق الفقهي أنه الذي "ينشأ بتركيب عضوي آخر غير التركيب العضوي للمجتمع الجاهلي..." فهو لا يقول: إن التطبيق الفقهي مستحيل، لأن هذا مفاده نسبة النقص والقصور إلى شرع الله، فما فائدة نظام غير قابل للتطبيق؟! ومع الأسف هذا المعنى السيئ هو الذي رشحه الدكتور، وقرر أن سيدا أراده، مع أنه لا يدور بخلد القارئ شيء منه اللهم إلا أن يتلبسه سوء الظن الذي تلبس الدكتور ربيع!

واستطرد سيد قطب يصف المجتمع الوليد الذي يتحرك لتحريك الإنسان "من العبودية لغير الله، ولرفع هذا الإنسان عن ذلة العبودية للطواغيت؛ أيا كانت هذه الطواغيت"[1].

فكلامه هنا واضح في أن كل عبودية لغير الله منفية، وعبادة كل الطواغيت بلا استثناء محرمة، هذا الذي لا ينبغي أن يفهم غيره، إلا أن للدكتور تفسيرا آخر حيث يرى أن سيدا لا ينفي سوى بعض العبودية ولا يراه يقصد جميع الطواغيت إنما بعضها فقط! فقال: إن "الظاهر أنه يريد بالطواغيت الحكام فحسب، أما شرك القبور؛ فلا يمكن أن يدور بخلده، وأما عبادة الأوثان؛ فما هي إلا أمور ساذجة"[2].

وهكذا بسوء الظن يخصص عموم كلام سيد مع أن أهل الأصول يجعلون من "العموم" ما كان معرفا باللام جمعا ومفردا ، وكذلك "أي"[3] تفيد العموم وعليه فإن نفي سيد "العبودية لغير الله" فهذا نفي لكل عبودية غير العبودية لله، وبالتالي فإن كلام سيد يدين جميع أنواع الشرك، ولكن سوء ظن زحزح هذا المعنى وأخرج من

---

[1] "نفسه".

[2] "نفسه" (ص: 100).

[3] "تنقيح الفصول" (ص:179).

"العموم" "شرك القبور" و"عبادة الأوثان" فهذا لا يريده سيد، هذا هو الظاهر لمن يجعل على عينيه "سوء الظن" نظارة يقرأ بها النصوص! ولولا نظارة السوء هذه لما جعل "الطاغوت" الوارد بالعموم مرتين في نص سيد خاصا بالحكام؛ لأن الحكام الذين يعارضون شرع الله هم من الطاغوت لا كل الطاغوت ونفى كلام سيد الدالة لكل الطاغوت لا لبعضه! ولكن "سوء الظن" ينبغي أن يصبح من مخصصات العموم في علم الأصول!!

♦ **المثال الثاني: "سيد قطب ناقم على عمر"**

في الفصل الثاني من "الأضواء" عرض الدكتور ربيع ما سماه "**موقف سيد من عثمان ومعظم الصحابة**" هكذا "معظم الصحابة" حتى لا يتوهم القارئ أن ثمة خطأ في هذا الكلام، فليس هناك خطأ، فهذا ما ذكره الدكتور عنوانا لهذا الفصل بل لقد تضخم هذا الفصل وتحول إلى كتاب بعنوان أكثر استفزازا وهو: "**مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ**" ورغم أن مناقشة كثير من تفاصيل هذا الفصل نرجئها إلى حين، فإنا نكتفي هنا بالإشارة إلى ما له علاقة بسوء الظن الذي يجعل الدكتور يضغط على الكلمات لتنطق بما يتوهمه من عيوب! وإلى افتراض الاحتمالات البعيدة واستبعاد البدهيات القائمة والحقائق الأكيدة! من ذلك قوله: "ومن يعرف منهج سيد قطب في التكفير: لا يستبعد أنه يكفر الدولة الأموية والعباسية ويبغضها أشد البغض، على غرار الروافض والخوارج، وعلى خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة"[1].

ومع أن اتهام سيد بتهمة التكفير التي ينسبها الدكتور إليه، سيأتي من كلام سيد الصريح، وقوله الصحيح ما يفندها[2]، وهذا فيما يخص تكفير المجتمعات المعاصرة فما

---

[1] "الأضواء" (ص: 53).

[2] أنظر (ص: 121).

الداعي لافتراض أحكام تتعلق بدولتي بني أمية وبني عباس؟! ليس هذا فحسب، بل واتهام سيد أنه لا يستبعد أن يكون مبغضا لهما، وحتى مكفرا لدولتيهما!

فإذا كان لا بد للدكتور من التساؤل عما يكنه سيد لدولتي بني أمية وبني العباس من أحكام الكفر أم الإسلام؟! وبين يديه جوابان أحدهما خير والآخر شر لماذا اختار الأسوأ؟! أو على الأقل ليصمت كما أوصى بذلك الحديث الشريف((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**))[1] لكن كما ترى فالدكتور ما صمت ولا قال خيرا ولكن أساء الظن وافترض شرا.

ولو طردنا منهج الدكتور لقلنا يستبعد أن يكون سيد مكفرا لكل المسلمين ومبغضا لكل المؤمنين! بلى أوشك الدكتور أن يبوح بهذا الحكم عندما عنون بموقف سيد من معظم الصحابة، فمن القوم بعد الصحابة؟! إذا كان طاعنا في معظمهم فهل نطمع أن يثني على من بعد الصحابة؟! بل بالغ الدكتور مبالغة خطيرة عندما قال: "إن الذي يدقق النظر في تصرفات سيد قطب وأساليبه ويعرف مذهبه؛ يدرك أنه ناقم حتى على عمر؛ لأنه كان يفضل في العطاء طول حياته، وهذا التفضيل جور في نظر سيد سنه عمر، وإنما يترك الطعن في عمر تقية من جهة، وتمشية لمذهبه الاشتراكي من جهة أخرى".[2] كذا كتبَ الدكتور "**سيد ناقم على**

---

[1] رواه البخاري، (6135-6136-6138) في: الأدب (85)، باب: إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، و(6475-6476)، في: الرقاق (23)، باب: حفظ اللسان، وقول النبي ﷺ: ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**))، وقوله تعالى: ﴿**مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾، ومسلم (74) كتاب: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، و(14)، في اللقطة، باب: الضيافة ونحوها بشرح النووي.

[2] "الأضواء" (ص: 51).

عمر" وفي الوقت الذي لا يستبعد الدكتور تكفير سيد لبني أمية وبني عباس، ويدرك أنه "ناقم على عمر" فإنا نجده "لا يستغرب منه أن يتباهى بثورات الخوارج والروافض والزنج وأمثالها"[1] فرمى من قوس "سوء الظن" سيدا بوابل من السهام الجائرة، ولو حاسبناه بهذا لكان هو أيضا بمذهبه ناقما على أبي بكر، لأنه إذا اعتبر أن سيدا -حين رجح مذهب أبي بكر في التسوية بين الناس في العطاء- ناقما على عمر الذي لم يسو، فيجب أن نحكم على من رجح مذهب عمر أنه ناقم على "أبي بكر!" فهل يرضى أن يقال له ذلك وهو لازم مذهبه في النقد؟! غير أنا نؤثر مذهب أهل السنة، ونحسن الظن!

ثم من أين اطلع الدكتور على قلب سيد ليعلم أنه وهو ناقم على عمر، ترك الطعن -كذا والله- في عمر تقية من جهة، وتمشية لمذهبه الاشتراكي من جهة أخرى: فهل هذا هو منهج أهل السنة، هل أقرك الشيخ ابن باز والشيخ الألباني وغيرهما على هذا ووافقوك عليه؟! أما من جهتنا، فنحن نربأ بهؤلاء الأفاضل أن يصوبوا مثل هذه الطعون، التي تنادي ببطلانها قواعد السلف والخلف، وتنادي على أنها مزيفة، بل متحاملة ومغرضة! وجدير بالدكتور أن يتحمل هو خطأ منهجه، ولا يلصقه بغيره، وإلا مس الخطأ الجميع! فلا يكن مثل "الوليد بن مسلم"[2] الذي كان

---

[1] "نفسه" (ص: 45).

[2] هو الوليد بن مسلم القرشي، أبو العباس الدمشقي مولى بني أمية، وقيل مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، الثقة، كثير التدليس والتسوية، ولد سنة: (119 هـ)، وتوفي سنة: (194 هـ)، "تهذيب الكمال" (455/19)، "تهذيب التهذيب" (98/6)، "التقريب" (ص:584).

يحدث عن شيخه الأوزاعي[1] أحاديث يرويها عن الضعفاء، فيعمد الوليد إلى إسقاط أولئك الضعفاء ويسوي بذلك الإسناد! وعندما يسأل: لم يفعل ذلك؟! يجيب:

– أنزه الأوزاعي عن الرواية عن الضعفاء! فيقال له:

– إنك حين تسقط شيوخه الضعفاء، وتروي عنه تلك الأحاديث الضعيفة فإن الضعف سوف يتوجه إلى الأوزاعي نفسه![2] ولن تحابيه القواعد، وصدق من قال: "**رب عذر أقبح من ذنب**"! لهذا فأولى بالدكتور أن يتحمل هو جوره وسوء ظنه بسيد، ولا يعرض الأفاضل لشهادة الزور! فإذا كان أولئك الأفاضل وافقوك على منهج الموازنة وأنه غير لازم عند نقد المبتدعة، فلا تتجاوز بموافقتهم ذلك الموضع وإلا أضررت بهم!

وهب أن الشيخ ابن باز أو الشيخ الألباني أو غيرهما وافقوك على أن تقول عن سيد "**إنه ناقم على عمر**" ويخفي ذلك "تقية" ونحو ذلك من الأحكام الجائرة التي يعود أصلها إلى خلل المنهج الذي تطبقه، فإن ذلك لا ينفعك بقدر ما يؤثر في مكانتهم فتأمل!

● **المثال الثالث:**

ومن المظاهر التي يظهر فيها سوء الظن بارزا فيما كتبه الدكتور: نقده لسيد بعبارات الطبعات الأولى، عوض الاعتماد على آخرها، وهذه أول الملاحظات التي أبداها، وآخذه عليها الشيخ بكر أبو زيد عندما قال له: "رأيت الاعتماد في النقل من كتب سيد –رحمه الله تعالى– من طبعات سابقة مثل "الظلال" و"العدالة

---

[1] هو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو، واسمه يحمد الشامي، أبو عمرو الأوزاعي إمام أهل الشام في زمانه في الحديث والفقه، الثقة الجليل. ولد سنة: (88 هـ) وتوفي سنة: (157 هـ)، "تهذيب الكمال" (311/11)، "تهذيب التهذيب" (400/3)، "التقريب" (ص:347).

[2] "تهذيب الكمال" (462/19)، "ميزان الاعتدال" (348/4) .

الاجتماعية" مع علمكم كما في حاشية ص:29 أن لها طبعات معدلة لاحقة، والواجب -حسب أصول النقد والأمانة العلمية- تسليط النقد إن كان على النص من الطبعة الأخيرة لكل كتاب، لأن ما فيها من تعديل ينسخ ما في سابقتها وهذا غير خاف -إن شاء الله تعالى- على معلوماتكم"[1].

والغريب في الأمر أن الدكتور ربيع يسلك مسلكا عجيبا في عزوه إلى الطبعات، فمعلوم أن الطبعة الأخيرة للعدالة الاجتماعية وهي "الطبعة الثانية عشرة" طبعة منقحة، حيث حذف منها (سيد) العبارات التي أخذها عليه محمود شاكر وغيره"[2] ومع ذلك نجد الدكتور يعزو إلى الطبعة الخامسة -وهي غير منقحة- ويعزو معها إلى الطبعة الثانية عشرة، لماذا؟! قبل الجواب نضرب بعض الأمثلة لهذا النوع من العزو المزدوج لكتاب "العدالة الاجتماعية"، لاسيما في الفصل الثاني من "الأضواء".

- من ذلك إحالة في الصفحة (33) فيها: "العدالة الاجتماعية" (ص:187/ الطبعة الخامسة). ومعناه في (ص: 159/ الطبعة الثانية عشرة).

- وفي الصفحة التي تليها ثلاث إحالات كالتالي:

1) "العدالة الاجتماعية" (ص: 187/ الطبعة الخامسة): ومعناه في (ص: 159/ الطبعة الثانية عشرة).

2) "العدالة الاجتماعية" (ص: 187/ الطبعة الخامسة): ومعناه في (ص160 -161/ الطبعة الثانية عشرة).

---

[1] "الخطاب الذهبي" (ص:4).

[2] "الأضواء" (ص: 11).

3) **"العدالة الاجتماعية" (ص: 159/ الطبعة الخامسة): ومعناه في (ص: 161/ الطبعة الثانية عشرة).**

وهكذا في أمثلة كثيرة نجد الدكتور يحيل على الطبعة غير المنقحة لفظا وعلى الطبعة المنقحة معنى! وسوف نرجئ دعوى أن ما يستشهد به من المعاني في الطبعة المنقحة موافق لما في الطبعة الغير منقحة، ولكن هنا سؤال يفرض نفسه، ما دام المعنى واحدا فما السر في حرص الدكتور على أن يكون الشاهد بلفظ الطبعة الخامسة غير المنقحة؟!

لا أحسب أن الجواب يستعصي على القارئ اللبيب، فقد تعود بما سبق وعرف من منهج الدكتور أن أحد اللفظين أحسن. لذلك تركه! فلا يستحق سيد قطب أن يعرف به، والآخر أخشن لذلك أثبته وسيد قطب يستحقه! فأين خشية الله؟! حجبها سوء ظن بات الدكتور سيقة له إلى افتراض التهم، وإلصاق العيوب بالأبرياء!

لكن ماذا يفعل الدكتور إذا لم يجد معنى ما في الطبعة الغير منقحة في الطبعة الأخيرة؟! هل يبرئ سيد قطب أم يدينه؟! كأني بالقارئ عرف الجواب وأجاب! ولمن غاب عنه الجواب وأراد أن يسمعه من باب "**ليطمئن قلبي**" فإن الدكتور إمعانا في إساءة الظن يكتفي بنقل الكلام المنسوخ!

ومرة أخرى لا ينبغي لك أن تعبث بأسماء بعض المشايخ من أهل العلم، لأنك بأخطائك التي تربطهم بها في كتبك، تسيء إليهم من حيث لا تدري، ذلك أن الحق إذا تعارض مع كلام أحد كائن من كان! فالحق فوق الجميع، وكما قال ابن عبد البر: "**إن القول لا يصح لفضل قائله وإنما يصح بدلالة الدليل عليه**"[1]، فحين

---

[1] "جامع بيان العلم" (118/2)، باب: حجج المقلدين وردها.

تنقل ما جاء في شريط مسجل كلام الشيخ الألباني "أن حامل راية الجرح والتعديل اليوم في العصر الحاضر وبحق هو أخونا الدكتور ربيع"[1] فهل حكم الشيخ هذا يشفع لك في التشكيك في عقائد المسلمين وافتراض النوايا السيئة بهم، واختيار المنسوخ الذي فيه العيب أو الخطأ على الناسخ الخالي من ذلك؟! كلا، بل لو صوح أي واحد من كبار الأئمة المتقدمين، ناهيك عن المعاصرين بشيء من ذلك لم يلتفت إلى قوله، وكان ذلك نقطة ضعف في موقفه.

إن الذي يصوب موقفك هو أن تعود إلى منهج أهل السنة والجماعة الذي من قواعده وأسسه إحسان الظن بالمسلمين عامة، وبأهل الفضل خاصة كما نقلنا قبل من كلام ابن القيم -رحمه الله تعالى- أما إذا لم يرجع الدكتور ربيع إلى صواب المنهج أدبا وعلما ويلتزمه خلقا وفهما فلا تفيده زرع تلك الشهادات بين فصول كتبه. فما تجدي زهرة تزرع وسط مزبلة؟! لن تتعطر المزبلة بقدر ما تنتن الزهرة! !

• **المثال الرابع: لو قامت لسيد دولة لرأيت العجب العجاب من القوانين والتشريعات التي تحل الحرام، وتحرم الحلال.**

عرفنا أن الدكتور أساء الظن بسيد فنسب إليه جملة أخطاء في عصره، ثم أساء الظن به مرة أخرى فافترض له أخطاء فيما قبل عصره،كموقفه من الأمويين، وغيرهم، وبقي توقع الدكتور في مستقبل سيد لو قدرت له الحياة ماذا ينتظر منه؟[2]

"**سيد يجوز للبشر أن يشرعوا قوانين لتحقيق حياة إسلامية صحيحة**". واقرأ ترى عجبا! قال الشيخ بكر أبو زيد: لقد اقشعر جلدي حينما قرأت في فهرس هذا

---

[1] أنظر شريط سمعي رقم (86) بعنوان: منهج الموازنات، تسجيلات طيبة بالمدينة المنورة.

[2] بقي على الدكتور ربيع أن يفترض له أخطاء في قبره وبعد بعثه.

الكتاب قولكم: "سيد قطب يجوز لغير الله أن يشرع"[1]. لأن آخر شيء يخطر ببال أحد أن يتهم سيدا بهذه التهمة، ولكن نظارة الدكتور قرأت بين السطور تلك التهمة فيما كتب وقرأت في المستقبل أنه "لو قامت له ولأمثاله دولة؛ لرأيت العجب العجاب[2] من القوانين والتشريعات التي تحل الحرام، وتحرم الحلال[3]"؛ ولماذا سيستحل الحرام، ويحرم الحلال؟! يفعل هذا مجاراة لأهواء الغربيين"[4]. لقد قلت يا دكتور في أول سبب من "الأسباب الموجبة -كذا- للكتابة في عقيدة سيد قطب وفكره":

أولا: "بيان الحق والفصل بينه وبين الباطل وبين الهدى والضلال"[5].فهل هذا هو الحق الذي تنادي به؟! هل من الأخلاق والآداب أن نكذب على الناس في أقوالهم ونسيء الظن بماضيهم وحاضر هم ومستقبلهم؟!

• **صدق قول الشاعر:**

ولست بناج من مقالة طاعن*ولو كنت في غار على جبل وعر**
ومن ذا الذي ينجو من الناس سالما*ولو غاب عنهم بين خافيتي نسر**

قال سيد قطب عند قوله تعالى﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهجا**﴾[6] "بذلك أغلق الله -سبحانه- مداخل الشيطان كلها، وبخاصة ما يبدو منها خيرا أو تأليفا

---

[1] "الخطاب الذهبي" (ص: 5).
[2] وفي المثل: رمتني بدائها وانسلت.
[3] "الأضواء" (ص: 210).
[4] "نفسه" (ص: 8).
[5] "نفسه" (ص: 8).
[6] (المائدة/48).

للقلوب وتجميعا للصفـوف بالتسـاهـل في شيء من شـريعة الله؛ في مقـابل إرضاء الجميع؛ أو في مقابل ما يسمونه وحدة الصفوف.. وإنها لتعلة باطلـة إذن، ومحاولة فاشلة، أن يحاول أحد تجميعهم على حساب شريعة الله، أو بتعبير آخر على حساب صلاح الحياة البشرية وفلاحها، فالعدول أو التعديل في شريعة الله لا يعـني شيئا إلا الفساد في الأرض..."إلخ كلامه –رحمه الله تعالى– [1].

وقال أيضا –رحمه الله تعالى–...هذا دين رفيع...لا يعرض عنه إلا مطمـوس، ولا يعيبه إلا منكوس ولا يحاربه إلا موكوس. فإنه لا يدع شريعة الله إلى شـريعة الناس إلا من أخلد إلى الأرض واتبع هواه.[2]

وهنا سؤال محير ومحرج يوجه إلى الدكتور: هل قرأت هذا الكلام قبل اتهام سيد بتلك التهم الجائرة؟! إن كان الجواب: لا، فكيف تستبيح الأعراض بالجـهل؟ وإن كان الجواب: نعم، فكيف تستحل الكذب عمدا؟! فهل هذا ريـادة في الجـرح والتعديل، أم ريادة في الكذب والافتراء؟!

وإذا كذب الدكتور على سيد فيما صرح بخلافه، فلا عجب أن يكذب عليـه فيما افترضه في عقله من أنه لو قدر وقامت له دولة لأحل ما حرم الله وحـرم مـا أحل الله إرضاء لأهواء اليهـود والنصارى، وغيرهم من الغربيين، رغم أن سـيد قطب لا يقبل تجميع الناس "على حساب شريعة الله" كما هو صريح كلامه! ولكن سوء الظن كان الباطل الذي خدر قلم الدكتور! فنـطق بـ "مؤاخذة مكفـرة، تنسف ما بنى عليه سيد –رحمه الله تعالى–حياته ووظف له قلمه مـن الدعـوة إلى

---

[1] "الظلال" (903/2).

[2] "نفسه" (3598/6).

توحيد الله تعالى في "الحكم والتشريع "ورفض سن القوانين الوضعية، والوقـوف في وجه الفعلة لذلك[1] ".

وأخيرا لماذا اختار الدكتور في عنوانه العدول عـن كلمـة "**البشـر**" بـدل "**المسلمين**" عندما قال "**يجوز سيد للبشر أن يشرعوا**..."؟! ندع الجواب لفطنـة القارئ!

وأكتفي هذه المظاهر للتهم التي اهم بها سيد، وكان لسوء ظن الدكتور اليـد الطولى والحظ الأوفى لما وقع فيه من أخطاء. وصدق مـن قـال: (**إذا أراد الله ألا يعلم عبده خيرا شغله بالأغاليط**)[2] .ولو أنـه أحسـن الظن -ولا بد لـه منـه- وانقشعـت عن عينيه نظـارة السوء، لوجد في كتب سيد كما قـال الشيخ بكر أبو زيد: "**خيرا كثيرا وإيمانا مشرفا وحقا أبلج**.."[3] لو أحسن الدكتـور الظـن، لوجد الأعذار لسيد كما أوجدها لنفسه فيما حصل له من أخطـاء و((**لا يؤمـن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفس**))[4] كما قالﷺ.

ألست تعتذر عما بدر منك بكلمات نحو قولك: "قد يقع العالم في الأخطـاء والمخالفات الكثيرة للكتاب والسنة.. وكل هذه الأخطاء لا تضر أصحابها ولا تحط من مكانتهم إذ لا يحط من مكانة الرجل إلا ارتكاب الكبائر أو اقتحام البـدع"،

---

[1] "الخطاب الذهبي" (ص:5-6).

[2] "جامع بيان العلم" (147/2).

[3] "الخطاب الذهبي" (ص: 12).

[4] رواه البخاري (13) في: الإيمان (7) باب: الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومسلم (71-72)، في: الإيمان (17) باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لنفسه من الخير (بشرح النووي).

وهذا الكلام المقبول[1] في الجملة ساقه الدكتور ليعذر به نفسه، فهلا ذكر مثلـــه أو قريبا منه في حق سيد، فإذا كانت "الأخطاء والمخالفات الكثيرة للكتاب والسنة... لا تضر أصحابها!..."[2].

فلماذا يستثني من ذلك سيد قطب؟!

وذكر أسبابا كثيرة اعتبرها أعذارا لأخطائه في "النكت" منها:

- هو أول تجربة خضتها في هذا المجال، وقد تعلمت كثيرا ولا أزال والحمد لله...[3]
- قد يقع هذا لكثير من العلماء..[4]
- كنت في مرحلة الطلب في مرحلة يحتمل أن يكون في الموضع الأول كنت أجـهل أن يكون لعبد الحق[5] كتابا.
- أما عذري فإنني قد وجدت في إسنادي الحديث[6] ...
- لي عذر في إعادة الضمير...[7]

وعلى كل فلا نطيل الأعذار التي يذكرها الدكتور لنفسه ويمنعها عن غيره، بل إنــه أحيانا لا يجد عذرا كقوله:

- لا أدري ما السبب الذي جعلني أنسب هذا الكلام...[1]

---

[1] إلا أن قول الدكتور أنه يستثنى من ذلك أهل الكبائر فيه نظر إذا كان من وقع فيها بناء على اجتهاده وكان من أهل الخير، لأن البدعة لا تنقسم وكذلك الاجتهاد!

[2] "بيان فساد المعيار" (ص:24).

[3] "نفسه" (ص:32).

[4] "نفسه" (ص:39).

[5] هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد، من أهل اشبيلية، يعرف بابن الخراط، ولد سنة: (510هـ)، وتوفي سنة: (581 هـــ)، "تذكـرة الحفــاظ" (1350/4) للإمام الذهبي.

[6] "بيان فساد المعيار" (ص: 54).

[7] "نفسه" (ص: 59).

-ولا أدري ما المانع الذي حال بيني وبين الرجوع إلى كتب التفسير... فهلا افترضت مثل هذه الأعذار لسيد؟! أتطبق على نفسك قاعدة" التمس لأخيك ألف عذر، فإن لم تجد فقل لعل له عذرا لا أعلمه، ولا تطبقها على سيد وهو أحق بها؟!

اللهم ارزقنا الإنصاف!

*****

[1] "نفسه" (ص: 45).

• **تضخيم الأخطاء كَمًّا وكَيْفــاً!**

فيما سبق تعرفنا على نوع "النظارة" التي يقرأ بها الدكتـــور مــا يتعلــق بســيد قطب، حيث وجدنا أن سوء الظن لم يقف به عند اتهام سيد فيمـــا كتبـــه، بـــل افترض له أخطاء في حقب ماضية كما افترض لـــه أخطـــاء مســـتقبلية، إضافـــة إلى اعتقادات سيئة أخفاها سيد تقية في قلبه لكـــن عـــين الدكتـــور اســـتطاعت -بفضل النظارة العجيبة- أن تطلع على تلـــك التقيـــة!

بيد أن للدكتور نظارة من نوع آخر، خاصة بمـــا تعـــثر عليـــه مـــن أخطـــاء، فبينما يراها الناس بحجم معين، يفتح الدكتـــور عينيـــه مـــن خـــلال منظـــاره، فيراها ضخمة في حجمها متضاعفة في عددهـــا، وذلـــك تهويـــلا ونيـــلا مـــن سيد، وتصويره بتلك الصورة المزرية التي حـــرص علـــى إخراجـــها الدكتـــور، وعزم على صنعها منذ مطلع الكتاب بسبب الغلـــو الشـــديد في ســـيد قطـــب وإطراءه ونسج الهالات الكبيرة حول شخصيته ومؤلفاتـــه ممـــا بهـــر النـــاس بـــه وبكتبه! فجعلهم في وضع لا يفكرون فيه ولا يتصـــورون ســـيد قطـــب علـــى حقيقته التي رآه بها الدكتور، ولا عجـــب في أن تختلـــف رؤيـــة النـــاس عـــن رؤيته، فالناس لا ينظرون بهذا المنظار العجيب الذي يرى بـــه الدكتـــور النملـــة بحجم الفيل، فرأى سيدا على حقيقته التي لم يرها مشـــايخ أثنـــوا علـــى ســـيد، كالشيخ ابن باز والشيخ الألباني[1] وغيرهم وكذلك لم يـــر هـــذه الحقيقـــة مـــن توسل إليه الدكتور واســـتنصحه وطلـــب منـــه أن يبـــدي ملاحظاتـــه حـــول "الأضواء"، إن كان مشروع نشرها مفيدا على مـــا هـــي عليـــه، أو في حاجـــة

---

[1] ونحن إذ نشير إلى أسماء هؤلاء لا نعتقد حصر الشهادات فيهم، بـــل هـــم مثـــل إخوانهـــم من أهل العلم لهم صوت واحد ضمن أصوات، إلا أنـــا نذكـــر مـــن ينظـــر إليـــهم بمـــا يستحقون من التقديـــر.

إلى بعض التعديلات، أو "تقضي على هذا المشروع فيطوى ولا يروى" وجاء رد الناصح مخيبا لآمال الدكتور، لأنه نصحه "بالعدول عن طبع هذا الكتاب "أضواء إسلامية" وأنه لا يجوز نشره ولا طبعه لما فيه من التحامل الشديد، والتدريب القوي لشباب الأمة على الوقيعة في العلماء[1] وتشذيبهم والحط من أقدارهم والانصراف عن فضائلهم" [2] والسر في هذا التباين بين قراءة الرجلين، أن الشيخ بكرا أبا زيد لم يقرأ "بالنظارة العجيبة" التي تفرد بها الدكتور، ولذلك فبعد قراءات متعددة في عامة كتبه (سيد) "وجد فيها خيرا كثيرا، وإيمانا مشرقا وحقا أبلج وتشريحا فاضحا لمخططات العداء للإسلام، على عثرات في سياقاته واسترسال بعبارات ليته لم يَفُهْ بها، وكثير منها ينقضها قوله الحق في مكان آخر". [3] لهذا فإن عثرات سيد عندما وقعت تحت مِنْظَارِ الدكتور أنشأها خَلْقاً آخرَ ! وإليك بعض الأمثلة التي أخطأ فيها سيد -رحمه الله تعالى- "وكل ابن آدم خطاء" وضخم الدكتور حجمها، مبالغة وتهويلا !

المثال الأول: موقف سيد من عثمان ومعظم الصحابة -رضي الله عنهم- هذا عنوان الفصل الثاني "من الأضواء" والذي صدره بذكر "مكانة الصحابة عند الله ورسوله والمؤمنين" وختمه بـ "حكم السلف على من ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ أو واحدا منهم"، وبين ذلك يسرد النصوص التي يعقبها بأحكام مفخمة غير مناسبة لما يمكن أن يعتبر من

---

[1] فمن أين لطلبته معرفة عيوب منهج أستاذهم الكثيرة والخطيرة؟!

[2] "الخطاب الذهبي" (ص: 14).

[3] "الخطاب الذهبي" (ص: 12).

أخطـــاء سيد -رحمه الله تعالى- وإنما ينفخ في الضفدع ليجعلـــه ثـــورا ! لقـــد ألبس الدكتور أخطاء سيد أثوابا واسعة، وفضفاضـــة، تبـــدو فيـــها الأخطـــاء كالخيـــلل !

فذكر مقاطع من كلام سيد قال: فيها "طعـــن شـــديد في عثمـــان -رضـــي الله عنه-" من ذلك سوقه كلاما لسيد قرر أن فيه "سوء معتقـــد ســـيد" وفي كـــلام آخر رأى الدكتور سيدا طاعنـــا "في عثمـــان والصحابـــة وبـــني أميـــة بـــأهم نفعيون" وأنه أسقط خلافة عثمان و... الخ تلـــك العبـــارات "الربيعيـــة" الـــتي يستحق أن يتعرف عليها القارئ ليعلم أن الدكتور لـــه اصطلاحـــات تخصـــه في وصف الأشياء فيأخذها بعين الاعتبار حتى لا يخطئ الفهم فـــيرى الحبـــة قبـــة ! والدجاجة قـــردة !!

ليس هذا فحسب فللدكتور مقياس خاص أيضا في العد، يجعـــل الرقـــم الصغـــير كبيرا، والعدد القليل كثيرا،[1] وقد أحصـــى أخطـــاء "ســـيد" فوجدهـــا ثلاثـــا وعشرين[2] وهذا طبعا لأنه يكرر، فمثلا لا يرى القـــارئ فرقـــا بـــين الاتهـــامين التاليين الذين اتهم بهما الدكتور سيد قطب فقـــال إنـــه:

1-أسقط خلافته (عثمان)، هـــذا أولا ثم؛

2-إسقاط خلافة عثمان رضي الله عنه وهـــذا ثانيـــا.

---

[1] ويشبه عداد الدكتور هذا عداد صاحب "التناقضـــات" الـــذي رد فيـــه علـــى الشـــيخ الألباني، فقد استعمل فيما يبدو عدادا عجيبا! ولودا يخـــرج الآحـــاد عشـــرات والعشـــرات ألوفا ولله في خلقه شؤون ! وعداد الدكتور لا يقـــل غرابـــة عـــن هـــذا العـــداد، فـــهما وجهان لعملة واحدة "الغلو" باسم أهل الســـنة!

[2] ولعل عداده أخطأ هذه المرة فنقص واحدا من الحصيلة، فقـــد تكـــرر الرقـــم 23 !

لكن الدكتور جعل للتهمة الأولى رقم (1) وللثانية رقم (16) وعلى اصطلاح الدكتور1 = 16 [1] ولو أنك قمت بالعد بغير عداد الدكتور لوجدت عشراته وحدات !

وهذا التضخيم الكيفي والتفخيم الكمي لا يناسب منهج النقد، وأدب الاختلاف، فلنقف عند النص التالي لسيد قطب كما أورده الدكتور قبل أن يعلق عليه ونقوم بدورنا بالتعليق على تعليقه:

"وجاء عثمان، فلم ير أن يأخذ بالعزيمتين أو إحداهما":

1) ترك الفضول لأصحابها فلم يردها.

2) وترك الأعطيات كذلك على تفاوتها.

3) بل وسع أولا على الناس في العطاء، فازداد الغني غنى، وربما تبحبح الفقير قليلا.

4) ثم جعل يمنح المنح الضخمة لمن لا تنقصهم الثروة.

5) ثم أباح لقريش أن تضرب في الأرض تتاجر بأموالها المكدسة فتزيدها أضعافا مضاعفة.

6) ثم أباح للأثرياء أن يقتنوا الضياع والدور في السواد وفي غير السواد.

فإذا عهد من عهود الإقطاع يسود المجتمع الإسلامي في نهاية عهده رحمه الله"، هذا كلام سيد.

وقبل أن نقف عند نقد الدكتور لهذا النص، نشير إلى أن جملة: "فإذا عهد من عهود الإقطاع يسود... الخ" تم تغييرها بقول سيد في الطبعة

---

[1] وهذه معادلة صحيحة رياضيا لكن ليس في الاصطلاح العام، وإنما في اصطلاح خاص فمن يدري؟! لعل الدكتور يعد بعداده داخل مجموعة: Z/15Z التي فيها! 1=16 كما يقرر أهل هذا العلم! !

المنقحة "فإذا نوع من الفوارق المالية الضخمة يسود المجتمع الإسلامي... الخ"[1]، وقد أشار الدكتور في الهامش إلى الطبعتين واختار إيراد النص الذي يحوي العبارة الأكثر سوءا، وما أدري ما سر حرصه على الإشارة إلى الطبعة المنقحة ما دام ليس فيها جديد، أما المعنى فيقول هو نفس المعنى الوارد في الطبعة الغير منقحة، وأما اللفظ فلا يذكره، فما الفائدة إذن ؟!

أما تعليق الدكتور فقال فيه:

"وهكذا يوجه سيد قطب الطعنات النجلاء لعثمان ولقريش ولسادة المهاجرين والأنصار وعهد خير القرون، فيشبه مجتمعهم -بعد تلك الطعنات- بأشد مجتمعات أوروبا النصرانية ظلمة وظلما، ويطلق على ذلك المجتمع الذي لم يعرف التاريخ له نظيرا في العفة والطهارة والنقاء والتضحيات بالمال والنفس عبارة الشيوعيين والاشتراكيين الضالين".

وهذا التعليق نعلق عليه بما يلي:

أولا: اندفع الدكتور كعادته التي تمرن عليها لتضخيم الخطأ فجعل عهد عثمان خير القرون، خلافا لحديث النبيﷺ: ((**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**))[2].

---

[1] "العدالة الاجتماعية في الإسلام" (ص: 173- الطبعة الثانية عشرة).

[2] رواه أحمد: (1/378-434-442)، والبخاري (6658) في: الأيمان والنذور، باب: إذا قال أشهد بالله، أو شهدت بالله، ومسلم (212/2533) في: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة. بشرح النووي.

ولكن دأب الدكتور على تضخيم ما وجد من أخطاء، وافتراض ما لم يكن، جعله يخالف شهادة رسول الله ﷺ فيما هو خير القرون، للتهويل بأن سيدا يطعن في خير القرون، مشنعا عليه بذلك.

ثانيا: قوله: "وهكذا يوجه سيد قطب الطعنات النجلاء لعثمان" عبارة لا تناسب كون سيد لاحظ ما تغير في سياسة عثمان -رضي الله عنه- وما نتج عن هذا التغيير من صور يتفق الجميع على أنها ليست متفقة وشريعة الإسلام، مما لم يكن في عهد الراشدين الأولين، ولا شك أن عثمان -رضي الله عنه- لا يرضى تلك الصورة، وإن كانت مع نتائج اجتهاده في سياسة الأمور، وأعني بذلك التوسعة التي أشار إليها سيد، مع أنه يترحم على عثمان ويلتمس له الأعذار فكيف يقال: إنه يوجه "الطعنات النجلاء لعثمان"؟ ! فعصر عثمان لا يختلف اثنان أن به فتنا لم تكن قبل، ولعل هذا الذي أشار إليه الحديث: ((**ائذن له وبشره بالجنة على بلوى شديدة تصيبه**))[1]، فإذا عثمان. وهذا خاص به -رضي الله عنه- كما أن النبي ﷺ قال لعلي -رضي الله عنه-:

((**سيكون بينك وبين عائشة -رضي الله عنها- أمر**)) قال: أنا يا رسول الله؟ قال: ((**نعم**)) قال: أنا من بين أصحابي؟ قال: ((**نعم**)) قال: فأنا

---

[1] رواه البخاري (3695) في: فضائل الصحابة، باب: مناقب عثمان بن عفان و(7262) في: أخبار الآحاد، باب: قول الله تعالى: ﴿**لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم**﴾، ومسلم (2403) في: فضائل الصحابة، باب: فضائل عثمان بن عفان.

أشقاهم؟ **قال: ((لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها))**[1] فإذا ذكرت هذه الأشياء لم يكن من باب الطعن وإلا فهل في الحديثين طعن في عثمان وعلي وعائشة -رضي الله عنهم-؟! كلا!

ثالثا: ومن مبالغات الدكتور التي ترجع لمنظاره العجيب في التضخيم، تقريره أن الطعنات التي صوبها سيد -زعم- ليست خاصة بعثمان بل "لعثمان ولقريش ولسادة المهاجرين والأنصار وعهد خير العهود". هل فعلا يتحمل كلام سيد أن نقول بموجبه إنه يوجه "الطعنات النجلاء" لسادة المهاجرين كطلحة[2] والزبير[3] وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود[1]،

---

[1] رواه أحمد (393/6)، والطبراني في "المعجم الكبير" (995/1)، وابن الجوزي في "العلل المتناهية" (848/2-849)، من طرق عن الفضيل بن سليمان، عن محمد بن أبي يحيى الأسلمي، عن أبي أسماء مولى آل جعفر، عن أبي رافع مرفوعا.

قلت: الفضيل ضعيف.

قال الحافظ في "التقريب" (ص:447): صدوق له خطأ كثير.

قال الهيثمي في "المجمع": رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجاله ثقات.

[2] هو الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب، أبو محمد، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، توفي سنة: (36هـ)، انظر "الإصابة في تمييز الصحابة" (290/3).

[3] هو الصحابي الجليل، الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، أبو عبد الله حواري رسول اللهﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى، قتله عمرو بن جرموز غدرا في جمادي الأولى سنة: (36هـ)، انظر الإصابة: (3/5-7).

وعبد الله بن عمر[2] وغيرهم من المهاجرين الأبـــرار، وكذلـــك ســـادة الأنصـــار كأنس بن مالك وجابر بـــن عبـــد الله وأبي بـــن كعب[3] ومعـــاذ بـــن جبـــل[4] وسواهم من الأخيـــار؟ !

صدق من قـــال:

أوردها سعد وسعد مشتمل*** ما هكذا يا سعد تـــورد الإبـــل**

أفق يا أستاذ واستيقظ يا دكتور فإن سيدا هو صاحب "جيـــــل قـــرآني فريـــد!" كيف يكون اعتقاده فيهم على هذا النحـــــو؟!

ابن تيمية [1] طعان في الصحابة وعلـــى رأســـهم علـــي[2] -رضـــي الله عنـــه- على منهج الدكتور والمبتدعة من خصوم شـــيخ الإســـلام:

---

[1] هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أبو عبـــــد الرحمـــن حليـــف بني زهرة، كان صاحب نعلي النبيﷺ، آخى النبيﷺ بينه وبين أنـــس بـــن مـــالك، تـــوفي سنة: (32هـــ)، انظر "الإصابــــة" (129/4).

[2] هو الصحابي الجليل، عبد الله بن عمر بن الخطاب بـــن نفيـــل القرشـــي العـــدوي، أمـــه زينب بنت مظعون الجمحية، ولد سنة: ثلاث مـــن المبعـــث النبـــوي، وتـــوفي ســـنة: (84 هـــ)، انظر "الإصابــــة" (107/4).

[3] هو الصحابي الجليل أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بـــن زيـــد بـــن معاويـــة الأنصـــاري النجاري أبو الطفيل وأبو المنذر سيد القراء، كان مـــن أصحـــاب العقبـــة الثانيـــة، كـــان عمر يسميه سيد المسلمين. قيل: إنه مات في خلافة عثمان وهـــو أثبـــت الأقـــاويل، وقـــال ابن عبد البر الأكثر على أنه في خلافة عمر، انظـــــر "الإصابـــة" (16/1).

[4] هو الصحابي الجليل، معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، أبـــو عبـــد الرحمـــن الأنصـــاري الخزرجي الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، كانت وفاتـــه بالطـــاعون في الشـــام ســـنة: (17 هـــــ)، انظـــر "الإصابـــة" (6/ 106-107).

إن المنهج الذي يسير عليه الدكتور والمنهج الـــذي يســلكه المبتدعــة وجــهان لعملة واحدة وهو منهج لو طبق علــى أي فــرد لجرحــت عدالتــه وســقطت إمامته، ولهذا لو وقفنا عند قـــول ابـــن تيميـــة -رحمـــه الله تعـالى- وهـــو يتكلـــم عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فيقول في قتالـــه مـــع معاويـــة وغيره من الصحابة -رضي الله عنهم- إنـــه كـــان برأيـــه إذ "لم يـــرو واحــد منهم فيـــه نصـــا إلا القـــاعدون فـــإنهم رووا الأحـــاديث في تـــرك القتـــال في الفتنة...ومعلوم أن الرأي إن لم يكن مذموما فلا لوم علـــى مـــن قـــال بـــه وإن كان مذموما فلا رأي أعظم ذما من رأي[3] أريق به دم الألـــوف المؤلفـــة مـــن المسلمين و لم يحصل بقتالهم مصلحـــة للمســلمين لا في دينـــهم ولا في دنيـــاهم

---

[1] الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفســر البـــارع شـــيخ الإســلام علـــم الزهاد نادرة العصر تقي الدين أبو العباس أحمد بن المفتي شهاب الديـــن عبـــد الحليـــم بـــن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبــــد الله بـــن أبي القاســم الحـــراني أحد الأعلام، ولد في ربيع الأول سنة: (661هــــ)، وتـــوفي ســـنة: (728هـــــ) في قاعـــة معتقلا، وكان من بحور العلم ومن الأذكيـــاء المعدوديـــن والزهـــاد الأفـــراد والشـــجعان الكبار والكرماء الأجواد أثنى عليه الموافق والمخالف وســارت بتصانيفـــه الركبـــان لعلـــها ثلاثمائة مجلد. انظر "تذكرة الحفاظ" (1496/4)، للإمـــام الذهـــبي، باختصـــار.

[2] أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أبـــو الحســـن الهـــاشمي قـــاضي الأمـــة وفارس الإسلام وختن المصطفىﷺ كان ممـــن ســـبق إلى الإســلام لم يتلعثـــم وجـــاهد في الله حق جهاده ونهض بأعباء العلم والعمل، وشـــهد لـــه النـــبي -ﷺ- بالجنـــة. استشـــهد سنة: (40 هــ) وله ستون سنة أو أقل أو أكثر بســـنة أوســـنتين رضـــي الله عنـــه، انظـــر "الإصابة" (269/4). ترجمته مستوفاة في "فتح المطالب في منـــاقب علـــي بـــن أبي طـــالب" و"سير أعلام النبلاء" للإمام الذهبي، و"تاريخ دمشق" لابـــن عســاكر.

[3] وهو رأي علي -رضي الله عنه- كما هـــو ظـــاهر!

بل نقص الخير عما كان وزاد الشر على ما كان...وقد كان ابنه الحسن[1] وأكثر السابقين الأولين لا يرون القتال مصلحة وكان هذا الرأي أصلح من رأي القتال بالدلائل الكثيرة"[2].

فها هو ابن تيمية يرجح أن رأي علي بالقتال لم يكن فيه مصلحة ولم يزد به خير إنما زاد الشر، وأن ترك القتال كان أولى وهذا ما ذهب إليه الحسن ابن علي وسادات السابقين الأولين فهل نحكم بناء على منهج الدكتور هذا أن ابن تيمية يسب عليا، ولا يوقر مكانته، بل ونعتبره طاعنا في الصحابة الذين لم يعارضوا ولم ينصحوا، وأكثر من ذلك ننعت ابن تيمية بأنه ناصبي؟ !

إن منهج خصوم ابن تيمية -رحمه الله تعالى- ومنهج الدكتور ربيع وإن لم يكن من خصومه -على الأقل بقصد- يقتضي أن يقال فيه ذلك وأكثر، وقد قيل من قبل الحائدين عن منهج الاعتدال، أما ما يقتضيه منهج أهل السنة أن لا نتجاوز القول إن ابن تيمية -رحمه الله تعالى- وكان منشغلا بسد كل ثغرة يمكن أن يتسلل منها الرافضي الذي خصص منهاجه للرد عليه، أقول انشغاله بالرد جعله يترك العبارة الأفضل أو يخطئ في غمرة حماسه ودفاعه ولكن لا يخطر لنا على بال، أن نحشد النصوص التي فيها

---

[1] هو الصحابي الجليل الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي... سبط رسول الله ﷺ وريحانة أمير المؤمنين، أبو محمد، ولد في النصف من شهر رمضان سنة: (3 هـ)، وتوفي سنة (49، وقيل:50، وقيل:51، وقيل: 44، وقيل:58هـ)، وقيل مات مسموما، انظر "الإصابة" (2/11-13).

[2] "منهاج السنة" (3/156).

الوعيد في من سب الصحابة أو ننعته بـالنصب لمجرد أن وافقهم[1] في مسألة أو مسألتين. كذلك إن سيدا إذا رأى رأي أبي بكر أصوب من رأي عمر في الخراج، حيث أن الأول يسوي دون التفات إلى سبق في الإسلام أو غيره خلافا للثاني -رضي الله عنهما- مع أن سيدا يعترف أن لكل رأي مستنده الشرعي وكما قال: هما رأيان إذن في تقسيم المال: رأي أبي بكر ورأي عمر، وقد كان لرأي عمر -رضي الله عنه- مستنده "لا أجعل من قاتل رسول اللهﷺ كمن قاتل معه" و..."فالرجل وبلاؤه في الإسلام..." ولهذا الرأي أصل في الإسلام وهو التعادل بين الجهد والجزاء.. "بينما ابن تيمية لم يعتبر لرأي علي مستندا، بل اعتبر ثمة دلائل ترده وتنقضه ومع ذلك لا نسوغ أن يقال في شيخ الإسلام إنه ناصبي أو له "مطاعن في الصحابة" فمن باب أولى لا نتجاوز في سيد أن نقول: إن قوله صواب مشكور أو خطأ مأجور أو على الأقل مغفور -إن شاء الله تعالى الذي وسعت رحمته كل شيء.

لكن هذاك المنهج يلزم صاحبه أن يصف ابن تيمية بنعوت مثل التي وصف بها سيدا، وإلا نادى على نفسه بالتناقض المفضوح.

كما أنه لو سلكنا مع الدكتور منهجه في النقد، لاعتبرناه يوجه "الطعنات النجلاء" لسادة الصحابة على عهد أبي بكر وعمر لأنهم رضوا وسكتوا عن ذلك الوضع، فإذا رجح الدكتور ما فعله عثمان من توسعه في العطاء مما لم يكن على عهد الخليفتين، لزمه -على مذهبه في النقد- أن يسخط على ما حصل في عهدهما، وبالتالي يترتب على ذلك -دائما على مذهبه- أن يعتبر طاعنا على سادة الصحابة بل وعلى الخليفتين أبي

[1] يعني النواصب.

بكر وعمر، ولا يجزعن الدكتور من هذا النقد، لأنـــه هـــو مـــن شـــق طريقـــه، وفتح بابه ورفع رايتـــه.

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها ** ** فأول راض ســـنة مـــن يســـيرها[1]

منهج التضخيم، وأسلوب التفخيم هذا الذي يسير عليـــه الدكتـــور هـــو مـــا عبر عنه العلماء، حين يعترضون على بعض من يقـــع فيـــه أحيانـــا -لا دائمـــا كالدكتور- [بقولهم: الدعوى أوسع من الدليل!] بـــل لـــو ســـلكناه وجرحنـــا الرجل بالغلطة والغلطتين، والهفوة والهفوتين لمـــا ســـلم لنـــا أحـــد ! نعـــم يـــا دكتور، بل أول واحد "يطحنه" هذا المنهج، الدكتـــور نفســـه، وخـــذ عـــبرة من جماعات التكفير، الذين يكفر التلميذ فيـــهم شـــيخه، جـــزاء تربيتـــه علـــى هذه الجرأة، فيقتله بدروسه ويحكم عليـــه بدفـــاتره.

ومن هذا القبيل ما اشتهر عن بعض الفرق المبتدعـــة، أن أحدهـــم كفـــر شـــيخ الفرقة، وعندما حوقق في "شرعية" تكفير الشيخ، أجابـــه أنـــه كفـــره احتياطـــا، لأن القوم توسعوا في دعوى "من لم يكفر الكافر فـــهو كـــافر". فكـــان شـــيخ هذا الانحراف أول الضحايـــا!

وفي المثل: **"من يحفر حفرة يقع فيـــها"**.

المثال الثاني: أحاديث الآحاد وأصـــول الاعتقـــاد.

---

[1] والبيت لخالد بن زهير الهذلي ابن أخت أبي ذؤيـــب، وهـــو الإنشـــاد الثـــامن والســـتون بعد السبعمائة في شرح أبيات المغـــني للبغـــدادي (134/7). وديـــوان الهذليـــين (157/1). وجمهرة اللغـــة (ص: 725)، والخصـــائص، (212/2)، وخزانـــة الأدب (61/9) و(83/5)، وفيه:

فلا تسخطن من سنة أنت سرتها**فأول راض ســـيرة مـــن يسيرهـــا**

من المعلوم أن العلماء قسموا الأحاديث من حيث كثرة الطرق وقلتها، إلى أحاديث متواترة وإلى آحاد، وذكروا أن الأحاديث المتواترة تفيد العلم، خلافا للآحاد فهي تفيد الظن. وذهب قلة منهم إلى أن أحاديث الآحاد تفيد العلم، من أشهر هؤلاء ابن حزم[1] من المتقدمين والعلامة أحمد شاكر[2] من المتأخرين، وهم محجوجون بأدلة كثيرة، إلا أن ابن حزم كان جريئا في مذهبه، شجاعا في قوله فاعترف أن الرواة معصومون من الوهم والكذب! لأن الراوي إما أن نفترض احتمال خطئه وهذا يعني أن حديثه يفيد الظن أو لا يحتمل منه الخطأ وهذا معنى العصمة في الرواة.

لكن الذين قالوا: إن الآحاد لا يفيد العلم، وإنما يفيد الظن، قالوا: إنه إذا احتفت به قرائن كتلقي الأمة له بالقبول، ومثلوا لذلك بأحاديث الصحيحين الغير منتقدة، فهذه تفيد العلم وهذا الذي ذهب إليه ابن الصلاح[3] ووافقه عليه ابن كثير[1] وعدد من أهل العلم وخالف النووي[2]

---

[1] هو الإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، القرطبي الظاهري، صاحب التصانيف، ولد سنة: (384هـ) وتوفي سنة: (456هـ)، انظر تذكرة الحفاظ، (1146/3)، للإمام الذهبي باختصار.

[2] هو أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي ابن أبي طالب -رضي الله عنهما- لقبه أبوه: شمس الأئمة أبو الأشبال، العالم المحقق المجتهد محدث مصر، (1309هـ-1377هـ). انظر "حكم الجاهلية": (ص:5).

[3] هو الإمام الحافظ المفتي شيخ الإسلام ابن الصلاح تقي الدين عثمان، أبو عمرو، الشهرزوري الشافعي صاحب كتاب (علوم الحديث)، ولد سنة: (577هـ) وتوفي سنة: (643 هـ)، كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، وكان سلفيا حسن الاعتقاد. انظر "تذكرة الحفاظ" (1430/4) للإمام الذهبي.

وزعم -رحمه الله تعالى- أن أحاديث الصحيحين لا تفيد سوى الظن عند المحققين.

- **حجية الآحاد:**

بما أن أحاديث الآحاد لا تفيد سوى الظن، فقد اشترط بعض العلماء شروطا للعمل بها واعتبارها في بعض المواضع، كما فعل الأحناف حيث اشترطوا الشهرة فيما تعم به البلوى.

وكذلك فإن الإمام مالك قدم عمل أهل المدينة على حديث الآحاد، لأن العمل عنده بمثابة سنة مروية بعدد أكبر مما هو في الآحاد، ولذلك كان يردد عبارة بعض شيوخه "ألف عن ألف، خير من واحد عن واحد".

وما ذهب إليه الحنفية -مرجوح عندنا- ولكن ذكرنا قولهم لبيان أن أحاديث الآحاد تردد بعضهم في الاحتجاج بها حتى في فروع الشريعة.

أما في العقيدة فإن الأشاعرة اشترطوا أن لا يقبلوا في أصول العقائد سوى أحاديث متواترة، لأن أصول العقيدة ينبغي أن تبنى على اليقين، والآحاد لا

---

[1] هو الإمام الحجة، والحافظ الثقة، والفقيه الكبير واللغوي الخبير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، ولد سنة: (700هـ)، وتوفي سنة (774هـ). انظر "شذرات الذهب" (6/231-232)، "الدرر الكامنة" (1/373-374)، "طبقات الحفاظ" (ص:533-534).

[2] الإمام الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء محيي الدين النووي أبو زكريا يحيى بن شرف الشافعي صاحب التصانيف النافعة ولد سنة: (631هـ) وتوفي سنة: (676هـ)، كان إماما بارعا حافظا متقنا أتقن علوما جمة، وصنف التصانيف الجمة، انظر "تذكرة الحفاظ" (4/1470) للإمام الذهبي.

يتحصل منها اليقين، ومحال عندهم أن تكون مسألة من أصول الدين، لا يرد فيها قرآن ولا تروى فيها أحاديث متواترة. لكن ابن عبد البر ذكر أن أحاديث الآحاد، نعم هي تفيد الظن لكن العمل بها واجب في أصول الدين وفروعه، وهذا الذي قاله هو الصواب -إن شاء الله تعالى- وليس هذا مجال مناقشة هذه الأمور.

سيد قطب يقول في هذا بقول الأشاعرة، فكان ماذا؟!:

من المعلوم أن المذهب الأشعري ظل غالبا، ومنتشرا ينشأ عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير -إلا من أعتقه كد وجد بعد توفيق الله- وانتسب إليه كوكبة من أعلام المسلمين، لاسيما من المالكية والشافعية والحنفية، وحسبك أن تعلم أن أمثال ابن حجر والنووي والعز ابن عبد السلام والبغدادي وابن عساكر وغيرهم كثير يدينون الله بهذا المذهب.

والأزهر وهو أهم قلعة علمية في مصر تشع منها علوم الشريعة، وتتكون على توجيهاتها الشخصيات، ويتردد صداها في كل المؤسسات التعليمية، غلب عليه هذا المذهب لأجل هذا فلا يستغرب أن يقول سيد -رحمه الله تعالى- بما يشع من الأزهر من علوم، ومن ذلك أن أصول العقيدة لا تقبل فيها الآحاد، هذا خطأ نعم ثم ماذا ؟!

لكن الدكتور ربيع -وقد عودنا البحث في قمامة الأخطاء- هول مرة أخرى وجعل هذا الخطأ عنوان فصله الرابع عشر، كي لا يترك مناسبة يشيع فيها سوءا يخص سيد قطب إلا اهتبلها، بل أحيانا يزيد من كيسه ما يجود به منهجه الفذ!

قال الدكتور في عنوانه: "سيد لا يقبل أخبار الآحاد الصحيحة في العقيدة، بل لا يقبل الأحاديث المتواترة" وهذا العنوان هول في شطره الأول، واعترض على اشتراط التواتر في العقيدة، قائلا:

لكن؛ هذا الشرط ما دليله؟ ومن قاله؟

إنهم فرق الضلال من الجهمية والمعتزلة والخوارج الذين جاراهم.. الخ كلامه الذي عدل أن يذكر الأشاعرة القائلين بهذا الذي ذكره سيد، بل سيد إنما ردد مذهبهم ولكن كما ترى -وا أسفاه- وإمعانا في النيل من سيد حجب الأشاعرة، بينما ذكرهم بعد أسطر قليلة لتقوية حجته هو في أن أحاديث الصحيحين تفيد العلم فقال: "إنه قول أكثر أهل الكلام من الأشاعرة وغيرهم؛...".

والدكتور لم يقف عند حد التفخيم، فقد زعم أن سيدا لا يقبل المتواتر في العقيدة، مع أنه ذكر قول سيد: "إن التواتر شرط للأخذ بالأحاديث في أصول الاعتقاد" بل ناقش هذا الشرط كما مر بنا قبل قليل وقال "هذا الشرط ما دليله"؟ ! فإذا اعترفت يا أستاذ أن سيدا يشترط التواتر في أمور العقيدة، بربك كيف تخبر بخلاف ما هو حق، إن هذا كذب صريح على سيد، ولن نقول لمن كذب كذابا ! لأن المنهج الصحيح يأبى علينا هذا ! وهذا من حسن حظ الدكتور أنا لا نتعامل بمنهجه في النقد ولا نملك إلا نظارة واحدة "إحسان الظن بالمسلمين" وإلا...!

ونرجئ مناقشة هذه الدعوى إلى الباب الثاني -إن شاء الله تعالى- وإنما أحببنا هنا ذكر الأخطاء التي وقع فيها سيد -رحمه الله تعالى-، وبدل أن يجد الدكتور له عذرا، نظر إلى أخطائه، بعداد غريب ومنظار عجيب، وكل هذا الأسلوب لا يشرف الحوار بين أهل الإسلام، إن تضخيم

الأخطاء تارة، ومضاعفتها تارة، منهج مخالف للعدل والإنصاف، حتى لو كان المخالف كافرا صرفا، فضلا عن كونه مبتدعا، بله فاضلا صالحا، وإلا فما معنى قوله تعالى: ﴿**ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾ [1].

أدعو الدكتور مرة أخرى إلى منهج أهل السنة في "الجرح والتعديل" بلسان وقلم الحافظ الذهبي صاحب "ميزان الاعتدال"، فقد ذكر في ترجمة: عمرو ابن عبيد[2] وهو من رؤوس المعتزلة، وصهر مؤسسها الأول واصل بن عطاء[3]، أن المنصور أبا جعفر[4] قال فيه معجبا بزهده وتقشفه:

كلكم يمشي رويد ** كلكم يطلب صيد**

غير عمرو بن عبيد

فتعقبه الذهبي وقال: "**اغتر بزهده وإخلاصه وأغفل بدعته**".

---

[1] (المائدة /8).

[2] هو عمرو بن عبيد بن باب التميمي، أبو عثمان البصري، مولى بني تميم من أبناء فارس، شيخ القدرية والمعتزلة، وكان داعية إلى بدعته، ولد سنة (80 هـ) وتوفي سنة (142 أو 143هـ)، "تهذيب الكمال"، (276/14)، "تهذيب التهذيب" (360/4).

[3] هو واصل بن عطاء البصري الغزال المتكلم البليغ المتشدق الذي كان يلثغ بالراء، وهو أول من أظهر القول بالمترلة بين المترلتين، توفي سنة (131 هـ) "الميزان" (329/4) للذهبي و"اللسان" (261/6) للحافظ ابن حجر.

[4] هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو جعفر، ولد سنة: (95 هـ) وتوفي سنة: (158 هـ)، انظر "البداية والنهاية": (129/10) لابن كثير.

فحينما خفيت البدعة نبه عليها وحذر منها، ولكن كونه مبتدعا لا يجعل عرضه كلأً مباحا للتزيد والافتراء عليه، وكما رأى من واجبه عدم السكوت عن مكمن الخطأ في عمرو وكونه متلبسا ببدعة، رأى واجبا -لا يقل عن الأول- أن يدافع عنه مما نسب إليه من بدعة الدهرية وهم كفار كما قال، مع أن من ذكر عنه ذلك قطب من أقطاب الجرح والتعديل [وهو يحيى بن معين] الذي قال: "كان عمرو بن عبيد رجل سوء من الدهرية "[1] فرد الذهبي ودافع عن عمرو بقوله: لعن الله الدهري؛ فإنهم كفار وما كان عمرو هكذا.[2]

هذا مبتدع تكلم فيه يحيى بن معين وأنصفه منهج أهل السنة في عدم التزيد عليه وتضخيم أخطائه، فكيف مع غير المبتدع؟!

ومثل الذهبي فابن كثير ذكر كلاما يروى عن عمرو بن عبيد مفاده أنه اعترض على حديث: خلق الإنسان، وما يتعلق بقدره مما يخالف عقيدة الاعتزال، فقال عمرو بن عبيد كلام كفر، علق عليه ابن كثير -رحمه الله تعالى- بقوله:

لعنة الله عليه إن كان قاله !... وإلا فلعنة الله على من قاله عليه[3] !!

فتراه اعترض على قوله الخطير بقوة إن كان حقا هو صاحبه، ولكن إن لم يكن صاحبه فقد اعترض بنفس القوة على من افترى عليه ذلك الكفر !

هذا منهج أهل السنة والجماعة، أما منهج الدكتور ربيع فإنه نسب إلى سيد قطب -رحمه الله تعالى- بلاوى لا تقل خطورة عما رمي به عمرو بن عبيد

---

[1] "الميزان" (280/3).

[2] "نفسه".

[3] "البداية والنهاية" (85/10).

ودافع عنه كل من الذهبي وابن كثير مع اعترافهما ببدعته، لكن بدعته لا تحرمه من حقه في العدل والإنصاف "والله يحب المقسطين".

على كل حال لقد نسب الدكتور إلى سيد ما لم يقل، وضخم ما وقع له من خطأ، فسيد لم يقل: إن التواتر لا يعمل به في العقيدة، ولكنه قال: إن الآحاد لا يقبل في أصول الاعتقاد، وليس في العقيدة مطلقا، وثمة فرق لا يخفى على اللبيب بين الإطلاق والتقييد في مثل هذا الموضع، كما لا يخفى -على ضوء منهج الدكتور- فلِم لَم يقل الدكتور: إن سيدا لا يقبل الآحاد في "أصول الاعتقاد"، بدل "في العقيدة"؟ !

قد يقول قائل: أو يسأل سائل لعل الدكتور لا يلتفت إلى مثل تلك التفاصيل والدقائق.

والجواب: إن الدكتور يلاحظ أدق التفاصيل إن رآها تدين سيداً، فحينما نقل كلاما لسيد وفيه أن ما "أتمته البشرية من تشريعات ونظم اجتماعية ولا تخالف أصوله أصول الإسلام..." انتبه الدكتور إلى كلمة "أصول" هنا التي أغفلها هناك وقال: "فإذا خالفت أصول التشريعات الكافرة والتنظيمات الكافرة نصوص الإسلام من الكتاب والسنة والأمور الفرعية التي دلت عليها تلك النصوص. وكذلك إذا خالفت تفريعات تلك القوانين والنظم أصول الإسلام فلا حرج فيها، بل يجب الأخذ بها؛ لأنها فروع صادمت أصول الإسلام وذلك لا يضر".

وهذه ميزة وخاصية من خصوصيات نظارة الدكتور في النقد فكلمة أصول في قول سيد لا يذكرها حيث كانت في صالح سيد قطب ولاحظها مرتين حيث رآها مدينة له، ومنقصة منه فهل هذا هو المنهج؟ ! وهل أنت حامل لواء الجرح والتعديل؟! صدق رسول الله ﷺ: ((**إذا وسد الأمر إلى غير**

أهله، فانتظر الساعة))[1]، فإذا كانت شهادة من استشهد به الدكتور ليرفع رأس منهجه في تجريح الناس على هذا الأسلوب من النقد، فلن تقبل الشهادة لأن من ثبتت براءته يقينا لا تدينه شهادة كائن من كان ضده والقواعد العلمية لا تحابي أحداً وإذا كانت الشهادات لا تتترل إلا على جزئية من جزئيات النقد، وتتعلق "بالمبتدع" الواضح الإبتداع، الذي لا يشترط في أمثاله -إذا اقتضى أمر من أمور الشرع أن يتكلم فيه- ذكر محاسنه فذلك ليس واجبا وليس حراما أيضا! فإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي للدكتور أن يدلس على القارئ بإثبات تلك الشهادات، ليوهمه أنها شهادات تصويب لمنهج نقده لسديد!!

هذه إذن كانت بعض مظاهر إخلال الدكتور بأدب وأخلاق النقد، فهو يسيء الظن أيما إساءة بمن ينتقده، ويتصيد له الأخطاء نافخا فيها لتبدو كالجبال، وليحشر صاحبها ضمن فرق الضلال، ولا تسأل عن خشونة العبارات وغلظة الكلمات، كل ذلك تجده وزيادة في هذه "الأضواء".

أحببنا التنبيه على بعضها لتكون عنوانا لغيرها، إذ لو تتبعنا كلام الدكتور صفحة صفحة وجملة جملة لخرجنا عن الغرض من هذه الورقات.

*****

---

[1] رواه البخاري (59) في كتاب: العلم (2) باب: من سئل علما وهو مشتغل في حديثه، فأتم الحديث ثم أجاب السائل.

- **أخطاء الدكتور العلمية:**

وقع الدكتور في أخطاء علمية كثيرة، كانت أساس النتائج التي وصل إليها !وهذا أمر منطقي بما أنه سلك طريقا مختلفة الوجهة في النقد عما سلك غيره، فطبيعي أن يجد نفسه في عدد من المسائل شاذا في رأيه منفردا بحكمه كما هو الشأن فيما "عثر عليه" منهجه من أخطاء لسيد لم أر -حسب علمي- من جمعها له، إلا أن تكون المخابرات أو أدواتها من ذوي العمامات!!

♦ **أين الصواب بين الشيخ الألباني وربيع في شأن سيد قطب؟ !**

قال الدكتور إن "الظلال" جمع فأوعى من ألوان البدع الشيء الكثير "وذكر الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- أنه قرأ الظلال مرات عديدة من أوله إلى آخره ومع ذلك لم يقل في سيد ولا في ظلاله ما يشبه أو يقارب ما قاله الدكتور، فمن الناحية العلمية هما مختلفان فإن الدكتور، -والظاهر أنه من المرة الأولى- رأى "الظلال" جمع من ألوان البدع الشيء الكثير، فما أدري ماذا سيقول وسيكتشف لو قرأه مرات عديدة؟!

ومن الناحية الأدبية، فإن الشيخ ناصر الدين الألباني -كما في أشرطته ومؤلفاته- يترحم على سيد ويثني عليه مع نقده في بعض ما ذهب إليه، والعصمة ليست مضمونة بعد الأنبياء، ولكن الدكتور ما ترحم على سيد قطب ولا مرة!

والأخطر من ذلك أن الشيخ الألباني وابن باز -رحمهما الله تعالى- لم يتكلما على المنكرات التي ذكر الدكتور لاكما ولا نوعا والدكتور ربيع يرى أن السكوت على تلك المنكرات من أعظم "**الغش والخيانة للإسلام والمسلمين**" فأين الصواب؟ لا شك أن على الدكتور أن يراجع نفسه في منهجه أدبا وعلما.

وبما أنا أشرنا من خلال بعض الأمثلة إلى عينة من أخطائه التي أخل فيها بأدب الحوار، نذكر هنا بعض ما أخل فيه بالمنهج العلمي، الذي قرره العلماء.

♦ الموازنة والقول فيها:

لقد انبرى الدكتور بقوله، وتصدى بشدة، لمن قال لا بد لمن أراد تقويم أحد من الناس بإحدى دعائم منهج النقد الصحيح أن يستوعب ما للرجل وما عليه، ولا يجوز عند التقويم إغفال أي من هذين القسمين، وإلا كان الحكم إفراطا إن اكتفى بذكر الحسنات، ومفرطا إن سمر نظره علي العيوب والعثرات! وقد ألف الدكتور ردا ضمنه كتابه "منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف" والذي يجب ملاحظته قبل كل شيء أن الدكتور الصويان[1] سمى كتابه: "منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم "وعنوانه هذا أكثر انسجاما مع محتوى الكتاب، خلافا للدكتور الذي خص كتابه أساسا للكلام على المبتدعة، فكان ينبغي أن يسمي كتابه: "منهج أهل السنة والجماعة في نقد المبتدعة وكتبهم والطوائف". كما أن تعبير الدكتور الصويان "بتقويم الرجال"، يجعل موضوع كتابه الأساس ذكر خطة أهل السنة للحكم على الناس أو لهم، ولئن ذكر شيئا عن المبتدعة فذكرهم استطراد يقتضيهم المنهج المشار إليه، لأن بين التعامل مع المبتدعة والتعامل مع غيرهم خصوص وعموم، فالعدل مثلا وعدم اتهامهم بما ليس فيهم -على بدعتهم- والأمانة في نقل كلامهم، كل ذلك وغيره قاسم مشترك بين التعامل مع المبتدعة وغيرهم، كما أن المبتدعة يختصون ببعض الأحكام كجواز -أو وجوب- ذكر مساوئهم، دون ذكر محاسنهم خلافا لغيرهم.

لأجل ذلك فإن غالب اعتراضات الدكتور ربيع على أخيه الصويان كانت في غير محلها، لأن السيد الصويان يسوق الأدلة ليحتج بها على ضرورة الموازنة للتقويم فتجيء اعتراضات الدكتور أجنبية تماما عن محل التراع، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

1-قال الدكتور الصويان: "إذا تبين أن الإنسان -مهما كانت مترلته- معرض للصواب والخطأ؛ فلا يجوز لنا أن نطرح جميع اجتهاداته، بل ننظر إلى أقواله الموافقة

---

[1] المردود عليه من قبل الدكتور.

للحق ونلتزمها ونعرض عن أخطائه؛ فالموازنة بين الإيجابيات والسلبيات هي عين العدل والإنصاف"[1] وذكر ما يشهد لهذا من آيات قرآنية وسنة وأيد كذلك ذلك بأقوال السلف من ذلك قول سعيد بن المسيب: "ليس من شويف ولا عالم ولا ذي سلطان إلا وفيه عيب لابد، ولكن من الناس من لا تذكر عيوبه، من كان فضله أكثر من نقصه، وهب نقصه لفضله"[2]، ونحوه قول محمد بن سيرين[3]

[1] قال شيخ الإسلام: "وأهل السنة والجماعة يقولون ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، وهو أن المؤمن يستحق وعد الله وفضله والثواب على حسناته، ويستحق العقاب على سيئاته، وإن الشخص الواحد يجتمع فيه ما يثاب عليه، وما يعاقب عليه، وما يحمد عليه وما يذم عليه، وما يحب منه وما يبغض منه"، "مجموع الفتاوى" (16/11).

وقال: "والصواب أن يحمد من حال كل قوم ما حمده الله ورسوله، كما جاء به الكتاب والسنة" "الاستقامة" (221/1).

[2] "الكفاية في علم الرواية" (ص: 79).

[3] هو محمد بن سيرين الإمام الرباني، أبو بكر مولى أنس بن مالك، الثقة الثبت العابد الكبير القدر، ولد سنة: (33 هـ)، وتوفي سنة 110 هـ). "تهذيب الكمال" (345/16)، و"تهذيب التهذيب" (139/5) "التقريب" (ص: 483)، قال -رحمه الله تعالى-: "ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم، وتكتم خيره. "البداية والنهاية" (303/9)، ورواه الخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (260/2)، بلفظ: "ظلمت أخاك إذا ذكرت مساوئه و لم تذكر محاسنه". وكان إذا ذكر عنده رجل بسوء ذكره بأحسن ما يعلم. وفيه أيضا عن الشعبي قال فكانت العرب تقول: إذا كانت محاسن الرجل تغلب مساوئه فذلكم الرجل الكامل وإذا كانا متقاربين فذلكم المتماسك، وإذا كانت المساوئ أكثر من المحاسن فذلكم المتهتك. ا هـ.

وقال عبد الله بن المبارك: "إذا غلبت محاسن الرجل -على المساوئ- لم تذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تذكر المحاسن". "تذكرة الحفاظ" (276/1) للإمام الذهبي. =

وغيره وكل أدلته تتجه في تجانس مع الدعوة التي ادعاها وفقراتها مترابطة يشد بعضها طرف بعض.

لكن الدكتور ربيع زرع أمورا أجنبية عن العناصر التي يبحث فيها السيد الصويان، وإلا فما علاقة المبتدعة بكلام ابن المسيب مثلا "إن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه".

فهل يظن الدكتور أن السيد الصويان أو سعيد بن المسيب والسلف ممن ذكر أقوالهم يقولون في المبتدعة إنهم ينبغي "وهب نقصه لفضله"، وعلى هذا فما كتبه الدكتور من تعقيب في الصفحتين (47-48) كلام زائد لا حاجة إليه، مثله مثل لو قال أحد ينبغي موالاة المؤمنين ومحبة المسلمين، وتعقبه من يحذر من موالاة الكافرين وموادة المشركين فإن التعقيب أجنبي عن محل النزاع.

ثم من غرائب اعتراضات الدكتور ما ذكره في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾[1]

حيث قال السيد الصويان: "إن الله جل وعلا يذم اليهود من حيث العموم، ولكنه في الوقت ذاته يبين أن بعضهم يلتزم بأداء الأمانة ولا يخونها".

فتعقب الدكتور كلام السيد الصويان بأمور فقال:

أولا: لم يقل أحد -في حدود علمي- لا من الصحابة -ومنهم البحر الحبر ابن عباس- ولا من المفسرين: إن هذه الآية تدل على الموازنة بين الإيجابيات والسلبيات، ولا ما في معنى هذه العبارة، ولا ينبغي الخروج عن فقه السلف.

=وفي " الميزان" في ترجمة: "أبان بن يزيد العطار" قال الإمام الذهبي: قد أورده أيضا العلامة ابن الجوزي في "الضعفاء "ولم يذكر فيه أقوال من وثقه، وهذا من عيوب كتابه، يسرد الجرح ويسكت عن التوثيق. اهـ.

[1] (آل عمران/75).

والجواب عن هذا الاعتراض من وجوه:

أولا: أنها واضحة في المعنى الذي ساقها لأجله الدكتور الصويان، فإذا كان اليهود الذين ذمهم الله جل وعلا على وجه العموم، ومع ذلك ذكر محاسنهم، فمن هو ليس مذموما أصلا ممن أشار إليهم السيد الصويان وذكر عن مترلتهم العالية أولى أن لا تهدر حسناته وهذا ما يعرفه علماؤنا بقياس الأولى.

ثانيا: رأينا في سورة "المسد" كيف استنبط الدكتور ربيع أن القرآن ذكر المساوئ ولم يذكر المحاسن التي لا يشك الدكتور أنها كانت لأبي لهب وزوجه. فمن من السلف يا دكتور استنبط منها ما فهمته؟! فهل فعلك هذا من فقه السلف وفعل السيد الصويان خروج عن فقههم ؟!

ثالثا: الذي فهمه علماء التفسير من الآية إنما هو التحذير:

- إما: عموما: كالقرطبي-رحمه الله تعالى- وذكر الدكتور كلامه.
- وإما خصوصا: كما يفهم من كلام ابن كثير.

"ويبدو لي أن تفسير القرطبي هو الأولى". كذا قال الدكتور!

ويلاحظ على هذا ما يلي:

أولا: فهم بعض العلماء للآية من وجه من الوجوه، لا يلغي فهوما أخرى، فأنت إذا فسرت قوله تعالى: ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله، فيسبوا الله عدوا بغير علم**﴾[1] سوف تجد نهي الحق سبحانه وتعالى المسلمين عن سب معبودات الكافرين -وإن استحقت ذلك- وعلل ذلك النهي، ولكن العلماء أخذوا أيضا من الآية ما لا علاقة له بسب الأصنام، أخذوا منها ومن مثيلاتها -قاعدة سد الذرائع- فإذا لم نجد بحر وحبر الأمة عبد الله بن عباس -رضي الله

[1] (الأنعام/ 108).

عنهما- ولا غيره من الصحابة ذكر قاعدة سد الذرائع، لا يدل ذلك على فساد ما فهمه العلماء من دلالتها على القاعدة المذكورة. لذلك فإن فهمنا من الآية أن ذكر الله لحسنات بعض أهل الكتاب -على ضلالهم- يجعل ذكر حسنات غيرهم من أهل الإسلام من باب أولى، فهذا الفهم لا ينافي ما ذكره الدكتور من فهم القرطبي وابن كثير.

ثانيا: منهج الدكتور عجيب حقا، فهو هنا ذكر القرطبي وهو أشعري العقيدة، وعندما أراد ترجيح كلامه على كلام ابن كثير -وهو سلفي العقيدة- أثنى وترحم عليه، ونحن نرى أن هذا هو الصواب، لكن لماذا لم يقل فيه ما قال في سيد في الفصل العاشر الذي جعل له عنوان: "غلو سيد في تعطيل صفات الله كما هو شأن الجهمية" مع أن آخر الأمر قال سيد قطب:"...إن الطريق الأمثل في فهم القرآن وتفسيره، وفي التصور الإسلامي وتكوينه.. أن ينفض الإنسان من ذهنه كل تصور سابق، وأن يواجه القرآن بغير مقررات تصورية أو عقلية أو شعورية سابقة. وأن يبني مقرراته كلها حسبما يصور القرآن والحديث ولا يؤوله ! ولا يثبت شيئا ينفيه القرآن ويبطله، وما عدا المثبت والمنفي في القرآن، فله أن يقول فيه ما يهديه إليه عقله وتجربته: نقول هذا بطبيعة الحال للمؤمنين بالقرآن.. وهم مع ذلك يؤولون نصوصه هذه لمقررات سابقة في عقولهم، وتصورات سابقة في أذهانهم لما ينبغي أن تكون عليه حقائق الوجود[1] وقال أيضا:

وما أبرئ نفسي فيما سبق من مؤلفاتي والأجزاء الأولى من هذه الظلال قد انسقت إلى شيء من هذا... وأرجو أن أتداركه في الطبعة الثانية إذا وفق الله.. وما أقرره هنا هو ما أعتقده الحق بهداية من الله[2].

---

[1] "الظلال" (3730/6).

[2] "نفسه"/ هـ 1.

ثـــالثا: كيف يرجح الدكتور فهم القرطبي -رحمه الله- مع أن ظاهره مخـالف لظاهر الآية التي لم تخبرنا بالفرق بين فئات من أهل الكتاب، إلا كـي لا يكـون حكمنا عليهم واحدا، وإذا كان علينا أن نحذر أهل الكتاب جميعا فما فائدة الآيـة إذن؟! سبحان الله! فكأن الـذي رجحـه الدكتور -تأييدا- للقرطبي -رحمه الله- أن الحق سبحانه وتعالى يقول لنا: إن أهل الكتاب منهم الأمين وفيهم الخائن، ولكن احذروهم جميعا، بلا استثناء ! هل نسي الدكتور: **((أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير))**[1].

رابعا: واعترض الدكتور أخيرا بأن في الكتاب والسنة نصوصا تطلق ذم اليـهود والنصارى وليس فيها هذه الموازنة، وهذا اعتراض لا يلزم الدكتور الصويان. لأنه لا يقول: لا يجوز ذكر مساوئ اليهود دون محاسنهم، وعليه فهذا الاعتراض جـواب على سؤال لم يطرح، فعلى الدكتور ربيع أن يبحث عن سؤال يعترض عليه بهذا!

ومن أعجب ما استنبطه الدكتور من السؤال الذي لم يطرح، ومـن غريـب اعتراضه على إشكال لم يقع ولا يتوقع "أن تقرير هذا المبدأ المحدث والأخـذ بـه سيفتح الباب لليهود والنصارى والشيوعيين والعلمانيين على مصراعيه؛ الطعـن في الله ورسوله وكتابه وسنة نبيه وفي علماء المسلمين[2] في كل ما كتموه و.. الخ كلامه الذي يخوض به الدكتور معركة وهمية لا حقيقة لها. وهذا ذكرني بأحد القصـاص قال: اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا.

---

[1] رواه البخاري (2068-2096-2200) في: البيوع، و(2251-2252) في: السلم، و(2386) في: الاستقراض، و(2509-2513) في: الرهن، و(2916) في: الجهاد والسـير، و(4467) في: المعازي، الباب (86)، ومسلم (124/1603) في: المساقة.

[2] عجيب أمر هذا الرجل، يجعل الطعن في منهجه كما لو قامت "القيامة"، والنيل منه يفتـح باب النيل من الله ورسوله وعلماء المسلمين!!

فقيل له إن يوسف لم يأكله الذئب، بمعنى لا حاجة لإضاعة الجهد في البحث عن اسم لعدم !

لكن صاحبنا حريص على "إهداء اسم لغير جسم" فقال:

- هذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف.

وكذلك فهذا الاعتراض لغير ذلك الإشكال !

ثم ما بال الدكتور يخشى إذا أخذ بالموازنة أن يفتح لليهود وغيرهم من الكفار للطعن، مع أنه لام سيدا -ظلما- وقال: لو قامت له دولة لحرم الحلال، وحلل الحرام وذلك إرضاء للغربيين، مع أن كلام سيد صريح في عدم أخذ رضا أحد -كائنا من كان- على حساب الشريعة فوا عجبا!

ما لنا ولليهود والنصارى وغيرهم من الكفار؟! أيتدخلون في أحكام ديننا ؟!

خامسا: اعترض الدكتور أيضا بأن "الآية تدل على عكس ما يدعيه هؤلاء؛ فإن الآية ذكرت أناسا من أهل الكتاب يتسمون بالأمانة، وأناسا يتسمون بالخيانة ولو كان القصد تقرير مبدأ الموازنة بين الإيجابيات والسلبيات لذكرت إيجابيات من وصفوا بالخيانة وسلبيات من وصفوا بالأمانة؛ إذ هم كفار ولهم سلبيات.. فأين الموازنات بين إيجابيات هؤلاء الذين وصفوا بالخيانة وأين سلبيات من وصفوا منهم بالأمانة"، والجواب عن هذا أن يقال:

أولا: ما زال الدكتور في معركة وهمية، فإن الأخ الصويان ما قال: إنك لا يجوز أن تذكر الكفار إلا وتذكر حسناتهم حتى تلزمه مثل هذه الالتزامات.

ثانيا: وفي الوقت الذي يناقش فيه الدكتور أفكارا وهمية قائمة في رأسه وحده نجده لا يرى ما يستحق المناقشة، ذلك أن الموازنة التي أشار إليها الأخ الصويان واضحة بينة تتمثل في أن أهل الكتاب كمجموعة فيهم من هو أمين وفيهم الخائن ومبدأ الموازنة قائم، وكذلك إذا أخذنا من هو أمين، فمع كفره وصف بالأمانة

وهي إيجابية في وصف مقصود، وليس في اعتراض الدكتور ما يعكر لأن هذا الكافر هو أمين و لم تغفل سيئاته في هذا الجانب، فلا يمكن أن يكون خائنا وأمينا في نفس الوقت.

واعترض الدكتور ربيع اعتراضا خامسا سبقت الإشارة إلى رده ضمن هذه التعقيبات لا نطيل بإعادة الكلام عليه وهو أجنبي عن محل النزاع، والحقيقة أن جملة الاعتراضات التي تعقب فيها الدكتور ربيع السيد أحمد الصويان لا نراه وفق فيها وكأنه يجري في غير حلبته، ويناقشه بغير لسانه، وكان يكفي أن يراجع الدكتور نفسه عندما تفضي به معركته التي توهمها، إلى استنتاجات يزعم أنها لازمة لمبدإ الموازنة كما فهمها هو لا كما احتج لها مخالفوه، وحسبك أنه يفضي إلى نتائج نحو: "هل تواطأت الأمة على ظلم الخمر، ودفن محاسنها، فلا يذكرون منها إلا الجانب السلبي أو المظلم، ولا يذكرون محاسنها ومنافعها" وهي تساؤلات لا يخطر على بال مسلم قرأ كلام هؤلاء، أن مرادهم ما ألزمهم به الدكتور!

♦ الاعتماد على نسخ تجاوزها سيد قطب:

ومن الأخطاء المنهجية التي لا تخطئها عين الباحث أن الدكتور لا يبالي عند نسبة الأقوال إلى أصحابها، أن تكون تلك الأقوال مما رجع عنها أصحابها وتجاوزوها إلى غيرها أم لا، فبحسب أحدهم أن يقول رأيا معينا مرة واحدة، حتى ينسبه إليه الدكتور ويحاسبه عليه، ويلزمه بما يلزم منه، ولا يلتفت إلى قول آخر يكون متأخرا عن الأول، وناسخا له، وكذلك لا يجب في رأيه جمع الأقوال المتعارضة قبل البت في نسبتها إلى صاحبها لأن "هذا المنهج والتعامل به لا يكون إلا لله ولكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يكون إلا لرسل الله عليهم الصلاة والسلام فيما يبلغونه عن الله عز وجل، والذين ميزهم الله فيه على سائر الناس بأن عصمهم فيما يبلغونه عنه من الخطأ والكذب والنسيان،

ولا يقرون فيما يخطئون فيه من اجتهاد في أمور الدين، أما سائر الناس؛ فليس لهم هذه المنزلة، فما أخطأوا فيه يسمى خطأ، وما ضلوا فيه يسمى ضلالا، وكل يؤخذ من قوله ويرد..."[1] وقال أيضا أن: "من قال ببدعة كبرى أو كتبها؛ بأن قال بإنكار القدر، أو قال بقول الروافض، من طعن في أصحاب النبيﷺ، أو سبهم، أو تنقصهم، أو كفرهم، أو طعن في عدالتهم، أو أنكر علو الله على عرشه واستواءه عليه، أو أنكر رؤية الله تبارك وتعالى في الدار الآخرة، أو قال بالجبر أو الإرجاء أو الحلول أو وحدة الوجود لا يتعامل معه ومع بدعته أو بدعه كما يتعامل مع نصوص القرآن والسنة الواردة مورد التشريع. بالجمع بين أقواله المتعارضة، أو البحث عن أيها الناسخ وأيها المنسوخ، أو الترجيح بين أقواله المتضاربة المتعارضة، خاصة في أبواب البدع الكبرى الواضحة"[2].واسترسل الدكتور يجري كعادته في ميدانه الذي يتصوره بمفرده، وتارة يكون استنتاجه صحيحا في غير محله، وتارة يكون في محله لكن غير صحيح، ويبدو أننا أمام مثال وقع للدكتور فيه كلا الشرين فلا هو في العير ولا في النفير، وذلك من وجوه:

أولا: زعم أن التعامل بالمتقدم والمتأخر، أو الناسخ والمنسوخ والجمع بين الأقوال المتضاربة للشخص الواحد للخروج بالمعنى المناسب خاص بالكتاب والسنة وأقوال الأنبياء، وهذا قول من لا يدري ما يخرج من رأسه، لمخالفته للبدهيات العلمية، فما من عالم إلا وله في مسائل أقوال عدة، أقلها أن يكون له قولان ولا يختلف اثنان أن الثاني والمتأخر منهما هو الذي يجب الاعتماد عليه، ويستند إليه ويعتبر بمثابة الناسخ للأول، فهذا ابن القيم يرى نفسه كان ضالا فهداه الله بشيخ الإسلام[3].

---

[1] "الأضواء" (ص: 149).

[2] "نفسه" (ص: 151-152).

[3] جاء في النونية:

فهل بعد هذا نقول: إن قول ابن القيم في مسألة ما مما كان فيها ضالا -حسب تعبيره- أن هذا مذهبه دون ما انتهى إليه ورجع، اتباعا لشيخ الإسلام ؟! اللهم لا! وكذلك ابن تيمية قال: "إنما كنت قديما ممن يحسن الظن بابن عربي ويعظمه لما رأيت في كتبه من الفوائد...و لم نكن بعد قد اطلعنا على حقيقة مقصوده و لم نطالع "الفصوص" ونحوه..."[1] فهل إذا نسبت يا دكتور إلى شيخ الإسلام قولا، ستنسب له موالاته وإطراءه لابن عربي أم ستنسخه بما ذكره آخر الأمر، وتنسخ معه قاعدتك الفريدة هذه، في أن ما سوى كلام الله وكلام الأنبياء لا يرجع فيه إلى النسخ ونحوه؟! فإن قلت بالأول وقررت أن شيخ الإسلام داخل في بدع ابن عربي -التي في كتبه- لأن قاعدتك أن من قال ببدعة كبرى أو كتبها...لا يتعامل معه ومع بدعته كما يتعامل مع نصوص القرآن والسنة... بالجمع بين أقواله المتعارضة، أو البحث عن أيها الناسخ والمنسوخ..." الخ ما قلت، فأنت وما شئت! وإن قلت، بل المعتمد براءة ابن تيمية مما في كتب ابن عربي من البدع والضلال، فلا يتحصل ذلك إلا على جثة قاعدتك الوهمية عند الناس والقائمة عند الدكتور ربيع وحده.

وما لنا نذهب بالدكتور بعيدا، فهذا الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- يطبق هذه القاعدة التي قلت: إنها خاصة بكلام الله وكلام الأنبياء فيما هو أوسع من ذلك،

= **يا قوم والله العظيم نصيحة ****من مشفق وأخ لكم معوان**

جربت هذا كله ووقعت في**تلك الشباك وكنت ذا طيران**

حتى أتى علي الإله بفضله ****من ليس تجزيه يدي ولساني

حبر أتى من أرض حران فيا**أهلا بمن قد جاء من حران**

إلى آخر الأبيات... انظر: النونية بشرح أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش: (72/2).

[1] "مجموع الفتاوى" (424/2-425).

فعندما ذكر كلام شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم -رحمهما الله تعالى- في مسألة خطيرة وهي القول **بفناء النار**[1] خلافا لعقيدة أهل السنة، حاول أن يخرجهما من هذا "الشذوذ" المغفور بل المأجور -إن شاء الله تعالى لهما- بجمع كلام كل منهما، وقال في الأول "إن مما يمنع توجيه الطعن في ابن تيمية لقوله بفناء النار علاوة على ما ذكرناه آنفا، إن له قولا آخر في المسألة، وهو عدم فنائها كما سبق بيانه بالنقل عنه وإذا كنا نعلم أي القولين هو المتأخر، فمن البديهي أن الطاعن لابد له من الجزم بأنه هو الأول، ودون هذا خرط القتاد، وأما نحن **فإن حسن الظن الذي أمرنا به**[2] **يقتضي بأن نقول: لعله القول الآخر**، لأنه الموافق للإجماع[3] الذي نقله هو نفسه فضلا عن غيره كما تقدم "فالشيخ الألباني" -رحمه الله تعالى- يتمنى إحسانا للظن أن يكون قول ابن تيمية بخلود النار آخر قوليه ليجعله ناسخا لقوله الأول وبالتالي يخرج من الشذوذ إلى أخذ مكانه بين جماعة العلماء، و لم يقل الشيخ: إن هذا المنهج خاص بكلام الله ورسله، وأما عن ابن القيم، فقال عنه نحو ذلك أيضا وزاد في مكان آخر بعد ما عرض القولين وتساءل: كيف يصح ما سبق من استظهارنا أن ابن القيم يميل إلى القول بأن الكفار يدخلون إلى الجنة بعد العذاب" فقال: الذي يدور في ذهني من الجواب على وجهتين:

الأول: إما أن يقال: إن صريح كلامه ينافي ما وصل إليه استنباطه فهو الذي ينبغي الاعتماد عليه ونسبته إليه، وهو الواجب.

والآخر: "أن يجمع بين الصريح والمستنبط..."

---

[1] وهي بدعة كبيرة بلا شك !

[2] وأمر به الدكتور ربيع أيضا ولكنه مع الأسف الشديد، مع سيد لم يفعل عفا الله عنا وعنه آمين.

[3] "رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار" (ص: 32).

فهل هذه الطريقة التي يسلكها الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- هي التي يسلكها العلماء مع نصوص الكتاب والسنة أم لا ؟! إنها هي هي، فلا فرق، نعم في نصوص الكتاب والسنة لا نقول هذا خطأ وننسبه إلى النص الثابت، خلافا لأقوال العلماء يجوز أن نقول هذا خطأ، وهذا الذي سلكه الشيخ الألباني هو الذي يسلكه سائر العلماء ولا يجوز لأحد أن يخالف هديهم، ولا بد للدكتور أن يركض للحاق بهم مع تغيير الوجهة، فإنه فيما يبدو لا يسير في اتجاههم!

على كل حال؛ إن الدكتور ركب منهجا في النقد أقل ما يقال فيه: إنه منحرف عن منهج أهل السنة من عدة وجوه، ولو أردنا تقصيها لما وسعنا في ذلك مجلدات، وحسب القارئ ومضات على طريق المنهج الربيعي الزائغ عن العدل والإنصاف، فلسانه يفوح بالإثم وقلمه يقطر بالدم، ومع ذلك نسأل الله لنا وله السداد والصواب، وندعوا لنا وله بالنجاة من العتاب والعقاب آمين.



الباب الثاني: النقد التفصيلي للأضواء.

بعدما أشرنا -مجرد إشارات ليس إلا- إلى بعض جنايات الدكتور ربيع بن هادي المدخلي -هدانا الله وإياه- تتعلق بمنهج النقد وأدب الرد كما عرفه وطبقه علماء السلف، ورأينا انحيازه الواضح بل الفاضح إلى منهج خصوم أهل السنة ولو زعم البراءة منهم، وبعده عن سبيل السلف ولو زعم النسبة إليهم، نتعرض في هذا القسم الثاني بشيء من التفصيل للتهم التي قصف بها الدكتور سيد قطب ابتداء من اتهامه في كلمة التوحيد لما اعتبره مضيعا لأخص معانيها -زعم- لتتوالى المدافع الربيعية بعد ذلك تقصف دون مراعاة لأبسط قواعد النقد وأسسه، وهو ما تمخض عن سبعة عشر فصلا كل فصل يشمل تهمة من التهم التي تنهد لها الجبال فضلا عن الرجال، وكأن علماء الملة ونقاد الأمة كانوا في سبات عميق فأيقظهم دوي المدافع الربيعية، أو كانوا في حكم الأموات فأحياهم بنتائج اكتشافاته، فكان سبقا استحق به الدكتور مكانا ضمن كتب الأوائل .

من ذلك اكتشافه أن سيدا من غلاة الاشتراكية ودعاة الشيوعية مع أن الرجل يقول في الاشتراكية المنبثقة من المادية إن "على الناس أن تختار.. إما الإسلام وإما المادية منذ الابتداء"،[1] فكان الدكتور سباقا لهذه التهمة أو قل بلا تردد: هذه الفرية، ألا يعقل أن يعتبر سيد قطب الاشتراكية العلمية والإسلام ضدين ثم يتبناها، وستقف في هذا الرد التفصيلي على العجب العجاب من مثل هذه الافتراءات.

فلنعجل بك أيها القارئ الكريم إلى المائدة الربيعية وهي مليئة بما يورث الألم والصداع، ويسبب الحسرة والأوجاع!

---

[1] "الظلال" (2132/4).

-نقد الفصل الأول-
"أدب سيد مع رسول الله وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام"

جاء الدكتور بسيد قطب، وأوقفه ليتلو عليه هذا الاتهام: أنت سيئ الأدب مع الأنبياء! وكعادته فإن الدكتور بارع ومتفنن في صناعة التهم، وقاصر فاشل في صناعة الأدلة والحجج! كالذي يتفنن في تصوير "مركبة فضائية" على الورق، بينما يعجز عن تصليح أدنى عطب فيها في الواقع!! فرسم الاتهامات لا يساوى شيئا دون حجج وبينات !!

صلى الله عليك يا نبي الله! جذبك أعرابي جذبة أثرت في رقبتك الطاهرة، ثم كلمك بكامل غلظة وفضاضة فقال:

- أعطني من مال الله، فلا هو مالك ولا مال أبيك!!

فما زدت على أن تبسمت في وجه غلظته، والتمست مخرجا لغلظته، وأمرت له بعطاء!! صدق الله العظيم الذي قال فيك ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[1].

وكم لنبينا عليه الصلاة والسلام من هذه المواقف السمحة، التي يقيل فيها العثرات. التمسها في سيرته العطرة، لتعلم يا دكتور أنك لم تأخذ كما يجب، بقوله تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيرا**﴾[2].

• سيد قطب والتصوير الفني في القرآن.

موضوع التصوير القرآني من المواضيع التي اكتشفها سيد بعقل أريب، وتذوق حلاوتها تذوق أستاذ أديب، وكانت له في اكتشافها قصة ذكرها أول الكتاب، رأى من حق القارئ عليه أن يسردها عليه، ويبثها إليه!!

---

[1] (القلم/4).

[2] (الأحزاب/21).

وخلاصة ما في الأمر، أن القرآن يعرض المشاهد المعنوية والمعاني النفسية عرض المحسوسات من الأجسام، ويصورها ببراعة لا تلحق شأوها ريشة خير رسام، حتى أنه ليصور لك مثلا: نفسية الغضبان بدقة فائقة، وعبارة رائقة، تجعلك ترى الغضب وكأنه جسم ماثل بين يديك تتعرف عليه كما تتعرف على الأشياء الملموسة !! وهذا الذي أشرنا إليه في القرآن، ليس أمرا طارئا ولا حالا مستثنى، بل "هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل القاعدة الأساسية المتبعة في جميع الأغراض -فيما عدا غرض التشريع بطبيعة الحال-"[1] وهكذا حفل سيد أن التوفيق حالفه بذوقه الأدبي، ولسانه العربي أن يكون شاهدا على"قاعدة تكشف وتبرز"[2] إنها قاعدة التصوير الذي يجعل التعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها فتستحيل القصة حادثا يقع ومشهدا يجري، لا قصة تروى ولا حادثا قد مضى"[3].

من هنا انطلق سيد قطب يعرض النماذج والصور التي تؤكد أننا أمام قاعدة متكاملة، وظاهرة شاملة ، يبوح بها التعبير القرآني في نواحي متعددة، ومن ذلك ما جعله تحت عنوان "**رسم الشخصيات في القصة**" ليدلل على الأسلوب الذي يتجلى في التعبير القرآني حين يعرض لأصناف من الشخصيات "ويرسم بضع" نماذج إنسانية "من هذه الشخصيات"[4] رسما يعجز عنه كل مخلوق! ولا يقدر عليه سوى علام الغيوب! وعندما أراد أن يضرب مثلا لشخصية حادة، ونموذجا لرجل عصبي المزاج اختار موسى نموذجا "للزعيم المندفع العصبي المزاج"[5] كما اختار نموذج الخليل إبراهيم

---

[1] "التصوير الفني" (ص: 9).

[2] "نفسه" (ص: 9).

[3] "نفسه " (ص: 190).

[4] "نفسه" (ص: 200).

[5] "نفسه" (ص: 200).

مثلا "للتسامح والهدوء والحلم"[1]، وساق في كلتا الحالتين الآيات القرآنية وهي ترسم في إبداع منقطع النظير معاني كل شخصية بما لا يوصف من الجمال والبيان والجلال!!

• اعتراضات الدكتور.

ذلكم كان السياق الذي اعترض فيه الدكتور على سيد قطب، فكان مما قال: "إن موسى رسول كريم من رسل الله الكرام أولي العزم عليه الصلاة والسلام".

قلت[2]: -لا حاجة لنا، ولا لك إلى ذكر هذا، فإنك لم تأتنا بجديد لا نعلمه ولا جئتنا بشرح ما لا نفهمه. فما أنكر سيد قطب أن موسى كليم الله، ولا جحد نبوته ولا رسالته، وكذلك فلم ينكر كونه من أولي العزم، فلا تثقل على نفسك وعلى القارئ وأت من الآخر كما يقال!!

وما قلناه هنا كذلك نقوله عن قولك في موسى -عليه السلام- "وإن له عند الله لمنزلة عظيمة ومكانة رفيعة توجب على الناس تعظيمه وتوقيره كسائر أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام"[3] فإن سيدا ما اعتقد مكان المكانة الرفيعة مكانة وضيعة وما دعا الناس إلى طرح ما ينبغي للأنبياء من تعظيم وتوقير!

وإذا كنت في شك مما ذكرنا لك، فدعنا نذكرك ﴿فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾[4] ببعض ما برع فيه قلم سيد قطب، ولم يأخذه الدكتور بعين الاعتبار!!

---

[1] "نفسه" (ص: 200).

[2] أبو بلال.

[3] "الأضواء" (ص: 25).

[4] (الذاريات /55)، ونحسبك من المؤمنين ولا نزكي على الله أحدا، فلذا تطمع ونطمح أن يصيبك نصيب مما قررته الآية.

قال سيد قطب عند تفسير الآية: (84 حتى الآية 90) من سورة: الأنعام وفيها أسماء جملة من أنبياء الله:

وفي الآيات ذكر لسبعة عشر نبيا رسولا -غير نوح وإبراهيم- وإشارة إلى آخرين "من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم".. وذكر هذا الرهط على هذا النحو، واستعراض هذا الموكب في هذه الصورة كله تمهيد للتقريرات التي تليه ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾[1].

وهذا تقرير لينابيع الهدى في الأرض. فهدى الله للبشر يتمثل فيما جاءت به الرسل، وينحصر المستيقن منه، والذي يجب اتباعه في هذا المصدر الواحد، الذي يقرر الله -سبحانه- أنه هو هدى الله؛ وأنه هو الذي يهدي إليه من يختار من عباده...ولو أن هؤلاء العباد المهديين حادوا عن توحيد الله، وتوحيد المصدر الذي منه هداه، وأشركوا بالله في الاعتقاد أو العبادة أو التلقي، فإن مصيرهم أن يحبط عنهم عملهم: أي أن يذهب ضياعا ...فهؤلاء الرهط الكرام الذين يقودون موكب الإيمان، هم الذين هداهم الله ..."[2] فاطمئن يا دكتور فسيد -رحمه الله تعالى- يترل رسل الله المترلة التي تليق بهم، ويحترمهم كما ينبغي الاحترام، ويراهم ينابيع الهدى للأنام!!

هذا عنهم بإجمال، وكلامه كما ترى ليس فيه إلا ما يثلج صدر كل ذي خلق رشيد ويضيق له صدر كل حانق على سيد وعنيد!!

وقال أيضا: "إن الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- قدوة للناس، وللناس فيهم أسوة وعلى الناس أن يأخذوا ما آتاهم الله بالقبول والشكر استزادة من

---

[1] (الأنعام/88).

[2] "الظلال" (1144/2).

النعمة، وإصلاحا للقلب..."[1] ووصف سيد قطب الرسل أيضا أنهم "دائما هم أول المؤمنين بعظمة ربهم وجلاله، وبما يتزله عليهم من كلماته"[2].

ولو أردنا أن نسترسل في سرد كلمات سيد التي تناول فيها الرسل بكلمات التعظيم والاحترام وتحدث عنهم فيها بكامل إجلال وإكرام، لطال بنا الأمر وحسب القارئ ما ذكر في هذا المقام!

أما عن موسى -عليه السلام- فحسبنا ذلك التصوير البديع الذي وصف به سيد المقام الذي رفع فيه الحق جل شأنه -عبدا من عباده إليه- اسمع إليه يقول عن هذا "المشهد الفذ الذي اختص الله به نبيه موسى -عليه السلام- مشهد الخطاب المباشر بين الجليل -سبحانه- وعدد من عباده، المشهد الذي تتصل فيه الذرة المحدودة الفانية بالوجود الأزلي بلا واسطة ويطيق الكائن البشري الذي يتلقى عن الخالق الأبدي، وهو بعد على هذه الأرض"[3]:

"إننا لفي حاجة إلى استحضار ذلك الموقف الفريد في خيالنا وفي أعصابنا وفي كياننا كله.. في حاجة إلى استحضاره لنستشرف ونحاول الاقتراب من تصوره،... إنها الوهلة المذهلة وموسى يتلقى كلمات ربه، وروحه تتشوف وتستشرف وتشتاق إلى ما يشوق...!"[4].

فإذا علمت هذا يا دكتور، أدركت أن ما سودت به من كلمات عن توقير الأنبياء والرسل إنما ضيعت به وقتك ووقت القارئ، فهو كلام إن لم يكن عليك فما هو لك!

ثم بعد هذا قال الدكتور:

---

[1] "الظلال" (1370/3)

[2] "نفسه" (1367/3).

[3] "نفسه" (1368/3).

[4] "نفسه" (1368/3).

"قال الله في شأنه -أي موسى عليه السلام- ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيها﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى﴾[2]-[3].

واستشهاد الدكتور بهاتين الآيتين بات بناء على ما تقدم أجنبيا عن محل النزاع، بيد أنه يستغرب جدا -وإن كان لا يستغرب من الدكتور شيء بعد- أن يشير إلى إيذاء موسى -عليه السلام- فحبذا لو ذكر محل الشاهد وربطه بكلام سيد الذي يستحق أن يتترل عليه، ولا يفعل فعل من يرسل الجواب بلا عنوان، فلا شك لا يصل الجواب إلى قريب ولا بعيد!

قال سيد قطب: "برأ الله موسى مما رماه به قومه،" وكان عند الله وجيها "ذا وجاهة ومكانة والله مبرئ رسله من كل ما يرمون به كذبا وبهتانا ..."[4]

وهكذا يتحات شيئا فشيئا كلام الدكتور في هذا الفصل، لأنه لا يشده دليل، بل هو أجنبي ومقحم، لم يحرر فيه الدكتور -كما هو منهجه- وجه المأخذ الذي يناسبه ما يستدل به من نصوص، لأن ما ذكره من وجوب احترام الأنبياء والرسل عامة، وأولي العزم خاصة -وموسى عليه السلام أحدهم- دليل لا رصيد له هنا، وإنما يناسب أمثال المنحرفين الذين ينالون من هؤلاء الرهط الكرام، ولذلك نقول للدكتور: أخطأت العنوان، فابعث إلى "سلمان رشدي" المارق ! واستدل عليه بهذه الآيات -ونحن معك ونؤيدك- !!

وإذا انتهى "سلمان رشدي" من قراءة الآيات، فاطلب منه قراءة (كتاب أحاديث الأنبياء) من "صحيح البخاري". ليرى أنه قد أسرف واشتط وحلق بعيدا

---

[1] (الأحزاب/69).

[2] (طـه/ 13).

[3] "الظلال" (1144/2).

[4] "نفسه" (2884/5).

في خياله[1] المجنح وأسلوبه القصصي في التهويل والتمثيل .."[2] في آياته الشيطانية فهي اسم على مسمى، ويناسبه يا دكتور أن تعترض -ونحن معك دائما- بما اعترضت، أما سيد قطب فلا دخل له بموضوعك! فذلك كله لا يناسب سيدا، ولا يستحقه ولا يعنيه! وقبل بيان ذلك دعنا نذكر كلامه الذي جعلته أساس اتهاماتك الفضفاضة .

• كلام سيد قطب في موسى -عليه السلام- واعتراض الدكتور عليه:

علمنا في مطلع هذا الفصل أن سيدا بهر بقاعدة التصوير الفني في القرآن والتي تنتظم معاني عدة ومشاهد مختلفة، وعلمنا أنه حين أراد أن يضرب لذلك التصوير -لا سيما في القصة- أمثلة عن بعض الأمزجة الشخصية، [اختار موسى-عليه السلام- مثالا للاندفاع والعصبية] واختار إبراهيم -عليه السلام- نموذجا للوداعة والحلم واللين. وبينما هو منشغل ببيان قاعدته ومدى تحققها في هذين النموذجين انقض الدكتور المترقب لكل هفوة -حقيقية كانت أم وهمية- على سيد قطب واتهمه بما علمت، وقبل مناقشته نذكر ما قال سيد في تصويره في الفصل الذي سماه "رسم الشخصيات "واعتبره "اللون الثالث من ألوان التصوير في القصة"[3].

قال -رحمه الله تعالى-:

"لنأخذ موسى، إنه نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج، فها هو ذا قد تربى في قصر فرعون، وتحت سمعه وبصره، وأصبح فتى قويا.

---

[1] فسلمان رشدي زعم بدجله أن كتابه إنما هو خيال علمي!!

[2] "الأضواء" (ص:25) .

[3] "التصوير الفني" (ص: 199).

﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثة الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾[1].

وهنا يبدو التعصب القومي، كما يبدو الانفعال العصبي، وسرعان ما تذهب هذه الدفعة العصبية فيثوب إلى نفسه شأن العصبيين:

﴿قال: هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين، قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له، إنه هو الغفور الرحيم، قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين﴾[2].

﴿فأصبح في المدينة خائفا يترقب﴾[3] وهو تعبير مصور لهيئة معروفة: هيئة المتفزع المتفلت المتوقع للشر في كل حركة وتلك سمة العصبيين أيضا.

ومع هذا، ومع أنه قد وعد بأنه لن يكون ظهيرا للمجرمين ولننظر ما يصنع. إنه ينظر ﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾[4] مرة أخرى على رجل آخر ﴿قال له موسى إنك لغوي مبين﴾[5] ولكنه يهم بالرجل الآخر كما هم بالأمس، وينسيه التعصب والاندفاع استغفاره وندمه وخوفه وترقبه، لولا أن يذكره من يهم به بفعلته، فيتذكر ويخشى: ﴿فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس؟ إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين﴾[6].

---

[1] (القصص/15).

[2] (القصص/15-16-17).

[3] (القصص/18).

[4] "نفسها".

[5] "نفسها".

[6] (نفسها/19).

وحينئذ يفصح له بالرحيل رجل جاء من أقصى المدينة يسعى فيرحل عنها كما علمنا، فلندعه هنا لنلتقي به في فترة ثانية من حياته بعد عشر سنوات، فلعله قد هدأ وصار رجلا هادئ الطبع حليم النفس.

كلا! فها هو ذا ينادى من جانب الطور الأيمن: أن ألق عصاك، فألقاها فإذا حية تسعى، وما كاد يراها يثب جريا، لا يعقب ولا يلوي، إنه الفتى العصبي نفسه، ولو أنه قد صار رجلا؛ فغيره كان يخاف نعم، ولكنه لعله كان يبتعد عنها، و يقف ليتأمل هذه العجيبة الكبرى.

ثم لندعه فترة أخرى، لنرى ماذا يصنع الزمن بأعصابه.

لقد انتصر على السحرة، وقد استخلص بني إسرائيل وعبر بهم البحر، ثم ذهب إلى ميعاد ربه على الطور[1]، وإنه لنبي، ولكن هاهو ذا يسأل ربه سؤالا عجيبا ﴿**قال رب أرني انظر إليك، قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني**﴾[2] ثم حدث ما لا تحتمله أية أعصاب إنسانية بله أعصاب موسى.

﴿**فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك و أنا أول المؤمنين**﴾[3].

عودة العصبي في سرعة واندفاع!.

ثم هاهو ذا يعود، فيجد قومه قد اتخذوا لهم عجلا إلها، وفي يديه الألواح التي أوحاها الله إليه، فما تريث، وما بنى ﴿**وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه**

---

[1] هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام.

[2] (الأعراف/143).

[3] "نفسها".

يجره إليه﴾[1] ﴿قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾[2].

وحين يعلم أن "السامري" هو الذي فعل الفعلة، يلتفت إليه مغضبا ويسأله متنكرا، حتى إذا علم سر العجل:

﴿قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا﴾[3].

هكذا في حنق ظاهر وحركة متوترة.

فلندعه سنوات أخرى.

لقد ذهب قومه في التيه ونحسبه قد صار كهلا حينما افترق عنهم، ولقي الرجل الذي طلب إليه أن يصحبه ليعلمه مما آتاه الله علما.

ونحن نعلم أنه لم يستطع أن يصبر حتى ينبئه بسر ما يصنع مرة ومرة، فافترقا...؟

تلك شخصية موحدة بارزة، ونموذج إنساني واضح في كل مرحلة من مراحل القصة جميعا"[4].

هذا هو كلام سيد قطب -رحمه الله تعالى- الذي استحق أن يقول عنه الدكتور "إن ما نسبه سيد إلى نبي الله وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام ينافي ما يستحقه من التبجيل والتوقير والاحترام، وذلك مما تقشعر له الجلود، وإن حكم هذا العمل الخطير عند العلماء (غليظ جدا وكبير)"[5]اهـ.

---

[1] (الأعراف/150).

[2] (طه/94).

[3] (طه/97).

[4] "التصوير الفني" (ص: 200-203).

[5] "الأضواء" (25-26).

ونهمس في أذن الدكتور ونقول له: أين حسن الظن يا رجل؟ ! مادمت وقفت مرات ومرات على ما قرره سيد قطب مما يجب للأنبياء من التبجيل والتقدير والاحترام والتوقير، فهلا اعتبرت عباراته -لو حكمنا على خطئها- هفوة لسان، أو عثرة بيان، لا سيما وما ذكره كان في مجالات الأدب والفن العربي؟!

لقد علمت أن الإمام الذهبي -رحمه الله تعالى- حكم فيما هو أهم وأعم، وأكبر وأعظم، بقوله: هذه الكلمة يقولها الزنديق ويقولها المسلم، وأما المسلم فلا ينبغي ولكن يعتذر عنه! كان بإمكانك أن تتأسى بالذهبي فيما هو دون ذلك بكثير،وتعتذر عن سيد قطب،ولكن هذا ليس لك بمنهج، وا حسرتاه !

ثم إن قول الدكتور: "إن ما نسبه إلى نبي الله وكليمه موسى عليه السلام ينافي ما يستحقه..الخ" كلامه فجوابه كما يلي:

أولا: عرفنا أن سيدا كان بصدد إيضاح الصورة التي ترسمها آيات القرآن للمزاج العصبي في الشخصية، ويتأملها وهي توقع ملامح العصبية في مواقف مختلفة في حدوثها، لكنها متفقة في مضمونها وفحواها، فموسى -عليه السلام- حين أشار سيد قطب إلى أنه مثال المزاج الذي يخف إليه الغضب بسرعة، وتنفعل أعصابه بعجلة، وأن هذا الوصف ملازم له في مختلف أطواره، فهو لم يزد على أن تذوق الآيات التي رسمت ذلك بدقة يهتز لها الإحساس لا سيما إن كان إحساس أديب، وليس في ذلك ما يخدش في موسى-عليه السلام- أن يكون مزاجه على هذا النحو ولا ما يخدش في احترام سيد له إذا وصفه بما وصفه، لأنه وهو في إطار بيان التصوير الفني ما زاد على أن ترجم بلغة الأديب ما رسمه القرآن المجيد، تماما لو أن أحد المتخصصين ترجم لمن ينظر لوحة رسام، فقال له: إن المعنى الذي تنطق به اللوحة يصف شخصية رجل أسود وضعه كيت وكيت، فهل نوبخ الشارح على ترجمته؟! كلا! وكذلك سيد قطب يترجم بسليقته الأدبية ما نطقت به الآيات القرآنية. فإن الآيات المختلفة هي التي كشفت عن مزاج موسى -عليه السلام- من خلال مختلف الصور التي عرضت له.

ثانيا: إن سيد قطب حين وصف موسى -عليه السلام- بكونه مندفعا وعصبيا إثر التصوير الذي كشفته الآيات، لم يكن بوصفه ذاك منتقصا ولا مؤذيا له -حاشاه رحمه الله تعالى- بل إنه حين أشار إلى غضبه في تفسيره كان يعتذر له بل يرى غضبه واجبا، وما حيلة المرء المجبول على سرعة الغضب وقوة الاندفاع؟ حسبه أن يؤوب ويعود كما فعل موسى نفسه -عليه السلام- حين استفزه ما رأى من قومه بعد غيابه، فصاح مغضبا لدرجة أن رمى بكلام الله! على الأرض، إلا أنه سرعان ما أخذه من جديد! لكن متى كان ذلك؟!

"لما سكت عنه الغضب"!! وعلى كل حال فإن سيدا موقر للأنبياء ومحترم لهم، وكذلك فهو يجل موسى ويمجد أخلاقه وتصرفاته، كما فعل في تعليقه على سقي موسى بنتي شيخ مدين عليهم السلام حيث قال "فسقى لهما" مما يشهد بنبل النفس التي صنعت على عين الله..."[1].

ما أجرأ النفوس التي يهون عليها تلفيق العيوب، ولا تخشى مراقبة علام الغيوب! اسمع يا دكتور أو لا تسمع كيف يطري سيد موسى -عليه السلام- ويغبط موقفه بين يدي رب الأنام:

"وسجل ضمير الوجود ذلك النداء العلوي؛ وبوركت البقعة التي تجلى عليها ذو الجلال: وتميز الوادي الذي كرم بهذا التجلي، ووقف موسى في أكرم موقف يلقاه إنسان" ترى هل سيد يعتقد فيمن تشرف بأكرم موقف ما يحط من قدره، أو يغض من مرتبته؟!

ثالثا: وأما عن قول الدكتور: "إنه -سيد قطب- قد أسرف واشتط وحلق بعيدا في خياله المجنح وأسلوبه القصصي في التهويل والتمثيل"[2] لماذا كل هذه الأوصاف،

---

[1] "الظلال" (2686/5).

[2] "الأضواء" (ص:25).

وماذا جنى سيد في رأي الدكتور؟! يجيب: "...بما ألصقه من صفات الاندفاع والعصبية والحدة والفزع والتوتر بكليم الله موسى عليه الصلاة والسلام..."[1].

والجواب أن هذا ربما رأيت فيه أنت ما رأيت، وألفيت فيه ما يخل بالأدب والتبجيل مع الأنبياء، فهلا دعمت قولك بكلام العلماء؟! لقد أطلق غير سيد من العلماء مثل العبارات التي ذكرها هو ولمته من أجلها، ولا تحسبن أنهم ما قرأوا "كتاب الأنبياء" من "صحيح البخاري" فهذا الحافظ ابن حجر[2] أحسن من شرح الكتاب يقول في حديث محاجة آدم لموسى-عليهما السلام-: "وفيه أنه يغتفر للشخص في بعض الأحوال ما لا يغتفر في بعض، كحالة الغضب والأسف وخصوصا ممن طبع على حدة الخلق وشدة الغضب، فإن موسى عليه السلام لما غلبت عليه حالة الإنكار في المناظرة خاطب والده باسمه مجردا وخاطبه بأشياء لم يكن ليخاطبه بها في غير تلك الحالة".[3]

ولا تظنن يا دكتور ظن السوء بالحافظ أيضا لوصفه سيدنا موسى عليه السلام بحدة الطبع وشدة الغضب واعتبره خاطب والده بطريقة "لم يكن ليخاطبه بها" أي لا يليق ذلك "في غير تلك الحالة" فلا تظنن ذلك قلة احترام، أو طعنا في الرسل الكرام!

زد على ذلك أن الحافظ قرر هذا في كتاب القدر، أي وهو بصدد الكلام في مسائل العقيدة خلافا لسيد قطب الذي ذكر ما ذكر وهو بصدد السياحة في الأذواق الأدبية التي استعذبها وانتعش حسه بها!!

---

[1] "نفسه".

[2] هو الإمام الجليل حافظ عصره، أحمد بن حجر العسقلاني شهاب الدين أبو الفضل، من مؤلفاته: فتح الباري شرح صحيح البخاري، والإصابة في تمييز الصحابة، ولسان الميزان، وتهذيب التهذيب، وتقريبه، والنخبة وشرحها، وغيرها، ولد سنة (773هـ) وتوفي سنة (852هـ). انظر "الضوء اللامع" (36/2)، و"البدر الطالع" للشوكاني (87/1).

[3] "الفتح" (513/11).

ثم إنك إذا عذرت الحافظ -لو سلمنا لك بخطأ ما قال- لوجب عذر سيد من باب أولى فأين علم سيد[1] من علم الحافظ أمير المؤمنين في الحديث، وخاتمة الحفاظ؟!

• استدلال عجيب و برهان غريب!

حين اعترض الدكتور على سيد قطب، احتج عليه احتجاجا عجيبا وأتى بما لا قبل لسيد ولا لغيره به!! ولكن كما أنه أخطأ في الاتهام فقد أبعد النجعة في الدليل والبرهان فقال:

أخرج البخاري في "صحيحه" عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: ((**قسم النبيﷺ قسما، فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله. فأتيت النبيﷺ، فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**))[2].

إن هذا الذي حكاه ذاك المارد عن رسول الله ﷺ لما تقشعر له الجلود حقا فقد اتهم من أئتمنه الله بالخيانة والنفاق -حاشاه ﷺ- وهذا كفر، ولذلك حذر منه عليه السلام أمته كما هو معلوم، ومهما كان غضب النبيﷺ فقد تذكر صبر موسى أمام ما هو أكبر، أي أكبر من هذا الكفر فقال ما قال، فهل قال سيد قطب ما هو أكبر وأخطر من هذه الإذاية؟! فاحتج عليه الدكتور بآية "الذين آذوا موسى" وحديث "إيذاء موسى"، أم أن الدكتور أراد فقط أن يأتي بنص يمدح موسى بالصبر؟! كيفما كان مراده فاستدلاله غريب حقا فإن كان الأول فكيف يقاس وصف موسى -عليه السلام- بحدة الطبع بما هو أكبر من اتهامه بالخيانة والنفاق؟! أتعقل يا دكتور؟ وإن كان الثاني فهل وردت إشارة أو عبارة من سيد ينفي فيها عن موسى خلق الصبر؟! واعجبا لك يا دكتور!!

---

[1] و لا علمك يا دكتور! ولا تغضب من الحق!!

[2] "الأضواء" (ص:25)، الحديث رواه مسلم أيضا يا دكتور في كتاب: الزكاة، باب: إعطاء من سأل بفحش وغلظة.

والنفاق؟! أتعقل يا دكتور؟ وإن كان الثاني فهل وردت إشارة أو عبارة من سيد ينفي فيها عن موسى خلق الصبر؟! واعجبا لك يا دكتور! !

كيفما كان ترجيحنا، وإن كان بودنا أن نرجح الاحتمال الثاني ونربأ بالدكتور أن يكون فهمه قاصرا في الاستدلال على هذا النحو، إحسانا بالظن به، مع أن ترجيحنا لهذا الوجه يعترضه ما ذكر الدكتور عن كلام سيد بأن "حكم هذا العمل الخطير عند العلماء غليظ جدا وكبير[1] وأحال على كتابين: "كتاب الشفاء"[2] للقاضي عياض، وكتاب" الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ "لشيخ الإسلام ابن تيمية. (رحمهما الله تعالى)[3].

وهذا الاستدلال يرشح الخلط الذي يعاني منه الدكتور والقصور الذي يشكو منه حيث أنه يلبس الأدلة تهما عريضة تجعلها مزقا مزقا! يا دكتور نبهناك في المنهج أن دعواك أوسع كثيرا من أدلتك لو كانت لديك أدلة بل لو كانت ثمة تهمة فاستيقظ هدانا الله وإياك!

*****

[1] "نفسه" (ص:26).

[2] الذي في كشف الظنون أنه "الشفا "لا " الشفاء" وهو الظاهر الأنسب للعنوان، وكذلك سماه المقري في "أزهار الرياض في أخبار عياض" حيث قال: أما ما كمل من تأليفه -رضوان الله عليه- فمنه كتاب "الشفا"... (81/2)، و أهل مكة أدرى بشعابها.

[3] "الأضواء" (ص:26).

-نقد الفصل الثاني-
"موقف سيد من عثمان ومعظم الصحابة"

لو أردنا أن نقيم كل فصول كتاب الأضواء، لقلنا إن هذا الفصل أكثرها صوابا ذلك أن سيد قطب -رحمه الله تعالى- فتح على نفسه باب النقد في موضوع جد حساس؛ إنه موضوع الصحابة.

وكان يمكن للدكتور أن يلخص نقده في كلمات يشير فيها إلى خطأ سيد في هذه المسألة، بيد أن حرصه على النيل منه -وتصويره في صورة المبتدع الضال، الذي يسلك مسلك الروافض و.. والخ- جعله يمطط الموضوع،[1] ويزيد ما لا حاجة إليه وينقص ما يمكن أن يعتذر عن سيد قطب به.

لقد استهل الدكتور هذا الفصل بحديث عن مكانة الصحابة في القرآن والسنة وأشار إلى مقامهم عند المؤمنين، ثم بعد ذلك بدأ يعدد الاتهامات، بعداده السريع فسجل ما يزيد عن ثلاثين اتهاما، ولما شعر أنه تمكن من محاصرة سيد قطب داخل هذا السياج "الربيعي" من التهم، ختم الفصل بكلام السلف فيمن ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، ليختم بذلك الصورة التي يعرض فيها الدكتور سيدا على القراء!

ويبدو أن الدكتور لم يقنع بهذا الفصل الذي مطط فيه أخطاء سيد -في نظره- فمطط الفصل نفسه وجعله كتابا بعنوان "**مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ**".

وهكذا أصبحت الثلاثين ثلاثمائة[2]، فوا عجبا!

ونحن لما قلنا إن هذا الفصل أكثر الفصول صوابا لا نعني طبعا أن الدكتور أصاب في الثلاثين -بله الثلاثمائة- كلا! فهذه الأرقام إنما هي من وحي وأوهام

---

[1] حتى استغرق نحو ثلاثين صفحة.

[2] عدد صفحات الكتاب.

الدكتور ربيع، إضافة إلى أخطائه المنهجية حيث يتهم سيدا بما لم يعد في كتابه "**العدالة الاجتماعية في الإسلام**"، ولكنه صححها أو عدلها أو حذفها، ومع ذلك حرص الدكتور على تسجيلها -وتضخيمها- فأثبت "القديم" و"الجديد" كليهما من مذهب سيد قطب في هذا الموضوع!

نخالف سيد قطب ولكنا لا نسبه ونعتذر عنه.

قبل أن ندخل في نقاش مع الدكتور، نود توضيح موقفنا من هذه المسألة،مسألة "الصحابة"وما يجب نحوهم من الآداب، فنقول: إننا باختصار نقف في هذه المسألة وسطا، فلا نحن مع من ينتقص منهم، ويحط من قدرهم، ويضخم أخطاءهم[1] كما هو شأن الرافضة، ولا نحن أيضا مع من ينظر إليهم كما لو كانوا معصومين من الخطأ بريئين من العيب، بل الذنب[2].

من هنا فإننا نخالف سيد قطب -رحمه الله تعالى- في موقفه من معاوية ابن أبي سفيان،[3] وأبيه،[1] -رضي الله عنهما- لتناوله لهما بعبارات جافية لا تناسب مقامهما

---

[1] وفي هذا حديث: ((**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**)). رواه البخاري (3673) في: فضائل أصحاب النبيﷺ: (5) باب: قول النبي ﷺ: ((**لو كنت متخذا خليلا**)) واللفظ له، ومسلم (221-222) في: فضائل الصحابة (54) باب : تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم. بشرح النووي .

[2] لأنه جاء في الحديث الصحيح عن أبي أيوب: أنه قال، حين حضرته الوفاة: كنت كتمت عنكم شيئا سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون، يغفر لهم**)). رواه مسلم (9-10-11) في: التوبة (2) باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، بشرح النووي. والحديث عام يشمل الصحابة -رضي الله عنهم - وغيرهم.

[3] هو الصحابي الجليل وكاتب وحي النبي ﷺ، معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي أمير المؤمنين. ولد قبل البعثة بخمس سنين وقيل=

في الصحبة، وكنا نود ألا يقع في حبال الرافضة التي نصبوها في التاريخ الإســـلامي، والتي صورت جمهور الصحابة صورة قاتمة مظلمة بناء على الافتراء والأكاذيب.

لهذا فإن سيد قطب ما كان يجب أن يخوض في هذا الموضوع لا سيما وتخصصه لا يعينه على نقر الروايات وتفتيش الأخبار وغربلتها من البهرج، قبل إبداء الـــرأي فيها.

لكننا في الوقت نفسه -وهو ما نخالف فيه الدكتور- لا نسب سيدا ولا نسـقط محاسنه بسبب هفوة أو عثرة، ليس هذا محاباة لسيد قطب ولكن محاباة للمنهج الذي خطه أهل السنة، والذي يقضي أن "تلتمس الأعذار لذوي الأقدار"! ولو أننا أسقطنا كل من سقط مرة أو مرتين لانتهى بنا الحال إلى الوقوف مع الرافضة، الذين نظـروا إلى الصحابة بهذا المقياس، لكن أهل السنة يرون أنه:

ومن ذا الذي تحمد سجاياه كلها*كفى بالمرء نبلا أن تعد معايبــــه**

إن الذي تعد حسناته هو الذي يكون منحرفا لأن ســيئاته لم يحصـــها حـــد، ولم ينتظمها عد! فالشرير له حسنات، لكنها معدودة، والنبيل له سيئات لكنها معدودة أيضا!

=بسبع سنين وقيل بثلاث عشرة والأول أشهر. انظر "الإصابة في تمييز الصحابـــة" (112/6) للحافظ ابن حجر.

[1] هو الصحابي الجليل، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بـــن عبـــد منـــاف القرشـــي الأموي..مشهور باسمه وكنيته وكان يكنى أيضا أبا حنظلة وأمه صفية بنت حرب الهلالية عمة ميمونة زوج النبي ﷺ. وكان من المؤلفة، قيل: إنه مات سنة: (31 وقيل 32 وقيل 33 وقيـــل 34 هـــ). وفيه قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**)). رواه مســـلم (84-86) في: الجـــهاد والسير (31) باب: فتح مكة، وفيه قصة. انظر "الإصابة" (237/3).

• **الاعتذار عن سيد قطب -رحمه الله تعالى-.**

مع اختلافنا مع سيد فيما بدر منه تجاه بعض الصحابة، لا سيما معاوية -رضي الله عنه- فإنا نلتمس له في ذلك أعذارا، نعتقد أنها كانت وراء ذلك، منها:

أولا: ما زالت الروايات التاريخية التي تؤرخ لمرحلة الفتنة الأولى التي عرفها المسلمون منذ أواخر خلافة عثمان -رضي الله عنه- في حاجة إلى عناية العلماء بها، خاصة علماء الحديث الذين لديهم مقدرة على تنقيتها تنقية كاملة لتصفو بعدئذ الصورة، ويتمكن الباحث عندها من النظر إليها صافية، لا تعكرها الأكاذيب والافتراءات! ولئن كان السلف -رضي الله عنهم- تجشموا أمانة نقل الروايات المختلفة، بل والمتضادة كما قال الطبري في مقدمة تاريخه بأسانيدها، فإن رسالة الخلف تقتضي أن يكملوا عملهم، ويتموا مشروعهم وبهذا تتحد الجهود ويتكامل المجهود، ونجنب أمثال سيد قطب -وهم كثر- الوقوع في أحكام خاطئة تتعلق بتاريخنا الإسلامي عامة، ومرحلة الفتنة على وجه الخصوص.

• **((إذا رأيتم معاوية فوق منبري فاقتلوه))**[1].

---

[1] روي هذا الحديث عن عدد من الصحابة، هم عبد الله بن مسعود، وأبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وسهل بن حنيف، وجماعة من أهل بدر، وعن الحسن البصري مرسلا. ومع ذلك فهو حديث لا يصح، بل اعتبره بعض العلماء موضوعا!

1- أما حديث عبد الله بن مسعود: فرواه ابن عدي في " الكامل في الضعفاء"(209/2)، والعقيلي في "الضعفاء" (259/1)، والحاكم في "تاريخه" كما في "اللآلئ" (426/1)، للسيوطي، وابن الجوزي في "الموضوعات" (24/2)، من طرق عن الحكم بن ظهير، عن عاصم، عن زر عنه مرفوعا.

قلت: الحكم بن ظهير، كذاب، وهو المتهم بوضعه بهذا الإسناد.

قال ابن عدي في ترجمته -وقد أورد هذا الحديث-: عامة أحاديثه غير محفوظة وقال العقيلي: لا يصح من هذا المتن عن النبيﷺ شيء من وجه ثابت. =

=وقال ابن كثير في "البداية والنهاية" (141/8): هذا الحديث كذب بلا شك، ولو كان صحيحا لبادر الصحابة إلى فعل ذلك، لأنهم كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم.

2- أما حديث أبي سعيد الخدري:

فرواه ابن عدي أيضا في "الكامل" (2/25-146)، (5/200-314-315)، من طرق، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أبي نضرة، عنه مرفوعا. باختلاف يسير في متنه.

وفيه زيادة عند عبد الرزاق، كما في "الكامل" قال: "فقام إليه رجل من الأنصار وهو يخطب بالسيف، فقال أبو سعيد؛ ما تصنع؟ قال سمعت رسول اللهﷺ يقول: وذكر الحديث". فقال له أبو سعيد إنا قد سمعنا ما قد سمعت، ولكنا نكره أن نسل السيف على عهد عمر حتى نستأمره، فكتبوا إلى عمر في ذلك فجاء موته قبل أن يأتي جوابه" اهـ.

قلت: علي بن زيد بن جدعان، كان يغالي في التشيع والرفض معا، فلا يقبل منه ما روى في خصومه، هذا إذا كان ثقة، فكيف وهو ضعيف! .

وله طريق ثان:

رواه ابن عدي في "الكامل" (6/422)، (7/83)، من وجهين، عن مجالد، عن أبي الوداك، عنه مرفوعا.

قلت: مجالد (هو ابن سعيد)، ضعيف. وذكر الأشج أنه شيعي.

وقال ابن الجوزي في"الموضوعات" (2/26)، قال بعض الحفاظ: سرق مجالد هذا الحديث من عمرو بن عبيد فحدث به عن أبي الوداك.

3- أما حديث جابر بن عبد الله:

فرواه ابن عدي أيضا في "الكامل" (3/419)، في ترجمة سفيان بن محمد الفزاري، عن منصور بن سلمة، عن سليمان بن بلال، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عنه مرفوعا.

قلت: سفيان بن محمد الفزاري، متهم بالوضع وسرقة الحديث.

قال ابن عدي: ولسفيان بن محمد غير ما ذكرت من الأحاديث ما لم يتابعه الثقات عليه، وفي أحاديثه موضوعات وسرقات من قوم ثقات وفي أسانيد ما يرويه تبديل قوم ببدل قوم واتصال الأسانيد، وهو بين الضعف.

4- أما حديث سهل بن حنيف: =

=فرواه ابن عدي في "الكامل"(112/6)، عن علي بن سعيد، ثنا الحسين بن عيسى الرازي، ثنا سلمة بن الفضل، ثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي أمامة بن سهل ابن حنيف، عنه مرفوعا.

قلت: وهذا إسناد تالف، وله ثلاث علل:

الأولى: علي بن سعيد الرازي شيخ ابن عدي، وإن كان حافظا رحالا، فإن الدارقطني اتهمه في دينه، وقال: ليس في حديثه بذاك.

الثانية: ضعف سلمة بن الفضل وسوء مذهبه، كان يتشيع، قال ابن المديني: ما خرجنا من الري حتى رمينا بحديث سلمة، وقال البخاري: عنده مناكير، وقال أبو زرعة: كان أهل الري لا يرغبون فيه لسوء رأيه، وظلم فيه، وقال الحافظ: هو صدوق كثير الخطأ.

الثالثة: عنعنة ابن إسحاق، مشهور بالتدليس عن الضعفاء، والمجاهيل، فلا يقبل من حديثه إلا ما صرح فيه بالتحديث.

قال ابن عدي: وهذا بهذا الإسناد لم أكتبه إلا عن علي بن سعيد ولمحمد بن إسحاق حديث كثير وقد روى عنه أئمة الناس... وقد فتشت أحاديثه الكثيرة فلم أجد في أحاديثه ما يتهيأ أن يقطع عليه بالضعف وربما أخطأ أو وهم في الشيء كما يخطئ غيره و لم يتخلف عنه في الرواية عنه الثقات والأئمة وهو لا بأس به.

5- أما حديث جماعة من أهل بدر:

فرواه ابن عدي في "الكامل" (419/3)، بسند حديث جابر بن عبد الله المتقدم، إلا أن فيه عن جعفر بن محمد، عن جماعة من أهل بدر، بدل أبيه.

قال ابن طاهر كما في "اللآلئ" (425/1)، جعفر وأبوه لم يدركا أحدا من الصحابة المتأخرين فكيف بأهل بدر.

قلت: وهذه العلة كافية لاتهام سفيان بن محمد الفزاري بالوضع.

6- أما حديث الحسن البصري:

فرواه العقيلي في "الضعفاء" (280/3)، وابن عدي في "الكامل" (5/98-101-103)، والخطيب في "تاريخ بغداد" (181/12)، ومن طريقه ابن الجوزي في "الموضوعات" (25/2)، من طرق عن حماد بن زيد، عن عمرو بن عبيد، عنه مرسلا. =

= قال حماد بن زيد، قيل لأيوب (السختياني)، إن عمرو بن عبيد يروي عن الحسن أن رسول اللهﷺ قال: وذكر الحديث، فقال: كذب عمرو بن عبيد.

وعن حماد بن سلمة قال: قال لي حميد: لا تأخذ عن هذا شيئا فإنه يكذب على الحسن، وقال خالد بن خداش عن بكر بن حمران: كنا عند ابن عون فسأله إنسان عن مسألة، فقال: ما أدري، فقال الرجل: عمرو بن عبيد يكذب على الحسن.

قلت: ونتيجة البحث أن الحديث بكل هذه الطرق والشواهد موضوع، ولا ينبغي أن يوصف بمثل هذا الكلام رجل كمعاوية، وهو كاتب وحي النبي ﷺ، قبح الله التعصب الذي يؤدي بأصحابه إلى الكذب على رسول الله ﷺ، وتقويله ما لم يقل.

(**تنبيه**): هذا الحديث مما أورده أحمد بن الصديق الغماري في "جؤنة العطار" (39/1) -زاعما أنه صحيح- قائلا: روى أبو سعيد الخدري عن النبيﷺ أنه قال: وذكر حديث الباب، قال أحمد بن الصديق -وبئس ما قال- فقامت قيامة النواصب (كذا) وشرعوا في الاحتيال لرد هذا الحديث كما فعلوا في غيره فادعى بعضهم أنه محرف وأن صوابه فاقبلوه بالباء الموحدة، وأما أبو بكر بن أبي داود فأقره على روايته بالتاء المثناة من فوق ولكنه قال: هو معاوية بن تابوت رأس المنافقين حلف بالله أن يتغوط فوق المنبر، وأشهد بالله أن هذا لكذب من ابن أبي داود فإنه مشهور بالنصب وبالكذب معا وقد كان والده صاحب السنن يكذبه ويحذر أصحاب الحديث منه ويقول لهم، إن ابني كذاب فلا ترووا عنه..."اهـ.

قلت: وأشهد بالله أن ابن أبي داود بريء من النصب وأهله ومن الكذب وحزبه، ولذلك لم يلتفت علماء الجرح والتعديل إلى كلام أبيه فيه، فضربوا صفحا عنه ووثقوه، والشيخ أحمد بن الصديق لا يخفى عليه كل هذا وإنما انتزعته عصبية وتشيع عرف بهما.

(**تنبيه**): من المعلوم أن ثمة قاعدة تتردد على ألسنة بعض أهل العلم وكثير من طلبته مفادها أن حكم بلدي الراوي مقدم على حكم غيره جرحا أو تعديلا، فينبغي أن يفهم من ذلك أنها محمولة على الغالب وليست مطردة، ومثال ابن أبي داود مع أبيه شاهد لهذا الاستثناء. إذ لم يأخذوا بجرح أبيه وهو إمام من أئمة هذا الشأن من جهة، وأكثر من مجرد بلديه من جهة أخرى.

فمثل هذا الحديث عندما يقف أمامه غير متخصص -والمتخصصون في الحديث خاصة كالكبريت الأحمر!- ويرى معاوية مذكورا على هذا النحو، فماذا يكون منه سوى اتباع الأمر النبوي!! بل هاهو أحد كبار المتخصصين وأحد أشهر المحدثين يتورط، وينال من معاوية -رضي الله عنه- بمثل هذا الحديث ويتعلق الأمر "بالسيد أحمد بن محمد بن أحمد بن الصديق الغماري" الذي يعترف له المخالف -قبل المؤالف-، بالبروز والتفوق في علوم الحديث، وكتبه دالة على ذلك ومع هذا قال في معاوية بن أبي سفيان وأبيه والحكم بن العاص[1] وسمرة بن جندب[2] وعمرو بن العاص[3]، وعبد الله بن الزبير[4]، ما لا يساوي أمامه ما

---

[1] هو الحكم بن العاص بن بشر (نضر) بن عبد بن دهمان الثقفي أخو عثمان، قال ابن سعد يقال له صحبة وولاه أخوه عثمان البحرين فافتتح فتوحا كثيرة، قال ولما كان أخوه (حفص) على الطائف كتب إليه عمر أقبل واستخلف أخاك. انظر "الإصابة" (28/2).

[2] هو الصحابي الجليل سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، أبو سليمان، قال ابن عبد البر سقط في قدرة مملوءة ماء حارا فكان ذلك تصديقا لقول رسولﷺ له ولأبي هريرة وأبي محذورة "**آخركم موتا في النار**"، فقد جاء في سبب موته غير ما ذكر، قيل مات في آخر خلافة معاوية آخر سنة (59 أو أول سنة 60 هـ)، انظر "تهذيب التهذيب" (432/2) و"الإصابة" (130/3).

[3] هو الصحابي الجليل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي، أمير مصر يكنى أبا عبد الله أمه النابغة من بني عترة، أسلم قبل الفتح، وقيل بين الحديبية وخيبر، من مناقبه أن النبيﷺ أمره غزاة ذات السلاسل، توفي (سنة: 43هـ على الصحيح)، انظر "الإصابة في تمييز الصحابة" (2/5).

[4] هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي، أبوبكر، الصحابي الجليل، كان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة في قريش، هاجرت به أمه حاملا، فولد بعد الهجرة بعشرين شهرا، وقيل:إنه ولد في السنة الأولى من الهجرة وهو الأقرب إلى الصحة وإن=

قال سيد قطب قي معاوية شيئا[1]! ولماذا نذهب بعيدا، هذا الإمام النسائي -رحمه الله تعالى- بعدما ألف كتابه "خصائص علي" طلب منه أهل الشام -وهم من أولياء معاوية وأنصاره ومحبيه خلافا للكوفيين فمعظمهم ينال منه- فقالوا له: "ألا تخرج فضائل معاوية رضي الله عنه؟ فقال:

= كان الأكثر على خلافه، كما قال الحافظ، قتله الحجاج وصلبه بمكة يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادي الأولى سنة (73هـ)، انظر "الإصابة في تمييز الصحابة " (68/4).

[1] فمع أنه وصف بتعظيمه لجناب الصحابة وأقدارهم واعتقاده أن من لم يتفان في تعظيمهم ومحبتهم فلا حظ له في الإسلام لثناء الله تعالى عليهم ولما يعلمه من شدة محبتهم لتعظيم مولانا رسول الله ﷺ، ذلك التعظيم الذي لم يبلغهم ولا يلحقهم فيه كثير ممن جاء بعدهم ولحفظهم هذا الدين القويم والشريعة السمحاء والملة الحقة علينا، وجدهم واجتهادهم في نصرتها ثم تبليغها إلينا فلهم بعد رسول الله ﷺ المنة على كل من جاء بعدهم رضي الله عنهم، (حياة الشيخ أحمد ابن الصديق الغماري ص:2) لعبد الله التليدي، نقلا عن البحر العميق).

فإن تلميذه عبد الله التليدي -الذي غره زهد وعلم شيخه عن كشف بدعته - قال: إنه "كان رضي الله عنه -يعني أحمد بن الصديق- لا يرى ما عليه المقلدة وأذناب النواصب من الترضي على أعداء آل البيت الأطهار والانتصار لهم باطلا وزورا ونفاقا كأمثال معاوية بن أبي سفيان وأبيه والحكم بن العاص وسمرة بن جندب وأضرابهم، بل كان شديدا عليهم لاعنا لهم جهارا منفرا منهم ومن أنصارهم. ولا أدل على ذلك من كلامه الذي تقشعر له جلود الذين آمنوا في معاوية -رضي الله عنه- أنه قال: "ومن تعظيم جنابهم الأقدس وحماهم الأطهر تتريههم عن إدخال المنافقين والفجرة فيهم وعدهم من زمرتهم مثل معاوية وأبيه وابنه والحكم ابن العاص وأقرابهم (!) قبحهم الله ولعنهم" (استغفر الله العظيم لمجرد ذكري لهذا الكلام) ومن عده من جملة الصحابة فقد استهان بهم، أما من سمع لعن النبي ﷺ له وإخباره بأنه يموت على غير ملته وأنه في تابوت من نار مقفل عليه وأمرهﷺ بقتله وأنه هو الذي قتل الحسن بن رسول اللهﷺ ثم عده من المسلمين فهو منافق فاجر مثله مكذب لخبر الله ورسولهﷺ ومزر بالصحابة الأنصار والمهاجرين رضي الله تعالى عنهم أجمعين، اهـ (حياة الشيخ أحمد بن الصديق، ص: 24)، انظر أيضا:" جؤنة العطار في طرف الفوائد ونوادر الأخبار"(39/1-40) لأحمد بن الصديق الغماري.مخطوط.

(!) هذا تصحيف ولعله: "أضرابهم".

أي شيء أخرج؟ حديث: ((**اللهم لا تشبع بطنه**))[1]-[2]، فهجموا عليه ورفسوه بحوافرهم[3]! في بطنه، وكان ذلك سبب موته -رحمه الله تعالى-.
فإذا كان هذا حال الأئمة الكبار، فما بالك بأمثال سيد قطب؟!

---

[1] رواه مسلم (96) في: البر والصلة والآداب(25) باب: من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه، وليس هو أهلا لذلك، كان له زكاة وأجرا ورحمة. بشرح النووي.
قال الشيخ ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى-: قد يستغل بعض الفرق هذا الحديث ليتخذوا منه مطعنا في معاوية -رضي الله عنه-، وليس فيه ما يساعدهم على ذلك، كيف وفيه أنه كان كاتب النبيﷺ ولذلك قال الحافظ ابن عساكر (2/349/16) "إنه أصح ما ورد في فضل معاوية" فالظاهر أن هذا الدعاء منهﷺ غير مقصود، بل هو ما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية كقولهﷺ في بعض نسائه ((**عقرى حلقى**)) و((**تربت يمينك**)) ويمكن أن يكون ذلك منهﷺ بباعث البشرية التي أفصح عنها هو نفسه عليه السلام في أحاديث كثيرة متواترة منها: حديث عائشة رضي الله عنها قالت "دخل على رسول اللهﷺ رجلان، فكلماه بشيء لا أدري ما هو فأغضباه، فلعنهما وسبهما، فلما خرج قلت: ((**يارسول الله ما أصاب من الخير ما أصابه هذان؟ قال: وماذاك؟ قالت: قلت: لعنتهما وسببتهما**، قال:
((**أو ما علمت ما شرطت عليه ربي؟ قلت: اللهم إنما أنا بشر، فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرا**)) رواه مسلم مع الحديث الذي قبله في باب واحد...وقد قال الإمام النووي في شرحه على مسلم (325/2 طبع الهند) "وأما دعاؤهﷺ على معاوية ففيه جوابان:
أحدهما: أنه جرى على اللسان بلا قصد.
والثاني: أنه عقوبة له على تأخره، وقد فهم مسلم رحمه الله من هذا الحديث أن معاوية لم يكن مستحقا للدعاء عليه، فلهذا أدخله في هذا الباب، وجعله غيره من مناقب معاوية لأنه يصير في الحقيقة دعاء له". اهـ
(سلسلة الأحاديث الصحيحة: 121/1.رقم:82).
[2] "تهذيب الكمال" (151/1) ترجمة الإمام النسائي.
[3] فهي حوافر لا أقدام مادامت تطاولت على ذلك الإمام الجليل.

وفي نحو هذا قال الذهبي:" ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم وما هو ببريء من الهنات، والله يعفو عنه" (159/3). السير، وقال: "ليته لم يعهد بالأمر إلى ابنه يزيد، وترك الأمة من اختياره لهم" (158/3) السير، وقال: "وخلف معاوية خلق كثير يحبونه ويتغالون فيه ويفضلونه، إما قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء، وإما قد ولدوا في الشام على حبه، وتربى أولادهم على ذلك وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة، وعدد كثير من التابعين والفضلاء، وحاربوا معه أهل العراق، ونشأوا على النصب نعوذ بالله من الهوى، كما قد نشأ جيش علي رضي الله عنه، ورعيته -إلا الخوارج- على حبه والقيام معه، وبغض من بغى عليه والتبري منهم وغلا خلق منهم في التشيع، فبالله كيف يكون حال من نشأ في إقليم، لا يكاد يشاهد فيه إلا غاليا في الحب، مفرطا في البغض، ومن أين يقع له الإنصاف والاعتدال؟ (128/3)، السير.

ثانيا: ثم إن سيد قطب كان حريصا على عرض الإسلام العرض المناسب الذي يكمم أفواه المتقولين عليه الذين ينسبون إليه أخطاء حصلت في التاريخ، سواء صحت أم لم تصح، فمن أين له ولهم أن يعرف السليم من السقيم؟!

عندئذ حاول سيد قطب أن يبرئ الإسلام من تلك الأخطاء، ويبين أن مرتكبيها ارتكبوها لضعفهم البشري أو بانحرافهم عن الإسلام، وليس بوحي منه أو اتباعا لأوامره، ولقد صرح سيد قطب بهذا بوضوح في الرد الذي رد به على الأستاذ محمود شاكر -رحمه الله تعالى- حين قال: وأحسب لقد كان بنفسي وأنا أعرض النظام الاجتماعي في الإسلام أن أقول شيئا كالذي قاله مولى رسول الله ﷺ[1]. لا عداء شخصيا لبني أمية، ولكن تبرئة للإسلام من أن تحسب عليه سياسة لا يعرفها:

---

[1] واسمه سفينة حيث قال: قال رسول الله ﷺ: **((الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملكا بعد ذلك))**. رواه أحمد (220/5-221)، وأبو داود (4646-4647) في: السنة، (9) باب: في الخلفاء، والترمذي (2226) في: الفتن، (48)، باب: ما جاء في الخلافة، وابن الجعد في=

لا في الحكم ولا في المال، والإسلام منها بريء، فيجـــب أن يعــرف النـــاس براءته.."[1].

فهذا الدافع الطيب أوقع سيد قطب عندما نظر إلى أحداث التاريخ المتضاربة فيمـــا وقع فيه من نيل من معاوية وذويه.

ثالثا: "ذكر سيد قطب في شرح سورة الحديد ما بذلت الحفنة المصطفـــاة مـــن السابقين من المهاجرين والأنصار" من تضحيات في ساعة العسرة ووقت الشـــدة، ونوه ببطولاتهم عندئذ ذكر ما رواه أحمد -رحمه الله تعالى- من حديث أنس[2] قال:

="المسند" (ص:479)، والحـــاكم (3/71و145)، وابـــن حبـــان (6657)، مـــن طـــرق عـــن سعيد ابـــن جمهان، عن سفينة مرفوعا.

قال أبو عيسى الترمذي: وفي الباب عن عمر وعلي قالا: **(لم يعهد النـــبيﷺ في الخلافـــة شيئا)**، وهذا حديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان ولا نعرفه إلا من حديـــث سعيد بن جمهان.

قلت: وهذا إسناد حسن، سعيد بن جمهان مختلف فيه.

وله شاهد من حديث أبي بكرة الثقفي:

رواه أحمد (5/44)، وأبوداود (4635) في: السنة (9) باب: في الخلفاء، عن حمـــاد بـــن سلمة، عن علي بن زيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، مرفوعا، نحوه.

ولفظه: ((**خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء**)).

قلت: وهذا إسناد ضعيف، فيه علي بن زيد وهو ابن جدعان، وهو ضعيف لكن يشـــهد لـــه الحديث الذي قبله، والله أعلم.

[1] مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ (ص:29-30).

[2] الصحابي الجليل، أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عـــامر ابن غنم بن عدي بن النجار أبو حمزة الأنصاري الخزرجي.. خـــادم رســـول اللهﷺ وأحـــد المكثرين من الرواية، مناقبه وفضائله كثيرة جدا. قيل: إنه توفي سنة: (90 وقيل سنة: 91 وقيل 92 وقيل 93 هـــــ) انظر "الإصابة" (1/71) للحافظ ابن حجر.

"كان بين خالد بن الوليد[1] وعبد الرحمن بن عوف[2] كلام فقال خالد لعبد الرحمــن تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها! فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي ﷺ فقال **((دعــوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد –أو مثل الجبل– ذهبا ما بلغتم أعمالهم))**[3] ثم علق سيد قطب قائلا[4]:

"يتحدد من هذا الحديــث معنى معين لأصحاب الرسولﷺ –الذين تكرر تحذيــره بشأنهم– فهم أولئك السابقون، وقد كان يقول للمسلمين حوله وممــن صــاحبوه **"دعوا لي أصحابي"** فدل على أنهﷺ يعني صحبة خاصة...وكذلك قال مرة عــن الصديق[5] –رضي الله عنه– **((فهل أنتم تاركوا لي صاحبي))**[6]! فانطلاق سيد مــن

---

[1] هو الصحابي الجليل وسيف الله المسلول خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بــن مخزوم القرشي المخزومي أبو سليمان، أمه لبابة الصغرى، توفي سنة سبع بعد خيبر وقيل قبلـها. انظر "الإصابة" (98/2).

[2] الصحابي الجليل، عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كــلاب القرشي الزهري، أبو محمد، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، توفي سنة: (32هــــ) وله اثنــين وسبعين سنة، انظر "الإصابة" (176/4).

[3] سبق بمعناه في (ص: 104) فانظره هناك.

[4] "الظلال" (3484/6/هــــ1).

[5] هو الصحابي الجليل والخليفة الأول لرسول اللهﷺ عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بــن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي، أبو بكر الصديــق بــن أبي قحافة، مناقبه –رضي الله عنه– لا تحصى، توفي في المحرم سنة (14هــــ)، انظر "الإصابــــة" (101/4)، وقد أطنب ابن عساكر في ترجمته في تاريخه فجاءت في مجلد كامل.

[6] رواه البخاري (3661) في فضائل أصحاب النبي ﷺ (5) باب: قول النبيﷺ: لـــو كنــت متخذا خليلا.

هذا التعريف الضيق للصحابي جعله ينظر إلى معاوية -وهو ليس من السابقين- بما لا يناسبه في نظر من وسع تعريف الصحابة، فبنى خطأ على خطأ!

رابعا: ومع أن سيد قطب اختار رأيا معينا في تعريف الصحابي، فإنه عاد وسحب عبارات كثيرة كانت في الطبعات الأولى من كتاب العدالة الاجتماعية، وبعض ما لم يسحبه عدله وخفف من حدته، وهذا الاعتراف يحسب له ويشاد به، ومن يدري لعله لو فسح الله أجله لأدرك الخطأ الذي انطلق منه، ورجع عن كل ذلك؟! فالرجل كان على خلق كما تشهد بذلك رسالته التي كتبها إلى الأستاذ البيومي، عقب النقد الذي تلقاه من محمود شاكر -رحم الله الجميع- فرغم أن خطاب الأستاذ شاكر اتسم بقسوة عليه، بلغت حد اتهامه برغبة "قاصدة في إفساد الإسلام، وسوء نية في تدنيس المسلمين" نجد سيدا يصفه "بالأستاذ" ويقول "ظن أخونا شاكر" بل ويقول "وما كان لي إلا أن أدعو الله لصديقنا شاكر بالشفاء والعافية والراحة مما يعاني ويصفه "بالكاتب الفاضل"[1] وكل هذا ينم عن نفس شفافة وروح مؤدبة تحسب للرجل، فكيف لو اعتقد أن كلامه الذي قاله في "صحابي"[2] فلا شك يشطب عليه والله أعلم.

إلى هنا نكون قد أتينا إلى نهاية ما أردنا من هذا الفصل، قبل الدخول مع الدكتور فيما أودعه من طعون بالغ في بعضها، وأحيا البعض من رمسها، مرتكبا في ذلك جملة من الأخطاء المنهجية، ولولاها لما وجد كثير شيء يذكره في هذا الموضوع، وكان يكفيه جملة أو فقرة على الأكثر يبين فيها أن سيدا أخطأ حين تناول معاوية خاصة بما لا يناسب مقامه وليس إلا.

أما وأن الدكتور لم يقنع بهذا، فإنه تمادى في منهجه الذي ازدحمت فيه الأخطاء العامة والخاصة، وبدورنا سوف نقف عند كل نوع من هذه الأخطاء، وقفات

---

[1] انظر "مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ" (ص: 26-30).

[2] بالاصطلاح العام.

تمثيل وإشارة لا وقفات إحصاء واستغراق، وإلا لطال بنا الكلام وتجاوزنا الحد الذي خصصناه لهذا المقام!

أخطاء الدكتور المنهجية:

مع أننا ذكرنا بعض هذه الأخطاء في الباب الأول سوف نزيد بعضها توضيحا وبيانا لما نحن في صدده، كما أنه سيتم من خلال الجديد والمزيد من الأمثلة ما يبين صواب ما وجه للدكتور من نقد يتعلق بالمنهج.

أولا: إيراد كلام سيد قطب المنسوخ:

إن أي كاتب عند مراجعة ما كتب تبدو له أشياء، وتجد عليه أمور، ويرجع عن أشياء يبدو له فيها وجه الصواب، وكل ذلك يسجله في ما يجد من طبعات ولم نذهب بعيدا فهذا الدكتور نفسه، يعتذر عن نفسه فيما انتقده فيه صاحب "المعيار"[1] فيقول: "فقد يقع العالم في الأخطاء والمخالفات الكثيرة للكتاب والسنة، فضلا عن الأخطاء اللغوية والإملائية"[2] ثم يشير إلى أنه صحح أثناء تدريسه كتاب النكت كثيرا من الأخطاء، ونحو ذلك من الأمور، وإذا كان الأمر كذلك يا دكتور، وأنت تبحث في صميم دراستك، وبين الفترة التي كتبت فيها، والتي كتب فيها سيد عقود من الزمن، سهلت فيها البحوث كثيرا حتى باتت الشهادات توزع "مجانا" في كثير من الأحيان ومع هذا تجد لنفسك الأعذار، فسيد قطب أحق منك بهذا!!

وإذا كنت تعيب على صاحب المعيار انتقاده لك في أمور صححتها أثناء تدريسك، ولم تنشرها في طبعة جديدة، فأنت أولى بالملام عندما تنتقد سيدا بناء على ما ورد في الطبعة الخامسة، وبين يديك الطبعة الجديدة المصححة! أم تراك أنت

---

[1] الذي لا نعرف عنه شيئا، لأننا لم نطلع على الكتاب.

[2] "بيان فساد المعيار" (ص:24).

الذي يحدد ما يجوز الاعتذار فيه وما لا يجوز، وأنت الذي يقرر من يعتذر عنه ومن لا يعتذر عنه؟!

ولذلك فاعتماد الدكتور للنيل من سيد قطب على الطبعة الخامسة -وإن كانت لا قيمة لها عند العقلاء ولا وزن لها عند العلماء- فهو في نفس الوقت دليل على مبلغ التحامل الذي بلغ بالدكتور مبلغ الجنون! لأن العاقل لا يقول المرء قولا مسحه ونسخه بأخرة، فمثلا كان سيد قطب كتب عبارة جافية لا تناسب مقام عثمان -رضي الله عنه- عندما اعتبر "خلافة علي امتدادا طبيعيا لخلافة الشيخين قبله، وإن عهد عثمان كان فجوة بينهما"[1] ثم عاد فحذفها رغم أن الذي يطالع السياق الذي أوردها فيه، لا يفهم -إن أحسن الظن به- أنه يريد النيل من ذي النورين، بل هو يجله ويقدره كما سيأتي قريبا -إن شاء الله تعالى- ومع ذلك حذفها وأثبتها الدكتور عنوة في أضوائه. بل جعلها أول مؤاخذاته على سيد قطب. إن هذا المنهج إذا كان هو الذيّ يدرسه الدكتور لطلبته فهو لا يسحب المصداقية منه فحسب، بل من المؤسسة التي تعلم عنه ذلك وتقره على عمله!

وكذلك فإن الدكتور أحال على الطبعة الخامسة في اتهاماته الثاني والثالث والرابع وغيرها كما لو أنه يقول لسيد مهما رجعت عن كلامك، ونسخت من أقوالك، فأنا أدينك بكل ذلك! ثم إن الدكتور إذا أحال على النسخة المصححة فهو يحن إلى النسخة غير المصححة، بل يختار اللفظ الذي تضمنته بدعوى أن المعنى الوارد فيهما واحد لا غير!

من ذلك قوله في اتهامه السابع: "ويمدح -أي سيد- الثورة على عثمان، ويرى أنها أقرب إلى روح الإسلام من موقف عثمان أو من موقف عثمان ومن ورائه

---

[1] "العدالة الاجتماعية في الإسلام" (ص: 206/ الطبعة الخامسة) نقلا عن "الأضواء" (ص: 32).

أمية"[1] ثم أحال على الطبعة الخامسة وزعم أن معناه في الطبعة الثانية عشرة، الـــتي فيها:

وأخيرا ثارت الثائرة على عثمان، واختلط فيها الحق بالباطل، والخـــير بالشـــر، ولكن لا بـــد لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام، ويستشعر الأمور بروح الإســلام، أن يقرر أن تلك الثورة في عمومها كانت فورة من روح الإســـلام؛ وذلـــك دون إغفال لما كان وراءها من كيد اليهودي ابن سبإ عليه لعنة الله!

واعتذارنا لعثمان –رضي الله عنه–: "أن الخلافة قد جاءت إليه متأخرة، فكـانت العصبة الأموية حوله وهو يدلف إلى الثمانين..الخ "[2]. فأين قال سيد هنا: إن الثوار ومن ورائهم –ابن سبإ– أقرب إلى روح الإسلام من عثمان، إن قوله: إن الثـــورة كانت في عمومها فورة من روح الإسلام يعني بذلك مناهضة المظاهر السلبية الـــتي حدثت في عهد عثمان والتي لا يجهلها أحد، ولكن عثمان –رضي الله عنه– بـــريء منها، واعتذر عنه سيد أنها وقعت مع ذلك في عهده بسبب العصبة الأموية وحالـــة الشيخوخة التي بلغها، أما اتهام الدكتور فهو يعني أن عثمان في نظر سيد مشارك في الانحراف عن روح الإسلام، فتأمل هذا الحرص على إيقاع العيوب بالآخرين! ومـــن ذلك أيضا الاتهام الثاني عشر الذي كتبه بحروف بارزة أنها المحنة الحقة ثم أورد نـــص سيد قطب المعدوم، إنها "المحنة حقا أن عليا لم يكن ثالث الخلفاء! جاء علي لـــيرد التصور الإسلامي.." وأبدله سيد قطب بقوله: "فلما أن جـــاء علـــي –كـــرم الله وجهه– لم يكن من اليسير أن يرد الأمر إلى نصابه..جاء علي ليرد التصـــور.. الخ" فالعنوان الذي كتبه الدكتور بأحرف بارزة لا وجود له في النص المصحح، أهـــذا هو المنهج يا دكتور؟!

---

[1] "الأضواء" (ص:34).

[2] "العدالة الاجتماعية في الإسلام" (ص: 160 و161/ الطبعة الثانية عشرة).

ثانيا: سوء الظن:

وهو المرض الذي يعاني منه الدكتور كثيرا، مما جعله لا يقرأ لسيد قطب حسنة، بل يقرأ حسناته سيئات، ويرى إيجابياته موبقات، كما سيتبين في معظم الفصول -إن شاء الله تعالى-. وسوء الظن يجعل الدكتور يركب الصعب والذلول للنيل منه، ويسلك الصواب والخطأ، ويحتج بالسليم والسقيم للنهوض بواجبه الذي حتمه الله عليه! لقد جاء في "الأضواء":

"حدثنا الفزاري[1]، عن صفوان بن عمرو[2]: قال حدثنا حوشب بن سيف[3]! قال: غزا الناس في زمان معاوية، وعليهم عبد الرحمن بن خالد[4]، فغل

---

[1] هو الإمام الحجة شيخ الإسلام، إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن ابن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤية، أبو إسحاق الفزاري الكوفي، أحد الأئمة الأعلام، صاحب السير، توفي سنة (186هـ، وقيل سنة: 185هـ، وقيل سنة: 188هـ)، انظر "تهذيب الكمال" (1/403)، و"تذكرة الحفاظ" (1/273).

[2] صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي، أبو عمرو الحمصي، وأمه أم الهجرس بنت عوسجة ابن أبي ثوبان المقرائي، توفي سنة: (155هـ)، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة، وأدرك خلافة عبد الملك، انظر "تهذيب الكمال" (9/120).

[3] حوشب بن سيف، أبو هبيرة، ويقال: أبو روح السكسكي، الشامي، ويقال: المعافري الحمصي، انظر "التاريخ الكبير" (3/100)، للبخاري، و"الجرح والتعديل" (3/280)، و"تاريخ دمشق" (15/339).

[4] هو عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، قال ابن منده: له رؤية، وقال ابن السكن: يقال له صحبة، وذكره ابن سميع وابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة، أمه أسماء بنت أسد بن مدرك الخثعمي، مات سنة: (46هـ) قتله ابن أثال النصراني بحمص، انظر "الإصابة في تمييز الصحابة" (5/68)، و"تاريخ دمشق" (34/324).

رجل من المسلمين مائة دينار رومية، فلما قفل الجيش؛ ندم الرجل، فأتى عبد الرحمن بن خالد فأخبره خبره، وسأله أن يقبلها منه، فأبى وقال: قد تفرق الجيش، فلن أقبلها منك حتى تأتي بها يوم القيامة. فجعل يستقرئ أصحاب النبيﷺ يسألهم فيقولون مثل ذلك. فلما قدم دمشق على معاوية، فذكر ذلك له، فقال له مثل ذلك، فخرج من عنده وهو يبكي ويسترحم، فمر بعبد الله بن الشاعر السكسكي،[1] فقال: ما يبكيك؟ فذكر له أمره، فقال: أمطيعي أنت يا عبد الله؟ قال: نعم. قال: فانطلق إلى معاوية فقل: اقبل مني خمسك، فادفع إليه عشرين دينارا، وانظر إلى الثمانين الباقية، فتصدق بها عن ذلك الجيش؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده، وهو أعلم بأسمائهم ومكانهم.

ففعل الرجل، فقال معاوية: لأن أكون أفتيته بها أحب إلي من كل شئ أملكه، أحسن الرجل[2]، ثم قال الدكتور في تخريجه[3]: كتاب "السير" لأبي إسحاق الفزاري (ص: 249) ورواه سعيد بن منصور[4] وابن عبد البر في "التمهيد" (24/2) باختلاف يسير". هذه هي الصورة المشرقة التي حرص الدكتور أن يضرب بها وجه سيد قطب، ويوبخه على ما بدر منه في حق معاوية، ولنا -جوابا على هذا- أمور:

أولا: متى حدثك الفزاري يا دكتور؟!

---

[1] عبد الله بن الشاعر السكسكي، قال ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (138/29): كان بدمشق وأظنه من أهل حمص، روى عن حوشب بن سيف قوله في الغلول إذا تفرق الجيش، وهو في "التاريخ الكبير" (117/5) للإمام البخاري.

[2] "الأضواء" : (ص:53).

[3] "نفسه" (هـ:1).

[4] هو الإمام الحافظ، صاحب المصنفات، سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، أبو عثمان المروزي ويقال الطالقاني، أحد أئمة الحديث، توفي سنة: (279 هـ). انظر "تهذيب الكمال" (305/7).

لقد توفي سنة: (186هـ) كما في الكاشف للذهبي وقيل سنة: (188هـ) كما في تهذيب الكمال وتاريخ بغداد، كيفما كان الحال فبينك وبينه قرون وقرون!

وهل نقاضيك إلى منهجك في النقد فنقول انظروا إلى هذا الكذاب الذي لا يستحيي فيزعم أنه من تلاميذ إبراهيم بن محمد بن الحارث، أبي إسحاق الفزاري الإمام العلم صاحب "السيرة في الأخبار والأحاديث"؟

أم نقاضيك إلى منهج أهل العدل والإنصاف! فنقول أخطأت في طريقة العزو و لم تنتبه؟! كيفما كان الحال، فقد عماك عن الصواب حرصك وجدك في الإساءة إلى سيد قطب فأسأت إلى نفسك، وإلى الشيوخ -الذين تتترس بأسمائهم- إن علموا بهذا منك.

ثانيا: ثم مالك ولذكر الإسناد، لا سيما وأنت لم تتكلم عليه بشيء[1]، مع أنه كان ينبغي عليك أن تقف عنده قبل أن تستدل بالقصة على ما تريد، أتعيب على غيرك "ما تبيحه لنفسك"؟! آه، نسيت فأنت الحكم والخصم!

ثالثا: حوشب بن سيف من وثقه ممن يعتد بتوثيقه؟! العجلي[2]، وابن حبان وهما معروفان عند أهل العلم، بل ذكر البخاري[3] وابن أبي حاتم[4]،

---

[1] أليس لك في شيخك الألباني قدوة؟! إنه -رحمه الله تعالى- لا يمر على سند دون أن يوقع حكمه عليه، ويبذل جهده فيه، وهي خصلة تذكر للشيخ ويشكر عليها، ولا يعرف قدرها إلا من يعاني متاعب التخريج وصعوباته، فجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء، ونفع بعلمه وقد فعل والحمد لله.

[2] هو الإمام الحافظ القدوة، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي نزيل طرابلس المغرب، ولد سنة: (182هـ) وتوفي سنة: (261هـ)، انظر "تذكرة الحفاظ" (560/2).

[3] "التاريخ الكبير" (100/3).

[4] "الجرح والتعديل" (280/3).

وابن عساكر،[1]-[2] أنه روى عنـــه صفـــوان بن عمرو الذي في هذا الإسناد وشداد ابن الأفلح أو ابن أفلح[3] وهو نفسه في حاجة إلى أن ترفع جهالته، فكيـــف يرفـــع جهالة غيره، لكن كل ذلك يجوز في نظر الدكتور، فما دام الهدف إصابـــة ســـيد قطب فليتحالف مع الشيطان.

رابعا: قول الدكتور: و"رواه سعيد بن منصور، أين رواه[4]؟! أم هو الآخر مـــن شيوخك فأعلمنا بذاك؟! ثم إن كنت اطلعت على ذلك بنفسك -وهو ما نشـــك فيه- فهلا ذكرت لنا الصفحة والجزء، وإن كنت اطلعت عليه من كتاب غـــيرك، فما بالك لم تذكره، فهذه سرقة علمية!

خامسا: وقولك: "وابن عبد البر في "التمهيد" (24/2) باختلاف يسير"، غلط يا دكتور، لأن ابن عبد البر لم يرو هذه القصة بالسند الذي ذكرته، بل لا يشترك مـــا رواه ابن عبد البر مع ما رواه الفزاري في أي راو، بل حتى الأسماء المذكورة في المتن مختلفة، لا قاسم يجمعها ســـوى اســـم معاويـــة -رضي الله عنه- فسند ابن عبـــد

---

[1] -هو الإمام الحافظ الكبير محدث الشام فخر الأئمة ثقة الدين، أبو القاسم علي ابن الحســـن ابن هبة الله بن عبد الله بن الحسن الدمشقي، صاحب التصانيف، والتأريخ الكبير،ولد ســـنة: (499 هـــ)، وتوفي سنة: (571هـــ)، انظر "تذكرة الحفاظ" (1328/4) للذهبي.

[2] "تاريخ دمشق" (339/15).

[3] شداد بن الأفلح المقرئي، من أهل الشام، له ترجمة في "التاريخ الكبير" (228/4)، و"الجـــرح والتعديل" (331/4)، لابن أبي حاتم، و"ثقات ابن حبان" (358/4).

[4] رواه في "سننه" (2732). في الجهاد، باب: ما جاء فيمن غل وندم. قال: حدثنا عبد الله بـــن المبارك عن صفوان بن عمرو، عن حوشب بن سيف قال: **(غزا الناس الروم وعليهم عبـــد الرحمن بن خالد بن الوليد فغل رجل مائة دينار)**. وذكر القصة.

البر فيه: "ذكر سنيد[1] حدثنا أبو فضالة[2] عن أزهر بن عبد الله[3] قال: غزا مالك بن عبد الله الخثعمي[4]: الخ القصة، فأنت ترى أن الأسماء الواردة في إسناد الحافظ ابن عبد البر كلها مختلفة، وإذا كان الأمر كذلك فهما حديثان وليس حديثا واحدا حتى تقول ورواه سعيد بن منصور وابن عبد البر، كما هو معروف عند أهل هذا الشأن، ولو كنت تريد إشراكهم جميعا في القصة، كان عليك إسقاط الإسناد كاملا فانتبه.

سادسا: لماذا يا دكتور لم تنتبه للاختلاف الواضح بل التناقض الفاضح في القصة بين الروايتين، فبينما "عليهم عبد الرحمن بن خالد" في رواية الفزاري، نجد مالكا بن عبد الله الخثعمي عند ابن عبد البر، ومع هذا لا تستحي أن تقول بينهما اختلاف يسير يا دكتور!

---

[1] واسمه حسين بن داود المصيصي المحتسب، وسنيد لقب غلب عليه، أبو علي، توفي سنة: (226هـ)، انظر "تهذيب الكمال" (155/8)، و"تهذيب التهذيب" (437/2).

[2] هو فرج بن فضالة بن النعمان التنوخي القضاعي، أبو فضالة الشامي الحمصي، ويقال: الدمشقي، توفي سنة (177هـ) قال الحافظ في "تهذيب التهذيب" (481/4): لا يغتر أحد بالحكاية المروية في توثيقه عن ابن مهدي فإنها من رواية سليمان بن أحمد وهو الواسطي وهو كذاب، وقد قال البخاري: تركه ابن مهدي، وفي "التقريب" (ص:444): ضعيف.

[3] قال الإمام البخاري: أزهر بن عبد الله، وأزهر بن سعيد، وأزهر بن يزيد، الثلاثة واحد، نسبوه مرة مرادي، ومرة حمصي، ومرة هوزني، ومرة حرازي، قال الحافظ في "تهذيب التهذيب" (178/1-179): "فهذا قول إمام أهل الأثر أن أزهر ابن سعيد هو أزهر بن عبد الله، ووافقه جماعة على ذلك، وأما شرح حال أزهر فلم يذكر المزي شيئا منه في الترجمتين وقد قال ابن الجارود في كتاب الضعفاء: كان يسب عليا، توفي سنة: (128 وقيل: 129 هـ). انظر "تهذيب الكمال" (506/1-508)، و"تهذيب التهذيب" (132/1).

[4] مالك بن عبد الله الخزاعي، ويقال الخثعمي، قال البغوي خزاعي سكن الكوفة، وقال البخاري له صحبة "الإصابة في تمييز الصحابة" (26/6).

سابعا: ثم إن في إسناد ابن عبد البر أزهر بن عبد الله -وهو ناصبي-كان يسب عليا -رضي الله عنه- فروايته لما فيه مدح لمعاوية لا تقبل، إلا إذا اعتضدت بما ينفي الريـبة عنها.

ثامنا: الراوي عنه أبو فضالة من هو؟! ليتشرف الدكتور بإخبارنا عنه، ولـه الشكر!

تاسعا: سنيد: ضعيف كما قال الحافظ في "التقريب" مع إمامته ومعرفته، لكونه كان يلقن حجاج بن محمد شيخه[1].

عاشرا: إن الذي غل في القصة تاب إلى الله وأناب، وجـاء إلى أميره ثم إلى معاوية بما سرق فأبى الجميع أن يقبل منه ذلك، فعلى مذهب من هذا يا دكتور؟!

أحد عشر: أردت أن تمدح معاوية -رضي الله عنه- بالباطل فذممته! وصدق من قال: عدوٍ عاقل خير من صديق جاهل!!

وإلا فكيف يعطل حدا من حدود الله؟! إن قلت: إن الحدود لا تقام في الجـهاد، قلنا لك: نعم لكنه رجع إلى أمير المؤمنين، فانتفى ما كان يخشى من هروبه -فـرارا من الحد- إلى بلاد الكفار، وربما إلى دينهم!! والمسروق مائة دينار والقطع يحصـل

---

[1] هو الإمام الحافظ، حجاج بن محمد المصيصي، أبو محمد الأعور، كان ثقة ثبتا، وكان قـد تغير في آخر عمره، توفي سنة: (206هـ)، انظر "تهذيب الكمـال" (164/4)، و"تهذيب التهذيب" (446/1) و"تذكرة الحفاظ" (345/1).

في ربع دينار[1]! وقد علمت أن حد السرقة لم يقبل فيه الرسولﷺ شفاعة أحب الأصحاب إليه[2] فكيف بمن اعترف بما اقترفت يداه؟!

إثنا عشر: المائة دينار التي سرقت ليست للرجل فكيف يقره معاوية- رضي الله عنه- على إبقائها معه وعدم ردها على أصحابها إن عرفوا، أو إلى بيت المال إن جهلوا! كل هذا وغيره من الأخطاء التي تناثرت من قلم الدكتور قاده إليها، وأورده فيها، المنهج السيئ الذي سلكه ليوقع برجل أفضى إلى ربه، وذهب إلى مولاه.

وما علمنا أن الذين يوافقون سيد قطب وينتسبون إلى جماعته جماعة" الإخوان المسلمون"، يشهرون في الناس سب معاوية أو الغض منه، فما الداعي إذن إلى هذا العداء هدانا الله وإياك يا دكتور؟!

---

[1] عن عائشة رضي الله عنها، عن النبيﷺ قال ((**تقطع يد السارق في ربع دينار**)). رواه البخاري (6789 و6790 و6791) في: الحدود، (13) باب: قول الله تعالى: ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ وفي كم تقطع.

[2] عن عائشة -رضي الله عنها- أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول اللهﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة، حب رسول اللهﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول اللهﷺ ((**أتشفع في حد من حدود الله؟**)) **ثم قام فاختطب** ثم قال: ((**إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**)). رواه البخاري (3475) في، أحاديث الأنبياء، (53) باب: حديث الغار، و(6787) في: الحدود، (11) باب: إقامة الحدود على الشريف والوضيع، و(6788) في الحدود (12) باب: كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، واللفظ له، ومسلم (8-9-10-11) في الحدود: (2) باب: قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود. بشرح النووي.

ثالثا: سوء الاستدلال:

ومن العيوب المنهجية التي تجدها عند الدكتور، أنه يسيء التصرف في الأدلة، ولا يحسن اختيار ما يناسب دعواه، وأكثر ذلك عائد إلى عدائه الشديد لسيد قطب، وجهله الأكيد بأصول الاستدلال!

من ذلك ما أورده من نصوص تحت عنوان "**حكم السلف على من**[1] **ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ**[2]" فإنه يلاحظ عليه ما يلي:

أولا: لحوق الوعيد الوارد في النصوص متوقف على أمور عدة، فليس كل من رأيناه متلبسا بما ورد فيه وعيد، قلنا: إنه سيلحقه الوعيد. كلا، بل ذلك متوقف على أمور عدة قد تحول دون لحوق الوعيد، ولقد ضرب شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- لهذه القاعدة مثلا فقال: بعدما ذكر حديث لعن آكل الربا[3]: "إن الذين بلغهم قول النبي ﷺ **((إنما الربا في النسيئة))**[4] فاستحلوا بيع الصاعين بالصاع يدا بيد كابن عباس[1] -رضي الله

[1] الأولى أن يقال "فيمن" وإلا يبقى الكلام ناقصا مثل لو قلت حكمت على زيد، فيبقى السؤال بماذا حكمت عليه؟! أما حكمت فيه: أي أبديت فيه حكما معينا.

[2] "الأضواء" (ص: 54).

[3] عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال **((لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله))**.
رواه مسلم (105) في: المساقاة (19) باب: لعن آكل الربا ومؤكله بشرح النووي. وفي الباب، عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال **((لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء))**.

[4] رواه البخاري (2178-2179)في: البيوع (79) باب: بيع الدينار بالدينار نساء، ومسلم (101-102-104) في: المساقاة (18) باب: بيع الطعام مثلا بمثل. بشرح النووي.

عنه- وأصحابه، أبي الشعثاء[2]، وعطاء[3]، وطاووس[4]، وسعيد بن جبير[5]، وعكرمة[6]؛ وغيرهم من أعيان المكيين الذين هم من صفوة الأمة علما وعملا: لا يحل للمسلم أن يعتقد أن أحدا منهم بعينه أو من قلده بحيث يجوز تقليده: تبلغهم لعنة آكل الربا؛ لأنهم فعلوا ذلك متأولين تأويلا سائغا بالجملة[7]".

---

[1] هو الصحابي الجليل، حبر الأمة وترجمان القرآن، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس المدني، ابن عم رسول الله ﷺ، قيل مات سنة: (68 وقيل 69، وقيل 70هـ) انظر "الإصابة" (90/4).

[2] هو جابر بن زيد الأزدي، اليحمدي، أبو الشعثاء الجوفي، البصري، كان عبد الله بن عباس يقول: هو أحد العلماء. توفي سنة: (103هـ) انظر "تهذيب الكمال" (286/3)، و"تهذيب التهذيب" (347/1).

[3] هو ابن السائب بن مالك، أبو السائب، الكوفي، كان تغير بآخره، وهو ثقة في حديثه القديم. توفي سنة: (136 هـ)، انظر "تهذيب الكمال" (54/13)، و"تهذيب التهذيب" (130/4).

[4] واسمه طاووس بن كيسان اليماني، أبو عبد الرحمن الحميري، من أبناء الفرس، وقيل ليس من أبنائها: كان يعد الحديث حرفا حرفا، توفي سنة: (106هـ). انظر "تهذيب الكمال" (213/9) و"تهذيب التهذيب" (9/3).

[5] هو الإمام الفقيه العابد الفاضل الورع، سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالي مولاهم، أبو محمد، ويقال أبو عبد الله الكوفي، قتله الحجاج سنة (95هـ) وهو ابن تسع وأربعين سنة، ثم مات الحجاج بعده بأيام، انظر "تهذيب الكمال" (142/7)، و"تهذيب التهذيب" (292/2).

[6] هو عكرمة القرشي الهاشمي، أبو عبد الله المدني، مولى عبد الله بن عباس، أصله من البربر من أهل المغرب، توفي سنة: (105 هـ) وله ثمانون سنة، "تهذيب الكمال" (163/13)، و"تهذيب التهذيب" (167/4).

[7] "مجموع الفتاوى" (263/20).

هذه القاعدة الجليلة تشهد تصرفات الدكتور أنه جهلها عمليا حتى ولو كان يعلمها نظريا فإنما ثمرة العلم العمل، كما قال الرجل الصالح الأندلسي[1] لولده وهو يحثه على طلب العلم:

فواظبه وخذ بالجد منه*فإن أعطاكه الله فقد فزت**

وإن أعطيت فيه طول باع*وقال الناس إنك قد علمت**

فلا تأمن سؤال الله عنه*بتوبيخ، علمت فهل عملت؟**

فرأس العلم تقوى الله حقا*وليس بأن يقال قد رؤست**

وما قاله شيخ الإسلام يتناول سيدا، وأمثاله، لاسيما إن لاحت من سيرتهم أمارات الصدق، وعلامات الإخلاص والحب لهذا الدين، فهذا الصنف أولى من تغتفر لهم الهفوات، وقد علمت أن سيد قطب له تعريف خاطئ لتعريف الصحبة[2]

---

[1] هو أبو إسحاق، إبراهيم بن مسعود الألبيري الأندلسي، جاء في " تكملة الصلة" لابن الأبار: كان أبو إسحاق من أهل العلم والعمل شاعرا مجودا. وشعره مدون في الحكم والمواعظ، وقد حدث أبو إسحاق المتوفى نحو سنة: (460 هـ) وروى عنه عبد الواحد بن عيسى، وأبو حفص الألبيريان وغيرهم.

[2] قال الحافظ، وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبيﷺ مؤمنا به ومات على الإسلام فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت ومن روى عنه أو لم يرو ومن غزا معه أو لم يغز ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم يره لعارض كالعمى، اهـ باختصار، "الإصابة" (4/1) و لم يحصر الصحبة في السابقين من المهاجرين والأنصار كما هو مذهب سيد قطب وغيره الخاطئ.

وهو تعريف قديم وليس مبتدعا ونسبه الحافظ العلائي[1] في كتابه " تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة[2] إلى:

سعيد بن المسيب[3] وقال أنه أضيق المذاهب، فمن اعتقد هكذا، ثم تكلم فيمن لا يدخل في تعريفه تحت الصحابة لاشك معذور، بل لعله مأجور، -إن شاء الله تعالى-!

نعم إن هذه القاعدة لا تشمل سوى من لم تلتقي فيه وعليه سهام الجارحين، وتتفق في ذمه أقوالهم، فمن اشتهر عند أهل العلم بالسب والشتم للصحابة، فهذا حكمه غير ما نحن فيه، لأن الدكتور قد يحتج بأنا لو فتحنا هذا الباب لبرئت سلحة كل مبتدع! فنقول كلا! لأن هذا القيد يقطع طريق هذا الاعتراض، ويبقى سيد مشمولا بهذه القاعدة حتى تتفق أقوال أهل العلم في هذا العصر على عده مبتدعا ضالا -وحاشاه وحاشاهم- ودون ذلك خرط القتاد أيها الأستاذ!

لهذا فإن من عيوب منهج الدكتور تجاهل أو جهل هذه القاعدة، لذا تجده في كثير من الفصول، يفصل تهمة معينة على بعض كلام سيد، ثم يذهب ويسرد نصوصا من الكتاب أو السنة تلحق بمقترف التهمة ما تلحق من الوعيد، ثم يعود

---

[1] هو الإمام العالم العلامة الحافظ الناقد المتقن صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي العلائي الشافعي، ولد سنة (694هـ) وتوفي سنة: (761 هـ)، انظر "البداية والنهاية" (153/14).

[2] (ص: 38).

[3] الإمام شيخ الإسلام فقيه المدينة، أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو ابن عائد بن عمران بن مخزوم القرشي، المخزومي، المدني، سيد التابعين، كان يقال ليس أحد أعلم بقضاء عمر وعثمان منه. ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر، وقيل: لأربع سنين. توفي سنة: (94 هـ)، انظر "تهذيب التهذيب" (335/2)، لابن حجر، و"تذكرة الحفاظ" (54/1) للإمام الذهبي.

ليوجه ذلك الوعيد نحو سيد، ضمن عملية إخراج لا يحسنها -والحق يقال- سوى الدكتور! وقد فعل شيئا من هذا في فصله عن أدب سيد مع سيدنا موسى عليه السلام، كما سيأتي نحو هذا التجاهل لهذه القاعدة بحول الله وقوته.

ثانيا: ومن العيوب المنهجية أيضا عدم تحقيق الدكتور للنصوص التي يوردها، ولا نريد بالتحقيق هنا مجرد العزو، أو الحكم عليها صحة وضعفا من حيث الورود، فهذا على أهميته غير كاف حتى يكتمل بتحقيق المضمون لتلك النصوص وإلقاء الأضواء -اللا ربيعية- عليها.

وهذا ما أخل به الدكتور كثيرا، ومن أمثلة ما نحن بصدده نضرب بمثالين اثنين:

المثال الأول:

جاء في "الأضواء[1]" ذكر يحيى بن معين -رحمه الله تعالى- لأحد الرواة بما يلي:

"تليد كذاب: كان يشتم عثمان، وكل من يشتم عثمان أو طلحة أو أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ دجال، لا يكتب عنه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[2]".

وتعليقنا على هذا النص من وجوه:

أولا: ما علاقته بما نحن فيه، فتليد -وهو ابن سليمان- رافضي يشتم أبا بكر وعمر وعثمان، وليس يشتم عثمان وحده يا دكتور، وعمدت إلى ستر شتمه للشيخين لتسهل عليك المقارنة -على بعدها- فهل هذا منهج أهل سنتك، وهذه هي سلفيتك؟! ولو فرضنا أن تليدا هذا يثني على الشيخين، ثم تناول عثمان بالشتم فهل سيد قطب مثله حتى يقاس عليه؟!

هل تقيس تليدا الذي تسلق السطح مؤذنا يشتم عثمان بسيد قطب الذي ما فتئ يترحم ويترضى على عثمان؟! الله يحب الإنصاف يا دكتور هدانا الله وإياك.

---

[1] (ص:55).

[2] أحال الدكتور على تاريخ يحيى بن معين (ص: 66 ترجمة رقم 2670).

- **مكانة عثمان –رضي الله عنه– في نظر سيد قطب.**

جاء في "الظلال"[1] في تفسير سورة "التوبة" "أن رسول اللهﷺ أمر الناس بـــالبذل للجهاد، وحض أهل الغنى على النفقة وحمل المجاهدين الذين لا يجدون ما يركبـــون، فحمل رجال من أهل الغنى محتسبين عند الله، وكان في مقدمة المنفقين المحتســـبين، عثمان بن عفان –رضي الله عنه– فأنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها..قال ابـــن هشام، فحدثني من أثق به أن عثمان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبـــوك ألـــف دينار، فقال رسول اللهﷺ: ((**اللهم ارض عن عثمان فإني عنـــه راض**))[2].

وقـــال عبـــد اللـــــه بـــــن أحمـــــد 3 فـــي مسنـــــد أبيـــــه، عـــن عبـــد الرحمـــــن بـــــن خبـــاب

---

[1] (1723/3-1724).

[2] رواه ابن عدي في "الكامل" (280/1)، وابن عساكر في "تاريخ دمشـــق" (52/39)، مـــن طرق عن إسماعيل بن عبد الملك، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة مرفوعا، وفيه قصة.
قال الهيثمي في "المجمع" (85/9). رواه البزار وإسناده حسن.
قلت: إسماعيل بن عبد الملك، قال الحافظ في "التقريب": صدوق كثير الوهم.
ثم إن للحديث شواهد كثيرة تشهد لصحته، عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وأبي سعيد الخدري، وأبي ذر الغفاري. كما يشهد له الحديث الذي بعده.

[3] هو الإمام الحافظ الحجة. محدث العراق، عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بـــن أسد الشيباني المروزي الأصل البغدادي، أبو عبد الرحمن. ولد أمام العلماء سنة: (213 هـــ) وتوفي في سن أبيه في شهر جمادي الآخرة سنة: (290 هـــ) انظـــر "تهذيـــب التـــهذيب" (95/3) و"تذكـــرة الحفاظ" (665/2) للذهبي.

السلمي[1]، قال: ((**خطب النبيﷺ فحث على جيش العسرة، فقال عثمان بن عفان، علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، قال، ثم نزل مرقاة من المنبر، ثم حث:** فقال عثمان، علي مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها، قال فرأيت رسول اللهﷺ يقول **بيده هكذا يحركها** (وأخرج عبد الصمد[2] يده كالمتعجب): ((**ما على عثمان ما عمل بعد هذا**))[3].

---

[1] هو الصحابي الجليل. عبد الرحمن بن خباب السلمي نزيل البصرة. قيل: إنه لم يرو عن النبيﷺ غير هذا الحديث ، انظر "الإصابة" (156/4).

[2] هو عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي العنبري مولاهم، التنوري، أبو سهل البصري، قال الحافظ في "التقريب": صدوق ثقة في شعبة. توفي سنة: (207 هـ)، وقيل سنة ست. انظر "تهذيب الكمال" (477/11)، و"التقريب" (ص:356).

[3] رواه الترمذي (3701) :في المناقب، (19) باب: مناقب عثمان بن عفان، وابن أبي عاصم (573/2)، والحاكم (102/3)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأبو نعيم في "الحلية" (59/1)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (63/39) من طرق عن عبد الله بن شوذب، عن عبد الله بن القاسم، عن كثير، عن عبد الرحمن بن سمرة مرفوعا.

قلت: وهذا إسناد حسن.

وكثير هو ابن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة، روى عنه أيوب السختياني، وعبد الله بن القاسم، وقتادة، ومنصور بن المعتمر، قال ابن حبان في "الثقات"(332/5): روى عنه قتادة والبصريون. ووثقه العجلي. فهو إن شاء الله حسن الحديث.

وله شاهد من حديث أنس بن مالك:

رواه الطبراني في "الأوسط" (23/3)، قال:حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال، حدثنا زيد بن الحريش قال، حدثنا عمرو بن صالح، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عنه مرفوعا، نحوه.

وقال الطبراني: لم يروه إلا زيد بن الحريش، عن عمرو بن صالح، ولا يروى عن أنس إلا بهذا الإسناد.

فهذه الفقرة وهي تدور حول عثمان الذي هو في نظر سيد قطب في مقدمة المنفقين المحتسبين والذي "أنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها" وقال فيه النبي ﷺ: **((اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض))** وقال: **((ما على عثمان ما عمل بعد هذا))** فيستبعد جدا من رجل يعتقد في عثمان هذا أن يتهم بالتنقيص منه فضلا عن سبه بله أن يكون "أقذع في طعنه" كما قال الدكتور!

ثانيا: قول ابن معين -رحمه الله تعالى- "إن كل من شتم واحدا من أصحاب النبي ﷺ دجال لا يكتب عنه" غير مسلم وكان على الدكتور أن يحقق هذا النص من حيث مضمونه ومعناه، ولا يكتفي بذكر مصدره.

فهذا الإمام البخاري روى عن عمران بن حطان[1] الذي يمدح قاتل علي -لا شاتمه فحسب- عبد الرحمن بن ملجم، ويفتخر بجريمته النكراء قائلا:

=قلت: وزيد بن الحريش مجهول الحال، وشيخه عمرو بن صالح ضعيف، وباقي رجال السند ثقات.

ثم وجدت له شاهدا ثانيا من حديث عبد الرحمن بن خباب السلمي:

رواه أحمد (75/4)، والترمذي (3700) في: المناقب، (19) باب: مناقب عثمان بن عفان، والبخاري في "التاريخ" (246/5)، وابن أبي عاصم (573/2)، وابن سعد في "الطبقات الكبرى" (78/7)، والطبراني في "الأوسط" (426/6)، والبيهقي في "الدلائل" (214/5)، وأبو نعيم في"الحلية"(58/1)، وابن عساكر في"تاريخ دمشق" (39/58-59). كلهم من طرق عن السكن ابن المغيرة، عن الوليد بن أبي هشام، عن فرقد أبي طلحة، عنه مرفوعا.

قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث السكن بن المغيرة، وفي نسخة: هذا حديث حسن، وفي الباب عن عبد الرحمن بن سمرة.

قلت: وهذا إسناد رجاله ثقات، غير فرقد أبي طلحة فهو مجهول العين، لم يرو عنه غير الوليد ابن أبي هشام، قال علي بن المديني: لا أعرفه، كما في "تهذيب التهذيب" (484/4).

لكن الحديث يتقوى بشواهده، فهو حسن إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

[1] هو عمران بن حطان بن ظبيان بن لوذان بن عمرو بن الحارث بن سدوس، السدوسي، أبو السماك، ويقال أبو شهاب، ويقال أبو دلان، ويقال أبو معفس البصري الخارجي. ذكر أبو زكريا الموصلي في تاريخ الموصل عن محمد بن بشر العبدي الموصلي قال: لم يمت عمران بن =

يا ضربة من تقي ما أراد بها * * *إلا لينال من ذي العرش رضوانـــا
إني لأذكـــــره يوما فأحسبه* * *أوفى البرية عند الرحمن ميزانـــــا

وتصرف الأئمة يدل على أنهم لم يأخذوا بكلام يحيى بن معين -على جلالتــــه وإمامته رحمه الله تعالى- ولكن كل يؤخذ من كلامه ويرد عليه وكذلك لم ينعتــوا بالكذاب كل من سب صحابيا، ولذلك لما أورد الذهبي حديثا ضعيفا[1] في ترجمــــة عمران هذا قال: عمران صدوق في نفسه...وقال العجلي: تابعي ثقة وقال أبو داود ليس في أهل الأهواء أصح حديثا من الخوارج فذكر عمران بن حطان.

المثال الثاني:

وفي "الأضواء"[2] أيضا:

"وقال الإمام أحمد:

"من قال: أبو بكر وعمر وعثمان؛ فهو صاحب سنة، ومن قال: أبو بكر وعمـر وعلي وعثمان؛ فهو رافضي (أو قال: مبتدع)".

= حطان حتى رجع عن رأي الخوارج انتهى. قال ابن حبان: كان يميل إلى مذهب الشـــــراة، وقال ابن البرقي: كان حروريا، توفي سنة: (84هـــــ)، انظر "تهذيب الكمـــال" (382/14)، و"تهذيب التهذيب" (397/4).

[1] حديث: **((يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في ثمرة قط))**. رواه أحمد (75/6)، والبخاري في "التاريخ الكبير" (282/4)، وابـــن حبان: (5055)، والطبراني في "الأوسط" (295/3)، والبيهقي في "الكبرى" (96/10)، مـــن طرق، عن عمرو بن العلاء اليشكري قال، حدثني صالح بن سرج، عن عمران بن حطان قال، سمعت عائشة تقول، وذكر عندها القضاة، فقالت: سمعت رسول اللهﷺ يقول: فذكرته.

قلت: وهذا إسناد ضعيف، فيه علتان:

الأولى: عمرو بن العلاء، ووقع في بعض المصادر عمر بن العلاء، وهو تصحيف، روى عنــــه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات" (478/8)، و لم يرد فيه توثيق فهو مجهول الحال.

الثانية: صالح بن سرج، هو الآخر لم يرد فيه توثيق، قال الذهبي في "الميزان" (295/2). حكـى عنه أسلم المنقري. قال أحمد بن حنبل: كان من الخوارج.

وأورده الهيثمي في "المجمع" (192/4)، ونسبه إلى أحمد، وقال: إسناده حسن.

[2] (ص:55).

ثم قال الدكتور في الهامش[1]، "السنة للخلال" (381/2/ أثر رقم 532).

واكتفى بهذا، دون أن يعطي أدنى فكرة عن حكمه على هذه الرواية، وأرسلها إرسال المسلمات كما لو كان عزاها إلى أحد الصحيحين بينما هو عزا إلى كتاب فيه من الروايات الأباطيل والواهيات الشيء الكثير!

ولو رجعنا إلى الكتاب المذكور لوجدنا السند هكذا، قال: "أخبرني علي بن عبد الصمد قال: سمعت هارون الديك يقول: سمعت أحمد بن حنبل، الخ" الكلام.

فهل تعتقد يا دكتور صحة هذا الخبر؟! الظاهر أنك تصححه، لأن الاحتجاج فرع عن التصحيح، فكل ما هو ضعيف لا يحتج به مرفوعا بله مقطوعا، وإذا كنت غير مصحح له فكيف تحتج به، أم أن اتهام سيد مستثنى ويعمل فيه بالضعيف أيضا كما لو كان من فضائل الأعمال[2]؟!

على كل حال، لو سلمنا أن النص صحيح سنده، فهل كل من قدم عليا على عثمان يعد رافضيا أو مبتدعا؟! كان عليك يا دكتور أن تحقق الدعوى التي احتججت لها بهذا النص، فترى ما وجه الصواب فيه فتثني عليه، ووجه الخطأ فترده حتى ولو كان من الإمام أحمد ما دام الكلام ليس كلام محمدﷺ! وقد مر بنا في الفصل الأول اعتراض الذهبي على كلام أحد أئمة هذا الشأن وهو الحافظ الدارقطني، شبيه بكلام الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- بأن تقديم علي ليس رفضا ولا بدعة، والخطب في ذلك يسير، ولكن الدكتور يراه عسيرا، ويحتج لبلوغ مآربه من سيد بكل شيء، نسأل الله المعافاة!

فقد علق على نص لا يدري شيئا عن أحوال رواة سنده، ولم يحقق مضمون متنه بقوله: "فكيف بمن يسقط خلافة عثمان ويقول: إن خلافته فجوة بين الشيخين وعلي"[3] أي إذا كان الإمام أحمد قال -فيما نسب إليه- فيمن قدم عثمان أنه

---

[1] (رقم: 4).

[2] وذلك على مذهب من يرى جواز رواية الحديث الضعيف في فضائل الأعمال. والصحيح أن الضعيف لا يقبل مطلقا وفيما صح أو حسن غنى وكفاية. انظر كلام فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى- في مقدمة تحقيقه لكتاب الترغيب والترهيب للمنذري -رحمه الله- فقد أجاد وأفاد.

[3] الأضواء (ص:55).

رافضي، فماذا يكون حكمه في سيد قطب؟! فالدكتور يبني الباطل على الباطل ليصل إلى الباطل، فلا هو حقق النص الأصلي، ولا صدق في نقله عن سيد قطب لأن سيدا شطب ومحا تلك العبارة، وكونه أشار إلى التجاوزات التي حصلت من غير عثمان أو منه بتأويل سائغ، لا يفيد أنه أسقط خلافته، لذا حرص الدكتور "السلفي" الذي ألف على "منهاج أهل السنة"، حين وجد الطبعة الأخيرة خالية من هذا العيب، عمد إلى استحضار العيب من النسخ البالية المنسوخة، فهنيئا لك يا دكتور!

وما قيل في هذين المثالين، فقله في كثير من النصوص التي يسوقها الدكتور مساق الاحتجاج والاستشهاد. فأين الصدق وحسن الظن والخوف من الله؟!

كن مثل الإمام الذهبي -الذي يخاف الله- فإنه في ترجمة ابن علية[1] الإمام الحجة، الذي بدرت منه هفوة القول بخلق القرآن فرجع عنها، فاعترض على كلام للإمام أحمد فيه وقال: "إمامة إسماعيل وثقته لا نزاع فيها، وقد بدت منه هفوة وتاب، فكان ماذا! إني أخاف الله، لا يكون ذكرنا له من الغيبة[2] رحم الله السلف الصالح حقا وصدقا، لله دره، بينما هو ينافح عنه يخشى أن يكون مغتابا له، مع أنه تعامل معه كما لو لم تبدر منه هفوة أصلا، بل خشي أن تكون حكاية ذلك من الغيبة، بينما الدكتور عنده كلام منسوخ يثبته لسيد وآخر ناسخ يحيد عنه، لأن خشيته من نوع آخر غير خشية الذهبي فمن منكما السلفي؟!

إن الدكتور يلزمه لو ترجم لإسماعيل بن علية أن يقول فيه بعنوان بارز: "**إسماعيل بن علية يقول بخلق القرآن**". لأن النسخ عنده لا يكون إلا للكتاب والسنة، ولكن الدكتور استثنى نفسه، واعتذر عن أخطائه أنه صححها عندما كان يدرس! وعندما يعيد طبع كتابه مصححا من العيوب لا ينبغي الاعتراض عليه بها لأنها في النسخة المنسوخة، بل امتعض من الاعتراض حتى قبل ذلك كما في "فساده!"

---

[1] هو الحافظ الثبت العلامة، أبو بشر إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي مولاهم البصري، أحد الأعلام، وعلية هي أمه، ولد سنة: (110هـ) وتوفي سنة (193 هـ)، انظر "تذكرة الحفاظ" (322/1) للإمام الذهبي.

[2] "الميزان" (220/1).

على كل حال لا نريد أن نسترسل في سرد الأخطاء الكثيرة التي مطـــط بهـــا الدكتور كلامه في خطأ سيد قطب نحو معاوية خاصة، وكان ذكر أبـــا ســفيان وهندا[1] وعمرو بن العاص لكنه -رحمه الله تعالى- رجع عـــن ذلـك في الطبعـة المصححة، وهذا كما قلنا من فضائله أن يتواضع -وهو المشـار إليـه بالبنـان في مقامه- ويعترف بصواب شطب ما شطب، وظننـا بـه -الذي يختلف عن ظن الدكتور طبعا- أنه لو مد الله له الأجل لرجع عن ذكر معاوية -رضـي الله عنـه أيضا- مع أننا عرفنا أن تعريفه للصحبة تعريفا ضيقا -وهو تعريف سبق إليه بعـض الصحابة والتابعين- هو ما جرأه على الكلام على معاوية وهو من مسلمة الفتـح الذين حسن إسلامهم، لولا الروايات الباطلة التي يتعثر فيها من ليست لديه الخـبرة الكافية لغربلتها، وأين لسيد ولأمثاله -وهم كثر- أن يغربلوا مـا تراكـم عليـه الأباطيل كالتي شحن بها صاحب الأغاني كتابه، والكتاب مع هذا تعتمده وتبـني عليه مؤسسات كبرى وتستقي منه بحوثا، سواء كانت تلك المؤسسات غربيـة أم شرقية.

نعم أخطأ سيد قطب، ولكن هذا الخطأ لا يجوز أن نتخذه جسرا نعبر منـه إلى اغتياب الرجل وقد أفضى إلى ربه، لا سيما ولا نعرف حركة إسلامية لا الإخـوان المسلمون ولا غيرهم يطيل كلامه على الصحابة ويعتمد كلام سيد قطب.

ثم إن كثيرا من الرواة الثقات الصالحين، الذين اعتمدهم أئمة الحديث ورجالـه تجدهم قد ينالون من هذا أو ذاك من الصحابة، فنجد العلماء يعتذرون لهم بسـبب أو آخر.

*****

[1] الصحابية الجليلة، هند بنت عتبة بن ربيعة، القرشية العبشمية والـدة معاويـة بـن أبي سفيـان -رضي الله عنهم- أخبارها قبل الإسلام مشهورة، توفيت في خلافة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- "الإصابة في تمييز الصحابة" (205/8).

-نقد الفصل الثالث-
"توحيد العبادة الذي جاء به جميع الأنبياء أضاعه سيد قطب"

"لا إله إلا الله" كلمة طيبة، بل خير كلمة نزل بها كتاب، وجاء بها رسول من عند رب الأرباب! قال عليه الصلاة والسلام: ((**خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له**))[1].

[1] رواه الترمذي (3585)، في الدعوات، باب: في دعاء يوم عرفة، عن حماد بن أبي حميد، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا، وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد، وهو أبو إبراهيم الأنصاري المدني، وليس بالقوي عند أهل الحديث.

وحسنه في بعض الروايات عنه، وهو كذلك باعتبار الشواهد التي تأتي بعده.

الأول: مرسل صحيح، رواه مالك في "الموطأ" (261) في الحج، (81) باب: جامع الحج، عن زياد بن أبي زياد عن طلحة بن عبيد الله بن طلحة بن كريز مرسلا.

الثاني: ما رواه الطبراني في "المناسك" -كما في البداية والنهاية- (193/6)، عن الحسن ابن مثنى بن معاذ العنبري عن عفان بن مسلم، عن قيس بن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن علي مرفوعا.

قلت: وهذا إسناد حسن في الشواهد، رجاله ثقات غير الحسن بن مثنى ذكره ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" و لم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، وقيس بن الربيع سيئ الحفظ.

الثالث: ما رواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (274/9)، بسنده إلى الحميدي أنه قال حدثنا سفيان بن عيينة يوما بحديث النبيﷺ ((**إنه أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي يوم عرفة، لا إله إلا الله وحده لا شريك له**)).

قلت: لكنه معضل.

وخلاصة الكلام: أن الحديث حسن بهذه الشواهد. والله أعلم.

فهذه الكلمة عنوان التوحيد، وأمان الناس يوم الوعيد[1] وفخر المسلم فوق الأرض، وتاجه بين الناس يوم العرض.

---

[1] عن عبد الله بن عمرو، أن النبيﷺ قال: ((**إن الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة. فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول ألك عذر أو حسنة؟ فبهت الرجل، فيقول، لا يا رب! فيقول: بلى إن لك عندي حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة؟ قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم**))، رواه عبد الله بن المبارك في "الزهد" (109/2)، وعنه أحمد (213/2) واللفظ له، والترمذي (2639) في: الإيمان، باب: ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وقال هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (4300) في: الزهد (34) باب: صفة أمة محمدﷺ، والحاكم (529:6/1) وقال هذا على شرط مسلم، وابن حبان (225)، والبغوى في "شرح السنة" (4321)، من طرق عن الليث بن سعد، عن عامر بن يحي، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عنه مرفوعا.

قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال مسلم.

ورواه الآجري في " الشريعة " (ص:384)، من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي،عن عبد الله بن يزيد عنه مرفوعا.

قلت: فيه عبد الرحمن بن زياد وهو ضعيف.

ورواه الترمذي من طريق قتيبة بن سعيد، عن عبد الله بن لهيعة، عن عامر بن يحيى به.

ورواه أحمد (221/2-222)، من طريق ابن لهيعة، عن عمر بن يحي، عن أبي عبد الرحمن الحبلي به.

قلت: قوله "عمرو بن يحي" وهم من أحد الرواة، قد يكون من الناسخ وقد يكون الوهم من القطيعي راوي المسند. انظر المسند: (24/12) بتحقيق العلامة أحمد شاكر -رحمه الله -.=

هذا وأنت لو أردت تلخيص جهاد سيد قطب -رحمه الله تعالى- طيلة حياته، بنفسه وماله، وقلمه ولسانه، لم تجد -لو أنصفت- أحسن من أن تقول: إنه عاش ومات لأجل أن تكون "لا إله إلا الله" هي العليا، هي العليا في العبادة، فلا يعبد إلا الله، وهي العليا في التشريع، فلا يشرع أحد سواه!!

هذه الحقيقة تلمسها لمس اليد متى صاحبت سيدا في حياته، فتجدها في كل كلمة قالها، وكل خطوة مشاها ولو جاز التعبير لقلت كما لو أنها ليلاه وهو قيسها!

وهكذا تجد في "التوحيد الخالص" عند سيد قطب "لا مكان لعبودية إلا لله ولا مكان للاستمداد والتلقي إلا من الله، لا في شريعة أو نظام ولا قانون أو أحكام"!

هذا هو التوحيد الذي عاش وفيا لمعناه، متفننا في شرحه وصياغة معناه، "فلا عبودية إلا لله، ولا تلقي إلا عن الله، فليس إلا لله تكون العبودية، وليس إلا لله تكون الطاعة، وليس إلا عن الله يكون التلقي.. التلقي في التشريع...وإلا فهو الشرك أو الكفر" فالتوجه إلى غير الله شرك والتلقي عن غير الله كفر.

هكذا قال سيد قطب، وهكذا كتب، ولهذا عاش، وفي سبيله مات وحتى آخر أيامه، بعدما رفض الاعتذار إلى من سجنوه ظلما. وحاكموه عدوا، فإنه قال: "إن أصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفا يقر حكم طاغية"[1] فلا تنازل عن حق "لا إله إلا الله" في أي معنى من معانيها ! وكان

=وأما من نسب الوهم لابن لهيعة فقد أخطأ، خصوصا وأن روايته هذه من طريق قتيبة بن سعيد عنه وهي صحيحة، قال أحمد بن حنبل أحاديثك -يعني قتيبة عن ابن لهيعة- صحاح، قال: قلت: لأنا كنا نكتب من كتاب عبد الله بن وهب ثم نسمعه من ابن لهيعة. انظر: "تهذيب الكمال"، (454/10).

والحديث ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (82/10)، وقال: رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح.

[1] "اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر" (ص: 13).

بعد ذلك ما كان! مما عرفه الجميع.. فصل آخر من مسرحية الظلم والطغيان التي يمثلها كثير من الساسة في هذا الزمان!!

وذهب كل إلى حال سبيله و"هم يومئذ عند ربهم يختصمون"!

ثم ماذا؟ مع الأسف جاء هذا الدكتور ليعيد فصول تلك المسرحية، ويقف جنبا إلى جنب مع أبطالها، ويصوب إلى سيد اتهامات أخطر من اتهامات المحكمة العسكرية نفسها!

فإن ظلم أولئك لم يتجاوز إفساد دنياه، واتهمه الدكتور بما -لو ثبت- يفسد دينه ودنياه!! لكن الله برأ سيدا من ذا وذاك، وكان -إن شاء الله- عند الله وجيها!!

وثمة أمر يبرح البال، ويلقي ألف سؤال! كيف استباح هذا الرجل دين سيد وظلمه إلى هذا الحد؟! فأي ظلم أكبر وأخطر من قوله: "أين توحيد العبادة الذي جاء به جميع الأنبياء، الذي هو المعنى الحقيقي الخاص بـ "لا إله إلا الله"؟! ثم أجاب بكل جرأة، وبكل وقاحة: "لقد أضاعه سيد" !!

صه! وكبرت كلمة قلتها! إذا كان سيد قطب ضيع أهم ما نزل على الأنبياء من السماء، فماذا بقي له من دين الأنبياء؟!

نعم كل الأنبياء جاءوا بتوحيد العبادة، لكن هل قال سيد غير هذا يا سيد ربيع؟! أمحوت من عقلك قوله: إن كل الرسل أدركوا حقيقة التوحيد وكلهم بعثوا به وكلهم دعا إلى عبادة الله الواحد، دعا إلى هذه الحقيقة التي تلقاها وأمر أن يبلغها؟! وكم محا الدكتور من عقله من مثل هذه الكلمات! بل ما رأينا له فيما كتب -وليته لم يكتب شيئا- عشر ما لسيد قطب في هذا، ولكنها "الخيانة العلمية" بكتمان الشهادة، ومنهجه الذي يدخل ضمن "منهج أهل السنة في الجرح والتعديل" ! وليس "منهج أهل السنة"، فحاشا منهجهم أن يفتري بكل صفاقة على الأبرياء!! يا للعجب، رجل يقول: إنه تقرر في الضمير وحدانية الاعتقاد، ووحدانية العبادة، ووحدانية الاتجاه، ووحدانية الفاعلية من مبدأ الخلق إلى منتهاه، ويقوم على

هذه الوحدانية منهج كامل في التفكير والشعور والسلوك، وارتباطات الناس بالكون وبسائر الأحياء، وارتباط الناس بعضهم ببعض على أساس وحدانية الإله"، ثم يقول فيه الدكتور ربيع إنه ضيع توحيد العبادة! إن فصول محاكمة سيد قطب فصول أليمة في وجهها الأول، وفي وجهها الثاني، والقاسم المشترك بين العسكريين -أعني عسكري البِدْلَةِ وعسكري الغُطْرَةِ- هو شهادة الزور، والظلم والعدوان! ثم إننا على كل حال نفهم أن يظلمه أناس أقض مضاجعهم بصراحته، وفضح تآمرهم على الشرع في كتبه، رغبوه في دنياهم فاستعصم، وعرضوا عليه المناصب وما استسلم، فلم يكن بد -زعموا- من محاكمته وإسكاته!

هذا ما نفهمه وندركه؛ لكن بأي دافع، ولأي غرض يظلم الدكتور سيدا، ويفتري عليه ويتهمه بضياع أهم خصائص "لا إله إلا الله"؟! هذا ما نود لو أن الدكتور نصح نفسه وصدقها وباح لنا بحقيقة أمره، لأن براءة سيد مما اتهمه به الدكتور أصرح وأوضح من براءته مما اتهمه به قاتلوه، وعسكري البدلة أقل ظلما من عسكري الغطرة، فواعجبا!!

- **كلمات لسيد قطب في" توحيد العبادة" الذي زعم الدكتور أنه ضيعه!**

كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فإن سيدا عاش ومات مع "لا إله إلا الله" وما تقتضيه من معاني، بل جعلها منهج حياة[1]، كما ذكر ذلك في أحد فصول كتاب "معالم في الطريق" آخر كتاب خطه قلمه -رحمه الله تعالى-. لذلك؛ لا يجد القارئ كبير عناء للعثور على كلمات سيد قطب التي تسخر وتهزأ ممن لم يحسن تلفيق التهم!

فمما قرره سيد في هذا الصدد أن "قاعدة هذا الدين على الإطلاق، عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، والميل عن الشرك وأهله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة

---

[1] وهو فصل أعجب به الشيخ ناصر الدين الألباني -رحمه الله- الذي جعلته عباية ترتديها متى شئت وتخلعها متى شئت! أم أن الشيخ هو نفسه شاذ في فهم التوحيد وسلك مسلك الألمان في ذلك، (راجع الشريط رقم: 785).

﴿وذلك دين القيمة﴾"، وهذا إذا لم يكن توحيد العبادة، فليتفضل الدكتور ليعلم الأمة توحيد العبادة، لأن ما قاله سيد، هو نفسه ما قرره شارح "العقيدة الطحاوية" المتفق عليها بين المسلمين، حيث قال: "أن توحيد الإلهية، وهو استحقاقه سبحانه أن يعبد وحده لا شريك له"[1]. وإذا كان كلام سيد قطب موافقا لكلام مسلم به من قبل جمهور المسلمين، فما باله يتهم لوحده؟!

غيري جنى وأنا المعذب فيكم***فكأني سبابة المتندم**

ومما قاله سيد قطب في هذا أيضا -وما أكثر ما قال- إنه يجب" الاتجاه إلى الله وحده بالعبودية والعبادة، فلا يكون إنسان عبدا إلا لله، ولا يتجه بالعبادة إلا لله ولا يلتزم بطاعة إلا طاعة الله"[2].

وعند قوله تعالى ﴿يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره...﴾[3] ﴿ألا تعبدوا إلا الله، إنني لكم منه نذير وبشير...﴾[4] قال رحمه الله تعالى: وواضح اختلاف الصيغتين بين الأمر والنهي فهل مدلولهما واحد؟ إن مدلول الصيغة الأولى: الأمر بعبادة الله، وتقرير أن ليس هناك إله يعبد سواه.. ومدلول الصيغة الثانية: النهي عن عبادة غير الله..

والمدلول الثاني: هو مقتضى المدلول الأول ومفهومه.. ولكن الأول "منطوق" والآخر "مفهوم".. ولقد اقتضت حكمة الله -في بيان هذه الحقيقة الكبيرة- عدم الاكتفاء بالمفهوم، في النهي عن عبادة غير الله، وتقرير هذا النهي، عن طريق منطوق مستقل، وإن كان مفهوما ومتضمنا في الأمر الأول.

إن هذا يعطينا إيحاء عميقا بقيمة تلك الحقيقة، ووزنها في ميزان الله سبحانه، بحيث تستحق ألا توكل إلى المفهوم المتضمن في الأمر بعبادة الله وتقرير أن لا إله

---

[1] "شرح العقيدة الطحاوية" (ص: 78).

[2] "الظلال" (286/1).

[3] (هود/ 84).

[4] (هود/ 2).

يعبد سواه؛ وأن يرد النهي عن عبادة سواه في منطوق مستقل يتضمن النهي بـالنص المباشر لا بالمفهوم المتضمن! ولا بالمقتضى اللازم!

كذلك تعطينا طريقة المنهج القرآني في تقرير تلك الحقيقة بشطريها.. عبادة الله وعدم عبادة سواه.. أن النفس البشرية في حاجة إلى النص القاطع على شطري هذه الحقيقة سواء، وعدم الاكتفاء معها بالأمر بعبادة الله وتقرير أن لا إله يعبد سواه، وإضافة النهي الصريح عن عبادة سواه عن المفهوم الضمني الذي يتضمنه الأمر بعبادته وحده ذلك أن الناس يجيء عليهم زمان لا يجحدون الله ولا يتركون عبادته، ولكنهم مع هذا يعبدون معه غيره فيقعون في الشرك وهم يحسبون أهم مسلمون[1]!

ومع كل هذا، قال فيه هذا الرجل ما قال، وهو ما يفضح المنهج الذي يسير عليه، والخط الذي يدعو إليه في تقويم الرجال، خط مبني على اهام الأبرياء من أموات وأحياء!

وبما فعل في هذا ومثله -وهو كثير جدا- فهو أولى بما قال في حق الشيوخ الذين ظلمهم واعتبرهم "شوهوا صورة المنهج السلفي وأهله في أعين أبنائهم"[2] وهكذا فلسان حاله، أن من يخالفه لا يكون سلفيا فالحمد لله أن أولئك ليسوا على سلفيتك، كي لا يصبحوا أبواقا محترفة للسباب ومنابر متخصصة في شتم المسلمين بحجة الدفاع عن التوحيد وفضح المبتدعة! الحمد لله أن الشيخ سلمان العودة والصويان وسفر الحوالي وغيرهم لم يفتروا مثلك على سيد، ويعتبروه مخالفا في تفسير كلمة التوحيد لعلماء التوحيد والتفسير والفقه واللغة وكان عليك أن تضيف ومخالفا للأنجليز وموافقا للألمان، فقد زعمت أنه اتبع في تفسير"لا إله إلا الله" المودودي، والمودودي اتبع بدوره "هيجل" الفيلسوف الألماني المعروف!

---

[1] "الظلال" (1935/4-1936).

[2] منهج أهل السنة (ص: 19) وهو كتاب كتبه لأسباب الله أعلم بحقيقتها رغم أنه بين بعضها في مقدمة الكتاب، ولكنا -بعدما جربنا نقله، وأبدى لنا صفحته- لا نستطيع التسليم لتلك النقول، لأنه يخفي ما لا يحب ويفهم ما يشاء على ما يشاء!!

الحقيقة يا دكتور أنك أولى بالعودة إلى ما عليه أولئك المشايخ فعار أن تدعوهم إلى باطلك بدل أن تتبع صوابهم، وحذار أن تشبه منطق فرعون الذي عشش وباض وفرخ الشرك في عقله، ومع ذلك يقول ﴿**ذروني أقتل موسى وليدع ربه، إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد**﴾[1]، وقال موسى: ﴿**إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب...**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد**﴾[2] وبينما كان تمثال الفساد في عهده يتهم كليم الله موسى -عليه السلام- أنه " يظهر في الأرض الفساد، فسبحان الله**!!**

♦هل الدكتور يصدق الرؤى والأحلام ؟!

لقد اتهم الدكتور سيد قطب بالشذوذ في تفسير "لا إله إلا الله" وزعم -والزعم مظنة الكذب- أنه تبع في ذلك المودودي -رحمه الله تعالى- وزعم مرة أخرى أن المودودي تبع في ذلك الفيلسوف "هيجل" ولعلك تتساءل من أين استقى هذا الرجل دعاواه تلك أن سيدا تبع المودودي **أولا**، ومن أخبره أن المودودي تبع الألماني هيجل **ثانيا!** "

والجواب كما قال في "الأضواء"[3].

قال العلامة صوفي نذير الكشميري -وهو من كبار علماء السلفيين-رحمه الله بعد حكاية قصة له مع المودودي[4]: "وبعد مدة علمت تفسير هذه الرؤيا بأن الشيخ المودودي يعرض فكرة الفلسفي الألماني في الحكومة الكلية في لباس الفكر الإسلامي

---

[1] (غافر/26).

[2] "نفسها" 29.

[3] (ص: 59).

[4] ألا يستحق عندك الترحم عليه كما ترحمت على خصمه؟ أو ليس مسلما؟!

بدل وجهة النظر الإسلامية" هل بات الدكتور يصدق الرؤى بل الأحلام ويبني عليها الأحكام؟! فكل سبيل يؤدي –في زعمه– إلى النيل من سيد فهو سبيل رشاد!

إن الدكتور يصدق المثل السائر: إن الطيور على أشكالها تقع! فمن أين لك وللشيخ الذي وصفت بالعلامة –رحمه الله– أن المودودي زهد في وجهة النظر الإسلامية وأخذ بوجهة النظر الألمانية؟!

فهل أصبح هذا العلامة نبيا لتكون رؤياه حجة؟! فقد قال بعض السلف: "**رؤيا الأنبياء وحي.**"[1] فمن أخبرك يا دكتور أن رؤيا غيرهم حق؟!

– ما هذا التلاعب المنهجي؟! هذا الرجل يتلاعب كما يشاء، ويتلون في منهجه تلون الحرباء فانظر إلى قوله وتأمل! جاء في أضوائه"!:

"ويقول –أي سيد– في تفسير قوله تعالى في سورة القصص: ﴿**وهو الله لا إله إلا هو**﴾ أي فلا شريك له في الخلق والاختيار.

---

[1] رواه البخاري (138) في: الوضوء (5)، باب: تخفيف الوضوء. من كلام عبيد بن عمير. ورواه أحمد (5/233-245)، ومن طريقه الطبراني في: "المعجم الكبير"(20/308-310)، من طرق عن عبد الملك بن ميسرة عن مصعب بن سعد، عن معاذ بن جبل موقوفا، ولفظه: "**كان ما رأى في يقظته أو نومه حق**" وفيه قصة.

قلت: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الصحيحين.

ورواه الطبراني في: "المعجم الكبير" (20/309)،من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، ثنا محمد ابن بشر وأبو أسامة وعبدة بن سليمان قالوا: أنا مسعر، عن عبد الملك بن ميسرة به، نحوه موقوفا.

وروي مرفوعا، عن عبد الله بن عباس.

رواه ابن أبي حاتم في التفسير، (10/321) من طريق سماك، (وهو ابن حرب) عن عكرمة، عنه مرفوعا.

قلت: وسماك مضطرب في روايته عن عكرمة خصوصا، وهذه منها.

فهذا معنى من معاني الربوبية ضيع به المعنى الحقيقي لهذه الكلمة.

قال الإمام ابن جرير[1] -رحمه الله- في تفسير هذه الآية:

"يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا لـه، ولا معبود تجوز عبادته غيره".

وقال ابن كثير رحمه الله:

﴿وهو الله لا إله إلا هو﴾؛ أي: هو المنفرد بالإلهية، فلا معبود سواه، كما لا رب يخلق ما يشاء ويختار سواه"[2].

وهذا النص جاء في تفسير سيد لآية من آيات الإلهية في سورة القصص، قارنه الدكتور بتفسير إمامين جليلين لأئمة التفسير ليبدي للقارئ شذوذ سيد قطب في تفسيره حيث كما رأيت اعتبره ذكر "معنى من معاني الربوبية ضيع به المعنى الحقيقي لهذه الكلمة".

وتبدو لنا ملاحظات على هذا الذي جاء به الدكتور تتجلى فيما يلي:

أولا: كثيرة هي الآيات التي تشبه هذه الآية التي في سورة "القصص" ولا تكاد تخلو سورة من السور التي قبل سورة "القصص" ترتيبا إلا وردت فيها آية بل آيات كثيرات تتضمن نفس معاني هذه الآية بل في سورة القصص نفسها آيات تشبهها، من هنا بات السؤال المنطقي واردا على كل ذي بال: ما السر في اختيار هذه الآية بالذات؟!

---

[1] هو الإمام العلم الحافظ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، أحد الأعلام وصاحب التصانيف، وإمام المفسرين، كان بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن، وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها، عارفا بأحوال الصحابة والتابعين، له الكتاب الكبير المشهور في تاريخ الأمم. ولد سنة: (124 هـ)، وتوفي سنة: (310 هـ) "تذكرة الحفاظ" (710/2).

[2] "الأضواء" (ص: 60).

أتظن يا دكتور أن كل قارئ سيسلم لك الزمام وينقاد وراءك انقياد المصلين خلف الإمام؟! قال سيد قطب رحمه الله تعالى في سورة "القصص" أيضا، في تفسير آية مماثلة للتي اتهمه بها الدكتور بضياع العبادة:

"لا إله إلا الله" فلا إسلام إلا لله، ولا عبودية إلا لله ولا قوة إلا قوته"[1]

لا حول ولا قوة إلا بالله، والله يا دكتور ما أحسب أن منتسبا إلى العلم يتجرأ على الله، ويسخر ويحتقر عباد الله من القراء كما تفعل أنت!

إن عدوا من أعداء الإسلام لا يجوز التلاعب بكلامه، والاحتيال على أقواله، بما يغير مراده فكيف بواحد من المسلمين، بل ممن نحسبهم لم يدخروا جهدا، ولا قبضوا يدا لنصرة قضايا الإسلام؟!

لقد قرأت كلام سيد حول هذه الآية ونظائرها فوجدته لا يشفي ما في صدرك نحوه فحين عثرت على ما ظننته يدينه صحت به صياح غراب أو ذئب حاصر فريسة بالغاب! وأتلمح قسمات وجهك، وهي تتقبض وأساريرك تتقطب من ذكر سيد قطب معنى العبادة في تفسيره بدل أن تسر وتفرح! أما لك في الشافعي -رضي الله عنه- أسوة حيث قال "ما ناظرت أحدا إلا سألت الله أن يخرج الحق من فيه" ولكن ما لك شأن بالسلف سوى المتاجرة بأسمائهم فلسان حالك وأنت تكتب "أضواءك"!! متى أعثر على هفوة وأنى لي بعثرة "فإن قلمك همته إلى تسجيل الأخطاء لا تشبع"!

●بعض النماذج لتفسير سيد قطب لكلمة التوحيد!

لا نريد أن نستعرض على القارئ كل ما قاله سيد في تفسير آيات تتضمن كلمة التوحيد فذلك ينأى بنا عن المراد، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله! فمما جاء في سورة البقرة:[2]

---

[1] "الظلال" (2716/5).

[2] الآية: 263.

"وإلهكم إله واحد".."لا إله إلا هو".."الرحمن الرحيم":

ومن وحدانية الألوهية التي يؤكدها هذا التأكد، بشتى أساليب التوكيد، يتوحد المعبود الذي يتجه إليه الخلق بالعبودية والطاعة، وتتوحد الجهة التي يتلقى منها الخلق قواعد الأخلاق والسلوك؛ ويتوحد المصدر الذي يتلقى منه الخلق أصول الشرائع والقوانين[1] ويتوحد المنهج الذي يصرف حياة الخلق في كل طريق".

وفيها أيضا بعد هذا عند تفسير أول آية الكرسي قال سيد قطب بعد إشارة إلى انحراف الناس في عبوديتهم: "عن هذا التصور ينشأ الاتجاه إلى الله وحده بالعبودية والعبادة فلا يكون إنسان عبدا إلا لله، ولا يتجه بالعبادة إلا لله، ولا يلتزم بطاعة إلا طاعة الله، وما يأمره الله به من الطاعات"[2].

- وقال في تفسير سورة "آل عمران":

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾: "إنه مع التوحيد الواضح الخالص لا مكان لعبودية إلا لله، ولا مكان للاستمداد والتلقي إلا من الله، لا في شريعة أو نظام، ولا في أدب أو خلق، وفي معاملة أو سلوك.. فكلها.. كلها.. إنما تتحدد وتتضح عندما تتحدد الجهة التي منها التلقي، وإليها التوجه، ولها الطاعة والعبودية والاستسلام"[3].

- وقال في تفسير سورة "الأنعام":

---

[1] ومن المضحكات المبكيات أن سيد قطب مع هذا متهم من قبل الدكتور بأنه يجوز لغير الله أن يشرع، لا بل ولو كان التشريع مخالفا للنصوص! المهزلة في الفصل الخامس عشر من حكاياته!!

[2] انظر تفسير الآية: 255 من سورة البقرة في "الظلال" (286/1).

[3] "الظلال" (379-378-367/1).

"شهادة أن لا إله إلا الله بمعناها الذي عبر عنه ربعي بن عامر[1] قائد المسلمين إلى رستم قائد الفرس، وهو يسأله: "ما الذي جاء بكم؟" فيقول: "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام..[2]

وعند قوله تعالى ﴿**هو الله الذي لا إلـه إلا هو**﴾[3] قال سيد قطب -رحمه الله تعالى-:

"فتقرر في الضمير وحدانية الاعتقاد، ووحدانية العبادة، ووحدانية الاتجاه، ووحدانية الفاعلية من مبدأ الخلق إلى منتهاه، ويقوم على هذه الوحدانية منهج كامل في التفكير والشعور والسلوك، وارتباطات الناس بالكون وبسائر الأحياء، وارتباطات الناس بعضهم ببعض على أساس وحدانية الإله".

وبعد: فقد ظهر السبب، وبطل العجب، فإن الدكتور وهو يقلب تفسير سيد قطب لآيات تتضمن معنى التوحيد، لاسيما نحو الآية التي اعترض على تفسيره فيها، كان يتلهف إلى دليل، ومن أين له بالدليل؟! بل شبه أو شبح دليل يسد جوعه، ويبل ظمأه لأكل لحمه وشرب دمه، ويطير في الناس مشهرا به أن سيدا شاذ في تفسير "لا إله إلا الله"، حيث لم يفسرها تفسير أهل الإسلام، ولكن فسرها تفسير الألمان كما ورد في الأحلام!

---

[1] هو الصحابي الجليل ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو، قال الطبري: كان عمر أمد به المثنى بن حارثة، وكان من أشراف العرب، وللنجاشي الشاعر فيه مديح. "الإصابة في تمييز الصحابة" (194/2).

[2] "الظلال" (1057/2).

[3] (الحشر/ 22).

ولكن هاهو سيد قطب بما فسر من تفاسير كثيرة موافقة لأهل الحق في مثل هذه الآية، بين أن الرؤيا التي اعتمدها الدكتور ليست رؤيا حق وعرفان، وإنما هي حلم من الشيطان[1]!!

أتهوي يا دكتور إلى هذا الدرك لتتصيد العثرات؟!

على كل حال ندعك وشأنك، لا سيما وقد عرفنا أن سيدا لم يضيع توحيد العبادة ولا شذ في تفسير كلمة "التوحيد" عما عليه أمة التوحيد.

◆ **سيد قطب يفسر "لا إله إلا الله" أحيانا ببعض مقتضياتها.**

سبقت الإشارة إلى أن كتاب "الظلال" ليس تفسيرا حرفيا -بالمعنى المصطلح عليه كاملا- فهو وإن اشتمل على كثير مما اشتملت عليه التفاسير، إلا أن سيدا أراد منه أغراضا رآها أولى للناس في هذا العصر، لأجل هذا تجده يقف عند بعض الآيات أكثر مما وقف من قبله من أهل التفسير ممن لم تشغلهم هذه المسألة كما شغلته والعكس صحيح فقد يطنب غيره ويختصر هو.

هذا **أولا**، كما أن سيدا قد يفسر الشيء بلازمه أو بما يتضمنه أو يقتضيه، فلا يجوز والحال هذه أن نستغفله في لحظة من مثل هذه اللحظات، وننادي بانحرافه أو شذوذه في التفسير! وهذا ما فعله الدكتور مع الأسف، جاء إلى آية وردت في سياق تذكير الله للمشركين وغيرهم بأنه الخالق والمختار ولا شريك له في ذلك، وعقبها قال عز وجل "وهو الله لا إله إلا هو" ففسر سيد الآية ضمن هذا السياق، وخطف الدكتور هذا التفسير وزعم أنه "ضيع به المعنى الحقيقي لهذه الكلمة". مع أنه قرأ أن سيدا ختم تفسير الآية بقوله: "وهكذا يطوقهم بالشعور بقدرة الله وتفرد

---

[1] وهذا هو الأولى، لأنه حلم خصم المودودي -رحمهما الله تعالى- فهل يتوقع أن يصور له الشيطان -وهو محترف للتفريق بين المسلمين- بأنه يفسر على الوجه المرضي، فماذا بقي للشيطان؟! لأن الرسولﷺ قال: ((**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**)). رواه مسلم (65) في صفات المنافقين وأحكامهم (16) باب: تحريش الشيطان وبعث سراياه لفتنة الناس، وإن مع كل إنسان قرينا. بشرح النووي.

إرادته في هذا الوجود واطلاعه على سرهم وعلانيتهم فلا تخفى منهم خافية؛ وإليه مرجعهم فلا تشرد منهم شاردة، فكيف يشركون بالله بعد هذا وهم في قبضته لا يفلتون؟[1]".

فما بال الدكتور يعشق التدليس والتنكيس، ولا يطعم إلا من القمامات؟!

وقول الدكتور: إن الخلق والاختيار من معاني الربوبية، نقول: سلمنا وهو اصطلاح[2] لكن ألا تتضمن كلمة التوحيد هذا المعنى؟! إن كان جواب الدكتور بالنفي أي "أن لا إله إلا الله" لا تدل على أن الله هو الخالق الرزاق المدبر لكل الخلق فهذا شرك صحيح وكفر صريح نعوذ بالله منه، ونربأ بالدكتور أن يتدحرج إليه. وإن كان الرد بالإيجاب، أي أن ما ذكره سيد قطب تشمله كلمة التوحيد وتقتضيه فلا لوم عليه إذن، وبه يسقط الاعتراض وتبطل الدعوى، ذلك أن التفسير بمثل هذا مألوف ومعروف في الكتاب والسنة، فمن الكتاب مثلا قوله تعالى﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**...﴾ الآية ومعلوم أن الأوصاف التي وردت مع أنها جاءت بأداة حصر، فلم يفهم العلماء منها أن تفسير الإيمان هو وجل القلب عند ذكر الله و... الخ لأن هذه مقتضيات الإيمان الصادق واليقين الصحيح!

ومن السنة جل -أو كل- الأحاديث التي على نحو قوله عليه الصلاة والسلام ((**المسلم من سلم الناس من لسانه ويده**))[3] فلا يقال والحال هذه إن هذا ضياع لمعنى الإسلام الذي هو الأركان المعروفة، وإنما ورد التفسير بمقتضيات الإسلام ولوازمه.

---

[1] " الظلال" (2707/5).

[2] سيأتي إن شاء الله تعالى كلام على الاصطلاح في الفصل الرابع.

[3] رواه البخاري (10) في: الإيمان (4) باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، و(6484) في: الرقاق. (26) باب: الانتهاء من المعاصي، ورواه مسلم (64) في: الإيمان (14) باب: بيان تفاضل الإسلام، وأي أمور أفضل، بشرح النووي.

وعلى هذا، فما قام به سيد قطب من ذكر بعض متقضيات كلمة التوحيد ولوازمها ليس شذوذاً ولا كان فعله نشازا، وإنما راعى السياق الذي وردت فيه الآيات، وما دام السياق أشار إلى الخلق والاختيار قال سيد "لا شريك له في الخلق والاختيار" وليس معنى هذا أنه ألغى أو ضيع معنى العبادة الذي تعنيه كلمة "لا إله إلا الله" ولكنه اكتفى بما ذكره في أماكن أخرى، وابن كثير نفسه ربط تفسيره للآية حين قال "لا رب يخلق ما يشاء ويختار سواه" مع أن ثمة معاني كثيرة يجوز له أن يذكرها نحو لا رب يرزق ويحيي ويميت.. الخ سواه سبحانه وتعالى، وكلها معاني صحيحة ولائقة، وإنما ذكر المناسب للمقام، بل إن ابن كثير نفسه -رحمه الله تعالى- لم يذكر العبادة في تفسير آية الكرسي فقال: قوله "الله لا إله إلا هو" إخبار بأن المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق"[1]، فلا يقال إنه متذبذب ولا مضطرب، ولا أنه مضيع لتوحيد العبادة!

بل إن سيد قطب قد لا يفسر الآية التي قد سبق وفسرها، كما يفعل سائر المفسرين، طلبا للاختصار، وتركا للتكرار! ففي تفسير قوله تعالى من سورة "طه" ﴿**الله لا إله إلا هو، له الأسماء الحسنى**﴾[2] اكتفى سيد بقوله و"الحسنى" تشارك في تنسيق الإيقاع، كما تشارك في تنسيق الظلال ظلال الرحمة والقرب والرعاية، التي تغمر هذا المطلع وجو السورة كله[3].

وليس في هذا أي نفي أو ضياع لمعاني الكلمة، ولكنه اكتفاء بما ذكره في مكان آخر، ومما يؤكد هذا أنه قال -رحمه الله تعالى- في نفس السورة عند قوله تعالى: ﴿**إنني أنا الله لا إله إلا أنا**﴾[4]: "فأما الألوهية الواحدة فهي قوام العقيدة، والله في ندائه لموسى -عليه السلام- يؤكدها بكل المؤكدات: بالإثبات المؤكد "إنني أنا

---

[1] "تفسير ابن كثير" (461/1).

[2] (الآية: 8).

[3] "الظلال" (2328/4).

[4] (الآية: 14).

الله" وبالقصر المستفاد من النفي والاستثناء: "لا إله إلا أنا" الأول لإثبات الألوهيه لله، والثانية لنفيها عن سواه.. وعلى الألوهية تترتب العبادة، والعبادة تشمل التوجه لله في كل نشاط الحياة، ولكنه يخص بالذكر منها الصلاة.."[1] فأنت ترى ما قاله هنا وما قاله هناك ابن كثير إذا استثنينا اللون الأدبي في تعبير سيد -هو هو- وأبى هذا الدكتور إلا أن ينال من ذلك الذي، من يدري؟ لعله حط رحله في جنات عدن عند رب كريم، لا سيما وظاهر ما شهدنا عنه، والذي يبدو مما علمنا فيه أنه مات شهيدا، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا، فما أجرأ هذا الدكتور الجراح!!

ثانيا: بعدما علمت كيف تلاعب واحتال الدكتور ليقتنص اللحظة المناسبة التي يتعرض فيها سيد لتفسير كلمة التوحيد، فلم يلتفت إلى تلك المرات العديدة التي فسرها سيد قطب بقاعدتها الأساسية، بل إنه من خلالها -أي من خلال كلمة التوحيد، باعتبارها قاعدة الإسلام الكبرى- قرر سيد قطب -رحمه الله تعالى- أن قاعدة هذا الدين على الإطلاق توحيد العبادة! قلت: ترك تلك المرات، وتعلق "بالنوادر" من الحالات التي انصرف سيد إلى تفسير "لا إله إلا الله" ببعض مقتضياتها، مما يراه مناسبا بالسباق، ومتماشيا مع السياق، مع أنه لم يقل منكرا من المعاني، ولا باطلا من الكلمات! ومع ذلك نادى الدكتور وزعم أنه شاذ عن علماء التفسير والحديث والفقه وما إلى ذلك، وصاح بأن سيدا اقتفى أثر الألمان وفسر به هذه الكلمة مع أن الألمان مسيحيون والمسيحيون مثلثون لا موحدون يا دكتور! فأين أنت من كل هذا؟!

لكنا عرفنا وكشفنا تلاعباته[2]. بيد أن جزءا من الرد يتعلق بما اتهم به سيد من خلط بين الألوهية والربوبية نرجئه إلى الفصل القادم -إن شاء الله تبارك وتعالى- وكان على الدكتور نفسه أن يذكر ذلك هناك، ولا يتعجل!!

---

[1] "الظلال" (2331/4).

[2] وبنحو ما رددنا به على المثال السابق يرد به على تفسير سيد قطب لقوله تعالى "إله الناس".

ونختم بالتعليق على سوء تصرف الدكتور -مرة أخرى[1]- حيث قال: "ويقول سيد في تفسير قوله تعالى: **﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد﴾**[2] "فالإله هو الذي يستحق أن يكون ربا؛ أي: حاكما وسيدا ومتصرفا ومشرعا وموجها".

أقول[3]: قد عرفت خطأ هذا التفسير بما قررناه وناقشنا فيه سيدا مرارا وتكرارا؛ فتذكر.[4]

قلت[5]: بل عرفنا خطأك أنت مرارا وتكرارا، فتذكر**!** أما سيد قطب فما ضيع والحمد لله من معاني توحيد العبادة وإنما اتهمته به ظلما وجورا**!** هذا **أولا**.

ثانيا: بترت كلامه، وما نقلته بأمانة، وهذا عار عليك نبهناك إليه غير ما مرة، كن شجاعا ولا تجرد كلام مخالفك من قوائمه لتجهز عليه كسيحا أو طريحا**!!** بل ولم تشر إلى أنك أسقطت بعض كلامه، على الأقل بذكر ما تعارف عليه الناس من وضع نقاط عند بداية الكلام المنقول أو بعده. لأن ما قبله وما بعده لا يناسبك**!** ولماذا لا يناسب الدكتور؟**!**

ما أحسب القارئ عاجزا عن معرفة الجواب**!** ومع ذلك نقول إن سيدا بعدما أورد الآية قال: "..المقصود هو الدينونة لله وحده، ما دام أنه لا إله غيره، فالإله

---

[1] تعقبها مرات، بل كرات، مما سيأتي على ذكره -زيادة على ما سبق- ومع ذلك نعترف للدكتور نفسا لا نقوى على متابعته واللحاق به، لذلك سوف نقف عن اللحاق، فضلا عن السباق، لندعه يعدو لوحده في الميدان، ليفوز بالجائزة التي لا يجازى صاحبها أو يؤجر وإنما يعاقب ويؤزر، فهي جائزة الدس والافتراء!!

[2] (إبراهيم/ 52).

[3] القائل هو الدكتور ربيع -هدانا الله وإياه إلى الصواب-.

[4] الأضواء (ص: 64).

[5] "القائل عبد ربه أبو بلال -غفر الله له-.

الذي يستحق أن يكون ربا أي حاكما ومتصرفا ومشرعا وموجـها..."[1] فلماذا أسقطت قوله: "الدينونة لله" لاسيما وقد فسر مراده بالدينونة فيما يترتب من كلام لاحق في تفسير الآية نفسها حيث قال بعد أسطر قليلة وهو بصدد التأكيد على الفهم الصحيح للشهادة، وأنه ينبغي فهم" مدلول: العبادة لله وحده؛ ونحدده بأنه الدينونة لله وحده؛ لا في لحظات الصلاة، فحسب ولكن في كل شأن من شؤون الحياة[2] فالدينونة معنى يتضمن العبادة، بل ويزيد عليها، فلولا أن الدكتور لم "يقص" السابق واللاحق من الكلام لما تأتى أن يضلل القارئ[3]، ويوهمه أن سيدا أخطأ في التفسير !

ثالثا: هب أن سيدا لم يكن له كلام سابق ولا لاحق عما ذكره الدكتور، فما وجه الخطأ في قوله: "فالإله هو الذي يستحق أن يكون ربا: أي: حاكما ومتصرفا ومشرعا وموجها"؟ إنه لم يقل: الإله هو الرب... ولو قاله لكان صحيحا حين نحكي بمصطلحات شرعية من غير تقيد بالمدلول اللغوي، ولكن سيدا أصاب فيما قال، فالإله هو الذي يستحق، بل يجب أن يكون ربا.

فلا يكون إلها إلا الخالق الرازق القادر... الخ الصفات اللائقة بالحق سبحانه.

وكذلك قوله –رحمه الله تعالى– "... أن يكون ربا، أي حاكما وسيدا و...الخ" ليس فيه خطأ، وإنما المخطئ من لا يفهم دلالة الألفاظ إلا على مستوى واحد، ويجمد عنده، مخالفا أهل الأصول الذين ضبطوا للأمة فهم كلام الشرع كما ضبط المحدثون نصوصه، وإذا كانت الحقيقة المستقرة عن أهل الحديث تقول: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء !"[4].

---

[1] "الظلال" (2114/4).

[2] "نفسه" (2114/4).

[3] القارئ الذي يصدق نقله طبعا!!

[4] قاله عبد الله بن المبارك، ذكره مسلم في "المقدمة" (ص:80-81- بشرح النووي).

فمثلها بل علها أهم وأوكد "فقه النصوص من الدين، ولولا الفقه لقال من شاء ما شاء !"

لهذا فلو كان للدكتور حظ لعلم أقسام الدلالات التي قال فيها العلامة القرافي -رحمه الله-: "دلالة اللفظ فهم السامع من كلام المتكلم كمال المسمى أو جزأه أو لازمه"[1]، وعليه فذكر سيد قطب لمسمى معين، إذا فهمته أنت على كماله، فليس يعني ذلك أن سيدا يقصد ذلك المعنى الكامل، بل قد يقصد جزأه أو لازمه، فاستيقظ يا دكتور، لاسيما إذا نصبت نفسك في منصب الجارح الناقد!!

*****

[1] "شرح التنقيح" (ص: 23).

-نقد الفصل الرابع-
"عدم وضوح الربوبية والإلهية"

قبل أن ندخل في بعض تفاصيل هذا الفصل والذي محوره أن سيد قطب في نظر الدكتور يخلط ويضرب في معنى الألوهية والربوبية، نود أن نسجل للدكتور بكامل رحابة صدر، وانشراح نفس، أنه مصيب فيما قاله على وجه العموم، ونحن إذ نسجل له نقده الصائب هذا، بل ونشكره عليه، نعتذر إليه في الاختلاف معه في مسألتين أساسيتين:

أولا: أن خطأ سيد قطب في هذا الموضوع لا يقع في المضامين، وإنما في الاصطلاحات والعناوين!

ثانيا: هجوم الدكتور عليه، وسوء أدبه معه لا يتناسب مع المآخذ عليه!!

فهذا إجمال ما نود الإشارة إليه، فلنشرع في التفصيل بحول الله وقوته.

المسألة الأولى: "لا مشاحة في الاصطلاح".

"لا مشاحة في الاصطلاح" هذه قاعدة ذهبية مما قرره سلفنا الصالح، لتفادي أي لبس عند المجادلة والمناظرة والمحاورة ومفاد هذه القاعدة أن العبرة التي تبنى عليها الأحكام، والأساس الذي تؤخذ عليه الأقوال ليست الأسماء، وإنما المسميات.

فمثلا لو أنك رأيت الحافظ ابن عبد البر[1] -رحمه الله تعالى- وصف حديثا مرفوعا بقوله: هذا حديث مسند، لا يحق لك أن تعترض عليه بأنه منقطع، وتبني على اعتراضك حكمك عليه بأنه يجهل معنى المسند، أو مضطرب في فهمه ونحو

---

[1] هو الحافظ النظار شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النمري، ولد سنة: (368هـ)، وتوفي سنة: (463هـ)، انظر "ترتيب المدارك" (808/4)، و"الديباج" (ص: 357)، و"شجرة النور الزكية" (ص: 119).

ذلك، كلا! لأن "المسند" في اصطلاحه وتصرفه مرادف للمرفوع، خلافا للجمهور الذين عرفوا المسند بقولهم كما في البيقونية:

والمسند المتصل المرفوع من**راويه حتى المصطفى ولم يبن**

فأنت ترى أنهم اشترطوا في التعريف عدم الانقطاع والرفع، خلافا لابن عبد البر الذي اكتفى باشتراط الرفع فحسب، وعليه فلا فرق عنده بين "المرفوع" و"المسند"، ولكن لا اعتراض عليه، ولا لوم يعود إليه، لأنه تقرر أن "لا مشاحة في الاصطلاح".

بلى يعترض عليه إذا حكم على حديث بأنه مسند ورواه موقوفا لا مرفوعا، فهنا يصح الاعتراض لمخالفته ما اشترط في اصطلاحه.

من هنا ندلف إلى موضوعنا ونقول إن سيد قطب تعامل مع مصطلحات عقدية نحو "الإلهية أو الألوهية" و"الربوبية" تعاملا خاصا، ولا نلزمه -كما عرفنا- الاصطلاح الذي اصطلح عليه الأكثرون لا سيما من المتأخرين، من هنا نبادر، فنذكر:

أولا: توحيد "الألوهية" و"توحيد الربوبية" تعريفها عند الجمهور، وتذبذب سيد قطب في ذلك.

يعتبر ابن تيمية أول من أشهر هذين المصطلحين فيما نعلم[1]، ولذلك فمن الطبيعي أن نرجع إليه لنلتمس تعريفا لمعنيي"الألوهية" و"الربوبية".

---

[1] لم نقف على من سبقه -رحمه الله تعالى- إلى تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام، على الاصطلاح المتعارف عليه!

- **" توحيد الألوهية":**

إن المتتبع لكلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– يعرف "توحيد الألوهية" بمعنى توحيد الله عز وجل في عبادته، وإفراده بالخوف منه، والتضرع إليه وحده ونحو ذلك، من هنا وصف الشرك في الإلهية "بأن يجعل لله ندا أي: مثلا في عبادته، أو محبته أو خوفه أو رجائه، أو إنابته فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه" وهذا التوحيد توحيد الإلهية هو الذي يعبر عنه ابن تيمية أيضا "بالتوحيد العلمي"[1].

- **"توحيد الربوبية":**

ويراد به عند ابن تيمية التوحيد العلمي الذي يعتقد العبد بموجبه أن الله تعالى خالقه وسائر المخلوقات ورازقه والمدبر لكل شؤون الكون ونحو هذا.

تلك كانت المعاني التي اصطلح عليها الجمهور لكل من توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وكلاهما من معاني التوحيد وكلاهما يعد كافرا أو مشركا من يخالفه، وكلاهما جاءت به الرسل، وليس فقط توحيد العبادة الذي يدندن حوله الدكتور، وكل هذا متضمن في شهادة التوحيد.

لكن سيد قطب –رحمه الله تعالى– كما لاحظ الدكتور بحق، تارة يصرف معاني الربوبية إلى الإلهية وتارة يصرف معاني الإلهية إلى الربوبية، وجرى على هذا كثيرا، ولكن لا مشاحة في الاصطلاح، فهذا التقسيم أصلا لو مات مسلم وهو يوحد الله سبحانه، دون أن يعلم شيئا عن تقسيم التوحيد –الطارئ– إلى توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، بل والحاكمية وغير ذلك من التقسيمات التي يستدعيها الشرح أحيانا، والبيان والتفصيل أحيانا، لما نقص ذلك من إيمانه شيئا! بل ما كان السلف –رضي الله عنهم– في خير القرون يعلمون شيئا عن تقسيم

[1] "مجموع الفتاوى" (367/1).

التوحيد، ومع ذلك لا يقال إنهم ضيعوا "بذلك التوحيد الذي بعث الله به رسله جميعا"[1]، كما زعم الدكتور!

ثانيا: ما هو التوحيد الذي ضيعه سيد قطب عمليا يا دكتور؟!

وهذا هو المهم، فقد كان على الدكتور بيان وتفصيل الأمثلة التي يكون فيها سيد قطب مضيعا لمعنى من معاني التوحيد، وهذا عجب، فتارة ترى سيد قطب مبالغا في توسيع دائرة التوحيد، وأخرى مقصرا، فهلا رسوت على تهمة؟!

الخلاصة أن سيد قطب أخطأ لا في المضامين، بل في الاصطلاحات، والاصطلاحات ما هي سوى وسائل تعبير، وأوعية للمفاهيم، فلا يجوز أن نسلطها على العباد كما لو كانت أوامر من عند الله لا مما تعارف عليه الناس وتواضعوا.

ثالثا: من أولى بالتهمة؟

ثم إنك أيها الدكتور الحريص والمتفاني في اختراع العيوب واكتشاف الذنوب، أنت أولى بتهمة الجهل بالتوحيد، ألست تقول إن "الأمم كلها تعرف وتعترف بتوحيد الربوبية[2]" بلى قلت هذا! ولذلك تذبح بالسكين التي أردت بها ذبح غيرك ظلما، لأن الأمم التي لا تؤمن بوجود الخالق لا تؤمن بالربوبية بداهة وهي منك مرمى البصر وملء السمع. إنهم يقولون لا إله والحياة مادة! أنسيت أنك اتهمت سيد قطب أنه يجاري الشيوعيين؟! وهل قامت فلسفة الشيوعية إلا نادرا على غير إنكار الخالق الرزاق المدبر لشؤون الكون؟! وهل هذه من توحيد الربوبية؟ وهل الأمم التي قال عنها القرآن الكريم أنها قالت: ﴿ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت

[1] "الأضواء" (ص: 62).

[2] "نفسه" (ص:66).

ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾[1] تعرف -فضلا عن أن تعترف- بتوحيد الربوبية وقال تعالى:﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾[2] فهل هؤلاء يعرفون ويعترفون بربوبيته تعالى؟! وإلا فلم رد عليهم سبحانه وتعالى: ﴿قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾[3] وعلى قياساتك القياسية! لم يقل "بلى وإلاهي"...على كل حال إن هذا الفصل وإن أصاب الدكتور في ملاحظاته الشكلية، فهو مخطئ في الأدب والأسلوب الذي ساق به ذلك، ورأيت أن سيد قطب تذبذب فعلا في استعمال معاني الربوبية والألوهية، فتارة يربط معاني الأولى بالثانية، وتارة يعكس ذلك، لكنه ما خرج عن المعنى الأساسي للتوحيد، بل حرص على إعطائه كل حقوقه، وكأن خطأه لا يعدو ما قلنا إنه خطأ اصطلاح، وقد عرفت أنه لا مشاحة في الاصطلاح، لكن "المذهب الربيعي" حريص على تضخيم الخطأ وتقزيم -بل محو- الصواب، لأن له مذهبا في الموازنات أطلعناك عليه، وشذوذا نبهناك إليه، فالله يهديه إلى سواء السبيل، آمين.

*****

---

[1] (الجاثية/24).

[2] (التغابن/7).

[3] (نفسها)

-نقد الفصل الخامس-
"تكفير المجتمعات الإسلامية"

هذا الفصل هو أطول فصول الأضواء، وأكثرها كلاما، وبالطبع فهو أكثرها خطأ! ويمكننا تلخيص أخطاء الدكتور في ثلاثة أنواع:

النوع الأول: هو أنه يقرأ خارج سطور سيد قطب التي يوردها، فهو يقرأ ما لم يكتب، ويفهم ما لم يقرأ!!

النوع الثاني: أنه يقرأ المرجوح من المعاني، أو الخفي منها -وإن لم تخف على الدكتور- ويترك الراجح الظاهر.

النوع الثالث: إذا نقل كلاما لسيد يحتمل معنى مشينا وآخر حسنا، يفهم الكلام الذي يشين سيد قطب، وهكذا يزعم، بل يحلم!

هذا موجز ما يلاحظه قارئ هذا الفصل من الأضواء، مع تكرار تلك الأخطاء والتعثرات التي سئمها -بلا شك- القارئ ومجها عقله، لكن ماذا نفعل! لا بد من كشف ذلك لفئة غرها شعارات وألقاب تختفي خلفها عيوب وعيوب!

فلأجل هؤلاء، سوف نمثل لكل نوع من أخطاء الدكتور بما يحقق الغرض، ويفي بحاجة كل باحث عن رضى الله عز وجل، دون التفات إلى غيره كائنا من كان!

إن التهمة الرئيسة التي تضمنها هذا الفصل هي أن سيد قطب يكفر المجتمعات الإسلامية! ولا أحد يجادل في خطورة هذه الدعوى التي ادعاها الدكتور لكن الأخطر من ذلك أنه لم يقدر على حملها فوق أدلة متماسكة، وحجج قوية، بل كبا كبوات، وخبط وغلط. وهاك نماذج من الخبط والتخليط!

أولا: النوع الأول:

وهو الذي قلنا فيه إن الدكتور يقرأ ما لم يكتب، إما لبلادة ذهنية، فملكة فهمه لم تنضج حتى تستوعب ما كتب، لاسيما والكاتب أحد فرسان اللسان وأئمة البيان، وإما لفكرة مبيتة في شعور أو لا شعور الدكتور، وبالتالي فهو مملوك بذلك

ومفتون به، فيخيل إليه أنه ماثل بين عينيه في كل سطر، وعند كل حرف! أيا مـــا كان الأمر، فمن يصدر منه مثل هذا الكلام غير مؤهل للكلام، وغير جدير بأســرة التعليم، فماذا يدرس لطلابنا؟! يدرس لهم الجرح والتجريح! بناء على التخمينـات والأوهام، بل بناء على الحدس والأحلام؟! [1].

إن اطلاع من يحملون أمانة العلم، لاسيما في الجزيرة العربية على ما يقوم به هذا الرجل من تجريح في الأعراض، ويركب لبلوغ مآربه كل أنواع الخسة والنذالة مـن افتراء واضح بل فاضح، وخيانة مكشوفة للنقل مبنى أو معنى..أو هما معـا، وغـير ذلك، ثم لا يغيرون هذا المنكر، ليطرح العديد من علامات الاستفهام التي تحـــرج الصديق قبل العدو، وتلقي أمام عينيه وبين يديه بالظنون السيئة التي مهما بـــالغ في صرفها، وجهد في دفعها، فلابد من تسرب شيء منها، خاصة وهـــذا الرجـــل لا يكتفي بفضح نفسه، بل يورط غيره من الأسماء التي لها –ولله الحمد- في صـــدور المسلمين مشرقا ومغربا السمعة الحسنة، والصيت المحمود، لكن رائحة الخيانة ونعيق الافتراء الذي يصول به الدكتور ويجول بدعوى محاربة البدعة[2]، يشوش على كـــل ذلك، لأن المكانة التي حظي بها أولئك الأخيار كانت بسبب ارتباطـــهم بـــالحق والعدل، نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحدا، فمتى ما اهتزت هذه المعاني أمام أعينهم ووقعت على مسمع منهم، دون نهي أو نكير، فلا شك يهتز تبعا لذلك مـــا بني عليه من إحساس وتقدير! ولو بقي الأمر عند هذا لهان، فكيف وأن الله جـــل شأنه أخذ عليهم الميثاق: ﴿**لتبيننه للناس ولا تكتمونه**﴾[3].

ولئن وجد عذر في السكوت عن بعض ما يحصل هنا وهناك من الهنات، الـــتي تقع ممن بأيديهم الأمر، ومسحنا ذلك في الحكمة واللين، ودرء الفتنة و..الخ فأمثـال

---

[1] وقد علمت أنه اهم السيد المودودي –رحمه الله تعـــالى- وطعنـــه في فـــهم كلمـــة التوحيـــد بناء على حلم رآه بعض خصومه فوا عجبا!

[2] وكل ناعق يزعم أنه يحارب البدعة، فماذا يقول؟! هل يقول إنه يحارب القرآن والسنة؟

[3] (آل عمران/187).

الدكتور ربيع يسقط فيهم مثل هذا العذر، اللهم إن كان علمهم به بخلاف ما نعرف عن الرجل!!

كيفما كان الحال، إنه ليحز في النفس، ويفتت الكبد أن تلوث المعاهد العلمية بمثل هذه الجماجم.

• **سيد قطب لا يرى هذا من الشرك.**

ذكر الدكتور المجتمعات التي تضفي "على أناس صفات الإله، كاعتقادهم أنهم يعلمون الغيب، ويتصرفون في الكون، ويفرجون الكروب، ويتقدمون لهم بالشعائر التعبدية من الاستغاثة في الشدائد والدعاء والخوف والرجاء والتوكل والطواف بقبورهم وتعظيم هذه القبور وإقامة الأعياد والاحتفالات والموالد لهذه الأضرحة وشد الرحال إليها وتقديم الذبائح والنذور بالأموال الطائلة لها، كل هذه الأمور وغيرها من أنواع الشرك"[1] ثم بعد ذلك حكم على سيد أنه لا يرى هذه "الشركيات "من أنواع الشرك الناقضة للتوحيد المنافية لمعنى لا إله إلا الله"[2]!

اسألوا الدكتور أين قال سيد قطب هذا ؟! لتعلموا أمانة النقل يا من وصفتموه بأنه ينقل بأمانة[3]، ولتعلموا سلامة الفهم يا من سلمتموه أمانة التعليم والتفهيم!!

ما قولكم لو رأيتم أحدا يقول عن فضيلة الشيخ ابن باز أو الشيخ الألباني واحدة من هذه الطعون، و لم يقم على ذلك دليلا، فهل تراكم تسكتون فضلا عن أن تقروا؟!

---

[1] "الأضواء" (ص: 71/هـ:1).

[2] "نفسه".

[3] كما قال الشيخ صالح بن فوزان عضو هيئة كبار العلماء، حين سئل عن رأيه في ما كتبه الدكتور ربيع في حق سيد قطب، فطار الدكتور فرحا بهذا الرد وطرز به مقدمة بعض كتبه، وصدق من قال: الطيور على أشكالها تقع، انظر رسالة: "ما يجب في التعامل مع العلماء". جمع وإعداد: عادل علي الفريدان. ﴿ستكتب شهادتهم ويسئلون﴾ (الزخرف/19).

إن هذا الرجل تمادى في الغي، وبالغ في النيل من ظاهر الناس وباطنهم[1] ومن أقوالهم ونواياهم وكل ذلك ينسبه إلى المنهج السلفي، ويسيء به إلى أهل السنة، ويشوش على أسماء العلماء فآن الأوان أن يضرب على يده، ويكمم فمه، ويحجر على قلمه!

نقل هذا الرجل كلام سيد عن بعض المجتمعات الإسلامية -وهذا طبعا في فترة سيد- فقال:

إن "بعضها يعلن صراحة علمانيته وعدم علاقته بالدين أصلا، وبعضها يعلن أنه يحترم الدين ولكنه يخرج الدين من نظامه الاجتماعي أصلا، ويقول: إنه ينكر الغيبية، ويقيم نظامه على العلمية، باعتبار أن العلمية تنكر الغيبية! وهو زعم جاهل، لا يقول به إلا الجهال "وهنا علق في هامش الصفحة فقال: "وهذا في غاية الصراحة والوضوح في تكفير المجتمعات الإسلامية" فتأمل قول الدكتور "تكفير المجتمعات الإسلامية" هكذا بصيغة العموم، وقارنه بكلام سيد قطب وهو يتعلق ببعض

---

[1] قال في سيد قطب وأخيه -محمد قطب- إنهما " يلبسان البذلة والكرفتة على طريقة الإفرنج تقليدا واعتزازا بهذا المظهر الإفرنجي" فهلا شق على قلبيهما؟! أما الأول فلا سبيل إليه، وأما الثاني فجرب! وأما نحن فنرى تبعا لأهل العلم أن هذه مسائل فقهية، ومسائل الفقه لا خوض فيها في النوايا إلا على سبيل الافتراض، كأن يقال إن فعل كذا بنية كذا فحكمه كذا! وإن كنا نرى أن الراجح عندنا التخلي عن مثل هذه الأزياء الكافرة، ولذلك فالذي يقال في مثل هذه الأمور إن حلق اللحية خطأ فاحش -وإن قال بجوازه البعض- والراجح أن الذي يحلق لحيته ارتكب حراما، لأن الأمر يفيد الوجوب، و لم توجد قرينة صالحة لصرفنا عن ذلك في قولهﷺ: **((أنهكوا الشوارب واعفوا اللحى))** رواه البخاري (5893) في: اللباس، (65) باب: إعفاء اللحى. واللفظ له، ومسلم (52-53-54-55-56) في الطهارة (16) باب: خصال الفطرة. بشرح النووي. وحديث: **((إعفاء اللحية من سنن الفطرة))** ليس صالحا لهذا والله أعلم، لكن الذي يحلق لحيته لعذر من الأعذار الشرعية -الله أعلم به- فحكمه إلى الله.

المجتمعات التي حدد لها صفات معينة، لا يختلف فيها اثنان أنها مارقة خارجة عن الإسلام!

بل الدكتور يقول إن كلام سيد قطب حق "في العلمانيين فعلا" لكنه قال: إنهم "قلة في المجتمع"، أي أن سيدا أخطأ في تعميم الحكم، ولكن من عمم، سيد قطب أم الدكتور ربيع؟! فصدق من قال: رمتني بدائها وانسلت!

أما سيد قطب فصريح العبارة في أن كلامه يتعلق ببعض المجتمعات، وليس كل المجتمعات، وصريح في وصفه لمن يتعلق بهم الأمر، فهم الذين "يعلنون صراحة علمانيتهم وعدم علاقتهم بالدين ونحوهم..هؤلاء هم الذين يشملهم الحكم الذي أصدره في حقهم.هذه واحدة ثم إن سيد قطب قال: إن الإسلام يرفض الاعتراف بإسلامية هذه المجتمعات كلها[1] وشرعيتها في اعتباره" وهذا المعنى في الحكم أضيق من المعنى الذي نطق به الدكتور، وهكذا فإن الأمانة التي اتصف بها الدكتور تتحلى بالزيادة في اللفظ والزيادة في المقصود، فهنيئا له على ذلك! إنك حين تقول عن حكم من الأحكام القضائية إنه غير شرعي أو أن الإسلام لا يعترف به بل حتى لو صرحت أن الحكم كافر، لا يستفاد منه الحكم على القاضي أو الحاكم أنه كافر، فضلا عن أن تحكم بالكفر على المتحاكمين، فمن أين للدكتور أن كلام سيد قطب "في غاية الصراحة في تكفير المجتمعات الإسلامية"؟! وكان بودنا أن نحمل كلامه -الدكتور- على أن المراد تكفير النظم والقوانين التي يتحاكم إليها، لكنه قطع باعتراضه علينا هذا الطريق حين صرح أن سيد قطب أخطأ في حق السواد الأعظم من الناس؛ فإن كثيرا منهم يعادون العلمنة". أي أنه بعدما حرف كلام سيد قطب، ونقله من خاص إلى عام أولا، ثم معناه من سام إلى حام ثانيا وقع باسم سيد قطب

[1] التي وصفها لا غيرها مما لم يشر إليها، بدليل اسم الإشارة الذي يقصد به معلوم في الخطاب سبق ذكره.

تلك التهمة الخطيرة وقال عنه إنه "سلك مسلكا في تكفير الناس لا يقره عليه عالم مسلم"[1].

قلت: نعم لا يقر عالم معتبر تكفير الناس، وسيد قطب بريء من ذلك، ولا يقر عالم تحريف كلام الناس عن موضعه، وأنت غائص من أخمص قدميك إلى أذنيك في ذلك! تأمل أيها القارئ! نعم تأمل هذه الفقرة ابتداء من العنوان، وحتى آخر حرف فيها، لترى المنهج الربيعي، فحاشا المنهج السلفي أن يترل إلى هذا الحضيض، أو يهوي إلى هذا الدرك!

جاء في "الأضواء" هذا العنوان: "**اعتبار سيد مساجد المسلمين معابد جاهلية انطلاقا من تكفير مجتمعاتهم واعتبارها جاهلية**".

فكل من يقرأ هذا العنوان يجد نفسه أمام أمرين عظيمين بدرا من سيد قطب:

الأول: تكفير المجتمعات الإسلامية، أي أفراده كما رأيت فيما سبق، عن بكرة أبيهم[2].

الثاني: مساجد المسلمين هي معابد جاهلية.

فما دليل الدكتور على ما ذكر؟! لا سيما وما ذكر ليس هينا فيطوى، ولا صغيرا فينسى!

إن النص الذي ألهم فيه الدكتور هذه التهم هو التالي -كما أورده في أضوائه[3]- حين قال: "قال سيد قطب في تفسير قول الله تعالى: ﴿**وأوحينا إلى موسى**

---

[1] "الأضواء" (ص: 74).

[2] واستعمل الدكتور هذه العبارة ذاتها عن بني أمية فقال عن سيد إنه كفر بني أمية عن بكرة أبيهم لم يستثن واحدا منهم! انظر شريطه مع العسكر"، وهو اسم على مسمى، فإن هذا العسكر قال إنه ثبت لديه -أو لديهم! - أن الإخوان المسلمين والتبليغ وحزب التحرير جميعا عملاء للغرب عامة، وأمريكا وبريطانيا وفرنسا خاصة!! يالها من سلفية عجيبة، هذه عسكرية، وتلك ربيعية!! وكلتاهما مذمومتان. ووافق شن طبقه كما تقول العرب!

[3] (ص:75-76).

﴿وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين﴾[1] قال[2]:

"وتلك هي التعبئة الروحية إلى جوار التعبئة النظامية، وهما معا ضروريتان للأفراد والجماعات، وبخاصة قبيل المعارك والمشقات، ولقد يستهين قوم بهذه التعبئة الروحية، ولكن التجارب ما تزال إلى هذه اللحظة تنبئ بأن العقيدة هي السلاح الأول في المعركة، وأن الأداة الحربية في يد الجندي الخائر العقيدة لا تساوي شيئا كثيرا في ساعة الشدة.

وهذه التجربة التي يعرضها الله على العصبة المؤمنة ليكون لها فيها أسوة، ليست خاصة ببني إسرائيل؛ فهي تجربة إيمانية خالصة، وقد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوم مطاردين في المجتمع الجاهلي، وقد عمت الفتنة وتجبر الطاغوت، وفسد الناس، وأنتنت البيئة، وكذلك كان الحال على عهد فرعون في هذه الفترة، وهنا يرشدنا الله إلى أمور:

1 – اعتزال الجاهلية نتنها وفسادها وشرها ما أمكن في ذلك، وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها، لتطهرها وتزكيها، وتدربها وتنظمها، حتى يأتي وعد الله لها.

2 – "اعتزال معابد الجاهلية، واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي، وتزاول فيها عبادتها لربها على نهج صحيح، وتزاول بالعبادة ذاتها نوعا من التنظيم في جو العبادة الطهور"[3].

فأين هي المساجد التي سماها سيد معابد جاهلية؟! إن الرجل واضح في أن هذه العزلة التي يدعو إليها، والتكتل من أجل تطهير النفس الذي يشير إليه، إنما تلجأ إليه

---

[1] (يونس/87).

[2] فقد قلت يا دكتور: قال سيد قطب في تفسير قوله تعالى فلا حاجة لهذا التكرار، خصوصا وأنها "قال" لم يكن بينهما وبين التي قبلها فاصل يصرف ذهن القارئ.

[3] "الظلال" (1816/3).

العصبة إذا ابتليت به، فهو يقول "قد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوم مطـــاردين..." "وقد" إذا وليها فعل مضارع وأفادت الاحتمال[1] فهي حرف تقليل كما هو معلوم، فسيد قطب يطرح احتمالا ربما تجد فيه الفئة المؤمنة نفسها وجها لوجه أمام تلـــك الأوضاع السيئة، وقدام فساد متسلط، وطاغوت متجبر، فعندئذ لها في هذا الدرس المتمثل في التعبئة الروحية المبنية على اتخاذ البيوت مساجد لتطهير النفس، والنـــأي عن المعابد الجاهلية، أسوة حسنة، و لم يقل إن هذا الوضـــع تحقـــق في مســـاجد المسلمين، لا في مصر ولا خارجها، فمن أين جاء الدكتور بفكرته تلك؟! وما هـــو المنهج الذي يسلكه في فهم كلام الناس؟!

ألا ترى يا دكتور الافتراء! أن سيد قطب وصف الحال الفاسدة، وقـــال بـــين العارضتين اللتين أسقطتهما بذكاء[2]! ليلفت نظر القارئ: "ـوكذلك كان الحـــال على عهد فرعون في هذه -الفترة-، فلماذا عندما ذكر احتمال أن يحتاج المؤمـــن "**ذات يوم**" إلى اعتزال المعابد الجاهلية، لم يقل "كما هو اليوم"، واكتفـــى بقولـــه "**ذات يوم**"؟!

ثم بالله عليك أيها الرجل: ألم تعلم أن سيد قطب كان يصلـــي في المســـاجد؟! أتراه يصلي في معابد الجاهلية؟!

♦ **شيخك الألباني -رحمه الله تعالى- يفقه سماعا خيرا منك قراءة:**

لقد تلقف أحد طلبتك -ممن يصدقك ولا يتتبع نقولك- فألقى بهذه الفرية بـــين يدي شيخك فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعـــالى- فســـأله الشيخ: هل ذهبت إلى مصر؟ فجاء جواب الطالب بالنفي، فتعقبه الشيخ الألبـــاني

---

[1] كما هي في هذا السياق، فما بال الدكتور جعلها -خلافا لأهل الاختصاص- حـــرف تكثير، بل تعامل معها كأنها حرف تحقيق، لأنه جزم أن سيد قطب يكفر المجتمعات الإســـلامية وجزم أنه يعتبر مساجد المسلمين معابد جاهلية، فعجبا لجرأته، وجرأة متبعيه خصوصا الجهال منهم!

[2] والذكاء حين يستعمل بخلاف الحق فهو مذموم لا ممدوح.

قائلا: هو مصري -أي سيد قطب- هو يحكي ما يشاهده في مساجد السيدة زينب والبدوي وإلى آخره.

الطالب: فتكون كل المساجد في مصر هكذا؟

الشيخ الألباني: لا، أنا لا أقول بالكلية، ولا هو يقول بالكلية، لكن هو يتكلم بصورة عامة[1]. فتأمل الفرق الشاسع بين فهمك وفهم شيخك! فالشيخ الألباني حتى مع التسليم أن يكون سيد قطب قال "مساجد المسلمين معابد جاهلية"[2] فقد حمل الكلام على أحسن محامله من وجهين:

الأول: عدم التعميم إذ حصر مراد سيد قطب بمصر.

والثاني: لم يجعل المقصود كل مساجد مصر، وإنما التي بها القباب والقبور ونحوها!

ترى يا دكتور من صاحب المنهج السلفي أنت أم الشيخ الألباني؟! قل ما شئت، أما نحن فعلى بينة من الأمر والحمد لله!

- **مازال للدكتور بقية كلام:**

فهل قنع الدكتور بالافتراء الأول الذي أوجده من عدم؟! كلا! فما على القارئ إذن، إلا الانتظار وحتى آخر حرف في هذه الفقرة، كما ذكرنا من قبل لقد بنى الدكتور على الباطل الأول باطلا ثانيا، وثالثا، و.. لا حول ولا قوة إلا بالله! تأمل أيها القارئ تعليقه على نص سيد قطب الذي أوردناه آنفا، حيث قال بالحرف عقبه: "وأي تكفير بعد هذا"؟!

وقد ينظر هذا الرجل إلى بعض الأعمال الإسلامية، وإلى المعتقدات الإسلامية الصحيحة فيراها جاهلية وضلالا!!

أليس هذا منه سعيا في تخريب مساجد الله وتعطيل أعظم شعائر الإسلام؟ ".

---

[1] انظر الشريط رقم: 785. لفضيلة الشيخ الألباني.

[2] مع أنك علمت أن شيئا من ذلك لم يكن، وإنما هو حلم مستقبلي خطر على بال الدكتور عند قول سيد قطب -رحمه الله تعالى- "قد يجد المؤمنون.. الخ" فظنه وقع فعلا!

قلت: تأمل قوله: "قد ينظر" وقد علمت أن هذا السياق يفيد الاحتمال القليل النادر أي أن الدكتور يقول يحتمل أن يرى سيد قطب المعتقدات الإسلامية الصحيحة جاهلية وضلالا!! هو لا يرى هذا الآن، ولكن محتمل منه ذلك، فما الذي حشرك يا دكتور في جحر الضب وسرداب التخمين؟!

إن باطلك ولود ولكنه غير ودود! فقد زعمت أن الرجل يكفر المجتمعات الإسلامية كذا! و لم يقل، وأنه يعتبر المساجد معابد جاهلية، و لم يفعل، بل صلى في مساجد المسلمين وافترضت احتمال رؤيته للعقائد الصحيحة أنها ضلال وجاهلية، وهذا منك ضلال وجاهلية ثم ماذا بقي؟!

ماذا تقول لربك أيها الرجل عندما تقف بين يديه سبحانه؟ هذا أولا! ثم ماذا تقول للقراء عندما يطلعون على ما كتبه سيد قطب وأخفيته عنهم؟ وهذا ثانيا!

قال سيد قطب: "...ومرة أخرى نجد أن منازعة الله الحكم تخرج المنازع من دين الله، حكما معلوما من الدين بالضرورة -لأنها تخرجه من عبادة الله وحده- وهذا هو الشرك الذي يخرج أصحابه من دين الله قطعا، وكذلك الذين يقرون المنازع على ادعائه، ويدينون له بالطاعة وقلوبهم غير منكرة لاغتصابه سلطان الله وخصائصه...فكلهم سواء في ميزان الله"[1].

فأنت ترى سيد قطب ينزل إلى أدنى مستوى قبل أن يصف بالكفر المتلبسين بالأوضاع الجاهلية، ويرى أنهم يستحقون الحكم عليهم بالكفر إذا تراجع الإنكار في قلوبهم بل إذا انعدم منها كلية، فعندئذ يسقط إيمانه لأنه لا إيمان لمن يرى سلطان الله معطلا، ولا يكتفي بمجرد الخضوع، بل لا يكون قلبه منكرا لهذا الاغتصاب فهل يرى الدكتور هؤلاء مسلمين؟! له ذلك، فمن يكون منكما إذن أسعد بحديث رسول الله ﷺ: **((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده،**

---

[1] "الظلال" (4/1991).

فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمـــان))[1] . ختـــم الدكتور تعليقه فقال:

"هذا الرجل؛ لو عاش في بلاد التوحيد؛ لرآها تعيش في جاهلية جهلاء وضلالـــة عمياء"[2] ألم أقل لك انتظر وتأمل كلامه إلى النهاية، ويا لها من نهاية، كما يا لها مـــن بداية! سئمنا عبث هذا الرجل، ومللنا سخريته بكـــامل آداب الكـــلام، وأســـس الاحترام، فهو لا يعيش سوى في الأوهام، ولا يفترض غير الأحلام! فقبل قليل قال: "**قد ينظر هذا الرجل**" والآن "**لو عاش هذا الرجل**"، هل أصبحـــت كاهنـــا يـــا دكتور؟! إنك أقل صدقا من الكاهن، فهو على الأقل قد يصدق مرة في تخميناتـــه وافتراضاته، وأنت ما رأيناك افترضت افتراضا قائما! إنما أكـــاذيب، مبنيـــة علـــى أكاذيب، لكن:

- **إذا كنت كذوبا فكن ذكورا:**

قبل قليل ذكر الدكتور أن سيد قطب يرى "مساجد المسلمين" هكذا بالإضافـــة إلى معرف وهو ما يفيد العموم، معابد جاهلية، ثم ها أنت تنسى وتشهد أنـــه لـــو عاش في "بلاد التوحيد" لرآها تعيش في جاهلية ؟! فعلى الأقل إذا كذبت، فتذكـــر كذبتك -ما دمت لا تريد أن تتذكر توبتك- !

ثم ما هي الأعمال التي تعتقد أن سيد قطب كان سوف يراها ضلالة وجاهلية في بلاد التوحيد؟! أقم على دعواك دليلا إن كنت صادقا!

بلاد مصر بلاد الوثنية، بل كل بلاد الإسلام ماعدا المملكة العربية السعودية.

قف أيها القارئ عند قول الدكتور لو عاش في بلاد التوحيد، والرجل عـــاش في مصر أي أنه عاش في غير بلد التوحيد، وإلا لما كان لكلام الدكتور أي معنى، وعليه فبلاد مصر ليست سوى وثنية لأنه لا وسط، إما شرك وإما توحيد، فالدكتور أولى

---

[1] رواه مسلـــم (78) في: الإيمـــان، (20) باب: بيان كون النهي عن المنكـــر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص. وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان. بشرح النووي.

[2] "الأضواء" (ص: 76).

بأن يتهم بتكفير أهل مصر! أم مرة أخرى نقول له، رمتني بدائها وانسلت! بل على منهجه نعتبره مكفرا لكل العالم الإسلامي سوى بلده الذي يعيش فيه، فالله يهدينا وإياه.

قد تقول يا دكتور: أنا لا أكفر بإطلاق، وقد ذكرت في مكان آخر الشروط التي أحكم بموجبها بالكفر و...و...الخ الكلام، عندها نقول: نحن نحاسبك على كلامك هنا. ولا نفهم ما ذكرته هناك فهذا حسب رأيك خاص بالكتاب والسنة، أما كلام البشر فلا نحمل العام على الخاص والمطلق على المقيد، وننظر احتمال النسخ ونحوه.

لكنا على منهجنا، منهج السلف الصالح -إن شاء الله تعالى- لا نستحل هذا التلاعب السمج، ولا نقبل هذا الأدب الفج، ونقول لك أسأت التعبير، فكل بلاد الإسلام -والحمد لله- بلاد توحيد، والمظاهر المنافية لمقتضيات التوحيد ننكرها، ونصلحها قدر المستطاع، نعم الجزيرة العربية أكثر بلاد الإسلام نقاء في هذا الجانب وذلك من فضل الله تعالى، ولا يعني أن ليس فيها هنات ومنكرات،كلا، ولكنها أحسن ما على وجه الأرض وأقربه للإسلام الشامل، وشهد الله أنها أحب بلاد الله إلينا، ليس لما فيها من المقدسات فحسب، بل لما يطبق فيها من أحكام في الجملة نابعة من الشرع، وفي بعضها محل نظر واجتهاد قد لا يكون هو الأصح، ولا هو الأرجح، لكن يدور الأمر في ذلك بين الأجر والأجرين.

وأما سائر بلاد الإسلام فبعضها يسعى لحذو سعي الجزيرة، ويجتهد في تعميم راية الشريعة، لكن من غير منطلق أهل السنة، وبعضها لم يبلغ ما بلغته، وكثير منها لا زال أمامها أشواط، لكن ذلك لا يخرجها عن حظيرة التوحيد، فتأدب مع المسلمين يا دكتور.

ومن تخليطات الدكتور أيضا، التي يرى بها ما لا يحسد عليه، تعليقه على فقرة أوردها من "الظلال" وقال عن محتواها:

"وفي هذا الكلام تكفير واضح للمجتمعات الإسلامية، لا يجادل فيه إلا مباهت معاند"[1] مع أنك لو قرأت بغير عيني الدكتور -أعني بغير نظارته العجيبة- لتعجبت من يقينه المرجوح أمام الشك، بل هو وهم محض، فكيف يدرس هذا الرجل وما هي أهليته وهو يقرأ الكلام على هذا النحو؟! فلننظر إلى الكلام الذي فيه تكفير واضح للمجتمعات الإسلامية كما ورد في "أضواء" الدكتور[2]، عافانا الله وإياه من الخلط والخبط: "إن الذين يفكرون في النظام الإسلامي اليوم وتشكيلاته -أو يكتبون- يدخلون في متاهة! ذلك أنهم يحاولون تطبيق قواعد النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية المدونة في فراغ، يحاولون تطبيقها في هذا المجتمع الجاهلي القائم، بتركيبه العضوي الحاضر، وهذا المجتمع الجاهلي الحاضر يعتبر -بالقياس إلى طبيعة النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية- فراغا لا يمكن أن يقوم فيه هذا النظام، ولا أن تطبق فيه هذه الأحكام...إن تركيبه العضوي مناقض تماما للتركيب العضوي للمجتمع المسلم. فالمجتمع المسلم -كما قلنا- يقوم تركيبه العضوى على أساس ترتيب الشخصيات والفئات كما ترتبها الحركة لإقرار هذا النظام في عالم الواقع، ولمجاهدة الجاهلية لإخراج الناس منها إلى الإسلام، مع تحمل ضغوط الجاهلية، وما توجهه من فتنة وإيذاء وحرب على هذه الحركة، والصبر على الابتلاء وحسن البلاء من نقطة البدء إلى نقطة الفصل في نهاية

---

[1] "الأضواء" (ص:96).

1) ألا تستحي أيها الرجل حتى تنعت الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- بالمباهت المعاند! أم كنت تظن أن فهمك السطحي -كما نعته الشيخ الألباني- لكلام سيد قطب سيوافقك عليه حتى العلماء أنفسهم؟ هذا الشيخ عدنان عرعور -حفظه الله تعالى- يقرأ كلامك على الشيخ قائلا: فهذا من شذوذات سيد قطب ليوسع به دائرة التكفير لمن يخالف منهجه، ها هو يكفر الآخرين بمجرد أي واحد يخالف منهجه يريد سيد بهذا يكفر. فجاء جواب الشيخ الألباني بما يلي: ما عرفنا ذلك عنه -أي التكفير-. انظر الشريط رقم 785.

[2] (ص: 95).

الطاف، أما المجتمع الجاهلي الحاضر؛ فهو مجتمع راكد، قائم على قيم لا علاقة لها بالإسلام، ولا بالقيم الإسلامية...وهو -من ثم- يعد بالقياس إلى النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية فراغا لا يعيش فيه هذا النظام ولا تقوم فيه هذه الأحكام". انتهى كلام سيد قطب كما نقله الدكتور فأين التكفير الواضح بل وغير الواضح في هذه السطور؟! ندع الجواب لمن لا يزال يعتقد أن الدكتور لم يتزيد على الرجل ولم يكذب عليه.

وإليك أخي القارئ ما أخفاه الدكتور وسكت عنه طيلة هذه المدة من الزمن ما قاله شيخه محمد أمان الجامي -رحمه الله تعالى- وقارنه بكلام سيد قطب:

قال الشيخ محمد أمان الجامي في كتاب (تصحيح المفاهيم ص:6): "فقد زاغ جمهور المسلمين عن المنهج، فصاروا يعملون خارج المنهج في جوانب كثيرة، مغيرين بذلك مفاهيم وتصورات كثيرة، فحياة المسلمين اليوم أقرب إلى الجاهلية التي قبل مبعث النبيﷺ منها إلى الحياة الإسلامية".

وقال في (ص: 13): "فما أحوجنا اليوم إلى عمر، نعم إلى عمر لمقاومة جاهلية القرن العشرين ووثنيته، ما أحوج المسلمين إلى الصديق للقضاء على ردة هذا القرن[1]".

من أحق أن توجه إليه تهمة تكفيره للمجتمعات الإسلامية يا دكتور، شيخك أم سيد قطب؟ أنت وما ترى.

*****

[1] "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" (ص:55).

-نقد الفصل السادس-

"الشرك وعبادة الأوثان عند سيد ومن سار على نهجه"

لعلك تتساءل مثلي عما يخفيه هذا العنوان من مفاجآت، فقد ألفنا من الدكتور وهو يسرد حكايات اتهاماته أن يطلع علينا بما لا يخطر بالبال، وما لا يستوعبه خيال،! "الشرك وعبادة الأوثان عند سيد" أي في نظر سيد قطب، بل وفي نظر من "سار على نهجه" فيبدو أن الدكتور تأهب لخوض معركة متعددة الخصوم، فلا شك يكون قد أعد العدة!

وأنت حين تقرأ مثل هذا العنوان، تجد نفسك محاصرة بجملة تساؤلات! ماذا يريد هذا الرجل بعنوانه هذا؟! "فهل يشك مسلم في خطورة الشرك، وهل بين المسلمين من يعبد الأوثان؟! وهل يجوز أن يجهل رجل كسيد جعل" لا إله إلا الله منهج حياة عبادة الأوثان أو يجهل خطر وضرر الشرك؟!

لا شك أن كثيرين مثلي يتشوقون إلى مفاجأة، بل مفاجآت، فلا نطيل الانتظار، ونذكر ما قاله سيد من كلام، استوجب في نظر الدكتور ما استوجب من عتاب وملام!

◆ "العقيدة الإسلامية منهج حياة"[1]

يقول سيد قطب:

"إن الاعتقاد بالألوهية الواحدة قاعدة لمنهج حياة متكامل، وليس مجرد عقيدة مستكنة في الضمائر، وحدود العقيدة أبعد كثيرا من مجرد الاعتقاد الساكن ...".

إن حدود الاعتقاد تتسع وتترامى حتى تتناول كل جانب من جوانب الحياة... وقضية الحاكمية بكل فروعها في الإسلام هي قضية عقيدة، كما أن قضية الأخلاق

---

[1] العنوان ليس من كلام الدكتور، وإنما لخصنا فيه الكلام المنتقد من قبله.

بجملتها هي قضية عقيدة، فمن العقيدة ينبثق منهج الحياة الذي يشتمل الأخـــــلاق والقيم كما يشتمل الأوضاع والشرائع سواء بسواء[1]–[2].

هذا الكلام الناصع تمعر له الدكتور، ولم ينشرح له صدره، وكان يجب عليـه أن يشكر صاحبه[3]، الذي جعل العقيدة أساس حياة المسلم، منها ينطلق ليقوم بـــأجل الأعمال كما أنه منها ينطلق للنهوض بأدق الأشغال! فكل حياة المسلم تندرج تحت شعب الإيمان ابتداء من شهادة "لا إله إلا الله " ونزولا حـــتى إماطـــة الأذى عــــن الطريق، فما العيب في كلامه هذا، وما دخله في عنوان نحو "الشرك وعبادة الأوثـان عند سيد ..." إننا لم نر شيئا! فلنفسح إذن المجال لنظارة الدكتور الذي قال:

"في هذا الكلام حق وخلط":

أما أن العقيدة قاعدة لمنهج حياة متكامل؛ فمسلم.

وأما أن حدود العقيدة تتسع وتترامى حتى تتناول كل جـــانب مـــن جوانــب الحياة. . .الخ، فهذا ما لم يدل عليه كتاب ولا سنة، ولا قاله علماء الإسلام؛ فـــهذا من شذوذات سيد قطب؛ ليوسع به دائرة التكفير لمن يخالف منهجه هو، وهو مـــع ذلك يحيد عن ذكر شرك القبور"[4].

اعتراضات جوفاء:

هذه الاعتراضات التي قامت في رأس الدكتور لا تحتوي على ما يدعمـــها، ولا رصيد لها من الصحة بل هي اعتراضات جوفاء، قائمة على أوهام يغذيها سوء الظن

[1] "الظلال" (2114/4).

[2] "الأضواء" (ص: 109).

[3] كما فعل الشيخ الألباني –رحمه الله تعالى– حين قرأ عليه الشيخ عدنان عرعور.

[4] "الأضواء" (ص: 110/109).

بسيد قطب الذي باض وفرخ في عقل الدكتور، لدرجة يخشى عليه فيها أن يصيبه مرض اسمه : "سيد قطب"!

إن الدكتور لو تأمل قليلا، وتأنى في حكمه يسيرا، لاعترض على اعتراضاته قبل أن يعترض عليها غيره: لأن اتساع حدود العقيدة الذي أشار إليه سيد قطب صدر كلامه، شرحه آخره حين قال إن "من العقيدة ينبثق منهج الحياة الذي يشتمل الأخلاق والقيم" فالأخلاق في الإسلام مهما جلت أو دقت، لها صلة بالعقيدة، على الأقل من حيث المرجعية التي تستمد منها مشروعيتها، ولا يسمح للمسلم أن يستعير أبسط أدب من أي ملة أو دين وفي قوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب[1] -وقد رآه يستعير بعض الآداب من التوراة-: ((**لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني**))[2] ما يكفي ويشفي لبيان هذه الحقيقة،

---

[1] هو الخليفة الثاني لرسول الله ﷺ، عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط. القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية، قيل إنه ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وقتل يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، وقيل لثلاث بقين منه سنة ثلاث وعشرين (23هـ)، وهو ابن (58) أو (59) سنة. انظر "الإصابة":(279/4).

[2] النهي عن قراءة صحف أهل الكتاب رويت من حديث: جابر بن عبد الله، وخالد بن عرفطة، وجبير بن نفير، وعقبة بن عامر، وعبد الله بن ثابت، وحفصة، وأبي الدرداء، وأبي قلابة، مرسلا، والحسن البصري مرسلا.

1- أما حديث جابر بن عبد الله: فرواه أحمد (387-338/3)، والدارمي (115/1)، وابن أبي عاصم في "السنة" (27/1)، والبيهقي في "الكبرى" (11/2)، وفي "شعب الإيمان" (200/1)، من طرق عن مجالد، عن الشعبي، عنه مرفوعا.

قلت: فيه مجالد بن سعيد، وهو ضعيف.

2- وأما حديث، خالد بن عرفطة:

=

= فرواه العقيلي في "الضعفاء" (21/2)، وذكره ابن كثير في "التفسير" (279/4)، من طرق عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن خليفة بن قيس، عنه مرفوعا.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (173/1-182)، بعد أن عزاه إلى أبي يعلى الموصلي: وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ضعفه أحمد وجماعة .

قلت: وفي الحديث علة ثانية، قال: البخاري في "التاريخ الكبير" خليفة بن قيس مولى خالد ابن عرفطة حليف بني زهرة، عن خالد بن عرفطة، يعد في الكوفيين، لم يصح حديثه؛ روى عنه عبد الرحمن بن إسحاق.

وقال العقيلي: وفي هذا رواية أخرى من غير هذا المعنى بإسناد فيه أيضا لين.

قلت: لعله يشير إلى حديث جابر المتقدم.

3- وأما حديث جبير بن نفير:

فذكره ابن كثير في "التفسير" (279/4-280)، قال: قال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أخبرني الحسن بن سفيان، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي،حدثني عمرو بن الحارث، ثنا عبد الله بن سالم الأشعري، عن الزبيدي، حدثنا سليم بن عامر، عنه مرفوعا. وفيه قصة عمر بن الخطاب مع رجلين كانا بحمص في خلافته،كانا قد اكتتبا من اليهود صلاصفة فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين.

قلت: وهذا إسناد ضعيف فيه إسحاق بن إبراهيم، وعمرو بن الحارث، قال الحافظ في الأول: صدوق يهم كثيرا، وفي الثاني: مقبول، وباقي الرواة ثقات.

4- وأما حديث عقبة بن عامر:

فرواه الروياني في مسنده (97/1)، من طريق ابن لهيعة حدثني مشرح بن هاعان المعافري، عنه مرفوعا، به.

قلت: فيه ابن لهيعة، وهو سيء الحفظ.

5 - وأما حديث عبد الله بن ثابت:

فرواه عبد الرزاق (192/3) قال: أنبأنا سفيان، عن جابر، عن الشعبي، عنه مرفوعا.

قلت: وهذا إسناد ضعيف، من قبل جابر، وهو ابن يزيد الجعفي، وهو ضعيف.

6- وأما حديث حفصة رضي الله عنها:

فرواه عبد الرزاق (10165-20061)، عن معمر، عن الزهري عنها: =

فهذا هو مراده الواضح، لكن الدكتور أبان عن سوء فهم فاضح، عندما ظـــن أن مراد سيد أن كل جزئية من جزئيات الحياة هي من العقيدة، بحيث من أخطـــأ في التحية مثلا، فمثله مثل الذي أخطأ في أركان الإيمان، وهذا غاية في البعد! بل هـــذا الفهم هو الشذوذ بعينه!

أتدري يا دكتور أن المستهزئ باللحية -وهي شعرات تنبت في وجه الرجـــال عادة!- قضيته قضية عقيدة، وليس بمجرد مسألة رشاقة وأناقة كما يظهر في وســائل الإعلام؟! وكذلك من يسخر ويحتقر الحجاب مع كونه في التقسيم لا يدخـــل في كتاب الإيمان أو التوحيد أو نحوه من أبواب العقيدة، وإنما هو من أبواب اللبـــاس، ومع ذلك تقرر أن الساخر منه والمستهزئ بأهله لأجله زنديق كافر أو على حافـــة

= "جاءت إلى النبيﷺ بكتاب من قصص يوسف في كنف، فجعلت تقرأ عليـــه،... فقـــال: ((**والذي نفسي بيده لو أتاكم يوسف وأنا معكم، فاتبعتموه وتركتموني ضللتم**))".

قلت: رجاله ثقات، لكنه منقطع أو لربما معضل بين الزهري وحفصة.

7- وأما حديث أبي الدرداء:

فرواه الطبراني في "المعجم الكبير" كما في "مجمع الزوائد" (174/1)، وقال: فيه أبو عـــامر القاسم بن محمد الأسدي (وفي الهندية الأشعري) ولم أر من ترجمه وبقية رجاله موثقون.

8- وأما حديث أبي قلابة:

فرواه عبد الرزاق (10163-20062) وأبو داود في "المراســـيل" (484) في الطـــب (90) باب: ما جاء في العلم، عن أيوب، عنه مرسلا.

قلت: وهذا مرسل صحيح رجاله ثقات، رجال الصحيحين.

قال أيوب -يعني السختياني-: قلت لأبي قلابة، ما المتهوكون؟ قال: المتحيرون.

9- وأما حديث الحسن البصري:

فرواه البيهقي في "شعب الإيمان" (200/1) مرسلا، قال أبو عبيد، وثنا معاذ، عـــن ابـــن عون، عن الحسن يرفعه. قال: قال ابن عون فقلت للحسن: (ما مهوكون) قال: متحـــيرون.

وجملة الكلام: أن الحديث حسن بمجموع هذه الطرق وربما كان صحيحا، والله تعالى أعلم.

الكفر؟! فهذه أحكام خاصة بأخطاء العقيدة لا أخطاء في الفروع بله الجزئيـــات! على كل حال إن اعتراضك على سيد قطب في غير محله، لأنك اعترضت على مـا فهمته أنت لا على ما كتبه هو، وهذا من فرط حرصك على الإيقاع به، تتوهـــم أخطاء في كل نواحيه! وهي حالة مرضية في حاجة إلى طبيب!

وقصة الدكتور مع سيد قطب تذكرنا بقصة النسائي[1] صاحب السنن -رحمه الله تعالى- مع أحمد بن صالح المصري الحافظ، فإن النسائي ذهب للسماع من أحمد ابن صالح وحصل بينهما سوء تفاهم، أصبح على إثره سيء الظن فيه، فلا يراه يستحق إلا اللوم والجرح، من هنا ما إن بلغ النسائي أن يحيى بن معين ضعف أحمد ابن صالح حتى انتقل إلى ذهنه أنه هو المعني بالجرح، لأنه استقر نظره فيه على الحـــال الـــذي عرفت، فبادر هو إلى جرحه وتضعيفه وشذ بذلك عن علماء الجرح والتعديـــل لأن سوء ظن النسائي به جعل هناته القليلة تبدو كثيرة كبيرة، كما أنــــه لم يـــتريث في كلام ابن معين لينظر أهذا هو المعني به أم غيره، مع أن ابن معين لم يتكلم في هـــذا بل في غيره، ولقد بين الحافظ هذا مختصرا في "التقريب" فقال: "ثقة حـــافظ مـــن

---

[1] الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن سنان بن بحر بن دينـــار النسائي صاحب السنن، وكان يسمى كتابه الصحيح وقال أبو علي الحافظ: للنسائي شرط في الرجال أشد من شرط مسلم بن الحجاج وكان من أئمة المسلمين. كان له أربـــع زوجـــات وسريتان وكان كثير الجماع. وكان يكثر أكل الديوك الكبار، تشترى له وتسمن ثم تذبـــح فيأكلها، ويذكر أن ذلك ينفعه في باب الجماع. سئل عن معاوية بن أبي ســـفيان صـــاحب رسول اللهﷺ فقال: إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابـــة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب إنما يريد دخول الدار، قال فمـــن أراد معاويـــة فإنمـــا أراد الصحابة، ولد سنة (214- 215هـــ) وتوفي سنة (303 هـــ)، انظـــر "تهذيـــب التـــهذيب" (27/1) "تذكرة الحفاظ" (698/2).

العاشرة تكلم فيه النسائي بسبب أوهام له قليلة[1] ونقل عن ابن معـــين تكذيبـــه[2] وجزم ابن حبان بأنه إنما تكلم في أحمد بن صالح الشموني[3] فظن أنـــه عـــنى ابـــن الطبري[4]..."وكذلك فنحو هذا مصاب به الدكتور ربيع مع سيد قطب مما يجعله لا يقرأ كلام سيد، إلا تسابقت إلى رأسه أسوأ المعاني، وأقبح المفاهيم، فيرســـلها إلى المطبعة ليقرأها الناس، اعتقادا منه أن الكل يقرأ على هذا النحو الذي يقرأ به، لكـــن لسان حال كل قارئ يقول لك يا دكتور " الحمد لله الذي عافانا مما ابتلاك..."!

ومن غريب الأمر أن الدكتور لما كتب هذه "الأضواء" اتجه بها إلى خبير بالبيـــلن، وهو الشيخ بكر أبو زيد، فكشف له عللها، وأخبره أن كلام سيد قطب لا يفـــهم على هذا النحو المشوه الذي فهمه دكتورنا المطبوب! ونصحه بالعدول عن هـــذا المشروع الحرام! أي كأنه قال لك يا دكتور: مزق أوراقك واقعد! فلم لم تســـمع نصيحة الناصحين؟!

---

[1] لكن سوء ظنه فيه بسبب ما حصل نحوه من جفوة توهمها كثيرة، وإلا فقد وثق النسـائي من هو أكثر منه خطأ، وأعمق جرحا!!

[2] ليس في الدنيا أحمد بن صالح هذا لوحده، ولكن...

[3] هو أحمد بن صالح الشموني -وفي التهذيب الشمومي- المصري نزيل مكة، روى عن أبي صالح كاتب الليث ذكره ابن حبان في "الضعفاء" فقال: يأتي عن الأثبات بالمعضلات تجـــب مجانبة ما روى لتنكبه الطريق المستقيم في الرواية، انظر "ميزان الاعتدال" (105/1)، "تهذيـــب التهذيب" (31/1).

[4] لأنه هو الذي يستحق في نظره كل عيب، فتأمل!

((**هلا شققت عن قلبه**))[1] هذا حديث شريف صحيح أرشد فيـه المصطفـى أصحابه وأمته إلى وجوب الوقوف عنده حتى لا نتعمق في الحكم على الناس، بـل نكتفي بما هو ظاهر ونكل ما وراء ذلك لرب الناس سبحانه! لكن الدكتور حـين أعماه موقفه من سيد لم يلتزم هذا التوجيه النبوي، ولن نقول له هو ما يقول هو في غيره –وما أكثر ما قال ويقول[2]– إنهم لا يعملون بالسنة ويقلدون، ويتعصبون و.. الخ القائمة الربيعية، كلا! لن نقول شيئا من ذلك، ولكن نقول إن خطأ الدكتـور الذي وقع فيه أولا، أدى به إلى اعتقاد أن سيدا عندما قال أن العقيدة تمتد لتشـمل جميع جوانب الحياة، يريد أن الفقه بكامل فروعه مثلا هو من العقيدة، ونحو ذلـك، فإن هذا ينفي ما تعارف عليه العلماء من تقسيم الشـريعة إلى عقـائد وعبـادات ومعاملات، أو تقسيم الإسلام إلى أصول وفروع، وبناء عليه فكل شيء هو عقيدة، وبالتالي من يخالف في شيء صغير أو كبير، هين أم خطير، فإنه يفتح لـه البـاب للخروج من الدين ويعد من الكافرين، وهذا خطأ انبنى على خطأ! بل وزاد الطـين بلة فقال: إن "هذا من شذوذات سيد ليوسع به دائرة التكفير لمن يخالف منهجه هو، وهو مع ذلك يحيد عن ذكر شرك القبور" وجوابا على سلسلة أخطائه، بل تراكـم تناقضاته نقول:

---

[1] رواه البخاري (4269) في: المغازي (45) باب: بعث النبيﷺ أسـامة بـن زيـد إلى الحرقات من جهينة، ومسلم (160-158-159) في: الإيمان (41) باب: تحريم قتل الكافر بعـد أن قال لا إله إلا الله، وفيه قصة. بشرح النووي.

[2] فما زال يصلنا الجديد والمزيد من رسائله وأشرطته، فيبدو أنه مشتبك في جدل على عدة جبهات ولعله يعتقد أنه على الحق ومخالفوه على الباطل وكثيرا ما يأتي بمقارنات له مع شـيخ الإسلام ابن تيمية الذي كان يرد على طوائف من المبتدعة، فهل خال الدكتور نفسه في هـذا الوضع؟! من يدري ربما يكون هذا من أفلام الخيال العلمي –كما يقال–! الـتي تجـري في رأسه!!

حسنا يا دكتور. إذا اتسعت دائرة العقيدة على النحو الذي فـــهمت فكيـــف أبقيت شرك القبور؟!

أيجوز أن تفهم أن سيدا يرى بأن آداب السلام، أو آداب الطعام من العقيدة أمـا شرك القبور فليس منها؟! وإن قلت بالعكس بطل قولك: "يحيد عن شرك القبور".

فخلص كلامك مما يشوبه من تناقض أولا! ثم نقول ثانيا: من أين فهمت بـــأن سيد قطب سيحكم على من خالف منهجه في أدنى جزئية بــــالكفر؟! لأنـــه إذا كانت الجزئيات تتناولها العقيدة على ذلك النحو الممسوخ الذي فهمت به كلامـه، ثم رتبت على ذلك الحكم بالكفر على كل مخالف، وهذا أيضا من كيسك -أعـــني من فهمك- فالنتيجة أن كل من ليس من "الإخوان المسلمين" فهو كافر! وبهـــذا يصدق عليك المثل. "مالكي أكثر من مالك". فهل اتهم أحد "الإخوان المســـلمين" بمالهم وما عليهم، أنهم يكفرون الجماعات الإسلامية الأخـــرى، أو غـــيرهم مـــن المسلمين، سبحانك هذا بهتان عظيم!

على أن مسألة التكفير عرفتها، وعرفت موقع سيد فيها، وأنه يقف حيث يقـف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، فارجع إلى ذلك إن كان في قلبك بقية شـــك، أو صبابة ريب!

خلاصة الأمر أن سيد قطب في هذا المقام الأول الذي أورده الدكتور قـــرر أن العقيدة قاعدة وأساس الحياة كلها، فإنها المنطلق والحكم لكل صغيرة وكبيرة، وليس أن كل شيء في أفعال العباد هو من باب العقيدة، فهذا فهم بعيـــد، ونظـــر مـــن الدكتور غير سديد!

◆ وانطلق عداد الدكتور!

وبعد؛ فقد انتهينا من الاعتراضات الجوفاء" لنتابع وننظر قضية عبادة الأوثان التي وردت في العنوان، والشرك الذي أظهره الدكتور للعيان؛ ما قصته مع سيد؟! ولكي

نكون في الصورة كما يقال: دعنا أولا أن نعرض كلام سيد قطب -رحمــــه الله- لنفهمه نحن، ثم ننظر إلى الحصافة الربيعية كيف ستفهمه!

- جاء في "الأضواء":

ثم يقول: "إن عبادة الأصنام التي دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يجنبه هو وبنيه إياها لا تتمثل فقط في تلك الصورة الساذجة التي كان يزاولها العرب في جاهليتهم، أو التي كانت تزاولها شتى الوثنيات في صور شتى، مجسمة في أحجار أو أشـــجار أو حيوان أو طير أو نجم أو نار أو أرواح أو أشباح...إن هذه الصورة الساذجة كلـــها لا تستغرق كل صور الشرك بالله، ولا تستغرق كل صور العبادة للأصنام مـــن دون الله، والوقوف بمدلول الشرك عند هذه الصور الساذجة يمنعنا من رؤية صور الشرك الأخرى التي لا نهاية لها، ويمنعنـــا مـــن الرؤيـــة الصحيحة لحقيقـــة ما يَعْتَـــوِرُ البشريةَ من صور الشرك والجاهلية الجديدة، ولا بد من التعمــــق في إدراك طبيعـــة الشرك وعلاقة الأصنام بها، كما أنه لابد من التعمق في معنى الأصنام، وتمثل صورها [المجردة][1] المتجددة مع الجاهليات المستحدثة!".[2]

رحم الله سيدا! يا له من تصوير دقيق، وفقه عميق لأنواع الشرك، وأصنـــــاف المعبودات من دون الله؛ فهي لا يحصرها حد، ولا يحدها عد، إنها كما قال أحدهم:

تجدد للناس في كل عصر منـــاة*شاب بنو الدهر، وهي لا تزال فتاة**

فلا يزال الشيطان يخترع ويبتدع للناس من صنوف الشرك بلا ملـــل وبـــدون كلل، ولا حد ولا نهاية للطواغيت التي تعبد من دون الله، بغض النظر عن أسمائـــها وألقابها، كفى أنها معبودات اتخذها الناس لله ندا، فعبدوها وخضعوا لها أبدا!

- لكن ما رأي الدكتور ربيع؟! قال عقب هذا: "وفي هذا الكلام...!" وانطلق عداده على عجلة من أمره، ومن جهته أرخى له الدكتور العنان، ليبدأ في التسجيل،

---

[1] الزيادة من الدكتور وإلا فلا ذكر لها في أصل "الظلال".

[2] "الأضواء" (ص: 110) نقلا عن "الظلال" (2114/4) .

وأول ما اعترض به: أن هذا الكلام فيه "تهوين من دعوات الأنبياء التي ركزت على عبادة الأصنام". قلت: فاتتك يا دكتور سكتة -بل سكتات-! مـــا ضـــرك لـــو صمتت، بدل أن تفضح نفسك على هذا النحو الذي يجردك من إزار الاحـــترام، ولباس الوقار، الذي يجب أن يراك به طلبتك وتلاميذك، فتتعرى مما يستر العـــورة الأدبية، بسبب هذا التلاعب بأقوال الناس، لا سيما من أفضى إلى ربه! وأنت تزعم أن مـــا قمت من أجله في تأليفك هذا كان سببه افتتان الناس بسيد قطب، وإعـــادة طبع كتبه على ما فيها من طامات[1]، وعلى هذا فيجب أن نجد شـــباب الإخـــوان المسلمين خاصة، وشباب الإسلام عامة، يصيحون في الناس ويهونون مـــن دعـــوة الأنبياء، ولكن شيئا من ذلك لم يكن، وما كان له ليكون، لأن أهل الإسلام، سواء من كان إخوانيا أو سلفيا أو غير ذلك، يحترمون الأنبياء، ويوقرون دعوهم، وسـيد قطب لم يخرج عن هذا المبدأ، ولا حاد عنه، وهذا يكشـــف أن قـــراءة الدكتـــور لكلامه هي من نوع من يقرأ ما لم يكتب، ويفهم مالا يقرأ !!

فقول سيد قطب -رحمه الله تعالى- إن "هذه الصورة الساذجة كلها لا تستغرق صور الشرك بالله" ليس تهوينا من صور الشرك التي ذكرت، بما فيها عبادة الأصنام، ولكنها إشارة إلا أن تلك الصور البسيطة لا ينحصر فيها الشرك كله، في كل زمان ومكان، كلا!

ثم إن سيدا قال قبل هذا الكلام -وهو من أسرار الدكتور التي لا يطلـــع عليـــه قارئه!كما علمت- عنـــد قولـــه تعـــالى: ﴿**واجنبنـي وبنـي أن نعبـد الأصنام**﴾:... يدعـــوه أن يجنبـــه عبـــادة الأصنـــام هـــو وبنيـــه... يدعـــو إبراهيم هذه الدعوة مما شهده وعلمه من كثرة ما ضلوا بهذه الأصنام من النـــاس في

---

[1] في عين الدكتور ربيع وأتباعه طبعا.

جيله وفي الأجيال التي قبله، ومن فتنوا بها ومن افتتنوا وهم خلق كثير..."[1] ولا نعلم مقياسا علميا يقودنا إلى أن نفهم من يعتبر عبادة الأصنام ضلالا مهونا منها، ومن دعوة الرسل الذين حذروا منها ومن عواقبها، فهل "المنهج السلفي" يا دكتور -الذي أسأت إليه- هو الذي يملي عليك هذه المفاهيم؟!

ليس لك يا دكتور أن تفهم ما شئت، كيفما شئت! والأدهى أن يقول الدكتور إنه "قد ضج من أسلوب سيد قطب هذا كل من يفهم حقيقة التوحيد والشرك"[2]. وهو كلام مفهومه أن الذي لا يفهم كلام سيد على ذلك النحو الممسوخ لا يفهم حقيقة التوحيد!!

لو حاول أكبر مبتدع أن ينال من "السلفية" بأمكر حيلة ما استطاع أن ينال منها، كما فعل الدكتور ربيع، ليصدق عليه المثل عدو عاقل خير من صديق جاهل!!

إن المسلم -الأصل فيه- أن يبغض الكذب والافتراء، ويمتعض من التلاعب والالتواء وهي الأوصاف التي ما فتئ الدكتور يلبسها لبوسا، ويطير بها في المجالس وهو يأكل لحوم الأبرياء، ولسان حاله يقول: ﴿**اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد**﴾.

فهذا كان عن الاعتراض الأول الذي أرسله عداد الدكتور، وهو خال من أي مضمون، مشحون بالأوهام والظنون، فهو صفر خال لا يساوي شيئا! فماذا بعد يا دكتور؟!

ثانيا: فيه -أي كلام سيد قطب- صرف الدعاة عن أعظم وأكبر أنواع الكفر والشرك الذي حاربه كل الأنبياء والمرسلون والمصلحون وأدركوا أنه أكبر خطر

---

[1] "الظلال" (2109/4).

[2] "الأضواء" (ص: 110) .

على الإنسانية، وأنه أعظم أنواع الانحطاط والانحدار الذي تهوي إليه البشـــرية إذا وقعت فيه"[1].

قلت: يا رجل، بخ، بخ، لك على عبقريتك! وهنيئا لك، هنيئا على أَلْمِعِيَتـــك!! ولو تركنا القارئ يقرأ كلامك ساذجا، وخاليا من التعليق لكان كافيا لبيان سـلامة كلام سيد! فالدليل على صوابه أن يقرأ القارئ كلامك!! مهزلة ما بعدها مهزلـــة ولكن مع كل هذا دعنا ننبهك ونذكرك: أن العالم الإسلامي ليـــس فيـــه أصنـــام منصوبة يعبدها المسلمون. وبما أن عبادة الأصنام –على حد تعبيرك– "أعظم وأكـبر أنواع الكفر والشرك" فبدهي أن لا يعيرها سيد قطب اهتمامه بل يصرف جـــهده، ويوجه طاقته إلى غير ذلك من أنواع الشرك، كالشرك مع الله في التشـــريع مثـــلا، وهو أمر يعاني منه العالم الإسلامي بصفـــة واضحـــة منـــذ سقـــوط الخلافـــة الإسلاميـــة، ومجيء الاستعمار، الـــذي أزاح كثيرا من التشريعات والقوانين وأحل محلها تشريعاته وقوانينه، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل توغلت النظم الكـــافرة حتى استقرت في عقول فئة غير قليلة من الناس، فرفعت شعارات تقضي بإقصـــاء الشريعة نهائيا عن الحكم، بل في مصر بلد سيد نفسه بلغ التحدي أوجَـــهُ عندمـــا ولجت هذه الأفكار إحدى أعرق الجامعات الإسلامية على الإطلاق! فهذا الشـــيخ الأزهري علي عبد الرازق يخرج على الناس بكتاب "الإسلام ونظام الحكم" يقـــرر فيه أمورا خطيرة نحو أن الإسلام ليس له نظام سياسي وما كان النبيﷺ يوما رجل سياسة، إنما هو رسول الناس يعلمهم الشعائر التعبديـــة فحســـب، و...الخ تلـــك التقريرات التي أودعها كتابه، والتي ما كانت سوى انعكاسا وأثرا لذلك التوغـــل الكافر والتحدي السافر الذي عانى منه المسلمون في تلك المرحلة، والذي بلغ أوجـه عندما اقتحم حمى الأزهر الشريف!

---

[1] "نفسه" (ص: 111).

ومما يدل على خطورة هذا الشرك الوافد الجديد، أن كتاب الشيخ عبد الــرازق أحدث ضجة لم يحدثها كتاب قبله -وربما ولا بعده إلى الآن- فانطلقت الأقــلام للرد عليه، بين مفسق وساحر، وبين مضلل له ومكفر، وتدخلت الأزهر للإبقــاء على ماء الوجه الذي مرغه هذا الشيخ، فبادرت إلى تجريده من شهادة العالميــة، و لم تهدأ الزوبعة مع ذلك، وتحركت الدولة وكثر اللغط وكانت فتنة وأي فتنة!

و لم يكن الشيخ علي عبد الرازق -رحمه الله-[1] وحده الذي تمرد على الإســلام، وإن زعم أنه مؤمن به، حين ينقض دعواه بقول أو فعل كما فعل الشيخ -أولا- لما زعم أن الإسلام ليس سوى الشعائر التعبدية وبعض قضايا الأحوال الشخصية، أمـا السياسة الشرعية وأحكامها فليس للإسلام فيها أمر ولا نهي!

وقريب من هذا التمرد، ما قام به شيخ أزهري آخر مشهور وهو الشيخ خــالد محمد خــالد -رحمه الله- لا سيما في كتبه "من هنا نبدأ"[2] و"كي لا تحرثوا في البحر" و "هذا أو الدمار" وهي كتب خلاصتها إقصاء الشريعة عن ميدان السياسـة والأخلاق، وزعم الشيخ أن على المسلمين اعتناق أخلاق أوروبا وطرح أخــلاق الإسلام، ومجد الشيخ - غفر الله له- بأخلاق الأنجليز، ونــوه بــآدابهم وهــدوء أعصابهم[3] !

---

[1] نقول رحمه الله، لأن الرجل عاد إلى رشده، وتبرأ مما أودعه كتابه بعد سنوات، فـالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

[2] وهو الكتاب الذي تصدى له الشيخ الغزالي -رحمه الله- بكتابه "من هنا نعلم".

[3] لكن ذلك تغير في نظره وعاد الشيخ إلى رشده وآب إلى ربه وأناب -نحسبه كذلــك- وكتب كتابات لا بأس بها عن أخلاق الإسلام. وإن كانت هي الأخرى ينبغي أن يعاد فيــها النظر من حيث التوثيق، من ذلك كتابه المشهور: "رجال حول الرســول" فــالحمد لله أولا وأخيرا

كل هؤلاء يا دكتور ما كانت بين أيديهم أصنام يسجدون لهـــا، ولا تمـــاثيل يعبدونها، بل هؤلاء يكفرون من يفعل ذلك، لكنهم ناقضوا شهادة لا إله إلا الله من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

فإذا كان هذا الانحراف عن التوحيد، الذي تأجج بالغزو الثقافي والعقدي أصاب أعرق المؤسسات الإسلامية، فلا تسأل عما يصيب سائر الفئات.

إن كل الغيورين على هذا الدين حين استيقظوا على هذا الخطر الـــذي بـــات يهددهم بالاقتلاع والاجتثاث وأعني بذلك اقتلاع الإيمان والإســـلام لا اقتـــلاع الهياكل والأجسام[1]، عندئذ أخذ كل واحد موقعه في هذه المعركة القديمة الجديـــدة ضد الكفر، معركة حدد لها الغرب -بكل ما له من مكر ودهاء- هدفـــا واحـــدا ذكره القرآن في قوله تعالى: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾[2].

ونصب الكفار لأجل تحقيق هذا الهدف مخططات وعقدوا مؤتمرات، وأنجـــزوا بحوثا ودراسات كلها تصبو إلى استدراج أهل الإسلام شيئا فشيئا، تحـــت أسمـــاء مختلفة وبشعارات خادعة يتلصصون بذلك لسرقة هذا الكنز وسلبه من أهله، وهـــم يعلمون أنه ما دام هذا الدين بشموله وكماله فلا مطمع لهم في عالم الإســـلام ولا سبيل إلى أمواله وخيراته.

من هنا فإن سيد قطب كغيره لم ير أصناما حجرية ولا خشبية تعبد على ذلـــك النحو الذي كان معروفا، ولكنه رأى أشياء قامت مقامها، وحققت نفس الأهداف -أو ما يشبهها- التي حققتها عبادة الأصنام الحجرية، حين انصرف أهلـــها عـــن الامتثال لشرع الله، والامتثال لشرع تلـــك "الأصنام الجديدة" ولم ير سيد قطـــب

---

[1] وما تجدي حياة الأجسام إذا مات أو خبا في صدرها الإيمان ؟!

[2] (البقرة/217).

شرطا في الأصنام أن تكون من حجر ونحوه لنعتبر سدنتها كفارا، والممثلــين لما يترتب على ذلك من قوانين وتشريعات مارقين لذلك يقول: "إن الصنم لم يكـن ينطق أو يسمع أو يبصر ...إنما كان السادن أو الكاهن أو الحـاكم يقـوم مـن ورائها، يتمتم حولها بالتعاويذ والرقى...ثم ينطق باسمها بما يريد هو أن ينطق لتعبيد الجماهير وتذليلها[1]"! فإذا تحقق هذا -وهو متحقق في مذاهب شتى- فمن العبث أن يشغل سيد قطب نفسه بمحاربة شرك غير موجود، ويسكت عن شرك يتربع علـى كرسي السيادة في الوجود!!

● لماذا سيد قطب وحده؟!

ثم إن اعتراض الدكتور على هذا المنهج الذي يحمل فيه المسلم ما يملـك مـن سلاح ليكسر به أصنـام عصـره هـو، ولا ينشغـل بأصنام غيره، ينبغـي أن يعترض به على سائر العلماء والدعاة، وإلا وجب عليه أن يبين أن العلماء في عصـر سيد قطب إنما انشغلوا بتحذير الناس من "اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى" وما بقي من الثلاثمائة والستين من الأصنام الحجرية، وبما أنه لم يفعل -إذ لم يجد- فلماذا يلوم سيدا وحده؟!

إن الشرك الذي يطارده التوحيد لا يجمد على حال، كلا! بل تتجدد -كمـا سبقت الإشارة- صوره كما تتجدد شعاراته، وإذا تسلسل إلى ديارنا تحت صـور مختلفة و لم يعلن عن نفسه باسم اللات أو مناة، فلن نكون غافلين، فـنرحب بـه ترحيبنا بالموحدين! ثم إذا ما كشفناه وصحنا به في الناس، وحذرنا منـه، فليـس معنى ذلك أننا نهون من دعوات الأنبياء التي كان الشرك الذي واجهته يتمثـل في أصنام يقدم الناس لها القرابين، ويسوقون إليها الهدايا، ويخضعـون لهـا راكعـين ساجـدين -هذا ما لا يقوله أحد-، ولا يدل عليه كلام سيد بتاتا. علـى أن دعوات الأنبياء لم تواجه الشرك في صورة الأصنام الحجرية وحدها، فقد عـرض

[1] "الظلال" (2115/4).

علينا القرآن أنواعا أخرى، كان الشرك فيها يلبس لبوس تشريع باطل، كالذين يطففون الميزان، أو أخلاقا منحرفة، كما كان شأن قوم لوط، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فما كل أنواع الشرك القديم ورد في القرآن، لأن الأنبياء الواردة أسماؤهم لا يمثلون كل أسرة النبوة الطاهرة وإنما كما قال تعالى: ﴿**ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك**﴾[1] وعليه فدعوى الدكتور أن شرك الأصنام حاربه كل الأنبياء والمرسلين دعوى باردة ينقصها حرارة الدليل ودفء البرهان!

ثم ماذا؟ استرسل عداد الدكتور وباض اعتراضا ثالثا على كلام سيد قطب وقال: "فيه خلط بين قضايا الشرك الأكبر والأصغر، وبين قضايا المعاصي كبيرها وصغيرها فإذا كانت العقيدة تترامى...الخ كلامه، وهو كلام مكرر، وقد رددنا عليه بما لا طائل من إعادته، وأحسب القارئ الكريم علم أن تعبير سيد قطب أعمق من فهم الدكتور السطحي"[2].

◆ كل معصية وكل مخالفة صغيرة كانت أو كبيرة تعتبر شركا عند سيد قطب؛ إلا الشرك بالقبور!!

هذا كله كلام الدكتور ربيع وحكمه على سيد، ما زدنا فيه حرفا واحدا،[3] ولم يتألم له الدكتور ولم يندم بل زاد وعلق عليه في الهامش، كالمجهز على جريمته فقال

---

[1] (النساء/164).

[2] وهكذا عبر فضيلة الشيخ الألباني على فهم الدكتور ! فبعد أن قرأ عليه الشيخ عدنان عرعور كلاما لسيد قطب قال الشيخ الألباني: "سليم مائة في المائة" ثم قرأ ما فهمه الدكتور ربيع فعلق عليه بقوله: "هذا فهم سطحي" انظر الشريط (رقم: 785).

[3] ارجع إليه في "الأضواء" (ص: 111).

"إن مذهب الخوارج في التكفير ليتضاءل جدا[1] أمام هذا المذهب الذي يوسع دائـــرة التكفير إلى مالا نهاية له"[2].

وندع القارئ يتأمل حكم الدكتور هذا، ويتأمل كلام سيد الذي أثبتناه هنـــاك، ليبحث عله يهتدي -كما اهتدى! الدكتور- إلى "أن كل معصية وكـــل مخالفـــة" هكذا بأداة الاستغراق والشمول!! يعدها سيد قطب شركا، هذه واحـــدة، فـــإذا اهتدى لهذا، فليتأمل مرة أخرى كلام سيد قطب عله وهو الذي عد كل مخالفـــة ولو صغيرة -شركا- عله استثنى شرك القبور فلم يعده شركا! ونختم بسؤال يوجـه إلى الدكتور: إذا كان شرك القبور في عين سيد ليس شركا، فهل هو توحيد؟! أمـــا من جهتنا فلم نجد شيئا يشبه ما ادعاه الدكتور، وننصح القـــارئ بـــالعدول عـــن البحث والتأمل ونقصر عليه الطريق، ونختصر له البحث ونعرض عليه كلام ســـيد وننشده الله أن ينضم إلينا معشر المنتمين إلى السلف الصالح سائلين الله أن يأخذ بيد هذا الدكتور، ويرده إلى الحق ردا جميلا!

يقول سيد -الذي اتهمه الدكتور بأن المخالفة الصغيرة- فضـــلا عـــن الكبـــيرة -عنـــده شرك- : "...والفاحشة أبشع الذنوب وأكبرها. ولكن سماحة هذا الدين لا تطرد من يهوون إليها من رحمة الله...

إن هذا الدين ليدرك ضعف هذا المخلوق البشري الذي تهبط به ثقلـــة الجســـد أحيانا إلى درك الفاحشة وتهيج به فورة اللحم والدم فيتزو نزوة الحيـــوان في حمـــى الشهوة؛ وتدفعه نزواته وشهواته وأطماعه ورغباته إلى المخالفة عن أمر الله في حمـــى الاندفاع. يدرك ضعفه فلا يقسو عليه ولا يبادر إلى طرده من رحمة الله حتى يظلـــم نفسه. حين يرتكب الفاحشة... المعصية الكبيرة... وحسبه أن شعلة الإيمان مـــا

---

[1] لا هونا!

[2] "الأضواء" (ص: 111/هـــ: (1).

تزال في روحه لم تنطفئ، وأن نداوة الإيمان ما تزال في قلبه لم تجف... وهكـــــذا يأخذ الإسلام هذا المخلوق البشري الضعيف في لحظات ضعفه.. فإنه يعلم أن فيه بجانب الضعف قوة، وبجانب الثقلة رفرفة، وبجانب النزوة الحيوانية أشواقا ربانية... فهو يعطف عليه في لحظة الضعف ليأخذ بيده إلى مراقي الصعود، ويربت عليـــه في لحظة العثرة ليحلق به إلى الأفق من جديد... ما دام يذكر الله ولا ينساه، ولا يصر على الخطيئة وهو يعلم أنها الخطيئة! والرسولﷺ يقول ((**ما أصر من استغفر، ولـو فعله في اليوم سبعين مرة**))[1].

والإسلام لا يدعو -بهذا- إلى الترخص، ولا يمجد العاثر الهابط، ولا يهتف لـــه بجمال المستنقع! كما تهتف " الواقعية"! إنما هو يقيل[2] عثرة الضعف ليســـتجيش في النفس الإنسانية الرجاء، كما يستجيش فيها الحياء!"[3].

ولسنا في حاجة إلى التعليق على هذا الكلام الناصع حتى لا نشوش على بيانـــه البارع، ولكنا نعود للتذكير بإخفاقات الدكتور المتلاحقة، وبطلان دعاواه المترادفة،

---

[1] رواه أبو داود (1514) في الصلاة (362) باب: في الاستغفار، والـــترمذي (3559) في: الدعوات (107) باب: دعاء النبيﷺ. وقال هذا حديث غريب، إنما نعرفه مـــن حديـــث أبي نصيرة! وليس إسناده بالقوي، ورواه محمد بن نصر المروزي في "الســـنة" (ص:155-156)، وأبو يعلى في "المسند" (100/1)، وابن السني في "عمل اليوم والليلة " (355)، والطـــبري في "التفسير" (64/4)، وابن الجوزي في "زاد المسير" (464/1)، من طرق عن عثمان بـــن واقـــد العمري عن أبي نصيرة مولى لأبي بكر عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- مرفوعا، وذكره.

قال ابن كثير في "التفسير" (611/2): وقول علي بن المديني والترمذي: ليس إسناد هـــذا الحديث بذاك، فالظاهر أنه لأجل جهالة مولى أبي بكر، ولكن جهالة مثله لا تضر لأنه تـــابعي كبير، ويكفيه نسبه إلى أبي بكر، فهو حديث حسن، والله أعلم. ا هـــ.

[2] يقيلها ولا يكفر صاحبها يا دكتور.

[3] "الظلال" (476/1-477).

ليكتشف كل منصف يخشى الله تعالى، ولا يحابي فيه أحدا أن علـــى الدكتـــور أن يكسر القلم ويدمن على التوبة والندم! فإنه نسب إلى سيد قطب ما لا يخطر علـــى البال ولا يطوف له بخيال!

وهل وقف الدكتور عند هذا الحد!؟ كلا! زاد في أوهامه واستمر في حكاياتـــه وأحلامه وما سبق عنوان لما لحق، واللبيب يكفيه ما فات ليعلم أنه لا جدوى مـــن متابعة تلك الاعتراضات الواهيات! لا سيما إذا ربطها بالعنوان الضخم والإدعـــاء الضخم "الشرك وعبادة الأوثان عند سيد".

والله المستعان!

*****

-نقد الفصل السابع-
"الشك والتشكيك في أمور عقدية يجب الجـــزم فيهـــا"

عنوان الحكاية هذه المرة "الشك والتشكيك في أمور عقدية يجب الجزم فيــــها" وتقوم حكايتنا هذه على أن سيدا "يسير وراء المعتزلة والقدرية في المراد بالجنة الـتي كان فيها آدم (عليه السلام) وأخرج منها، مخالفا عقيدة أهل الســنة بأنهــا الجنــة المعروفة عند المسلمين، التي أعدها الله للمتقين... بل تجاوز سيد مذهب المعتزلـــة[1] إلى التشكيك في الملائكة وإبليس، وفي تكليم الله آدم والملائكة وإبليس... لكــــن سيدا يستفيد من أخبار الكفار ويثق بها ويعتمد عليها أكثر مما يعتمد على أحـاديث الرسولﷺ"[2] هذه هي القوائم التي تمثل عناصر الاتهام الذي يجعل من سيــد قطـب -رحمه الله تعالى- شاكا، وليس هذا فحسب بل ومشككا -أي لغــيره طبعــا-، وموضوع شكه وتشكيكه هذا ليس في جزئيات الشريعة بل في أمـــور العقيــدة، وحسبك ما مر بك من تشكيك في الملائكة وإبليس وغير ذلك، وقبـــل مناقشــة دعاوى الدكتور ربيع في حكايات فصله هذا، نعرض أولا النص الذي صنع منــــه بعبقرية منهجه الفريد تلك الدعاوى.

قال سيد -رحمه الله تعالى- بعد ذكر قصة آدم في الجنة:

"وبعد... مرة أخرى... فأين كان هذا الذي كان؟ وما الجنة التي عاش فيها آدم وزوجه حينا من الزمان؟ ومن هم الملائكة؟ ومن هو إبليس؟ كيف قال الله لهـــم؟ وكيف أجابوه؟...هذا وأمثاله في القرآن الكريم غيب من الغيب الذي اســـتأثر الله بعلمه، وعلم بحكمته أن لا جدوى للبشر في معرفة كنهه وطبيعته، فلم يهب لهـــم القدرة على إدراكه والإحاطة به، بالأداة التي وهبهم إياها لخلافة الأرض، وليس من

---

[1] وسيتجاوز الاشتراكيين ويقول "**بالاشتراكية المادية الغالية** " وكل هذا وغيره طبعا ليس الواقع وإنما هي من حكايات الربيع!!

[2] "الأضواء" (ص: 125-127).

مستلزمات الخلافة أن نطلع على هذا الغيب، وبقدر ما سخر الله للإنسان من النواميس الكونية وعرفه بأسرارها؛ بقدر ما حجب عنه أسرار الغيب فيما لا جدوى في معرفته".[1] هذه الكلمات استنبط منها الدكتور تلك الاتهامات، والتي كان محورها أن سيدا شاك مشكك "في أمور عقدية يجب الجزم فيها"! وما أظن عاقلا سوف يصدق الدكتور في دعاواه حتى لو اكتفى بمجرد النقول التي أوردها من كلام سيد، فما بالك لو اطلع على ما قصه سيف -أعني قلم- الدكتور!

ففيما أورده الدكتور تبدو براءة سيد قطب ظاهرة راجحة! وفي ما أخفاه تكون صريحة لائحة !! ذلك أن سيدا لم يتساءل تساؤل الشاك الحائر عما تساءل عنه، من حيث وجوده، كلا! فلم يتساءل عن وجود الملائكة ولا عن وجود إبليس ولكن تساءل عن الماهية وقال إنها غيب من الغيب ولا أحسب أحدا يشك في ذلك، فلا نعلم أحدا تصافحه الملائكة في الطرقات ! وقرر أن لا سبيل للعقل إلى إدراك كنه وحقيقة الملائكة وكنه وحقيقة إبليس. وهذا المعنى واضح فيما نقل الدكتور من كلام سيد، بيد أنه يزداد وضوحا، بل يصبح صريحا إذا قرأنا قول سيد -فيما أخفاه الدكتور- بأن "العقل البشري لم يوهب الوسيلة للإطلاع على هذا الغيب المحجوب"[2] وبناء عليه فإن الخوض والحرص على الإطلاع على ذلك جهد "بلا ثمرة ولا جدوى"[3]. وإلا استسلم العقل إلى الأوهام والخرافة، لكن عدم العلم بكنه وحقائق ذلك الغيب لا ينبغي أن يدفع صاحبه إلى إنكاره، وفي هذا يقول سيد قطب -رحمه الله تعالى-: "إن الاستسلام للوهم والخرافة شديد الضرر بالغ الخطورة، ولكن أضر منه وأخطر، التنكر للمجهول كله وإنكاره، واستبعاد الغيب

---

[1] "نفسه" (ص: 125). وعزاه إلى "الظلال" (ص: 59- الطبعة الأولى)، وهذا في المجلد الأول.

[2] "الظلال" (59/1)، وهي جملة محكمة تنسف كل ظن سوء بسيد قطب وهذه العبارات على بعد أسطر قليلة من الفقرة التي ساقها السيد ربيع ، وأخذ يتعسف في استنطاقها بما يشاء!

[3] "نفسه".

لمجرد عدم القدرة على الإحاطة به.. إنها تكون نكسة إلى عالم الحيوان الذي يعيـــش في المحسوس وحده"[1].

فهل يبقى بعد هذا، وقبله محل لقول الدكتور: إن ســـيدا يشـــكك في إبليـــس والملائكة، أيعقل أن يتبنى سيد قطب فكرة وصفها بأنها "نكسة إلى عالم الحيوان"؟! إنك إذا قيل فلان كتب كذا وكذا أو صار منه كيت وكيت وقلت: من فـــلان ؟ فليس معنى ذلك أنك شاك في وجوده، وإنما تطلب المزيد من المعلومات لتـــتعرف إليه ما دام ذلك ممكنا.

وكذلك إذا تساءل سيد من "هم الملائكة" ؟ فليس إنكارا أو شكا في وجودهم، ولكن تنبيها إلى أن حقيقتهم وكنههم مغيب عنا، ولا نعلم عنهم سوى مـــا وردت به النصوص فذلك المصدر الوحيد الكفيل بتعريفنا ما نجهل عنهم[2]، "والمعرفة هنـــا ليست من طبيعة العقل، وليست في طوقه ووسائله ولا هي ضرورية له في وظيفته"[3] هذا كل ما في الأمر، وقل مثل ذلك في إبليـــس، وفي كـــلام الله للملائكـــة وآدم وإبليس، فلم يقل سيد هل كلم الله الملائكة؟! ولكنه تساءل عن كيفية كلامه لـــه، وقال: إننا لا ندري "كيف قال الله تعالى لهم" وبهذا استحق عند الدكتور ربيـــع أن يعتبر شاكا، بل ومشككا في "تكليم الله آدم والملائكة وإبليس"!!

ثم إن سيدا الذي تساءل هنا، عاد وتساءل مرة أخرى في سورة "الحجر" عنـــد قوله تعالى: ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون...**﴾ الخ الآية[4].

---

[1] "نفسه".

[2] لأن ذلك من الغيب والمقرر في الغيب أنه "لا قول فيه لبشر إلا ما جـــاء مـــن هذيـــن المصدرين الثابتين إلى يوم القيامة" "الظلال" 3199/5).

[3] "الظلال" (59/1).

[4] (الآية: 28).

فقال سيد: "وإذ قال ربك للملائكة... متى قال؟ وأين قال ؟ وكيف قال؟ كـل أولئك قد أجبنا عنه في سورة البقرة"[1] وأحال على النص الــذي اتهمــه بموجبــه الدكتور بما اتهمه، ثم أكد سيد -رحمه الله تعالى- المعنى الذي حرفه الدكتور ربيــع بعمد أو بغير عمد ولكن بسوء فهم وهو "أنه لا سبيل إلى الإجابة، لأنه ليس لدينـا نص يجيب، وليس لنا من سبيل إلى ذلك الغيب إلا بنص، وكل ما عدا ذلك ضرب في التيه بلا دليل"[2].

ثم إن التساؤلات التي أوردها سيد واعترض عليها الدكتور بل حرفها كعادتــه، ونقلها من حام إلى سام فقال: "لا يجوز لمسلم أن يقول مثلا: لا ندري من هـو الله، ولا ندري معنى صفاته وعلمه وكلامه وقدرته، ولا يقول: ولا ندري مــن هــم الملائكة، ولا، ولا... بل عليه أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورســله، وأن الجنــة حق، والنار حق، والملائكة حق واليوم الآخر حق؛ بإيمان جازم لا تشكك فيــه ولا ريب ولا تردد ."[3] هذه التساؤلات لا تعني أحدا في هذا المقام، هذا مــن جهــة، وبعضها غير سليم، فقول الدكتور "لا يجوز لمسلم أن يقول مثلا: لا ندري من هــو الله" صحيح لكن من تساءل هذا التساؤل؟! فعلى الدكتور أن يفتش عــن ملحــد يتساءل عن الله أما سيد فما علمناه إلا شهد شهادة التوحيد، بل نحسبه دفع ثمــن إيمانه بها من دمه، وأدى مهرها بعمره، ولا نزكي على الله أحدا!

ولو أراد الدكتور أن يعترض على سيد فيما تساءل فيه لكان عليه أن يقــول "لا يجوز لمسلم أن يقول مثلا، لا ندري كنه وحقيقة الله" عندها نقول: كلنــا نقــول هذا، لأنا نؤمن بقوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[4]؛ فهلا عرفنا الدكتور ما جهلنا من كنه وحقيقة المولى جل شأنه، لكن شريطة أن لا يكون

---

[1] "الظلال" (2138/4).

[2] "نفسه"

[3] "الأضواء" (ص: 126).

[4] (الشورى/11).

ورد بذلك نص، لأن سيدا -ونحن مثله- وضع تساؤلاته فيما هو غيب من جهة، وفيما ليس فيه نص من جهة أخرى! فهل ثمة أصرح من كلامه يا دكتور؟! إن قولك إنه يشكك في الملائكة، فيه تدليس يودع الشك في قلب القارئ الذي لا يراقب ما يقرأ ولا يتأكد مما كتب. -فيخال أن سيدا ينكر الملائكة وجودا وإبليس وجودا وينكر أن يكون الله تعالى كلم موسى تكليما- وكل ذلك لا حقيقة له إلا في عقل صاحب "الأضواء" وتحدر من رأسه إلى قلمه على هذا النحو من التزيد والافتراء، وإلا فسيد بريء من هذا الهراء. وهلا أجاب الدكتور ربيع عن تساؤلات سيد قطب "كيف قال الله تعالى لهم؟" أما جواب سيد قطب فهو: "إن هذا وأمثاله في القرآن الكريم غيب من الغيب الذي استأثر الله بعلمه" وهو عين مذهب السلف نؤمن به ولا نسأل عن كيفيته، لأن كيفيته غيب لا تلحقه العقول!! ترى أهذا كلام المعتزلة أم كلام أهل السنة؟، وهب أن سيدا وافق -خطأ- في مسألة ما قول المعتزلة أو غيرهم من المبتدعة هل بمثل هذا تتنقص منه، وتصوب إليه سهام التجريح وتحرض عليه العوام وأشباه الطغام[1]؟! أين تقوى الله؟! وهل إذا قال سيد "كيف قال الله لهم؟" يناسب يا صاحب "الجرح والتعديل عند أهل السنة"[2] أن تستنبط منه أن سيدا يشكك في تكليم الله آدم والملائكة وإبليس؟! احكم بنفسك على نفسك، أما الذي لا يجوز أن يفهم سواه هو أن سيد قطب يؤمن بكلام الله ولكن لا يسأل عن الكيف، ويطعن في العقول التي قد يؤدي بها قصورها عن إدراك حقائق هذا الغيب إلى إنكاره، ويعد هذا من الغيب.

وبعد، فما أبعد الفرق بين منهج السلف الصالح، ومنهج صاحب "الأضواء".

إن صاحب "الأضواء" يغلب عليه السعي إلى فهم كلام سيد على أسوأ حالاته ولو كان احتمالا ضعيفا -بل مفترى أحيانا- بينما جرت عادة السلف إحسان الظن بالمسلمين، وعلى عكس هذا، يفهمون الكلام على أحسن احتمالاته حتى ولو

---

[1] ما أكثرهم في هذا الزمان.

[2] وحق له أن يقال: "الجرح والتجريح على غير السنة".

كان احتمالا ضعيفا وهذا نموذج آخر نسوقه لبيان الفجوة الهائلة بين السلف والخلف خاصة خلف هذا العصر.

ذكر الإمام الذهبي -رحمه الله تعالى- في ترجمة ابن حبان[1] صاحب "التقاسيم والأنواع"[2] قول أحدهم: "أنكروا على أبي حاتم بن حبان قوله: النبوة" العلم والعمل "فحكموا عليه بالزندقة، هجر، وكتب فيه إلى الخليفة، فكتب بقتله"[3].

فأنت ترى! هذه تهمة خطيرة ظاهرها الزندقة بل الكفر، لأن معناها المتبادر -إذا ألغينا مكانة الناطق بها وأغفلنا حسن الظن واستعملنا النظارة العجيبة- أن النبوة مسألة كسبية تكتسب بالمجاهدة والحيلة وهذا كفر صريح وهو ما تسرع إليه أولئك الذين سلكوا مسلك صاحب الأضواء وإن كانت الشبهة التي بين أيديهم أكبر بكثير مما يذكره صاحب الأضواء في حق سيد قطب، لكن كيف تصرف الحافظ الذهبي شمس الدين -رحمة الله عليه-، اقرؤوا "منهج أهل السنة في الجرح والتعديل" قال الذهبي: "هذه حكاية غريبة، وابن حبان فمن كبار الأئمة، ولسنا ندعي فيه العصمة من الخطأ لكن هذه الكلمة التي أطلقها، قد يطلقها المسلم، ويطلقها الزنديق

---

[1] هو الإمام العلم الفاضل المتقن المحقق الحافظ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم التميمي البستي السجستاني، صاحب الأنواع، ومؤلف كتابي الجرح والتعديل ، وغير ذلك، توفي سنة: (354 هـ). و لم يذكروا سنة ولادته بالتحديد . انظر "سير أعلام النبلاء" (92/16-104). "تذكرة الحفاظ" (920/3)، "تاريخ الإسلام" وفيات: 354. "ميزان الاعتدال" (506/3)، للحافظ الذهبي.

[2] واسمه الكامل: "المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها" المعروف بـ : "صحيح ابن حبان". كما شاع على ألسنة المحدثين والحفاظ .

[3] "سير أعلام النبلاء" (96/16)، "تذكرة الحفاظ" (921/3-922) ، "ميزان الاعتدال" (507/3-508).

الفيلسوف[1] فإطلاق المسلم لها لا ينبغي لكن يعتذر عنه، فنقول: لم يرد حصر المبتدأ في الخبر، ونظير ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: **((الحج عرفة))**[2] ومعلوم أن الحاج لا يصير بمجرد الوقوف بعرفة حاجا بل بقي عليه فروض وواجبات، وإنما ذكر مُهِمَّ الحج، وكذا هذا ذكر مُهِمَّ النبوة، إذ من أكمل صفات النبي كمال العلم والعمــل، فلا يكون أحد نبيا إلا بوجودهما، وليس كل من برز فيهما نبيا. لأن النبوة موهبــة من الحق تعالى لا حيلة للبشر باكتسابها أبدا وبها يتولد العلم النافع والعمل الصــالح، ولا ريب أن إطلاق ما نقل عن أبي حاتم لا يسوغ، وذلك نفس فلسفي.

وأما الفيلسوف فيقول: النبوة مكتسبة ينتجها العلم والعمل، فهذا كفـر، ولا يريده ابن حبان أصلا وحاشاه " رضي الله عن الذهبي، وأين اليوم مثل الذهبي ؟! إن

---

[1] فأهل السنة يحملونها على ما يناسب الإسلام، وأهل البدع يصرفونها على معاني الزندقة ، والذهبي حملها على المحمل الأول، وأولئك الخصوم ألغوا القائل وصدقوا في القـــول فضلــوا وأضلوا.

[2] رواه أحمد (4/309-310)، وأبو داود (1949) في: المناسك ، باب: من لم يدرك عرفة، والنسائي (3016) في: مناسك الحج، (203) باب: فرض الوقـــوف بعرفــة، و(3044) في: مناسك الحج، (211) باب : فيمن لم يدرك صلاة الصبح مع الإمام بالمزدلفـــة، والــترمذي (890) في: الحج، باب: ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، وقال: والعمل علـى حديــــث عبد الرحمن بن يعمر عند أهل العلم من أصحاب النبيﷺ وغيرهم؛ أنه مـــن لم يقف بعرفات قبل طلوع الفجر فقد فاته الحج، ولا يجزئ عنه إن جاء بعد طلـــوع الفجــر، ويجعلها عمرة وعليه الحج من قابل، وهو قول الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق.

قال وقد روى شعبة عن بكير بن عطاء نحو حديث الثوري، قال: وسمعت الجارود يقـــول: سمعت وكيعا أنه ذكر هذا الحديث فقال: هذا الحديث أم المناسك. ورواه ابن ماجـه (3015) في: الحج (57) باب: من أتى عرفة قبل الفجر من جمع، والدارقطـــني (2/240) في: الحــج، باب: المواقيت، والحاكم (1/464)، و(2/278)، من طرق عن بكير بن عطاء، عن عبد الرحمن ابن يعمر الديلمي مرفوعا.

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

منهج السلف بعد التثبت من النقول ينظرون محامل الألفاظ، فيوجهونها إلى أحسنها لاسيما إذا كان صاحبها من المسلمين الذين غلب صوابهم ورجح فضلهم، بخلاف ما نرى ونسمع اليوم، حين ننطلق من هفوة أو هفوتين، ومن غلطة أو غلطتين، فنسود صفحات مظلمة بالسب والشتم والتبديع، وما ذلك بسبيل رشاد! هذا عن التساؤل الذي افترضه الدكتور في خياله فندعه يناقش صاحبه في خياله أيضا. أما عن قوله: "ولا يجوز لمسلم أن يقول لا ندري من هو الله.. ولا ندري معنى صفاته وعلمه وكلامه.." فنعترف للدكتور أنا لا ندري تلك المعاني، مثلنا في ذلك مثل الإمام مالك -رحمه الله تعالى- حين سئل عن صفة من الصفات فقال قالته الشهيرة "الاستواء معلوم" فهو يعلم الاستواء اللغوي لا استواء الله، لأنه لو علم استواء الله تعالى لما قال: "والكيف مجهول" أو "الكيف غير معلوم" كما في بعض الروايات. إن الأصل عندنا في الصفات أن نؤمن بها ونفوض معناها إلى الله تعالى، ونردد مع السلف أمروها كما جاءت[1] ثم سؤال نوجهه للدكتور ربيع، من قال: "لا ندري من هو الله" ؟! لماذا يفترض المرء الافتراضات التي لا أساس لها من الصحة ثم يرمي بها الأبرياء، عار على من يفعل ذلك وهو يقصده، وعيب إن كان لا يقصده ويكون ممن لا يعلم مرامي الألفاظ ثم يتصدى للنقد والاعتراض! الله سبحانه وتعالى له صفاته العليا وأسماؤه الحسنى ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[2] ثم إن فرط الحرص على إيقاع سيد قطب في الذنب ونسبته إلى العيب جعل صاحب الأضواء يقع في المحذورات، فاعتبر أنه لا يجوز أن يقال: "لا ندري معنى صفاته" وهذا معناه أنه يعرف معاني صفات الله، فمن من السلف قال إنه يعرف معنى صفة الاستواء مثلا.. وواضح أن السؤال هنا ليس المراد الاستواء لغة فهذا لا يجهله طالب العلم في اللسان العربي فكيف بفارس

---

[1] وسيأتي بحث مفصل حول هذا الموضوع في فصل الصفات من هذا النقد -إن شاء الله تعالى -.

[2] (الشورى/11).

من فرسان الأدب في عصره، فسيد حين يرجح عدم علم حقائق صفات الله تعالى وأفعاله، ومنها الاستواء فلأن ذلك "من أمر الله، نؤمن بوقوعه، ولا نسأل عن كيفيته لأن كيفيته، وراء مدارك البشر" فما العيب إذن في هذا الكلام، إن كان ثمة عيب ففي تجويزك دراية معنى صفاته فقل لنا معنى الاستواء يا أستاذ بقول يخالف كلام سيد، فإن أجبت أنه لا يوجد فقد اعترفت بالافتراء على الرجل، وإن قلت قولا يخالف هذا، فقد اعترفت بخلاف مذهب السلف، فقد قال الذهبي -رحمه الله تعالى- معقبا على ابن خزيمة[1] لما قال: "من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سماواته فهو كافر حلال الدم وكان ماله فيئا "[2] فرأى الذهبي أن هذا النفس من الإمام ابن خزيمة -رحمه الله تعالى- شديد، ومحمل هذبه فقال: "من أقر بذلك تصديقا لكتاب الله، ولأحاديث رسول اللهﷺ، وآمن به مفوضا معناه إلى الله ورسوله، ولم يخض في التأويل ولا عمق، فهو المسلم المتبع. ومن أنكر ذلك، فلم يدر ثبوت ذلك في الكتاب والسنة فهو مقصر، والله يعفو عنه، إذ لم يوجب الله على كل مسلم حفظ ذلك، ومن أنكر ذلك بعد العلم، وقفا غير سبيل السلف الصالح، وتمعقل على النص، فأمره إلى الله، نعوذ بالله من الضلال والهوى"[3].

فأما سيد قطب فواضح أن كلامه يجعله مع أصحاب القول الأول، ولا يتنزل كلامك يا دكتور عليه لأنك لم تفوض علم ذلك إلى الله سبحانه، بل أنكرت على من لا يدري "معنى صفاته" فابحث بنفسك لنفسك عن مكان مع أحد الفريقين

---

[1] هو الإمام الحافظ الكبير، إمام الأئمة شيخ الإسلام، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ابن المغيرة النيسابوري، سئل عبد الرحمن بن أبي حاتم عنه فقال: ويحكم، هو يسأل عنا ولا نسأل عنه، هو إمام يقتدى به، ولد سنة: (223هـ) وتوفي سنة: (311هـ). انظر "تذكرة الحفاظ" (720/2) باختصار.

[2] "سير أعلام النبلاء" (373/14) .

[3] "نفسه".

الباقيين ولا إخالك تحشر نفسك مع الفريق الثاني، وعليه لم يبق لك إلا فريق قـال الذهبي في أصحابه "نعوذ بالله من الضلال والهوى.

فهلا أجبت سيدا إذن حين قال عن قول الله تعالى للملائكة "كيف قال؟!"

فمن أسعد بمذهب السلف، من يجوز أن يعلم المسلم معنى صفات الله، أو الـذي يقول ما قال الإمام الذهبي -رحمه الله تعالى-؟

وإذا كان قول الذهبي لا يعجبك فها هو قول اللجنة الدائمة للبحـوث العلميـة والإفتاء يوافق ما ذكره سيد قطب والإمام الذهبي، إذ جاء فيه في موضوع إحـدى الصفات وهي صفة كلام الله عز وجل، قول اللجنـة: "ليـس كلامـه -أي الله سبحانه- مثل كلام الإنس أو الجن أو الملائكة بل صفته وكيفيته مختصة به تعـلى لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه"[1] فهذا كلام لجنة قريبة منك يرأسها شيخ فاضل مـا أظنك تنكر قدره وفضله وكلامها يعني أن علم "صفة الله" من علم الله سبحانه وإلا فمن يعلم كيف استوى على العرش؟ إنها فرق لا أحسبك ترغب في موافقتهم، بـل نجزم أنك لا تحب أن تكون مثلهم يا سيد ربيع، ولكن فرط حرصك على تخطئـة سيد قطب جعلك تقع في الخطأ!

على كل حال نكتفي بهذا، ونرجئ الكلام عن المنهج الذي ينبغي أن نتبعـه في الأسماء والصفات إلى محله -بإذن الله تعالى- وحسبنا هنا أن نذكر بالقاعدة الـتي رجع إليها سيد قطب -رحمه الله تعالى- في آخر أمره أن ما كان من ذلك نؤمـن بوقوعه ولا نسأل عن كيفيته، لأن كيفيته وراء مدارك البشر".

• الجنة التي سكنها آدم:

أما عن قول الدكتور إن سيدا "يسير وراء المعتزلة والقدرية في المراد بالجنة الـتي كان فيها آدم وأخرج منها، مخالفا عقيدة أهل السنة بأنها الجنـة المعروفـة عنـد

[1] "فتاوى اللجنة الدائمة" (153/3).

المسلمين، التي أعدها الله للمتقين."[1] ففيه مغالطات وتهويلات، اعتدناها منه حتى بات عجبا إذا وقفنا على مبحث أو فقرة سلك فيهما مسلكا مستقيما، عندئذ نقول: عجبا لقد سلك الدكتور هنا في نقله وفهمه لذلك المنقول مسلكا غريبا، أما أن يدلس أو يهول أو يغلط فذلك الثوب الذي عرفناه به طيلة صحبتنا له! على كل حال، فإنا نقول:

أولا: إن التهويل بأن مسألة الجنة التي أسكنها آدم -عليه السلام- هي من الأمور العقدية التي يجب الجزم فيها وأن التوقف في ذلك هو مخالف لعقيدة أهل السنة الذين صور الدكتور كأنهم حسموا أمرهم وأجمعوا قولهم أنها جنة الخلد كل هذا إنما هو تماد في الأوهام أو حرص منه لتضخيم الاتهام، ليظهر سيدا -رحمه الله تعالى- في موقف الشاذ عن جماعة المسلمين المتشكك في أمور عقدية ينبغي الجزم فيها وإلا فإن مسألة الجنة التي سكنها آدم -عليه السلام- أهي جنة الخلد؟ ليست قضية ذات بال، مما يستحق أن يبرى القلم لأجلها، ونشنع على المسلمين بسببها. والذي يشغل باله بمثلها يعد شاذا عن جماعة المسلمين! وكان على الدكتور الذي أرسل هذه المسألة إرسال المسلمات. أن يحيلنا على كتب التفسير أو الحديث أو العقيدة التي قررت أن هذه القضية من الأمور العقدية التي ينبغي أن نجزم فيها، وبما أنه لم يفعل، فهل معنى هذا أن الدكتور -نظرا لترديده عبارات نحو "منهج أهل السنة" و"أقوال السلف"- متى ما قال قولا حسبه ذلك ليصدق، فقوله دليله، ودليله قوله؟! .

إن هذه المسألة ليست من الأهمية بحيث يشهر بمن يقول فيها قولا ولو كان مرجوحا! الأهم أن يعتقد المسلم بوجود الجنة -وهي دار للمتقين- ووجود النار -وهي مأوى المجرمين- ولهذا لا نجد -فيما نعلم- لهذه القضية ذكرا في كتب السنة

---

[1] "الأضواء" (ص:125).

المشهورة كموطأ مالك ومسند أحمد والكتب الستة، مع حرصهم على رواية ما هو دون "أمور عقدية يجب الجزم فيها". وبما أنهم لم يتعرضوا لهـــا، فذلـــك لأنهـــم لا يعدونها من القواعد التي يقتضي الجهل بها لوما في الدين، أو نقصا في اليقـــين، ولأن النصوص الشرعية لم تتعرض لذكرها بوضوح مما ترك مجالا كبيرا للاختلاف.

- **القاضي عياض[1] لم ير هذه المسألة من قواعد الإسلام:**

إن الذي يقلب كثيرا من المصنفات التي رسمت عقيدة أهل السنة لا يعثر علـــى ذكر لهذه المسألة في أكثرها، وحتى الذين ذكروها لم يبنوا عليها أحكاما ذات بـــل، كما فعل الدكتور ربيع، وهـــذا هـــو القاضي عياض -رحمه الله تعـــالى- يقـــرر قواعد الإسلام فيقول[2] في شرح القاعدة الأولى، وهي الشهادتان: "إن على المســـلم أن يعتقد أن الله تعالى أرسل لعباده أنبياءه ورسله، و.. وأن الجنة حق والنار حـــق، وأنهما موجودتان، لأهل الشقاء والسعادة معدتان، وأن الملائكة حق، منهم حفظـــة يكتبون أعمال العباد، ومنهم رسل الله إلى أنبيائه، وملائكة غلاظ شداد لا يعصـــون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون[3]" فهذه هي المسائل التي يلزم المسلم اعتقادهـــا في هذا الموضوع، أما الجنة التي أخرج منها آدم -عليه السلام- فمما لا ينبغي التشـــنيع بمثله على من ترك الأولى في ذلك، لا سيما والأدلة لكل مذهب لا تخلو من وجاهة، حتى ولو كان اطمئناننا إلى ما ذهب إليه جمهور أهل السنة، وهو أنها جنة الخلـــــد وليست جنة أخرى لا في السماء ولا في الأرض، فنحن هنا لسنا نتبنى التوقـــف في

---

[1] ستأتي ترجمته في (ص: 312).

[2] سنكتفي بذكر ماله علاقة بالموضوع، ونترك ما يتعلق بصفات الله وأسمائه ونحو ذلك.

[3] "الإعلام بحدود قواعد الإسلام" (ص:7).

هذه المسألة كما قال سيد قطب -رحمه الله- ولكنا نعترض على من يجعل هذه القضية منطلقا للطعن والتنقيص، ليس إلا.

ثانيا: اختلاف الناس في الجنة التي أسكنها آدم عليه السلام.

هذا هو العنوان الذي عرض تحته ابن القيم مختلف الأقوال، والتي يمكن تلخيصها أساسا[1] في قولين ثم قال: "ونحن نسوق حجج الفريقين -إن شاء الله تعالى- ونبين مالهم وما عليهم[2] واستغرق منه ذلك ما يقارب عشرين صفحة[3] ولكن عرضه تميز بالهدوء والتؤدة، وإنصاف الآخرين، ولم يكن عرضه عرض صخب وغضب ثم بعدما انتقل من حجج مذهب المؤيدين، إلى حجج المخالفين، ورد الأوائل على غيرهم، وضع حدا لعرضه بهدوء أيضا، وختمه بقوله "فهذا جواب القائلين إنها جنة الخلد لمنازعيهم والله أعلم"[4] وأنت ترى أنه لم يغر عليهم كما أغار الدكتور ربيع، لأنه أدرك أن هذه المسألة من حيث حجمها ومن حيث تعارض أدلة كل فريق فيها، لا يناسبها الاعتراض الشديد، وإنما ذلك يكون في الأمهات الواضحات من العقائد.

وبنحو هذا الأسلوب الهادئ تكلم ابن القيم -رحمه الله تعالى- مرة أخرى في هذه المسألة أول كتابه "مفتاح دار السعادة" واستغرق فيها هناك نحو ما استغرقه هنا، ثم بعد عرض الأقوال قال -رحمه الله-: "فهذا موقف نظر الفريقين ونهاية أقدام الطائفتين فمن كان له فضل علم في هذه المسألة فليجد به، فهذا وقت الحاجة إليه، ومن علم منتهى خطوته، ومقدار بضاعته فليكل الأمر إلى عالمه..هذه معاقد حجج الطائفتين مجتازة ببابك وهذه بضائع تجار العلماء ينادى عليها في سوق الكساد لا

---

[1] لأنه حكى قول من آثر -كسيد- التوقف في الأمر. انظر "حادي الأرواح" (ص:29).

[2] "حادي الأرواح" (ص: 30).

[3] من الصفحة: 27، إلى الصفحة: 45.

[4] "نفسه" (ص: 45).

في سوق النفاق، فمن لم يكن به شيء من أسباب البيان والتبصرة فلا يعدم من قد استفرغ وسعه وبذل جهده منه التصويب والمعذرة..."[1].

وهذا الذي ختم به ابن القيم عرضه لحجج الفريقين، هو الذي وددنا لو أن الدكتور تعلمه، فإما تصويب بدليل، وإما اعتذار حسن وجميل !

لكن:

ليس كل ما يتمنى المرء يدركه*تجري الرياح بما لا تشتهي السفن**

- **سيد يشكك في السماوات ويعتمد أخبار الكفار أكثر مما يعتمد أحاديث النبيﷺ.**

- اقرأ واعجب، وتساءل عن معنى يخطر ببالك، عندما يقطف لك الدكتور من تشكيكات سيد قطب -في أمور عقدية يجب الجزم بها- نموذجا "مثل تشكيكه في السماوات،"[2] إلا أني أصارح القارئ الكريم أني حين قرأت هذه التهمة، لم أهتد إلى معنى يصلح أن ينسب إلى أي "مجنون" -فضلا عن أمي بله أستاذ من أساتذة العصر- ؟!

- **ما حجة الدكتور؟:**

قال سيد قطب في تفسير قول الله عز وجل: ﴿**وبنينا فوقكم سبعا شدادا**﴾[3]" والسبع الشداد التي بناها الله فوق أهل الأرض هي السماوات السبع، وهي الطرائق السبع في موضع آخر... والمقصود بها على وجه التحديد يعلمه

---

[1] "مفتاح دار السعادة " (32/1).

[2] الأضواء (ص: 126).

[3] (النبإ /12).

الله...وقد تكون سبع مجموعات من المجرات، وهي مجموعات من النجوم، قد تبلـغ الواحدة منها مـائة مليون نجم، وتكون السبع المجرات هذه هي التي لهـا علاقـة بأرضنا أو بمجموعتنا الشمسية... وقد تكون غير هذه وتلك مما يعلمـه الله مـن تركيب هذا الكون الذي لا يعلم الإنسان عنه إلا القليل"[1] وهذا التفسير للشـداد بالسماوات هو الذي ورد في جل التفاسير المشهورة.

لكن ما هي السماوات السبع المقصودة على وجه التحديـد ؟! أجـاب سـيد -رحمه الله- بما يجب أن يجيب به كل مسلم.. هو: الله أعلم، لأنه ليس بين يديـه نص من كتـاب ولا نـص مـن سنـة -وهما المصدران الوحيدان للعلـم في عالم الغيب ليرفع الإشكال- نعم ثمة احتمالات هنا وهناك، لكـن العلـم عند الله -سبحانه وتعالى-.

وهذا الكلام استوجب من الدكتور أن يصف سيدا بالشك، وينعته بالمتشـكك فيما يجب عليه أن يجزم فيه ! يجزم فيه بأي شيء !؟ أين السماء الثانية يا دكتـور إذا اعتمدت على نظرك الحقيقي والمجـازي؟! لا يسعفـك، فقل -كما قـال سـيد قطب-: الله أعلم، تريح وتستريح!

وخلاصة القول أن سيدا متوقف في السماوات السبع لا من حيـث وجودهـا وخلقها وهذا الذي يوهمه اتهام الدكتور بذكر "تشكيكه في السماوات"[2] ليخـال

---

[1] "الظلال" (3805/6-3806).

[2] يرده قوله الصريح -رحمه الله تعالى- عند قوله تعالى: ﴿**الذي خلق سبع سماوات طباقا ماترى في خلق الرحمن**﴾: والسماوات السبع الطباق التي تشير إليها الآية لا يمكـن الجزم بمدلولها، استقاء من نظرية الفلك، فهذه النظريات قابلة للتعديل والتصحيـح، كلمـا تقدمت وسائل الرصد والكشف، ولا يجوز تعليق مدلول الآية بمثل هذه الكشوف القابلـة=

القارئ سيدا متمردا على النصوص التي أشارت إلى السماوات السبع ونحو ذلك، بينما سيد إنما وقف حيث وقفت النصوص، خلافا للدكتور الذي يزعم أنه يعرف المقصود بالسماوات على وجه التحديد، لأن هذا هو الذي قال عنه سيد "يعلمه الله" واعتبر متشككا، سبحان الله!

هنيئا للدكتور ومؤيديه، على هذا المنهج الفريد، الذي لا نملك كلمة أصلح -لنا وله- من أن نقول له (اتق الله) !

• **الدكتور ربيع وضاع!**

إذا كان الراوي الوضاع عند أهل الحديث هو الذي يخترع النص كاملا، ليخدم غرضا من أغراضه الدنيوية أو الأخروية -زعم[1]- ويرويه منسوبا إلى النبيﷺ أو إلى غيره، فإن الدكتور وضاع -مع الأسف- من طراز جديد، ونمط فريد. ذلك أنه لا يخترع النص بمعناه. ولكنه يعمد إلى النص ويضع له معنى من عنده، ويصل بهذا إلى نفس النتيجة التي يصل إليها الوضاع الأول. لأن القصد هو المعنى! فمن يضع نصا في ذم الشافعي مثلا لينال منه ومن مذهبه، يصل إلى نفس النتيجة التي يصل إليها من يأتي إلى مسألة من مسائله ثم يلصق بها فهما معيبا، ففي كلتا الحالتين يتحقق المراد! وهكذا الدكتور -فلا يجرؤ- على اختراع المباني فعمد إلى اختراع المعاني!!

فانظر إلى هذه العبارة التي أدان بسببها سيدا ووصفه بأن "ثقته في كثير من المواضع في العلوم الكونية بأخبار الفلكيين من اليهود والنصارى أقوى من ثقته

=للتعديل والتصحيح، ويكفي أن نعرف أن هناك سبع سماوات، وأنها طباق بمعنى أنها طبقات على أبعاد متفاوتة، "الظلال" 3632/6).

[1] لأن بعض الوضاعين يضع للمال أو لنصرة مذهب ونحوه مما يعود عليه بالمصالح الدنيوية بينما زعم البعض أنه يضع لوجه الله! ولنصرة دينه وكتابه!

بأخبار الكتاب والسنة... "[1] وأنه "يستفيد من أخبار الكفار ويثق بها ويعتمد عليها أكثر مما يعتمد على أحاديث رسول الله ﷺ"[2] مع أن سيدا قال: "إن المقصود بهـــا على وجه التحديد يعلمه الله.. فقد تكون سبع مجموعات مــــن المجـــرات، وهـــي مجموعات من النجوم قد تبلغ الواحدة منها مائة مليون نجم، وتكون السبع المجـــرات هذه هي التي لها علاقة بأرضنا أو بمجموعتنا الشمسية... وقد تكون غير هذه وتلك مما يعلمه الله من تركيب هذا الكون الذي لا يعلم عنه الإنسان إلا القليـــل" فـــهل يعقل أن تكون ثقة سيد بما يعلم الإنسان -وهو قليل بشهادته هو- أكثر من ثقتـــه بما يخبر به علام الغيوب؟! وهل هذا المعنى وارد في كلام سيد هذا أم وضعه عليـــه الدكتور ظلما وعدوانا؟! ثم ما هو النص القرآني أو النبوي الذي أغفله سيد وتـــرك الاعتماد عليه، وأين ذاك النص اليهودي أو النصراني الذي ركن إليه؟! إن الدكتـــور محترف في الوضع، ومتفنن في التدليس، لكن أين خشية الله؟!

أين أنت وقد قرأت قول سيد -رحمه الله-:

"ونحن -أصحاب هذه العقيدة- لا نحاول أن نحمل النص القرآني المستيقن علـى نظرية غير مستيقنة تقبل اليوم وترفض غدا. لذلك لا نحاول في هذه الظلال أن نوفق بين النصوص القرآنية والنظريات التي تسمى علمية، وهي شيء آخر غير الحقـــائق العلمية.. وقد يشير القرآن أحيانا إلى حقائق كونية كهذه الحقيقة التي يقررها هنـــا:

---

[1] "الأضواء" (ص: 126).

[2] "نفسه" (ص: 127).

﴿أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما﴾[1] ونحـــن نســـتيقن هـــذه الحقيقة لمجرد ورودها في القرآن..."[2].

فهل يجوز شرعا يا مخلوق أن تقول عمن يقول هذا إنه يثق في كـــلام اليـــهود والنصارى أكثر مما يثق في كلام الله تعالى؟ صدق رسول الله ﷺ: **((إذا لم تســتح، فاصنع ما شئت))**.[3]

لكن حذار أن تكون ممن يتعمد ويتقصد تشويه رجل لمجـــرد مخـــالفتك لـــه في المشرب، أو أن بعض المشايخ من أقرانك أو أكبر منك أو أصغر يثنون عليـــه بمـــا ضاق منه صدرك وتحاملت عليه بسبب ذلك، وتضع المعاني الباطلة فتجعلها معـــاني لبعض عباراته، رغم أنك -والحق يقال- تسيء تفصيل معانيك على كلمات سيد، فتلك في سماء الحق سامقة، والمعاني التي تفصلها سمجة مفضوحة، لكن حذار علـــى كل حال أن تفعل ذلك بقصد، أو تذهب إليه على عمد.

أما إن كان ذلك مبلغ علمك، فالخطب أهون لكن لا عذر لك، فرحم الله امرءا عرف قدره، ما لك ولرجل لا تفهم عباراته؟! يكلمك عن المقصود بالســـماوات السبع على وجه التحديد وتتلو عليه قوله تعالى: ﴿أفلا ينظـــرون إلـــى الإبـــل

---

[1] (الأنبياء/ 30).

[2] "الظلال" (2376/4).

[3] رواه مالك في "الموطأ" (52) في: قصر الصلاة في السفر (15) بـــاب: وضـــع اليديـــن إحداهما على الأخرى في الصلاة، والبخاري (3483-3484) في: أحـــاديث الأنبيـــاء (53)، باب: حديث الغار و(6120) في: الأدب (78) باب: إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت﴾[1] ثم تشرح وقد جئت بما لم تأت به الأوائل، ولا يتوقع أن يجيء به الأواخر!

فتقول: "والنظر هنا هو النظر بالعين إلى أمور محسوسة مشاهدة".[2]

عجبا ما علاقة هذا بقول سيد قطب عن السماوات السبع: "والمقصود بها على وجه التحديد يعلمه الله"؟! فهل يا دكتور تعني أننا ننظر إلى السماوات السبع مشاهدة ليل نهار؟! أفصح أما أن تلقي الكلمة والكلمتين وتنصرف فهذا تصرف أحد رجلين:

إما جبان لا يجرؤ على الصدع بما استقر في عقله، ويدرك أنه شاذ عن السواد الأعظم، ويخشى أن يفتضح.

وإما رجل يعتقد أن الدليل على كل معنى من المعاني هو مجرد قوله، فإذا قال فذاك هو الدليل.

والذي يبدو أن الدكتور من النوع الثاني كما أشرنا إلى ذلك غير مرة، ولكننا نقول له: حنانيك حنانيك، فالدعاوى إذا لم تقم عليها أدلة، أصحابها أدعياء!!

بقيت أمور من حكايات الفصل السابع هذا، لا تختلف في جوهرها مما ذكر هنا، غير أن معظمها له علاقة بالصفات، لذلك نترك النقاش في صفات الله إلى الفصل الخاص بذلك -إن شاء الله تعالى- ونترك الدكتور في تصوراته الوهمية للحقائق التي يجب الجزم فيها،كحقيقة الملائكة والعرش ونحو ذلك، فلقد اقترح على القارئ في نهاية الفصل "أن يتصور عظم خلق العرش وصفات الملائكة وخلقهم بعيدا عن الأوهام، وما يزلزل التصديق والإيمان" لكن كيف لا يكون وهما ما كان تصوره بغير نص من كتاب أو سنة، إنك تذكرني بتلك الأعرابية التي قال زوجها:

---

[1] (الغاشية /17).

[2] "الأضواء" (ص:127).

تسألــني أم الوليد جمــلا ****يمــشي رويدا ويجــيء أولا

كل تصور للغيب لا يكون فيه نص صحيح صريح فالاشتغال به وهم وشـــك ولهو ولعب!

وفي الختـــام لنـــا رجاء عند الدكتـــور إذا انتهيت مـــن تصـــورك لإبليـــس -المخلوق الناري- فأطلعنا على كم قرن تصورت له في رأسه -إن كان لــــه رأس عندك- وما لون عينيه -إن كانت له طبعا- وهل حقا له لحية مبعثرة الشعرات كما تصوره كتب الأطفال! ونحو ذلك ونحن في الانتظار على أحر من الجمر!!

*****

-نقد الفصل الثامن-
"قول سيد بخلق القرآن وأن كلام الله عبارة عن الإرادة"

هذا هو الفصل الثامن من "الأضواء" وظني بالقارئ وقد تعرف على منهج الدكتور فيما سبق قادر على تصور "سيناريو" التهمة التي أعلن عنها العنوان!

فأول ما يتوقع أن يتقدم الدكتور بعرض مكانة وخطورة تلك القضية التي هي خلق القرآن وفي الأخير يستعرض الشهود ليشهدوا على ما لم يشهدوا، ويسدل الستار على المسرحية!!

هذا هو فن الإخراج عند الدكتور ربيع كما عرفناه سابقا، وكما سنعرفه هنا ولاحقا بإذن الله.

أما هنا فاستغرقت المسرحية سبع صفحات، انطلق الدكتور -كما توقعنا- من أن القول بأن القرآن مخلوق يعد "من البدع الكبرى التي كفر بها السلف"[1] وختم بأن الجعد بن درهم قتل بسبب شيء مثل الذي تلبس به سيد -في مسرحية الدكتور طبعا لا في الواقع- ليخرج المتفرج على حكاية الدكتور بالنتيجة التي همس بها في أذنه ألا يستحق سيد القتل أيضا؟ !

أما من جهتنا فنحن نعتقد المسألة خرافة أو مسرحية، وكما أننا لا نتهم من طلب منه مخرج مسرحية أن يأخذ دور القاتل بأنه مجرم ونطالب بتطبيق القصاص في حقه، كذلك لم نلتفت إلى الدور الذي أخذه سيد في خرافة الدكتور، ولا نطالب بقتل ولا لوم، فالخرافة خرافة، والحقيقة حقيقة! وقبل الدخول مع الدكتور في بعض التفاصيل، نذكره أنه كرر تهمة سيد بتأويل الصفات في عناوين، فهنا اعتبر سيدا مؤولا للكلام بالإرادة وفي فصل لاحق اتهمه بتعطيل الصفات، بل غلو في ذلك، فهل الكلام من الصفات أم لا يا دكتور؟ إن كان الجواب نعم فملاحظتنا هنا في محلها، عن سبب التكرار وهو سر من أسرار العداد! وإن كان الجواب لا،

---

[1] انظر الصفحة: 135 من "الأضواء".

فأعلمنا أين تصنف كلام الله؟! ولك جزيل الشكر! وبينما ندع الدكتور يبحث عن تصنيف كلام الله أين يكون، نواصل نحن قراءة المسرحية، وسوف ننشغل بتهمة واحدة وهي"القول بخلق القرآن"، لأن الكلام عندنا من الصفات التي يأتي الكلام عليها في الفصل الذي خصصه الدكتور لهذا، حتى لا يمل القارئ -ولعله مل- من كثرة التكرار!

المشهد الأول:

جاء في "الأضواء":

يقول في الظلال في تفسير قوله تعالى: ﴿**وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون**﴾[1]: "هنا نصل إلى فكرة الإسلام التجريدية الكاملة عن الله سبحانه، وعن نوع العلاقة بين الخالق وخلقه، وعن طريقة صدور الخلق عن الخالق، وهي أرفع وأوضح تصور عن هذه الحقائق جميعا...لقد صدر الكون عن خالقه عن طريق توجه الإرادة المطلقة القادرة: (كن)، فتوجه الإرادة إلى خلق كائن ما كفيل وحده بوجود هذا الكائن، على هذه[2] الصورة المقدرة له، بدون وسيط من قوة أو مادة، أما كيف تتصل هذه الإرادة التي لا نعرف كنهها بذلك الكائن المراد صدوره عنها؛ فذلك هو السر الذي لم يكشف للإدراك البشري عنه؛ لأن الطاقة البشرية غير مهيأة لإدراكه."[3]

هذا النص في نظر الدكتور فيه الدليل على أن سيدا يقول بتلك القالة الخطيرة التي "كفر بها السلف" وهي "خلق القرآن". لهذا فما زلنا نبحث عن الرقم السري، والمفتاح العجيب، الذي يفتح باب هذا الاستنباط الغريب.

---

[1] (البقرة/ 177).

[2] "هذه" زادها الدكتور من كيسه، -وإن كانت لا تغير معنى الكلام- وإلا فلا وجود لها في "الظلال".

[3] " الأضواء" (ص: 135-136).

إن الذي نفهمه من هذا النص أن سيدا يصور -في حدود الممكن- طريقة صدور الخلق كل الخلق عن الخالق، وأن ذلك يتم عن طريق "كن" وقوله تعالى "كن" يعبر عنه سيد بتوجه الإرادة[1] أما كيف تتصل الإرادة، فذلك سر الأسرار، هذا كل ما في الأمر، وهذا الذي يفهم من هذا النص الذي استهل به الدكتور مشاهد مسرحيته وجعله أول فصول حكايته.

إننا لا نجد ما له علاقة بالدعوى التي أقامها ضد سيد قطب، إلا أن يكون قول سيد إن هذا الكون صدر عن خالقه "عن طريق توجه الإرادة المطلقة القادرة.(كن).." فرتب الدكتور الأمور من هنا على النحو التالي: -وهو ليس بعيدا عن فهم الدكتور!-: إن قوله تعالى -في نظر سيد وعلى فهم الدكتور- (كن) هو توجه الإرادة، والإرادة قبل خلق الكون لم تكن متجهة، فقول (كن) لم يكن موجودا، ثم أوجده الله، إذن فكلمة (كن) مخلوقة، وبالتالي فكلام الله مخلوق، إذن فالقرآن مخلوق!

«**وربح البيع أبا يحيى**[2] إن سيد قطب يقول بخلق القرآن!!

---

[1] وهذا تأويل لصفة من الصفات، وهو خطأ نشأ عليه سيد ردحا من الزمان، لكنه رجع عنه بصراحة كما سيأتي إن شاء الله.

[2] رواه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (228/3)، مرسلا.

والحاكم (400/3)، والطبراني في "المعجم الكبير" (7296/8)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (24/228-229)، من طرق عن سعيد بن المسيب، عن صهيب مرفوعا، وفيه قصة.

قال الحاكم: صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

وله شاهد مرسل، من حديث أبي عثمان النهدي.

رواه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (227/3)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (226/24)، وأورده ابن كثير في "التفسير" (370/1)، من طرق عن عوف، عن أبي عثمان النهدي، مرسلا.

قلت: وهذا مرسل صحيح، رجاله ثقات، رجال الصحيحين.

ومجمل الكلام: أن الحديث حسن، والله أعلم.

معذرة يا دكتور! لا تظنن بنا السوء، ولكنك جنيت على نفسك وعلى عقلك!! فما نجد سوى ما ذكر، له علاقة بما اتهمت به سيد قطب، فما عليك إلا أن تجرب تهمة أخرى لعل هذا النص يناسبها! نعم، إن تأويل كلام الله من طرف سيد قطب وارد هنا، إلا أنك عرفت أنا نرجئ الكلام فيه إلى المكان المناسب، لكن بقي من تهمة الدكتور شيء لم يكتشفه أحد قبله.

وإذا لم يعد لنا وطر نقضيه في هذا المشهد، فلننتقل إلى مشهد موالي!

المشهد الثاني:

وفي "الأضواء":[1]

ويقول في كتابه "السلام العالمي والإسلام":

عن إرادة هذا الإله الواحد يصدر الكون بطريق واحد ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**﴾[2] فلا واسطة بين الإرادة الموجدة والكون المخلوق، ولا تتعدد في الطريقة التي يصدر بها هذا الكون كله عن الخالق الواحد، إنها مجرد الإرادة التي يعبر عنها القرآن بكلمة (كن) وتوجه هذه الإرادة كاف وحده لصدور الكون عنها".

ويقول في الظلال:

"قوله تعالى إرادة، وتوجه الإرادة ينشئ الخلق المراد".

هذا هو المشهد الثاني، وليس فيه شيء جديد، سوى تفسير سيد قطب لكلام الله أنه إرادة ولا ينهض هذا بالدعوى الفخمة، والتهمة الضخمة، التي أقامها الدكتور، أيريد أن يُدْخِلَ الجمل سم الخياط؟! أم يريد أن يقوم بمعادلات كالتي ذكرنا عنه في المشهد الأول، والتي تفضي باكتشاف لا نحسب الدكتور مسبوقا إليه -فيما نعلم- وهو أن ميلاد القرآن يساوي ميلاد الكون؟!

فالقرآن والكون توأمان في نظر الدكتور ربيع!

---

[1] (ص:136).

[2] (يـــس/ 82).

المشهد الثالث:

وهذا المشهد فيه بعض الجديد، نقله الدكتور وفيه يقول سيد قطب -رحمه الله تعالى- كما جاء في "الأضواء":

"والشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق الله جميعا، وهو مثل صنع الله في كل شيء وصنع الناس...إن هذه التربة الأرضية مؤلفة من ذرات معلومات الصفات، فإذا أخذ الناس هذه الذرات؛ فقصارى ما يصوغون منها لبنة أو آجرة أو آنية أو أسطوانة أو هيكل[1] أو جهاز، كائنا في دقته ما يكون.. ولكن الله المبدع يجعل من تلك الذرات حياة، حياة نابضة خافقة، تنطوي على ذلك السر الإلهي المعجز... سر الحياة، ذلك السر الذي لا يستطيعه بشر ولا يعرف سره بشر"[2].

هذا النص التبس -فيما التبس- على الدكتور عندما ضرب مثال أجزاء الكون التي يعجز البشر أن يصوغوا منها الحياة النابضة، ثم قاسه على أجزاء القرآن، تلك الحروف المقطعة، التي تطالها أيدي البشر، ومع ذلك لا يستطيعون أن يؤلفوا منها "مثل هذا الكتاب؛ لأنه من صنع الله، لا من صنع الإنسان".

فبدل أن ينصرف اهتمام الدكتور إلى وجه المقارنة الصحيح، انشغل بعقد مقارنة عليها لم تخطر على بال سيد قطب بتاتا، وهو أصل كل من الكون والقرآن، فما دام الكون حادثا اتفاقا، خلص الدكتور بعبقرية فذه إلى أن القرآن حادث على هذا القياس!

يا دكتور يا أستاذ الشريعة! ما وجه المقارنة المناسب: أصل الكون أم تأليفه من أجزاء في متناول البشر؟ إنه لم يتحداهم بتأليف كتاب من عدم بل من حروف بين أيديهم وفي متناولهم بغض النظر عن طبيعة القرآن، حيث لم يتحدث عنها لا بالخلق ولا بعدمه!

---

[1] والصواب أن نقول هيكلا أو جهازا، فما أدري أين كان الدكتور من هذا! أحسبه ممنوعا من الصرف؟!

[2] "الأضواء" (ص: 136).

نعم لو كان القرآن تحدى البشر بـأن يأتوا بمثله من عدم، وذكر سيد قطب خلق الكون من عدم، وقارن بين الأمرين لسلمنا أن هذا يعني أن سيدا يعتقد "خلق القرآن"! أما والمقارنة قائمة بين تأليف القرآن أو بعضه من أجزاء في متناول البشر وتأليف الحياة الكونية من ذراها التي في متناولهم أيضا، فإن ما توهمه الدكتور ينضم إلى سلسلة أوهامه الكثيرة والكبيرة.

لقد أخطأت يا دكتور وجه المقارنة، لأن المقارنة بين أمرين لا تقتضي التشابه في كل شيء، فقول رسول اللهﷺ مثلا: ((**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، أو كما ترون الشمس ليس دونها سحاب**))[1].فهم منه بعض عليلي النظر،قليلي الفهم أن النبيﷺ يشبه مرئيا بمرئي، أي يشبه الله -تعالى الله- بالشمس والقمر، بينما المقصود هو كما أنكم لا تشكون في رؤيتكم للقمر ليلة البدر، وللشمس ليس يحجبها سحاب فإنكم لا تشكون حين ترون ربكم أنكم ترونه!

المشهد الرابع: سيد يقرر أن القرآن مخلوق.

لسنا نحن من يعتقد هذا أو يقوله، إنه الدكتور، وحتى لا نفتات عليه فإنه قال بالحرف إن سيدا "ويقول في تقرير إن القرآن مصنوع (أي: مخلوق)."[2] وهكذا بات الدكتور خبيرا بتفسير أقوال سيد ومراده من كلامه! فلو أنه ألف قاموسا لشرح

---

[1] رواه البخاري (554) في: مواقيت الصلاة (16) باب: فضل صلاة العصر، و(806) في: الأذان (129) باب: فضل السجود. و(7434-7435-7437-7439) في: التوحيد (24) باب: قوله تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة**﴾ و(4851) في: التفسير (50) باب: تفسير سورة ق. ورواه مسلم (211-212) في: المساجد (37) باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليها، بشرح النووي.

[2] "الأضواء" (ص: 137).

كلمات سيد لكان ناجحا شريطة أن يضاف إلى ذلك، أن الشرح: يراد به عكس المراد على غرار ما نجده في بعض الجرائد اليومية، حين يكتبون: "معكوسة" في بعض الأماكن! وإنما بضدها تتميز الأشياء!

على كل حال هذا هو الدكتور ربيع، وبعدما قرر أن سيد قطب يقول إن القرآن مخلوق، يسوق لنا دليله ويرمي في وجهنا بحجته، فواجب علينا أن نصغي إليه!

قال في "الأضواء":[1]

"ويقول -سيد- في تقرير أن القرآن مصنوع (أي: مخلوق):

وكما أن الروح من الأسرار التي اختص الله بها؛ فالقرآن من صنع الله الذي لا يملك الخلق محاكاته، ولا يملك الجن والإنس -وهما يمثلان الخلق الظاهر والخفي- أن يأتوا بمثله، ولو تظاهروا وتعاونوا في هذه المحاولة، ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**﴾[2] فهذا القرآن ليس ألفاظا وعبارات يحاول الإنس والجن أن يحاكوها، إنما هو كسائر ما يبدعه الله يعجز المخلوقون أن يصفوه، فهو كالروح من أمر الله، لا يدرك الخلق سره الشامل الكامل، وإن أدركوا بعض أوصافه وخصائصه وآثاره."[3]

نعم إن العبارة التي استغلها الدكتور لصالح ما يريد أن يتهم به سيدا هي: "فالقرآن من صنع الله" فقاس قياسا ربيعيا بعد ذلك، وأفضى به إلى أن يستنتج أن سيدا يقرر خلق القرآن.

---

[1] (ص: 137).

[2] (الإسراء/88).

[3] "الظلال" (2249/4-2250).

ومن جهتنا، نعترف أن هذه العبارة شائكة تحتمل ذلك المعنى، وتحتمل كذلك غيره من المعاني إلا أن السياق الذي وردت فيه، والصورة التي قدمها بها سيد يرجح عندنا خلاف ما رجح الدكتور، كما سيتضح بعد قليل -إن شاء الله تعالى-.

◆ **الدكتور لا يرسو على خطة ليوقع بسيد قطب:**

رأينا في مشهد سابق أن الدكتور أخطأ وجه المقارنة بين عجز البشر عن خلق الحياة في الكون -أو عن خلق الكون- وتأليف القرآن، وبدل أن يلقي أضواءه ! على القاسم المشترك الذي يرمي إليه سيد قطب، وهو أن أجزاء المطلوب في الحالتين جاهزة ومتوفرة، انزلق إلى ربط مقارنة بعيدة اجتهد في اكتشافها وهي أن الكون مخلوق فلا بد أن يكون سيد يعتقد القرآن مخلوقا أيضا!

وهنا عقد سيد المقارنة بين الروح والقرآن، من حيث عجز البشر، بل والجن عن محاكاة كل منهما وعقد مقارنة أخرى بينهما من حيث أن كلا منهما "لا يدرك الخلق سره الشامل الكامل، وإن أدركوا بعض أوصافه وخصائصه وآثاره". لكن الدكتور هنا غير خطته فلم يبحث عن وجه المقارنة -كما فعل أولا- وذلك لسر سيتضح فيما بعد، وتعلق بعبارة أن "القرآن من صنع الله" حيث قرأها بمعزل عن السياق، فما السر يا ترى؟! ولماذا لا يرسو الدكتور على خطة واحدة؟! إنه يذكرنا -في موقفه من سيد- بقصة جحا مع الناس، حين كان يركب تارة فيعاب عليه ركوبه -وهو الأب- بينما الابن يمشي على قدميه، ويعاب عليه أيضا حين يمشي وابنه راكب، وكذلك حين يركب مع ابنه، وكذلك حين يمشي مع ابنه، فعلم أنه معاب لا محالة فقرر أن يغلق أذنيه عن سماع أي شيء. وكذلك الدكتور كيفما كان الأمر من سيد لابد من عيب يجده له! كسياسة الذئب مع الحمل: كان الذئب يشرب من أعلى والحمل يشرب من أسفل، فقال الذئب للحمل: لقد عكرت علي الماء، قال له الحمل يا سيدي الماء لا يجري في العلالي، فقال له الذئب: ألست أنت الذي شتمتني منذ عام مضى؟! فقال له الحمل: أنا ابن ستة أشهر، فقال له الذئب: إذن أبوك هو الذي شتمني؟ قال له الحمل: لقد ولدت يتيما، قال له:

إذن عمك، قال له: ليس لي عم، قال له: إذن جدك، وانقض عليه فأكله. وهكـذا يفعل الدكتور مع سيد -رحمه الله تعالى-.

◆ لماذا تجاهل الدكتور وجه المقارنة بين الروح والقرآن:؟

إنه لو فهم الكلام على ضوء المقارنة التي أقامها سيد لجنبه ذلك الوقوع في خطأ اتهامه باطلا، وتجاوز إشكالية العبارة الموهمة التي ذكرها سيد قطب، مع أنه عدلها آخر الأمر، فبينما قال أولا "القرآن من صنع الله" قال في المرة الثانية هو "من أمر الله"، فانتفى اللبس وانقشع الغيم من سماء العبارة، لا سيما إذا سطعت عليها شمس حسن الظن بالناس! ثم إن الدكتور فر فرارا من ملاحظة المقارنة التي أجراها سيد بين الروح والقرآن لأنه لابد له من البحث عن القاسم المشترك، وهذا القاسم المشترك يحتمل أمرين، أحدهما: صواب والآخر خطأ، لكن مهما كان القاسم الذي يختاره ليبني عليه، فإن ذلك يفضي به إلى ما لا يريد! فلو أنه قال بأن وجه المقارنة يفضي إلى أن سيدا يقول بخلق القرآن، فمعناه أنه اعتبر أن الخلق هو القاسم المشترك، وهذا يعني أن الروح مخلوقة وبالتالي فالقرآن مخلوق! إلا أن الدكتور لا يريد هذا الوجه -على خطئه- لأنه يقسم ظهر اتهامه سيدا أنه يعتقد أزلية الروح[1]، فليستبعد هذا الاحتمال ولو كان خطأ، خلافا للمرة الأولى عندما اختاره لأنه يؤيد دعواه.

أما لو قال إن وجه المقارنة هو عجز البشر بل كل مخلوق عن محاكاة كل من القرآن والروح، وأن كلا منهما من أسراره عز وجل -وهذا هو الصحيح- فإنه يبطل دعوى اتهام سيد بخلق القرآن، فتأمل كيف يغير الخطة ويبدل "الإستراتيجية" ويركب الصعب والذلول للنيل من رجل طوته السنون! ولا تتشنج وتغالط يا دكتور وتخبرنا بأن كتب الرجل يشاد بها، وأن الشباب يقبل عليها وأنها تطبع مرات ومرات، لأنك لا تستطيع أن تتجاهل أن الناس اليوم من الإخوان وغيرهم ممن يقرأ

---

[1] كما في الفصل "الثاني عشر".

لسيد -رحمه الله- لا يدور بخلدهم أن سيدا يقول بهذه القالة، فضلا أن يعتقدوها، فضلا أن تكون مما ابتلي بها المسلمون، حتى تستدعي النكير والتشهير!

◆ **اختر بين تهمتين: أزلية الروح أم خلق القرآن.**

وأخيرا نقول للدكتور، إذا كنت تستبيح التلاعب في المنهج، فإن أهل العلم لا يقبلون ذلك، وعليك أن تختار بين تهمتين ما لك بد من ذلك، لأنهما -وعلى منهجك- لا تجتمعان فالطريق الذي تسلكه لبلوغ إحداهما يسد عليك الطريق لبلوغ الأخرى.

فبينما ندعك تختار إحداهما، ننصرف نحن إلى حالنا ونحن مطمئنون إلى أن سيدا ما قال شيئا من ذلك اللغو، وحتى لو كانت عبارة من عباراته أوجدت ما أوجدت، فإن اتهام الناس، ونسبة الأخطاء إليهم، لا تنهض به الشبهات، ولا يقوم على أساس الاحتمالات وإنما يؤسس على اليقينيات، قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾.[1]

ونذكرك في هذا الشأن بما ذكرك به الشيخ بكر أبو زيد حين قال لك:

ومن عناوين الفهرس: "قول سيد بخلق القرآن وأن كلام الله عبارة عن الإرادة".

لما رجعت إلى الصفحات المذكورة لم أجد حرفا واحدا يصرح فيه سيد -رحمه الله تعالى- بهذا اللفظ: "القرآن مخلوق". كيف يكون هذا الاستسهال للرمي بهذه المكفرات؟ إن نهاية ما رأيت له تمدد في الأسلوب كقوله: "ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا منها -أي الحروف المقطعة- مثل هذا الكتاب لأنه من صنع الله لا من صنع الناس". اهـ.

---

[1] (الحجرات/6).

وهي عبارة لا شك في خطئها، لكن هل نحكم من خلالها أن سيدا يقول بهذه المقولة الكفرية: "خلق القرآن"؟! اللهم إني لا أستطيع تحمل عهدة ذلك،[1]! !

لقد ذكرني قوله هذا بقول نحوه للشيخ/ محمد عبد الخالق عطية -رحمه الله تعالى- في مقدمة كتابه: "دراسات في أسلوب القرآن" والذي طبعته -مشكورة- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. فهل نرمي الجميع بالقول بخلق القرآن...اللهم لا، وأكتفي بهذه من الناحية الموضوعية، وهي المهمة[2]. ا هـ

*****

---

[1] "الخطاب الذهبي" (ص: 8-9).

[2] قلت: لكن الدكتور استطاع تحمل عهدة ذلك فأي الفريقين أحق بالأمن؟

-نقد الفصل التاسع-
"قول سيد قطب بعقيدة وحدة الوجود والحلول والجبر"

خبط الدكتور -عفا الله عنه- في هذا الفصل خبط عشواء وركب متن عمياء، وأجهد نفسه ما لم يجهدها في فصل من الفصول، لأن التهمة التي أراد إلصاقها كبيرة وخطيرة فهي " أعظم أنواع الكفر..."[1] -على حد تعبيره- لذلك استمات في تقريرها وحرص وحرض على أن "يدان سيد قطب بهذا الباطل، ويتحمل مسئوليته هو ومن يطبعه وينشره ومن يدافع عنه بالباطل."[2] واعتبر أن المسلك الذي سلكه أهل العدل والإنصاف لإبعاد هذه العقيدة عن سيد يقتضي منا تبرئة ابن عربي وغيره ممن اشتهر بهذا الاعتقاد.

وحرص الدكتور على هذه الصفقة الضخمة من صفقات النيل من أعراض الناس التي يتاجر بها وفيها، لأنها في نظره قاصمة الظهر، وما هي إلا قاصمة لظهر منهج الدكتور الذي افتضح أيما افتضاح، وبدت عوراته، ففسدت صحة ما أصبح في حكم العبادة عنده وهو الطعن في الناس، لأن "ستر العورة شرط من شروط الصحة " كما هو معلوم، وهكذا كان الدكتور:

كالملبس الثوب من عري وعورته*للناس بادية ما إن يواريها**
وأعظم الإثم بعد الشرك نعلمه*في كل نفس عماها عن مساويها**

---

[1] "الأضواء" (ص :144).

[2] "نفسه" (ص: 162).

عرفاها بعيوب النـــــاس تبصرها*منهم ولا تبصـــر العيب الــــذي فيها**

لقد عثر على كتر مغشوش، فحسبه صحيحا لجهله بمعاني العبارات القطبيـــــة، ونزوله عن سموها وسموقها أهوى به إلى التدحرج على سفح قممها، وأصبحـــت رؤيته لها -عن بعد- تحجب عنه جمالها ورونقها! وليس العيب فيما كتبــه سـيد قطب، ولكن في عجز الدكتـــــور وقصوره! ومما دعم الزلة، وعمق الهفوة الـــتي تدحرج فيها الدكتور ذاك المنظار الأسود الـــذي ينظر بـــه إلى طائفـــة من النـاس -وفيهم سيد قطب-، منظار أشبه ما يكون بالذي وصف أنه يُمَكِّنُ صاحبه مـــن إبصار عورات الناس وهم يرتدون ملابسهم!! فالذنب ليس ذنبهم والعيب ليـــس فيهم، والآفة آفة هذا المسخ! وهذا محرم في القانون الوضعي والشرعي، ويرتديـــه بعض مختلي الشهوة الجنسية، للإطلاع على عورات النســـاء ويســـتعمله مشـتهر السقطات -كالدكتور- للإطلاع على عورات العلماء!!

خلاصة القول إن الدكتور انتقد سيدا في مسألة ولما يتهجى حروفها، ويفـــهم معانيها، اختلط عليه الحق بالباطل، واشتبه عليه الصواب بالخطأ، وظن أن كل مـــن قال معاني نحو: أن الوجود الحقيقي هو وجود الخالق، "وكل موجود آخر، فإنمـــا يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي" فهو يعني الوحدة فصاح بأن سيدا يعتقـد وحدة الوجود، لا سيما وظن الدكتور به كما علمت، لذا فحري به أن ينطق بكل باطل، ويعتقد كل كفر!

وقبل الدخول معه في هذا الموضوع الحساس، الذي حسبك منه أن تنظر فيـــه وتقرأه وتسمعه، لتستيقن من تلاعباته، دعنا نعرف ببعض المصطلحات التي ألصقـها بسيد قطب، مثل القول بوحدة الوجود، والحلول، والجبر، وأقوال العلماء في ذلك.

أولا: وحدة الوجود:

معناها عند أهل العلم: اعتقاد أن الخالق-تعالى الله عن ذلك- هو عين المخلوق، ولذلك جاء في فصوص ابن عربي: فص حكمة قدوسية في كلمة إدريسية: "ومن أسمائه الحسنى: العلي، على من؟ وما ثم إلا هو!! فهو العلي لذاته، أو عن ماذا؟ وما هو إلا هو فعلوه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات..."[1]. وهذا الكفر والعياذ بالله لما تغلغل في قلوب أصحابه نطقوا بما يستحي أن ينطق به النصراني فضلا عن المسلم، ومن ذا الذي لا يمج عقله كلام ابن عربي الذي وصف به الخلق فقال:

قال الخراز[2] وهو وجه من وجوه الحق، ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه: بأن الله لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، فهو عين ما ظهر، وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثم من يراه غيره، وما ثم من يبطن عنه، فهو ظاهر لنفسه، باطن عنه وهو المسمى أبا سعيد الخراز، وغير ذلك من [أسماء] المحدثات[3]، اهـ.

---

[1] نقلا عن "تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي" (ص:63-64).

[2] هو أحمد بن عيسى، أبو سعيد الخراز الصوفي البغدادي، توفي سنة: (277هـ)، وقيل سنة: (286هـ)، وقيل سنة: (247هـ)، قال الخطيب البغدادي، القول الأول هو الأقرب إلى الصواب إن كان محفوظا، انظر "تاريخ بغداد" (276/4)، و"تاريخ دمشق" (129/5).

[3] "تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي" (ص: 63-64). فتبا لعقيدة جعلت الخراز ربا.

ونحو هذا ما جاء في تائية ابن الفارض المشهورة، كما في:"تنبيه الغبي" (ص:102-103):

وما زلت إياها وإياي لم تزل*ولا فرق، بل ذاتي لذاتي أحبت**

وليس معي في الكون شيء سواي وأل*معية لم تخطر على ألمعيتي =**

ثانيا: الحلول:

جاء في "المعجم الوسيط"[1]، الحلول: هو القول بأن الله حال في كل شيء.أهـ.

وحكي عن الحلاج أنه قال: من هذب نفسه في الطاعة وصبر على اللذات والشهوات ارتقى إلى مقام المقربين ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الإله الذي حل في عيسى بن مريم، و لم يُرد حينئذ شيئا إلا كان كما أراد وكان جميع فعله فعل الله تعالى.[2]

ثالثا: الجبر:

جاء في "لسان العرب"[3]، الجبر: هو خلاف القدر، والجبرية خلاف القدرية، وهم الذين يقولون أجبر الله العباد على الذنوب أي أكرههم، ولذلك سمو: الجبرية.اهـ

رابعا: أقوال العلماء في هذه العقيدة وفي أصحابها:

قال الإمام زين الدين العراقي في جواب السؤال المذكور: "وأما قوله فهو عين ما ظهر، وعين ما بطن"، فهو كلام مسموم، ظاهره: القول بالوحدة المطلقة، وأن جميع مخلوقاته هي عينه، ويدل على إرادته لذلك صريحاً قوله بعد ذلك: "وهو المسمى أبا سعيد الخراز، وغير ذلك من أسماء المحدثات" وكذا قوله بعد ذلك:

= ولذلك قال الذهبي: ينعق بالاتحاد الصريح في شعره، "الميزان" (214/3). فتأمل كلام هؤلاء وقارنه بكلام سيد قطب الذي بسببه نسبه الدكتور ربيع إلى القول بوحدة الوجود والحلول والجبر.

[1] (20/1).

[2] "الفرق بين الفرق" (ص:248).

[3] مادة جبر.

"والمتكلم واحد، وهو عين السامع "وقائل ذلك والمعتقد له كافر بإجماع العلماء"[1] .اهـ

وقال الإمام أبو علي بن خليل السكوني[2] في كتابه، تحت[3] العوام فيما يتعلق بعلم الكلام بعد أن حذر من ابن عربي وأتباعه، فقال: "وليحترز أيضا من مواضع كثيرة من كلام ابن عربي الطائي في فصوصه وفتوحاته المكية، وغيرهما وليحترز أيضا من مواضع كثيرة من كلام ابن الفارض الشاعر وأمثاله، مما يشيرون بظاهره إلى القول بالحلول والاتحاد، لأنه باطل بالبراهين القطعية، ثم قال: وكل كلام وإطلاق يوهم الباطل، فهو باطل بالإجماع، فأحرى وأولى بطلانه إذا كان صريحا في الباطل، فإن قالوا: لم نقصد بكلامنا وبرموزنا وإشاراتنا الإتحاد، والحلول، وإنما قصدنا أمرا آخر يفهم عنا، قلنا لهم: الله أعلم بما في الضمائر، وما يخفى في السرائر، وإنما اعترضنا نحن الألفاظ والإطلالات التي تظهر فيها الإشارات إلى الإلحاد، والحلول، والاتحاد".[4] اهـ

وحسبنا هذا الكلام في وحدة الوجود وما شاكلها من العقائد الباطلة وكلام أهل العلم طويل الذيل في ذلك ولا نريد إطالة الكلام فمن أراد الإطلاع على المزيد فعليه بكتب شيخي الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم -رحمة الله عليهما-، فقد

---

[1] "تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي" (ص:66).

[2] في الأصل السكوتي وهو خطأ، واسمه عمر بن محمد الكوفي المغربي المالكي المتوفى سنة: (717هـ)، انظر "كشف الظنون" (268/4).

[3] كذا في الأصل، وهو خطأ، لم يشر إليه المحقق، والصواب أن عنوان الكتاب: "لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام".

[4] "نفسه" (ص:137-138).

حاصرا هذه العقائد الباطلة بسلاح الكتاب والسنة وأقوال السلف في غير ما مكان، مثل مجموع الفتاوى، ومجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية، والنونية، لابن القيم.

لقد تأملت صنيع الدكتور هذا، وعرضته على تصرفات أئمة أهل السنة، فوجدهما لا يلتقيان في الحكم ولا في المنهج! ولذلك لو عرض كلام سيد -الذي أدانه به الدكتور- على أئمة أهل السنة، لا سيما أهل "التقويم" لأشادوا بكلامه وحتى لو أنهم عثروا على ما قد يحتمل ويحتمل، لبسطوا كف "حسن الظن" ليذهبوا بكلامه إلى أحسن معانيه المحتملة حتى يخلد ذلك الكلام في صفحات الصواب!

قال صاحب منازل السائرين -رحمه الله تعالى-: "إن مشاهدة العبد الحكم لم تدع له استحسان حسنة، ولا استقباح سيئة، لصعوده من جميع المعاني إلى معنى الحكم" هذا الكلام باطل في ظاهره، بل "هو من أبطل الباطل" كما قال ابن القيم[1] -رحمه الله تعالى- لكن مع ذلك لم يحمل ابن القيم الكلام على هذا الظاهر مع أن الظاهر مقدم في الأصول على التأويل، فقد حال دون اختياره حسن الظن الذي هو أصل عريق ومبدأ لصيق بمنهج أهل السنة في نقد الناس!

فاسمع إلى ابن القيم وهو يتصرف على هدى من منهجهم هذا فيقول: "هذا الكلام -إن أخذ على ظاهره- فهو من أبطل الباطل الذي لولا إحسان الظن بصاحبه وقائله، ومعرفة قدره من الإمامة والعلم والدين، لنسب إلى لازم هذا الكلام"[2] ولازم هذا الكلام هو وحدة الوجود والجبر بنفي التعليل مطلقا في الأحكام! وهذا اللازم الذي انصرف عنه ابن القيم بسبب حسن الظن، هو الذي تقحم فيه الدكتور بسبب سوء الظن، "ولكل وجهة هو موليها" وإن كان الدكتور

---

[1] "مدارج السالكين" (227/1).

[2] "نفسه" (227/1).

يتمسح بعبارات نحو "أهل السنة" و"السلف"، وفي الحقيقة إنما يتمسح "بالأسماء والأسمال" وحق له التشبث بالأفعال والأقوال!!

ولنأت الآن إلى ما أخذه الدكتور على سيد قطب بشيء من التفصيل، ونتعقبه في ذلك أولا بأول:

جاء في الأضواء[1]: "يقول سيد قطب في تفسير قول الله تعالى: ﴿**هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم**﴾[2].

"وما يكاد يفيق من تصور هذه الحقيقة الضخمة، التي تملأ الكيان البشري وتفيض، حتى تطالعه حقيقة أخرى، لعلها أضخم وأقوى. حقيقة أن لا كينونة لشيء في هذا الوجود على الحقيقة. فالكينونة الواحدة الحقيقية هي لله وحده سبحانه؛ ومن ثم فهي محيطة بكل شيء، عليمة بكل شيء فإذا استقرت هذه الحقيقة الكبرى في القلب: فما احتفاله بشيء في هذا الكون غير الله سبحانه؟! وكل شيء لا حقيقة له ولا وجود –حتى ذلك القلب ذاته- إلا ما يستمده من تلك الحقيقة الكبرى، وكل شيء وهم ذاهب، حيث لا يكون ولا يبقى إلا الله، المتفرد بكل مقومات الكينونة والبقاء، وإن استقرار هذه الحقيقة في قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة، فأما قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار؛ فإن هذه الآية القرآنية حسبه ليعيش في تدبرها وتصور مدلولها، ومحاولة الوصول إلى هذا المدلول الواحد وكفى.

ولقد أخذ المتصوفة بهذه الحقيقة الأساسية الكبرى، وهاموا بها وفيها، وسلكوا إليها مسالك شتى، بعضهم قال: إنه يرى الله في كل شيء في الوجود، وبعضهم قال: إنه رأى الله من وراء كل شيء في الوجود، وبعضهم قال: إنه رأى الله فلم ير شيئا غيره في الوجود، وكلها أقوال تشير إلى الحقيقة، إذا تجاوزنا عن ظاهر الألفاظ

[1] "الأضواء" (143-144).

[2] (الحديد/3).

القاصرة في هذا المجال؛ إلا أن ما يؤخذ عليهم -على وجه الإجمال- هو أهم أهملوا الحياة بهذا التصور.

والإسلام في توازنه المطلق يريد من القلب البشري أن يدرك هذه الحقيقة ويعيش بها ولها، بينما هو يقوم بالخلافة في الأرض بكل مقتضيات الخلافة من احتفال وعناية وجهاد وجهد، لتحقيق منهج الله في الأرض، باعتبار هذا كله ثمرة لتصور تلك الحقيقة تصورا متزنا؛ متناسقا مع فطرة الإنسان وفطرة الكون كما خلقها الله".

هذا هو النص الأول الذي ذكره الدكتور لسيد ثم علق عليه بما يالي:

"وهكذا يقرر سيد قطب وحدة الوجود والحلول، وينسبها إلى أهلها الصوفية الضالة في سياق المدح، ويدعو إلى ذلك بقوله: "والإسلام في توازنه المطلق يريد من القلب البشري أن يدرك هذه الحقيقة ويعيش بها ولها"!![1]

فتعليق الدكتور هذا تضمن مسائل ثلاث:

- **الأول:** اهام سيد قطب بوحدة الوجود والحلول!

- **الثانية:** نسبة سيد هذه العقيدة إلى الصوفية الضالة في سياق المدح!

- **الثالثة:** دعوة سيد إلى هذه العقيدة.

وبدهي أن الدكتور استل استنتاجاته تلك من النص المتقدم، بعدما مد فيه نظره، ودقق فيه بصره، فعثر[2] كعادته على أن سيد قطب يقول تلك الأقوال الخطيرة، ويعتقد تلك العقيدة الكبيرة لذلك وجب علينا أن نتحقق من استنتاجاته؛ واحدا واحدا، فليس كل قول مصدقا ولا كل فهم موفقا! فالعلم كما قال ابن تيمية "إما نقل مصدق أو استدلال محقق"!

---

[1] "الأضواء" (ص: 144).

[2] بل تعثر كعادته.

وعليه فإذا اختل واحد من هذين الركنين -فضلا عن كليهما- فما ثمة علم وإنما جهل ووهم!

ومع الأسف فإن الدكتور وهم في كلا الركنين، فلا هو فهم كلام سيد قطب فهما موفقا، ولا نقل كلامه نقلا أمينا صادقا!

اعتراف لاعتراف ولكن!

لقد اعترف الدكتور أن سيدا "قال في تفسير سورة البقرة بإبطال وحدة الوجود، ونفاها نفيا قاطعا، وبين أنها عقيدة غير المسلم..."[1]، وعليه وجب علينا أن نعترف للدكتور بشجاعته على الاعتراف ونشكره على ذلك.

لكن مع ذلك، ألم يكن أجدى به أن يجعل الحقيقة التي اعترف بها نصب عينيه، وهو يقرأ كلام سيد قطب، لا سيما والموضوع ليس بالسهل الواضح، بل وعر غامض؟! فإذا كان سيد ذلل له مباحث هذا الموضوع الشائك، ولخص له ما لا يجوز لمسلم أن يعتقده، فإن الدكتور لو تواضع واستفاد من ذلك لما هوي فيما هوي إليه من مزالق!

◆ سيد قطب لم يقل قط بعقيدة "وحدة الوجود"

لقد عرفنا معنى "عقيدة وحدة الوجود" وعرفنا أقوال العلماء فيها، وفي أصحابها، واستقرت أقوالهم على إدانتها والتنفير منها، ورأينا كيف ذهبوا حتى إلى تكفير القائلين بها، وعلى الأقل، فإنهم يعتبرونها عقيدة كفر! ووافقهم سيد قطب بصريح كلامه، وواضح قوله في ذلك -باعتراف الدكتور-، بل قال سيد قطب أيضا إنها عقيدة "غير المسلم"!!

[1] "الأضواء" (ص: 145).

وعلى هذا فإن عقيدة بهذه الخطورة، ليس من السهل أن نرمي بها في وجه مسلم ما، بل نحتاط لنا وله من التدنيس، فلا نتدنس نحن بتهمة بريء ظلما، ولا ندنسه هو بغير حق، فكيف إذا كان هذا المسلم مصرحا ببراءته فيها، ومسجلا لسلامته منها؟!

لهذا نعتقد أن الدكتور كان في حاجة إلى اتهام عقله مرات، بل كرات، قبل الإقدام على اتهام سيد قطب بهذه العقيدة المكفرة من قبل العلماء، بل هو نفسه عدها "أعظم أنواع الكفر بالله"! فكيف يقررها سيد وقد حكم عليها أنها عقيدة "غير المسلم"؟ !

وحاول الدكتور أن يتفلت من هذا النوع من الاستدلال، واعترض اعتراضا باردا ليحاول بذلك تثبيت التهمة، وقال: "لو أن أحدا كتب مقالة في مدح الصحابة، ثم كتب كتابا أو مقالا يطعن فيه في أصحاب رسول الله ﷺ، أو ألف كتبا يحرم فيها الربا والزنى والخمر، ثم ألف كتابا يبيح فيه هذه المحرمات... أو كتب كتابا في إثبات الصفات، أو... كتب كتبا ومقالات فيها توحيد الله، والفصل بين الخلق والمخلوق، ثم كتب في أحد كتبه القول في وحدة الوجود مرة واحدة؛ فإنه يدان بعمله هذا، ويتحمل مسئوليته، ولا يربط بين ماضيه وحاضره، ولا يعبأ بما يناقض هذا الضلال"[1].

وهذا التحايل لا يليق بالمناظرات العلمية مع أن فيها مغالطات عديدة وتدليسات كثيرة!

---

[1] "الأضواء" (ص: 152).

المغالطة الأولى:

قول الدكتور -مثلا- لو أن أحدا كتب مقالة في مدح الصحابة، ثم كتب.. الخ فكلامه هذا غير محرر إذ لابد من معرفة التاريخ، فلو أن شيعيا كتب في سب الصحابة، ثم هداه الله إلى الصواب وأصبح من أهل السنة، فمدح أصحاب رسولﷺ، فلا يدان بل يمدح ويشكر! وعكس ذلك، لو تنكب متنكب كان في أول أمره محبا للأصحاب كما أوصت بذلك السنة بل والكتاب، وأصبح مبغضا لهم[1] ، فحكم هذا عكس حكم الأول. وإطلاق الدكتور الحكم يعوزه الوضوح الذي ينم عن تهاونه، مع أن بحثه بحث جرح لعدالة وعقيدة مسلم، بل أحد صالحي المسلمين! -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا-.

وما قيل فيمن كتب كتابا يمدح الصحابة، ثم كتب آخر يقع فيهم، هو ما يقال في المسائل الأخرى التي ضربها الدكتور أمثلة لمغالطاته، كمن ذهب مرة إلى تحريم الخمر والزنى والربا وأخرى إلى إباحة ذلك، فلابد من معرفة التاريخ، ويكون الحكم مناسبا لما تأخر من أمره.

المغالطة الثانية:

إن الأمثلة التي أوردها الدكتور ليست صحيحة كما تبين على فرض أن يستوي قوله في دلالته في المرتين، لأنه لابد من معرفة المتقدم من المتأخر. لكن المسألة التي هي بين أيدينا ليست كذلك، لأن سيدا كتب بأعلى درجات القوة الدلالية ونص على أن عقيدة وحدة الوجود لا تمت إلى الإسلام بصلة، وكتب مرة أخرى كلاما

---

[1] وهذا حال كثير من ضحايا الغزو الشيعي المعاصر كصاحب كتاب "ثم اهتديت" الذي يقول إنه لا يؤمن برب خليفة رسوله أبو بكر! فهل يعد هذا ممن يترضى على الصحابة لسابق عهده، أم الحكم ما استقر عليه أمره؟!

فهم منه الدكتور أنه يعتقد عقيدة الوحدة هذه، لذلك فلو أراد الدكتور ضرب الأمثلة المناسبة لهذا لكان عليه أن يقول مثلا:" لو كتب أحدهم كتابا يحرم فيه الربا، وآخر كتب فيه كلاما يحتمل[1] أن يفيد إباحة الربا، لوجبت إدانته و.. الخ. وهذا في غاية البطلان. أما الأمثلة التي أوردها، فربما تكون مناسبة لو أن سيدا قال "عقيدة الوحدة باطلة" ثم مرة أخرى قال: "عقيدة الوحدة صحيحة" فهنا يرجع إلى المتقدم والمتأخر من كلامه كما سبق. وما سعى إليه الدكتور ممتطيا هذا النوع من التحليل لا يناسب سلوك طالب العلم، فضلا عن "أهل العلم" الذين عد نفسه منهم، وحشر في مقدمة الكتاب اسمه في زمرهم!

لهذا، فلو فرضنا أن الكلام الذي انتقد فيه الدكتور سيد قطب يفيد -باحتمال معين- عقيدة وحدة الوجود، فدلالته أضعف من مقاومة "النص" الذي حسم فيه سيد الموقف إزاء هذه القضية، و"النص" كما يعرف ذلك الأصوليون يعتبر أعلى مستويات القوة الدلالية، فيكون راجحا، وبالتالي تسلم سماء عقيدة سيد قطب من هذا البهتان!

المغالطة الثالثة:

وفي الوقت الذي حاول فيه الدكتور دعم الدليل الضعيف كما تقدم في المغالطة السابقة، حيث ساوى بين ما دلالته بالنص، وما دلالته بالمفهوم، نجده على عكس ذلك في مثال الوحدة، حيث عبر عن تصريح سيد قطب بنفيها فقال: "كتب كتبا ومقالات فيها توحيد الله، والفصل بين الخالق والمخلوق" وهكذا لم تعد هذه الجملة نصا في نفي وحدة الوجود، وتراجعت دلالتها وبالتالي ضعفت حجة البراءة!

وبالمقابل كان صريحا في جانب الإدانة فمثل بالذي كتب "القول في وحدة الوجود" لترتفع دلالته من دلالة مفهوم إلى دلالة أظهر، فهناك حول الظاهر إلى نص في الجانب الذي يلصق به التهمة فيا للعار! وفي الحديث الذي يصف الفطرة النقية:

---

[1] تسامحا في ذلك.

((إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فافعل ما شئت))![1] يا دكتور افعل ما شئت! فإنك لم تستح بتلاعباتك واستهزاءاتك بالقراء!

وهذا شأن ضعاف الحجة، وضيقي المحجة، يغلبهم الحق فيعمدون إلى إيهام الضعف فيه، وتضخيم وتقوية الباطل. لذلك يعمدون تارة إلى النصوص الثابتة فيوهمون ضعفها، بينما يحتجون بالروايات الواهية ويرسلونها إرسال المسلمات الثابتات!! وسواء استعمل هذا الأسلوب في النصوص أم في دلالتها، فكله حرام لا يليق.

---

[1] سبق تخريجه (ص: 215).

قال الخطابي في "معالم السنن" (109/4) معنى قوله: النبوة الأولى أن الحياء لم يزل أمره ثابتا واستعماله واجبا منذ زمان النبوة الأولى وأنه ما من نبي إلا وقد ندب إلى الحياء وبعث عليه وأنه لم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم و لم يبدل فيما بدل منها؛ وذلك أنه أمر قد علم صوابه وبان فضله واتفقت العقول على حسنه وما كان هذا صفته لم يجز عليه النسخ والتبديل، وقوله فافعل ما شئت فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يكون معناه الخبر وإن كان لفظه لفظ الأمر كأنه يقول إذا لم يمنعك الحياء فعلت ما شئت أي ما تدعوك إليه نفسك من القبيح وإلى نحو من هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام رحمة الله عليه.

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى معناه الوعيد كقوله تعالى﴿اعملوا ما شئتم﴾. [فصلت: 40].

وقال أبو إسحاق المروزي فقيه الشافعية معناه: أن ينظر فإذا كان الشيء الذي يريد أن يفعله مما لا يستحي منه فافعله، يريد أن ما يستحي منه فلا يفعله.ا هـ.

المغالطة الرابعة:

لو سلمنا وعثرنا لشخص على دليل يدينه ودليل يبرئه، ولا ندري تاريخ أحدهما ما الذي يجعلنا ندينه كما اختار الدكتور؟! لماذا لا نبرئه إحسانا للظن، وأضعف الإيمان أن نتوقف؟!

أما في مسألتنا، فإن سيد قطب، وفي آخر ما كتبه داخل السجن، كتابه "مقومات التصور الإسلامي": إن التصور الإسلامي يفصل فصلا تاما بين طبيعة الألوهية وطبيعة العبودية، وبين مقام الألوهية ومقام العبودية، وبين خصائص الألوهية وخصائص العبودية، فهما لا تتماثلان ولا تتداخلان.. كذلك يبين التصور الإسلامي بيانا حاسما: من هو "الله" صاحب الألوهية، ومن هم "العبيد" الذين تتمثل فيهم العبودية.

إن الألوهية واحدة لا تتعدد.."هي ألوهية الله سبحانه.." والعبودية تتمثل في كل ما وراء ذلك..وكل ما وراء ذلك فهو من خلق الله، لم يوجد بذاته، كما أنه لا يقوم بذاته، إنما هو مخلوق أوجده الله. وهو مكفول يكفله الله. وهو متأثر يتحرك ويتغير بقدر الله"[1] اهـ.

ما ضرب به المثال لا يمت إلى الواقع بصلة، وإنما هو تحايل وتدليس!

- **ابن القيم يقول بوحدة الوجود على مذهب الدكتور:**

بما أن الدكتور حشر نفسه فيما لا قبل له به، وهجم على مباحث لم يخبرها، فقد زلق زلقات، تقتضي أن يتهم بالاتحاد أو وحدة الوجود والحلول جمهورا كبيرا من علماء المسلمين فإن ما قاله سيد، والذي صار بموجبه حلوليا، وافقه فيه علماء لا يجرؤ الدكتور أن ينبس ببنت شفة تنال منهم في هذا الموضوع كما سلط على سيد قطب ذلك، ولو كان الدكتور شجاعا ومستقلا لا يقلد أحدا، ولا يخاف قللا

---

[1] "مقومات التصور الإسلامي" (ص:81-82).

وقيلا، فليكتب بالخط العريض، وينادي بالصوت العالي الجهير -كما فعل في حق سيد- ويعلنها صارخة مدوية "ابن القيم يعتقد وحدة الوجود والحلول والجبر".

لو فعل الدكتور هذا لاعترفنا له باستقلال الشخصية والشجاعة، وإن كنا لا نرضى له أن تقوده بضاعته المزجاة إلى إيغار صدور المسلمين باتهاماته المتشنجة!

وليقرأ الدكتور كلام ابن القيم في هذا الموضوع الذي زلت فيه أفهام، وضلت فيه أقلام!: قال شيخ الإسلام ابن القيم -رحمه الله تعالى- وهو بصدد الحديث عن فناء الصوفية؛ الباب الخطير الذي ولج منه من ولج ليقول بوحدة الوجود والحلول:

"الفناء الذي يشار إليه على ألسنة السالكين ثلاثة أقسام:

- فناء عن وجود السوى، وفناء عن شهود السوى، وفناء عن عبادة السوى وإرادته؛ وليس هناك قسم رابع"[1].

- هذه أقسام ليست كلها مذمومة، بل ليس منها مذموم سوى القسم الأول وهو: "فناء القائلين بوحدة الوجود"، فهو فناء باطل في نفسه...وهو غاية الإلحاد والزندقة.

هذا هو الذي يشير إليه علماء الاتحادية ويسمونه التحقيق، وغاية أحدهم فيه ألا يشهد ربا وعبدا، وخالقا ومخلوقا، وآمرا ومأمورا، وطاعة ومعصية...الخ. ما ذكر ابن القيم، ثم قال ومن أشعارهم في هذا قول قائلهم:

وما أنت غير الكون بل أنت عينه*ويفهم هذا السر من هو ذائق**

وقول الآخر:

---

[1] "طريق الهجرتين" (ص: 365).

ما الأمر إلا نســـق واحـــد**ما فيـه مـــن مـدح ولا ذم**
وإنمـا العـادة قـــد خصصت**والطبع والشارع بالحـكـــم**

وقول الآخر:

وما الموج إلا البحـــر لا شيء غيره**وإن فرقتـه كثـــرة المتعـدد**[1]

فهذه أقوال أهل الوحدة الذين خلط الدكتور بين كلامهم وكلام سيد قطـــب، فلم يميز بين قول أصحاب "الفناء عن وجود السوى" وأصحاب "الفناء عن شـهود السوى" وهذا "الفناء" هو الذي قـــال فيـــه ابن القيم -رحمه الله-:

"وأما أهل التوحيد والاستقامة: فيشيرون بالفناء إلى أمرين: أحدهما أرفع مــــن الآخر"[2]

وذكرهما ابن القيم، ويعنينا الآن ما ذكر عن الأمر الأول الذي عرفه بأنه: الفنـاء في شهود الربوبية والقيومية، فيشهد تفرد الرب تعالى بالقيومية والتدبير، والخلـــق والرزق، والعطاء والمنع، والضر والنفع والمنع، وأن جميع الموجودات منفعلة لا فاعلة وما له منها فعل فهو منفعل في فعله، محل محض لجريان أحكام الربوبية عليـــه،[3] لا يملك شيئا منها لنفسه ولا لغيره، فلا يملك ضرا ولا نفعا. فإذا تحقق العبـــد بهـــذا المشهد: خمدت منه الخواطر والإرادات، نظرا إلى القيوم الذي بيده تدبير الأمـــور، وشخوصا منه إلى مشيئته وحكمته، فهو ناظر منه به إليه، فإن بشهوده عن شـــهود

---

[1] "نفسه" (ص: 366).

[2] "مدارج السالكين" (378/3).

[3] فهل إذا كان محض محل لجريان أحكام الربوبية عليه يعني اعتقاد ابن القيم عقيدة الجـــبر كما قال في سيد قطب وقد ذكر نحو ما ذكر هنا؟!

ما سواه. ومع هذا فهو ساع في طلب الوصول إليه، قائم بالواجبات والنوافل[1] إن هذا الذي قاله ابن القيم هو في مضمونه ومعناه، وفي مفهومه وفحواه، ما قاله سيد واعترض عليه الدكتور، ومثله ما قاله سيد قطب في تفسير سورة الإخلاص:

"إنها أحدية الوجود...فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية، وهي من ثم أحدية الفاعلية[2]، فليس سواه فاعلا لشيء أو فاعلا في شيء في هذا الوجود أصلا، وهذه عقيدة..." الخ الكلام الذي اتهمه الدكتور من أجله، لقلة خبرته بهذه المصطلحات، وضيق فهمه لاستيعاب مراميها فلم يميز بين صوابها وخطئها، وبين حقها وباطلها، ولكنها اشتبهت عليه، وصادفت شهوة لديه للإيقاع بسيد قطب، فشنع عليه، ونال من عرضه ودينه بنسبة الكفر، بل أعظم الكفر إليه! فهلا اتهم ابن القيم -رحمه الله تعالى- وحاشاه من هذا البهتان بمثل ذلك؟!

تأمل يا دكتور قول –ابن القيم– عن أحد أهل الاستقامة في التوحيد[3] إنه "ناظر منه به إليه، فإن بشهوده عن شهود ما سواه" وقارنه بكلام سيد قطب الذي سودته[4] أكثر، كناية على أن أساس اتهامك معتمد على ذلك، وفيه ذكر درجة العبد الذي يرى "هذه الحقيقة في كل وجود آخر انبثق عنها"، "ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئا في الكون إلا الله" فهذا وكلام ابن القيم خارج من مشكاة واحدة، فاتق الله في أمة محمدﷺ ولا تكن إمام إضلال شباب المسلمين،

---

[1] "مدارج السالكين" (3/378-379).

[2] قارن هذا بقول ابن القيم "إن جميع الموجودات منفعلة لا فاعلة وما له.."الخ.

[3] وليس من أهل الوحدة!

[4] حقيقة ومجازا، فقد سودته في الكتابة حقيقة، وسودته بفهمك له مجازا!

وتشجيعهم على الأئمة الأعلام، يتطاولون عليهم بالافتراء وسوء الكلام، ويغضون من أقدارهم بلا أدب أو احترام!

خلاصة الأمر أن الدكتور لم يفهم كلام سيد قطب -رحمه الله تعالى- وإنما اشتبهت عليه عباراته وإلا فإن سيدا ما اعتقد قط عقيدة حكم عليها أنها عقيدة غير المسلم.

شبهات انطلت على الدكتور:

إننا أحسنا الظن بالدكتور حين اعتبرنا أخطاءه هذه ترجع إلى عدم فهمه لعبارات تتناول معاني ومعارف، لا ترقى إلى تدبيرها وفقهها جمجمته! وضربنا بعض الصور لقصوره، حين حكم على سيد قطب بأنه من أهل الانحراف القائلين بوحدة الوجود والحلول والجبر، بينما اعتبر العلامة شيخ الإسلام ابن القيم -رحمه الله تعالى- ذلك كلام أهل الاستقامة في التوحيد، فوا عجبا! لكن لابد من دحض الشبهات التي قامت عليها أوهام الدكتور، حتى لا يعدي بها أتباعه وتلاميذه.

الشبهة الأولى: ذكر سيد قطب للصوفية أثناء الحديث عن تلك الحقائق.

في ثنايا الكلام الذي أورده الدكتور لسيد، جاء قوله "ولقد أخذ المتصوفة بهذه الحقيقة الأساسية الكبرى، وهاموا بها وفيها، وسلكوا إليها مسالك شتى...".

وكذلك تعرض سيد قطب لذكر الصوفية في هذا المقام على نحو مثل ما ذكر هنا، فقال سيد قطب: "وهذه هي مدارج الطريق التي حاولها المتصوفة، فجذبتهم إلى بعيد! ذلك أن الإسلام يريد من الناس أن يسلكوا الطريق إلى هذه الحقيقة وهم يكابدون الحياة الواقعية بكل خصائصها..."[1] لهذا فإن حديث سيد قطب في هذا المقام عن المتصوفة، عمق الوهم في عقل الدكتور الذي اعتقد -خطأ- أن الموضوع الذي ساح فيه سيد قطب هو وحدة الوجود، لذلك تأكد لديه ما اعتقد، وربط

---

[1] "الظلال" (4003/6).

خطأ بخطأ، وعبر عنه كما سبق بأن سيدا "يقر وحدة الوجود والحلول، وينسبها إلى أهلها الصوفية الضالة في سياق المدح" فأبعد النجعة، لأن سيدا تكلم عن مقـــام لا ينفي فيه وجود ما سوى الحق سبحانه كما هو صريح في قوله الذي اعترض عليـــه الدكتور نفسه حين قال إن "كل موجود آخر؛[1] فإنما يستمد وجوده مـــن ذلـــك الوجود الحقيقي" فبين هذا الكلام وكلام أهل الوحدة مسافات تاه فيها الدكتـــور، لجهله بعلامات الطريق! ثم إنه طبيعي جدا أن يرد الكلام عن الصوفيـــة في هـــذا المقام، ذلك أن هذا الموضوع من الموضوعات التي خاضوا فيها أكثر من غيرهم، بل ودون غيرهم في الجزئيات، ومقام الفناء ليس مذموما مطلقا وقد عرفت تقسيم ابـــن القيم له إلى أقسام ثلاثة ذم واحدا —وهو الذي ينتهي بصاحبه إلى الحلول ووحـــدة الوجود- ومدح اثنين واعتبر أحدهما أرفع من الثاني، فإذا قال سيد قطـــب وهـــو بصدد الحديث عن القسم أو القسمين الممدوحين إنه الحقيقة التي أخذها الصوفيـــة فلا غرابة، وإنما اشتبه على الدكتور كلام سيد قطب الأول، والــــــذي ظنـــه يقـــرر به وحدة الوجود فسقط غالطا أولا، ثم سقط مرة أخرى فلم يفطـــن إلى أن الحديث عن الصوفية ليس نشازا بل هو في محله وموضوعه، ولكن عقل الدكتـــور ليس في محله! وفهمه هو النشاز!!

ثم سقط الدكتور ثالثا، وأراد أن يسقط القارئ في شبهاته، حين وصف الصوفية بأنها ضالة ليمكن للمعنى "الغالط" الذي فهمه، ويحاول فرضه على القارئ، ولذلـــك نقول له:

أولا: ليست كل الصوفية ضالة. فإن اسم "التصوف" بما أنه اصطلاح حـــادث، فلا هو ممدوح ولا هو مذموم لذاته: لكن العبرة بالمعنى العملي، فإن وافق من نســـب إلى التصوف الحق غالبا وكان على سيرة السلف فهو ممدوح، وإن كان منحرفـــا في

[1] بينما أصحاب وحدة الوجود لا يعترفون بموجود آخر كما مر معك في كلام ابن القيم.

أكثر أحواله وكان على سيرة أهل الرقص فهو مذموم، ولا مشاحة في اصطلاح بعد.

ثانيا: إن سيد قطب لم ينسب ما كتبه للصوفية، ولكنه قال إن المتصوفة أخذوا بتلك الحقيقة وزعم الدكتور أن سيدا نسب إليها ما قاله تقويل له ما لم يقل، لأن نسبة مذهب أو قول إلى أحد الناس أو إحدى الطوائف لا يكون دقيقا إلا إذا كان هو المؤسس لذلك المذهب. فلا يكون المرء دقيقا إذا حكى عن أهل المغرب مثلا ونسب إليهم المذهب المالكي، بل الصحيح أن يعبر نحو تعبير سيد قطب، ويقول أخذ المغاربة بهذا المذهب، وعليه فكأن الدكتور غير هذا التعبير وقال إن سيدا نسب المذهب المالكي إلى المغاربة، وهذا أقل ما فيه أنه مراوغة وتحايل على القارئ، إلا إذا كان حال الدكتور أنه: ليس في الإمكان أفضل مما كان**!!**

فحينئذ يقال ﴿**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**﴾[1] لكنا نقول له: اقعد واسكت وضع يدك على فمك**!** ونذكره بقول الشاعر:

دع الكتابة لست من أهلها*ولو سودت وجهك بالمداد.**

ثالثا: ثم إن المقدمين على هذه المعاني الإيمانية، التي يصير العبد فيها فانيا عن شهود ما سوى الله -سبحانه- في الوجود، فقد انتقدهم سيد قطب، لأن بلوغ تلك التصورات تحققت في حال غيبة منهم وخمول. "وأهملوا الحياة بهذا التصور" وكان عليهم أن يحققوا ذلك "وهم يكابدون الحياة الواقعية بكل خصائصها ويزاولون الحياة البشرية والخلافة الأرضية بكل مقوماتها، شاعرين مع هذا أن لا حقيقة إلا لله، وأن لا وجود إلا وجوده، وأن لا فاعلية إلا فاعليته...".

---

[1] (البقرة/286).

إذا عرفت هذا، فإن وصف الدكتور لسيد قطب أنه نسب إلى الصوفية في سياق المدح تلك العقيدة الباطلة، عثرة أخرى من عثراته، لأن الذي مدحه سيد هو تلك التصورات التي كان بصدد الحديث عنها، وإعلاء سماها، وذكر أن الصوفية حلولوا الارتقاء إليها لكنها "جذبتهم إلى بعيد!" وأخذ عليهم خوض تلك الغمار في غيبوبة وفناء عن الشهود بينما الحال الأكمل أن يكونوا شاعرين بذلك، وهذا هو الحال، لأنه "الجامع بين شهود العبودية والمعبود"[1]، كما قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- وقال أيضا في هذا المعنى بعد ما ذكر أحوال النبي عليه الصلاة والسلام في بعض أدعيته "هذا دعاء من جمع بين شهود عبوديته وشهود معبوده[2] ولم يغب بأحدهما عن الآخر، وهل هذا إلا كمال العبودية؟ أن يشهد ما يأتي به من العبودية موجها لها إلى المعبود الحق، محضرا لها بين يديه، متقربا بها إليه، فأما الغيبة عنها بالكلية، بحيث تبقى الحركات كأنها طبيعية غير واقعة بالإرادة فهذا -وإن كان أكمل من حال الغائب بشهود عبوديته عن معبوده- فحال الجامع بين شهود العبودية وشهود المعبود أكمل منهما".[3]

فهذا نقد ابن القيم للفاني عن شهود عبوديته بشهود معبوده -وإن كان على خير-، وذاك نقد سيد قطب للغائب عن هذا الشهود أيضا، ولم يبق لنا كلمة في هذا نزيدها إلا أن نذكر غيبة الدكتور عن هذا وذاك!!

وفي النهاية نقول إن كلمات سيد قطب -رحمه الله تعالى- في هذا الموضوع لا تدل على عقيدة وحدة الوجود كما عرفها وذمها العلماء، وما قاله لا يفضي بتاتا إلى تلك المعاني، ولو أنا فرضنا شبهة وردت محتملة لذلك لوجب فهم المحتمل على

---

[1] "طريق الهجرتين" (ص: 368).

[2] "نفسه".

[3] "نفسه".

ضوء ما جاء محكما مبينا، وصريحا مفسرا في سورة البقرة! ثم لو فرضنا ذلك لم يكف، لكان واجبا علينا اعتماد ما قاله في "مقومات التصور الإسلامي" حيث شمل آخر توقيعات سيد قطب في هذا الموضوع!!

لكن الدكتور فيما يبدو لا يقبل هذا التدرج في تفسير الأقوال، وعتب على الذين دافعوا عن سيد قطب -رحمه الله تعالى- بنحو هذا، وهو ما أجبرنا على مسايرته لنسمع من عجائبه وطرائفه!

♦ نقد الدكتور للمدافعين عن سيد قطب في مسألة "وحدة الوجود"

تحت عنوان "ماذا يقول المدافعون عن سيد قطب" استمات الدكتور[1] ليقرر الحكم على سيد بالقول بالوحدة، وغلق كل الأبواب التي دخل منها الذين قالوا: معاذ الله أن يكون سيد يعتقد ذلك الباطل، ووقف في نيابة الاتهام، معترضا على الأدلة التي تأخذ بنواصي كل منصف أراد إصدار حكم عادل في حق أي واحد. وحيث أن الدكتور غير مؤتمن لا على نقل ولا على عقل، فلا بد لنا من ملاحقته، فيما ينقل وفيما يفهم مما نقل ومما لم ينقل.

جاء في الأضواء:[2]

"قال الدكتور عبد الله عزام: الأولى أن نتخذ الخطوات التالية قبل الحكم على سيد في مسألة وحدة الوجود على النحو التالي:

[1] بل انتحر في بحر لم يحسن فيه العوم !

[2] "الأضواء" (ص: 148).

أولا: يجمع بين النصوص لسيد قطب رحمه الله، فيحمل المجمل على المبين، والمبهم على الواضح.

ثانيا: أن يلجأ إلى النسخ، فسورة البقرة التي كتبها سيد في الطبعة الثانية بعد سورة الحديد والإخلاص؛ لأنه لم يصل إليها في الطبعة الثانية.

ثالثا: يرجح بين النصوص المتعارضة، فيرجح عبارة النص في سورة البقرة على إشارة النص في سورتي الإخلاص والحديد، ويرجح المنطوق الصريح في مهاجمة وحدة الوجود على المنطوق غير الصريح في السورتين، ويرجح المنطوق الصريح في سورة البقرة والنساء: أن مقام العبودية غير مقام الألوهية، وأنهما متمايزان بلا امتزاج، على المفهوم الوارد في سورتي الإخلاص والحديد".

◆ غلطات ومغالطات:

رغم أن هذا الذي ذكره عبد الله عزام -رحمه الله- منهج رشيد، وقول سديد، أصله الأئمة وسارت على هديه الأمة، فتعاملوا مع الأقوال على هذا النحو، فمتى استعصى عليهم فهم قول أحدهم، نظروا في مصنفاته ليسترشدوا بواضحها فيدركوا غامضها، ويهتدوا بمحكمها لفهم متشابهها، وهكذا... لكن الدكتور ابتلي بقلة فهم، وتخمة وهم، مع سوء ظن، فقام من أجل إشباع مأربه من سيد ومن وراء سيد، واعترض على هذا المنهج الذي ينتهي إلى سلامة عقيدته من باطل "وحدة الوجود"، ولسان حاله حسب هذا السبيل أن ينتهي إلى براءة سيد قطب، هذا وحده كاف لاعتباره منهجا خاطئا!

لهذا اعترض الدكتور على ما نقل من كلام عبد الله عزام -رحمه الله-، وغلط في اعتراضه غلطات كثيرة بل بعضها أحرى أن تسمى مغالطات، يتتره عنها كل بشر سوي فضلا عن مسلم سلفي!!

◆ الاعتراض الأول:

قال الدكتور: "إن هذا المنهج والتعامل به لا يكون إلا لله ولكتابه.. ولا يكون إلا لرسل الله عليهم الصلاة والسلام... أما سائر الناس؛ فليس لهم هذه المترلة، فما أخطأوا فيه يسمى خطأ وما ضلوا فيه يسمى ضلالا".[1]

قلت: قول الدكتور هذا شاذ، ورأيه هذا غالط مغالط: فضلا عن حيدته -كعادته- عن ميدان البحث، ومحل التراع، كما هو واضح فيما قوى به شذوذه من استدلال. إن المسألة التي يدور حولها البحث، والتي تناولها كلام الدكتور عبد الله عزام هي مثال لمسألة عامة يمكننا وصفها كالآتي: إذا وجدنا أقوالا تبدو[2] متعارضة، ومختلفة في دلالتها، كيف نصل إلى معرفة المراد الصحيح الذي يستحق نسبته إلى صاحب تلك الأقوال؟! فإذا كان المراد صحيحا حكمنا عليه بالصحة، وإذا كان خطأ حكمنا عليه بالخطأ، وبينما شرح الدكتور عزام منهج الوصول إلى معرفة المراد، حاد الدكتور ربيع وانشغل عن ذلك بأن الذي أخطأ فيه؟ نسميه خطأ والذي ضل فيه يسمى ضلالا كما لو أن الدكتور عزام قال: من أخطأ نقول له: أصبت، ومن ضل نقول له: هديت! فعلى رسلك يا هذا إننا لا زلنا بصدد التحقيق، فلم تثبت بعد إدانة حتى تتعجل أحكامك!!

◆ مجرد دعوى.

إن الاعتراض بأن الذي قرره الدكتور عبد الله عزام -رحمه الله تعالى- منهج خاص بالكتاب والسنة مجرد دعوى، وحسبه أنه لم يجد عالما يقول بخلاف ما قرره

---

[1] "نفسه" (ص: 149) مختصرا.

[2] وهذا تساهلا منا، وإلا فقد عرفت أن سيدا ليس له في مسألة "وحدة الوجود" سوى قول واحد، يصفها بما تستحق من الذم، وأما ما انشغل به الدكتور فأضغاث أحلام ؟ فاستيقظ يا رجل! !

الشهيد![1] عزام بل إن النقطة الأولى من النقط الثلاث التي ذكرها مرت أكثر من مرة بين يديه في تحقيقه لكتاب "النكت" فما باله لم يعترض على ابن حجر في تصرفه بموجبها؟!

وهذه أمثلة تبين على أن أهل العلم إذا غمض عليهم فهم مرمى عالم في كتاب استعانوا بكتاب له آخر لتوضيحه، ولم يعدوا هذا منهجا خاصا بالكتاب والسنة، وكذلك إن وجدوا للعالم أكثر من قول ولم يمكنهم الجمع بينها فإنهم يعتمدون المتأخر ويهملون المتقدم. وإذا تعذر عليهم معرفة ذلك توقفوا إن لم يكن في الأقوال ما يشين صاحبه وإلا ففي حسن الظن سعة!

وهذا المنهج عام في مختلف الفنون الإسلامية من فقه وأصول وحديث وغيره، وهذه أمثلة لهذا المنهج تؤكد أن الدكتور مريض بالوهم وسوء الظن وقلة الفهم!!

◆ **الأمثلة الفقهية لهذا المنهج:**

نريد من هذه الفقرة بيان أن أهل الفقه، عند استخراجهم أقوال أئمة هذا الشأن يسلكون منهجا مشابها لما ذكر الدكتور عبد الله عزام -رحمه الله تعالى- فإنهم إذا رأوا قولا مجملا في مكان، وآخر مفسرا في مكان،فإنهم يفهمون ذلك المجمل على المعنى الذي باح به ذلك المفسر، كما أنهم إذا كان للإمام قول متقدم وقول متأخر يعتمدون ما تأخر من ذلك، ويعتبرونه ناسخا والمتقدم منسوخا، وبفعلهم هذا يتبين أن هذا المنهج ليس قاصرا على نصوص الكتاب والسنة، وبالتالي يتضح للدكتور ربيع أن ما زعمه مجرد أوهام، وأضغاث أحلام!

وجدير بالذكر أننا إذا نسبنا لإمام من الأئمة المتأخر من قوله، فليس معنى ذلك أنه هو الصواب الذي ينبغي اعتقاده! كلا! فإنما هذا هو الخاص بنصوص الوحي

---

[1] مات الرجل في ساحة الجهاد -يوم كان الجهاد- كما هو معلوم في كمين نصبه له أعداء الجهاد وعملاء الروس والأمريكان، لذلك نحسبه شهيدا ولا نزكي على الله أحدا!!

حيث يكون الناسخ هو الحق الذي يجب اتباعه، خلافا لأقوال البشر فإن الصواب قد يكون في القول الأول فتأمل!! ولعله من هنا أتي الرجل! على كل حال. لننظر من خلال الأمثلة إلى تصرفات أهل الفقه في هذا المجال.

◆ **أمثلة من المذهب المالكي.**

المثال الأول: تخليل أصابع الرجل عند الوضوء.

إن المعروف أن مذهب مالك هو استحباب تخليل أصابع الرجل عند الوضوء، وهذا القول هو الذي استقر عليه مالك، وكان قبل -رحمه الله تعالى- إذا سئل عن ذلك كرهه، حتى أخبره تلميذه عبد الله بن وهب[1] أن في ذلك سنة، فعاد مالك عن قوله.[2]

وعلى هذا فلا يجوز أن تنسب إلى مالك -رحمه الله تعالى- القول بكراهية تخليل الأصابع بدعوى أنه قاله مرة، ونلزمه به كما يقتضيه منهج الدكتور، كلا! بل إن أهل العلم سواء كانوا مالكية أم غيرهم لم يعودوا يعرفون لمالك سوى ما استقر عليه آخر الأمر، واعتباره ناسخا للقول المتقدم.

---

[1] هو الإمام الحافظ الثقة الرجل الصالح عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، الفهري مولاهم، أبو محمد المصري الفقيه، مولى يزيد بن أنيس أبي عبد الرحمن الفهري. أحد الأئمة الأعلام ولد سنة (125 هـ)، وتوفي سنة (197هـ) لم يزل يسمع من مالك من سنة (148هـ) إلى أن مات -رحمه الله تعالى- انظر: "تهذيب الكمال" (619/10)، و"تهذيب التهذيب" (295/3) و"تذكرة الحفاظ" (304/1) للإمام الذهبي.

[2] "مقدمة الجرح والتعديل" (ص: 31-32).

المثال الثاني: الذي أصابه خنق حتى فات وقت الصلاة ليس مطالبا بالإعادة.

هذا هو الحكم الذي جاء في مدونة سحنون:[1]

حيث قال: "قلت لابن القاسم[2]: أرأيت من خنق في وقت صلاة الصبح بعدما انفجر الصبح، فلم يفق من خنقه ذلك حتى طلعت الشمس هل يكون عليه قضاء هذه الصلاة؟ قال: لا، قلت: وهو قول مالك! قال هو رأيي لأن مالكا قال في المجنون إذا أفاق قضى الصيام و لم يقض الصلاة."[3] فصنيع ابن القاسم هذا، وهو من هو في الفقه عامة، وفقه المذهب المالكي خاصة، يدل على أنه تعامل –لتخريج أقوال المذهب– مع نصوص مالك كما يتعامل مع سائر النصوص الشرعية، بحيث قاس ما ليس عنده فيه نص عن مالك على ما فيه نص سمعه، وله من هذا أشياء كثيرة، لا تخطئها عين الناظر في المدونة.

---

[1] هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي اسمه عبد السلام، ولد سنة: (160 هـ) وتوفي سنة: (240 هـ)، قال عياض: سمي سحنون باسم طائر حديد النظر لحدته وأصله شامي من حمص، دخل به أبوه مع جندها بلاد المغرب فأقام بها، وانتهت إليه رئاسة مذهب مالك هناك، وكان قد تفقه على ابن القاسم. انظر "البداية والنهاية" (356/10)، و"ترتيب المدارك وتقريب المسالك" (585/2)، و"شجرة النور الزكية" (ص: 69).

[2] هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي، أبو عبد الله المصري، الإمام فقيه الديار المصرية، راوية "المسائل" عن مالك، قال الخليلي: زاهد متفق عليه أول من حمل الموطأ إلى مصر، قيل: إن مولده سنة (128هـ) وقيل سنة (131هـ)، وقيل: سنة: (132هـ)، وتوفي سنة: (191هـ). انظر "تهذيب الكمال"(334/11) "تهذيب التهذيب" (409/3)، "تذكرة الحفاظ" (356/1)، للحافظ الذهبي.

[3] "المدونة الكبرى" (185/1).

المثال الثالث: المسح على الخفين.

قال ابن رشد[1]: "كان مالك أول زمانه يرى المسح في السفر والحضر، ثم رجع فقال يمسح المسافر ولا يمسح المقيم، ثم قال أيضا؛ لا يمسح المسافر ولا المقيم"[2]. فأنت ترى هذه الأقوال المختلفة كلها يجب نسبتها لمالك على مذهب الدكتور خلافا لأئمة الفقه، لا سيما المتمرسون في المذهب حيث يقررون خلاف ذلك، ولذلك قال ابن رشد عقب عرضه لهذه الأقوال: "والصواب الذي عليه جمهور الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين إجازة المسح في السفر والحضر، وهو الصحيح من مذهب مالك الذي عليه أصحابه، كما أنه مذهبه في موطئه وكان هذا آخر قوله الذي عليه مات."[3] ولذلك اعتبره أقطاب المذهب ناسخا لكل ما تقدم، و لم يدر بخلدهم أن منهجهم هذا وقف على نصوص الكتاب والسنة، ذلك أن هذا طريق لفقه النصوص العربية، ومادام القرآن والسنة عربيين، فإن المنهج يشملهما اللهم ما دل الدليل على تخصيصهما.

---

[1] هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد المالكي القرطبي. كان زعيم فقهاء زمانه بالأندلس وشهد له بجودة التأليف ودقة الفقه والتفنن في الأصول، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية، وله مؤلفات كثيرة من أهمها: كتاب البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل، ولد سنة: (405هـ) وتوفي سنة (520هـ)، انظر "الديباج" (ص: 278)، و"جدوة الاقتباس" (254/2).

[2] "البيان والتحصيل" (82/1) لابن رشد.

[3] "نفسه".

وبهذا المثال ننتقل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان -رحمه الله تعالى-[1].

◆ **أمثلة من الفقه الحنفي:**

وأبو حنيفة أيضا تصرف تلاميذه وأتباع مذهبه مع أقواله على النحو الذي سبقت الإشارة إليه، قال أبو زهرة -رحمه الله تعالى-: "كان أبو حنيفة أحيانا يكون له قولان في المسألة الواحدة، يعرف المتقدم منها من المتأخر، فيعد الثاني ناسخا للأول، أو يعد الأول متروكا معدولا عنه[2]، وربما لا يعلم المتأخر، فيروي القولان، من غير بيان متروك، أو مستقر، فيؤثر عنه قولان في المسألة، ويكون على المرجحين أو المخرجين أن يبينوا أصلح القولين لأنه يعد رأيه[3] الذي مات عليه من غير رجوع عنه"[4] فانظر يرحمك الله إلى هذا الذي يسير عليه أئمة فقه أبي حنيفة وإخوانهم من الفقهاء، وابحث عن تفسير لدعوى الدكتور أن هذا المنهج خاص بالكتاب والسنة، لتعلم أن الرجل ضاع وسط مجال أراد أن يتصدر فيه دون استعداد، فغرق عند أول امتحان، وكان عليه أن لا يحاول الطيران في سمائه إلا بعد أن يريش!

---

[1] وكان حقا علينا تقديم أمثلة من مذهبه لتقدم وفاته على مالك، ولعل هذا يكون في طبعة مقبلة، احتراما لعلمائنا جميعا، ودون تعصب أو محاباة أحدهم على حساب الآخرين، فجميع علمائنا أئمتنا، وجزاهم الله عنا خير الجزاء.

[2] لا يا شيخ أبا زهرة، عندنا دكتور -ربيعي- يجعل ذلك خاصا بكتاب الله تعالى، وسنة رسولهﷺ.

[3] معذرة يا أستاذ، هاهنا دكتور لا يختار أصلح القولين، ولكن أسوأهما، فهو مرجح من طراز فريد، ومخرج لأقوال الناس على نحو مبتدع جديد!

[4] "أبو حنيفة " لمحمد أبي زهرة: (ص: 452).

وأكثر من هذا فإن أبا حنيفة صرح نفسه بنفسه عن نفسه فقال لصاحبه: الـذي كان يدون كل ما يسمع منه: "ويحك يا أبا يعقوب! لا تكتب كل ما تسمع مـني؛ فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غدا، وأرى الرأي غدا وأتركه بعد غد"[1].

لله درك أيها الإمام ورضي الله عنك، ولا يلومك أحد على ذلك سوى دكتورنا فنسأل الله له السلامة من التخليط والخبط و...

◆ **أمثلة من الفقه الشافعي:**

وهذا المنهج الذي سار عليه المالكية والحنفية هو نفسه الذي سار عليه الشافعية، والأمر عندهم أوضح وأظهر. فمن من طلبة العلم فضلا عن أهل العلم -والدكتـور يعد نفسه واحدا منهم!- لم يسمع بقديم الإمام الشافعي -رحمه الله- وجديده؟

لا شك يا دكتور أنك سمعت بهذا[2]، فكان عليك إذ تنكرت لهذا المنهج أن تبين ضلاله وتدافع عن صوابك إبان اعتماد المتقدم والمتأخـر، -للقول بالنسخ- والعـلم والخاص والمطلق والمقيد، خاص بكتاب الله تعالى وسنة رسولهﷺ، فلم لم تفعل؟!

دعنا منك الآن ومن فعلك، فهل الشافعية اعتبروا القديم من أقوال الشافعي، لأن أقواله ليست كتابا ولا سنة، أم أنهم اعتمدوا الجديد! ؟ جاء في كتـاب "فرائـد الفوائد في اختلاف القولين لمجتهد واحد" أنه "لا يفتى بـالقديم إذا كـان الجديـد يخالفه"[3] وصاحب الكتاب من علماء الشافعية فهو أعلم منك بمذهبه المنتسب إليه يا دكتور.

---

[1] "رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار" للأمير الصنعاني: (ص: 25) تحقيق الشـيخ ناصر الدين الألباني.

[2] وهو ما أثبته في مقدمة فسادك (ص: 7).

[3] انظر (ص: 56 وما بعدها).

◆ **أمثلة من الفقه الحنبلي:**

أما اختلاف أقوال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- فهي الأخرى ترد عليك دعواك أنه متى ما بلغنا عن إمام أو عالم قول من الأقوال، ثم وقفنا على قول له آخر يخالفه ظاهرا فإنا نجري على كلامه ما نجريه على النصوص الشرعية، من تأويل يجمع، أو حمل مطلق على مقيد، وعام على خاص، والقول بالنسخ بشروطه ونحو ذلك من الأساليب التي تفهم بها لغة العرب، لأن عامة تلك القواعد مستخرجة من لسان العرب، وما دام سيد يتكلم بلسان القوم فيجب فهم كلامه على هذا الأساس. لكن إذا أدى بنا الفهم إلى أن قول سيد قطب -رحمه الله تعالى- غلط، قلنا له، هذا غلط، وهاهنا فقط الفرق بين نص المعصوم وغير المعصوم، اللهم إذا كان الدكتور يريد أن يزعم أن سيدا لا يحكي بلسان العرب، فيجرده من ذلك أيضا!

إذن، إذا عرفنا هذا الذي جرى عليه السلف الصالح في فهم أقوال أهل العلم، وضربنا أمثلة لذلك من أقوالهم وأقوال أتباعهم بقي لنا أن نتساءل من أين جاء الدكتور ببدعة أن ذلك المنهج خاص بالكتاب والسنة؟

والجواب كما في الأضواء أنه:

"على هذا جرى عمل علماء السنة من هذه الأمة وسلفها الصالح، وهذه أقوالهم وكتبهم طافحة بهذا المنهج الحق في مواجهة أهل الضلال والبدع، ولم يستعملوا مع معبد الجهني[1] ولا مع الجعد بن درهم[1] وعمرو بن عبيد وجهم بن صفوان[2] وبشر

---

[1] معبد الجهني، عداده في التابعين، كان أول من تكلم في القدر، قال الحسن البصري: هو ضال مضل، ونهى الناس عن مجالسته. ويقال: هو معبد بن عبد الله بن عويم؛ قتله الحجاج صبرا لخروجه مع ابن الأشعث. "الميزان" (141/4).

المريسي[3] وابن أبي دؤاد[4] ولامع طوائفهم. هذا المنهج الذي رفع فيه عبد الله عـــزام والقطبيون سيد قطب إلى مكانة الرب وأقواله إلى مكانة الكتاب الـــذي لا يأتيـــه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[5].

ثم ذكر الدكتور نماذج لأقوال من وصفهم بعلماء السنة وعدهم مـــن سـلفها الصالح مع أن منهجه ونظرته تقتضي أن يلحقهم بسيد، كما سيأتي قريبـــا بحولـــه تعالى، ولكن قبل ذلك دعنا نعلق على بعض ما جاء في هذا النص من تلاعبات!

فنقول:

أولا: إن التأويل الوارد في نص عزام -رحمه الله تعالى- هو الذي يلجـــأ إليـــه للجمع بين كلامين، أو قولين لزيد من الناس، يكون المعنى واضحا في أحدهما وغـير واضح في الآخر، عندها يدعو الشيخ عبد الله عزام أن نفهم المعنى الغـــامض علـــى أساس ذاك الواضح، ولو استدعى ذلك تأويل قول واحد يقتضي معناه من وجه مـا

---

[1] الجعد بن درهم، عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليـــلا، ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر، والقصة مشهورة "الميزان" (399/1).

[2] هو جهم بن صفوان، أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئا لكنه زرع شرا عظيما. "الميزان" (426/1).

[3] هو بشر بن غياث المريسي، لا ينبغي أن يروى عنه ولا كرامة، أتقن علـــم الكـــلام، ثم جرد القول بخلق القرآن، قال أبو زرعة الرازي: بشر المرسي زنديق. انظر "الميزان" (322/1).

[4] هو أحمد بن أبي دؤاد القاضي، جهمي بغيض، توفي سنة (240 هــ)، قال النديم: كـــان من كبار المعتزلة،... ولم ير في أبناء جنسه أكرم منه، ولا أنبل ولا أســـخى، انظـــر "لســـان الميزان" (181/1).

[5] "الأضواء" (ص:152).

كفرا وضلالا، ويقتضي خلاف ذلك لو أولناه تأويلا معينا، وهذا غير ما نحن فيه، لولا أن الدكتور مصاب بلفت الكلام، كما لو أن القائل:

ما عنى أحدا سواه!

ثانيا: من هم العلماء الذين صرحوا، أو تصرفوا على المنهج الذي سلكته من حصر إعمال أصول الفهم كحمل عام على خاص، ومطلق على مقيد، ومجمل على مفصل على الكتاب والسنة! لم تذكر واحدا منهم يا دكتور! بلى ذكرت أسماء كالبقاعي وغيره، لكن كلامهم ينصب على تأويل كلام من قال كلمة الكفر ثم رجع فقال قصدت كذا وكذا مما لا يفيد الكفر هل يقبل منه تأويله هذا أو لا يقبل؟ بخلاف ما نحن فيه من الحاجة إلى تأويل كلام مجمل ليفهم على المعنى الوارد في كلام غير مجمل، لكن الدكتور مبتلى والعياذ بالله بسوء الفهم حتى أنك تجده يقرأ ما لم يكتب، ويفهم ما لم يقرأ!! كما قلنا وأعدنا!

ثالثا: تحالف الدكتور مع الجهمية ضد سيد قطب:

وإذا كان تشرتشل على استعداد للتحالف مع الشيطان لكسب معركة يخوضها، فإن الدكتور مستعد للتحالف مع الجهمية -وقد وصفوا بالكفر- في معركته التي... يتخيلها!!

لا بل إن الدكتور يذهب إلى تلميع الجهمي -والترحم عليه- ووصفه بأنه من "علماء السنة وسلفها الصالح". وأكثر من هذا وذاك، أنه حين ينقل كلامه يستر ما يكشف جهميته وبدعته وتعطيله لصفات الله تعالى و...الخ. فنقل كلام البقاعي -وهو مؤول للصفات- وللغزالي وإمام الحرمين وجميع هؤلاء جهمية على حد تعبير الدكتور المفضل، فأشهى الطعام لديه -مع الأسف- لحوم العلماء!!

رابعا: ما رأي السادة العلماء الذين يتاجر بأسمائهم الدكتور ربيع؟:

نعم، ما رأي العلماء –أمثال الشيخ ابن باز والشيخ محمد ناصر الدين الألباني والشيخ محمد بن صالح العثيمين–[1] وغيرهم ممن يتاجر الدكتور بأسمائهم ويروج باطله على حسابهم، في كل هذه الفوضى المنهجية؟! ما هي شهادتهم أمام الله سبحانه وتعالى **أولا** ثم أمام المسلمين في رجل يقول عن عبد الله عزام –رحمه الله تعالى– والإخوان إنهم رفعوا "سيد قطب إلى مكانة الرب وأقواله إلى مكانة الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"؟! لقد أمرتم معشر السادة بإقامة الشهادة لله، فأقيموا الشهادة لله، وألجموا هذا المنكر الذي يجول في الأعراض وينشر العيوب والأمراض بأسمائكم، وفي بلدكم وعلى مسمع منكم...

◆ تلاعبات في النقل:

جاء في "الأضواء"[2] قال البقاعي[3] رحمه الله[4] في كتابه "تنبيه الغبي إلى[1] تكفير ابن عربي":

---

[1] كتب هذا قبل وفاة هؤلاء المشائخ –رحمهم الله تعالى– الذين ذكروا وشاءت الأقدار أن يتأخر للأسباب التي سبقت الإشارة إليها في المقدمة.

[2] (ص: 152–153).

[3] هو الإمام العلامة المؤرخ المحدث المفسر، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر أبو الحسن برهان الدين البقاعي الشافعي، ولد سنة: (809هـ)، وتوفي سنة: (885هـ). انظر "شذرات الذهب" (339/7)، و"البدر الطالع" (19/1) باختصار.

[4] يترحم عليه لأنه من أنصاره –فيما يحسب، وإلا فكلام البقاعي لا يحقق دعوى الدكتور– ولكنه لا يترحم على الغزالي وأبي المعالي –رحمهما الله تعالى– والجميع أوردهم في نص واحد.

"لأني لم استشهد على كفره وقبيح أمره إلا بما لا ينفع معه التأويل من كلامه[2] فإنه ليس كل كلام يقبل تأويله وصرفه عن ظاهره، وذلك يرجع إلى قاعدة الإقرار بشيء، وتعقيبه بما يرفع شيئا من معناه، ولا خلاف عند الشافعية في أنه إن كان مفصولا لا يقبل، وأما إذا كان موصولا؛ ففيه خلاف.

ومن صور ما لا ينفع فيه الصرف عن الظاهر، كما لو أقر ببيع أو هبة، ثم قال: كان ذلك فاسدا، فأقررت بظني الصحة؛ فإنه لا يصدق في ذلك.

وقال إمام الحرمين: لو نطق بكلمة الردة، وزعم أنه أضمر تورية؛ كفر ظاهرا وباطنا...

قال الغزالي في "البسيط" بعد حكايته عن الأصوليين: لحصول التهاون منه، وهذا المعنى -يعني التهاون- لا يتحقق في الطلاق، فاحتمل قبول التأويل بإطلاقه".

هذا النص أورده الدكتور هكذا، وزعم أنه منقول من كتاب البقاعي بين الصفحتين اثنتين وعشرين وثلاثة وعشرين ثم علق عليه فقال:

انظر كيف ينكر العلماء على[3] المواقف والأقوال المعينة، وكيف يضعون القواعد والضوابط بحزم لإدانة المغالطين والمتلاعبين والمتهربين، فليس كل كلام يقبل التأويل والصرف عن ظاهره، وليس هناك ربط بين ما يتضمن الكفر من كلامه وما يتضمن الإيمان من كلامه السابق أو اللاحق، ولو نطق بكلمة الردة فهو كافر باطنا وظاهرا،

---

[1] في الأصل: على والصحيح ما أثبتناه كما في المطبوع.

[2] وهذا يعنى أن ما ينفع معه التأويل يؤول: فأين أنت من هذا يا دكتور؟!

[3] يقال أنكر الشيء وأنكر على فلان، ولا يقال أنكر على الأشياء!!

ولو أبدى أقوى المعاذير لأنه متهاون وتهاونه واستشهاده بموجبات الكفر ذنــب لا يغتفر،[1] يسلكه في عداد الكافرين المرتدين[2]".

أقول: عجيب أمر هذا الرجل، ها قد أصبح الغزالي من العلماء، بل من السلف الصالح مع أن أحد عناوين منهجك في نقد الرجال والكتب والطوائف تقول فيه: "إيراد نص من الفتاوى في أهل الكلام والفلسفة ومن بينهم الغزالي" فما الذي غيرك يا دكتور؟! سبحان الله! ما الذي دهاك أيها المخلوق، فبينما بالأمس تورد في الغزالي كلام من قال فيه إنه "بدا له الانصراف عن طريق العلماء، ودخل غمر العمال، ثم تصوف، فهجر العلوم وأهلها، ودخل في علم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين، ولقد عاد ينسلخ من الدين، فلما عمل الإحياء؛ عمد يتكلم في علوم الأحوال ومرامز الصوفية، وكان غير أنيس بها، ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أم رأسه، وشحن كتابه بالموضوعات"[3].اهـ

ها أنت اليوم تعده من العلماء والسلف الصالح، فإذا كان هذا الذي نقلته فيه من كلام المازري[4] صحيحا، فكيف تحتج على سيد قطب بمن انسلخ من الدين يا

---

[1] ﴿**ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء**﴾ الآية : 40 من سورة المائدة.

[2] "الأضواء" (ص: 153).

[3] "المنهج" (ص: 140).

[4] هو أبو عبد الله محمد بن علي التميمي المازري أحد أئمة المذهب المالكي، المعروف بالإمام خاتمة العلماء المحققين والأئمة الأعلام المجتهدين الحافظ النظار. له تآليف عدة تدل على تبحره في العلوم منها "شرح التلقين"، و"شرح البرهان" لابن المعالي سماه: "إيضاح المحصول=

مسكين؟! وإذا كان كذبا فكيف رميته به هناك ولم تعترض على المازري وتقـــول له: معاذ الله! إن الغزالي[1] من أئمة المسلمين وعلماء السنة أم هو التلون والهوى نعوذ بالله من الخذلان!

ثم كيف تقر ما نقل عن إمام الحرمين أن من نطق بالردة وزعم أنه أضمـــر -أي الإيمان- تورية فهو كافر ظاهرا وباطنا[2]؟!

هذا سيدنا عمار بن ياسر[3] أظهر الكفر، ولم يحكم عليه القرآن بالكفر، بل جعله ضمن من استثني في قوله تعالى: ﴿**إلا من أكره وقلبه مطمئـــن بالإيمـــان**﴾[4] ومؤمن آل فرعون كان يخفي إيمانه، ويواري بغير ما هو عليه، أم أن كـــل الســـبل صالحة، وكل الطرق صحيحة، لطبخ لحوم الناس وأكلها؟!

=من برهان الأصول"، وغيرها كثير. توفي في ربيع الأول سنة: (536هـــ)، انظر "الديباج" (ص: 279) و"شجرة النور الزكية" (ص: 127).

[1] هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الفقيه الشافعي، لـــه مصنفـــات كثيرة في بعضها تصوف، ولد سنة: (450 هـــ) وتوفي سنة: (505هـــ)، انظر "طبقـــات الشافعية الكبرى" للسبكي (101/4)، وو"فيات الأعيان" (216/4).

[2] هذا هو الترتيب الطبيعي أن يذكر الظاهر -لقربه منا- ثم لا يذكـــر البـــاطن إلا عنـــد الدكتور الذي قلب ذلك -خلافا لإمام الحرمين وهو الذي نقل عنه الكلام- فلعل الدكتـــور متخصص في علم الباطن، فمن يدري لأنه كشف لنا في هذا الكتاب عن مواهب طالما كـــانت مستورة!

[3] هو الصحابي الجليل عمار بن ياسر بن عامر بن مالك، وأمه سمية مولاة لهم كـــان مـــن السابقين الأولين هو وأبوه وكانوا ممن يعذب في الله. قتل سنة (87هـــ) بصفـــين "الإصابـــة" (273/4) للحافظ ابن حجر.

[4] (النحل/106).

ثم إن النص الذي أوردته من كلام البقاعي تلاعبت فيه فحذفت وتصرفت و لم تشر إلى ذلك، وهذا معيب في نظر متبعي أهل السنة -وإن كان غير معيب عندك- "فلكل وجهة هو موليها" ...من ذلك حذفك لكلمة "الإمام" عن الغزالي-رحمه الله- فهي مثبتة في النص الأصلي للبقاعي[1] وليس من حقك أن تسقطها، حتى لو لم تكن رائقة لديك[2]، لأن النص أمانة ووديعة يجب الحفاظ عليها كما هي.

وما قلناه هنا يقال في قول ربيع "قال إمام الحرمين" فليس هذا كلام البقاعي كما أورده، فهو مما تصرف فيه الدكتور، وليس له ذلك إلا إذا أشار إلى أنه من كلامه وليس من كلام صاحب الكتاب، وهذا ما لم يقم به الدكتور حيث جعل كل هذا بين المزدوجتين كما نقلنا عنه ذلك، فيتوهم القارئ أن الكل من نص كتاب البقاعي، فما رأي الذين شكروا للدكتور وشهدوا له بالأمانة في النقل، ﴿ستكتب شهادتهم ويسئلون﴾[3] فما عساهم يجيبون؟!

[1] "تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي" (ص: 23).

[2] كما لم ترق لمحقق الكتاب، فعلق عليها في الهامش بانفعال ربيعي، لكنه أدى أمانة النقل فيشكر له ذلك، أما مكانة الغزالي -رحمه الله- فلا تؤثر فيها أقوال الخفافيش بعدما سطعت عليها شمس الأئمة! وأما أخطاؤه فهي إن شاء الله بين ذنب مغفور واجتهاد مشكور.

[3] (الزخرف/19).

ومن تلاعبات الدكتور أيضا قوله في "أضوائه":

"قال البقاعي: "قال الشيخ ولي الدين ابن العراقي[1] ابن الشيخ زين الدين:[2] وقد بلغني عن الشيخ علاء الدين القونوي[3]، وأدركت أصحابه أنه قال: إنما يؤول كلام المعصومين، وهو كما قال". ثم ذكر كلام الذهبي فيه (أي: في ابن عربي) وساق الإسناد إلى ابن عبد السلام[4] بما يأتي من تكفيره، ثم قال: "وأما ابن الفارض[5]:

---

[1] هو ولي الدين، أبو زرعة، أحمد بن عبد الرحيم بن العراقي المصري، الشافعي، ولد سنة: (792 هـ)، وتوفي سنة: (826 هـ)، انظر "البدر الطالع" (72/1).

[2] لفرط أمانة الدكتور في النقل أخفى هنا كلاما شديد الصلة بما سيأتي، وسيتبين سر ذلك في الصفحة الموالية -إن شاء الله تعالى-.

[3] هو علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي، الشيخ علاء الدين، ولد سنة: (665 هـ)، وتوفي سنة: (727 هـ)، انظر "طبقات الشافعية الكبرى" (144/6).

[4] هو عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم، الشيخ عز الدين بن عبد السلام، أبو محمد السلمي الشافعي، الملقب بسلطان العلماء، ولد سنة: (578هـ)، وتوفي سنة: (660هـ)، انظر "البداية والنهاية" (273/13).

[5] هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة، المعروف "بابن الفارض"، ينعق بالاتحاد الصريح في شعره، وهذه بلية عظيمة فتدبر نظمه، ولا تشتغل، ولكنك حسن الظن بالصوفية، وما ثم إلا زي الصوفية، وإشارات مجملة، وتحت الزي والعبارة فلسفة وأفاعي، فقد نصحتك، والله الموعد، ولد سنة: (576 هـ)، وقيل سنة: (577 هـ)، وتوفي سنة: (632 هـ)، انظر "ميزان الاعتدال" (214/3)، و"البداية والنهاية" (167/13).

فالاتحاد في شعره، وأمرنا أن نحكم بالظاهر، وإنما نؤول كلام المعصومين[1] ثم علق الدكتور فقال:

"انظروا كلام العلماء في الكلام الذي ظاهره الكفر، لا يجوز عندهم تأويله؛ لأن التأويل لا يكون إلا لكلام المعصومين، ولم يقولوا: نجمع بين نصوصه المتعارضة أو نرجع إلى النسخ أو الترجيح؛ لأن هذه الضوابط والقواعد إنما وضعت لكلام المعصومين عن الخطأ والكذب فيما يبلغونه عن الله، وليس حال غيرهم وشأنه[2] كذلك، حتى يلجأ العلماء إلى مساواتهم بالمعصومين"[3].

ولكشف تلاعبات الدكتور نقول:

أولا: في النص الأصلي: "قال الإمام ولي الذين أحمد العراقي ابن الشيخ زين الدين..." وليس قال الشيخ ولي الدين..فهذا الدكتور مولع بإسقاط كلمة "إمام" كأنما يضن بها عن أهلها لسر لا نعلمه، وإنما هو من خصوصياته!

قد يقول قائل الكلمتان متقاربتان، ولا يتأثر المعنى بذلك، قلنا: نعم لكن ليبق الكلام على أصله ما دام قد سيق بين المزدوجتين!

ثانيا: جاء في "الأضواء": "ولي الدين بن العراقي[4] وفي الأصل "ولي الدين أحمد العراقي" وقد نلتمس للدكتور هنا عذرا؛ أنه أراد تعريف ولي الدين فيشكر على

---

[1] "الأضواء" (ص: 154).

[2] والصواب أن نقول شأنهم.

[3] "الأضواء" (ص: 154).

[4] وتصرف الدكتور هنا خطأ: حيث ينبغي أن يكتب ولي الدين ابن العراقي بإثبات الألف، لأنها جاءت. كما أنه كتب "ابن الشيخ" فأثبت الألف مع أنه هنا كان عليه حذفها، ولو أخذ الألف من "الشيخ" ووضعها قبل "العراقي" لأحسن صنعا، وأصلح الخطأين!

هذا القصد إن كان هو الدافع له على ذلك، لكن عليه أن يميز بين تصرفه وتصوف صاحب الكلام.

ثالثا: وهذا هو الأهم، أن كلام ولي الدين -رحمه الله تعالى- أصله كلام ابن عربي الذي وقف كما قال -وأسقطه الدكتور بصمت وفي خلسة لفرط أمانته**!!**- على "اشتمال الفصوص المشهورة عنه على الكفر الصريح الذي لاشك فيه، وكذلك فتوحاته المكية، فإن صح صدور ذلك عنه، واستمر إلى وفاته، فهو كافر مخلد في النار بلا شك" ونقل عن المزي[1] تفسيره -ابن عربي- لقوله تعالى﴿**إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم، أم لم تنذرهم لا يؤمنون**﴾[2] كلاما ينبو عنه السمع، ويقتضي الكفر، وبعض كلماته لا يمكن تأويلها، والذي يمكن تأويله منها، كيف يصار إليها مع مرجوحية التأويل، وأن الحكم إنما يترتب على الظاهر، وقد بلغني عن الشيخ علاء الدين... الخ الكلام، والسؤال الذي نود له جوابا: لماذا أسقط الدكتور هذا الكلام، وهو المشار إليه في اسم الإشارة الذي ذكره وفيه أن الشيخ القونوي قال "في مثل ذلك"..الخ فأثبت الدكتور ما بعد اسم الإشارة مع حذفه" المشار إليه" فكيف يدرك القارئ المعنى الصحيح**؟!**

إن التلاعب الذي احترفه الدكتور ربيع لتحريف الكلم يستحق به أن تسقط عدالته ويجرح بذلك ولا يحابى بدعوى أنه يتمسح بألقاب نحو "السلفية" و"أهل

---

[1] الإمام العالم الحبر الحافظ الأوحد محدث الشام جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف القضاعي ثم الكلبي الدمشقي الشافعي، المزي، وسمي المزي نسبة إلى قريته المزة بجوار دمشق. ولد في ربيع الآخر سنة: (654 هـ) وتوفي في ثاني عشر صفر سنة: (742هـ). انظر "تذكرة الحفاظ" (1499/4) للإمام الذهبي.

[2] (البقرة / 6).

السنة"، لأن منهج أهل السنة وطريق السلف في غنى عن التلاعب في دحض البـاطل إن وجد، وتفويض المنكر إن استأسد.

إن الكلام الذي سبق فيه حكم العراقي-الابن- يتعلق بكلام ابن عربي الذي فيه -في تفسير الآية المذكورة آنفا- "يا محمد، إن الذين كفروا ستروا محبتهم في عنهم، فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذي أرسلناك به، أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك، فإنهم لا يعقلون غيري، وأنت تنذرهم بخلقي، وهم ما عقلوه، ولا شاهدوه، وكيف يؤمنون بك، وقد ختمت على قلوبهم، فلم أجعل فيها متسعا لغيري، وعلى سمعهم، فلا يسمعون كلاما إلا مني، وعلى أبصارهم غشاوة من بهائي عند مشاهدتي، فلا يبصرون غيرا.. الخ"[1] فهذا هو الكلام ونحوه الذي قال فيه من قال، عدم التأويل أو مرجوحية التأويل وأنت يا دكتور تسوقه في كلام راجح التأويل، بل لا يحتاج إلى تأويل، بلى يحتاج إلى تأويل فهمك وتحويل عقلك لاستيعابه على الوجه الصحيح.

◆ الدكتور لا يحسن الفهم ولا يتقن النقل.

نعم، هذا الضعف الذي يشكو منه الدكتور -إن أحسنا به الظن- في عدم فهمه للنصوص التي ينقلها، ليس منحصرا فيما هو لغوي صرف، بل حتى ما كان في موضوع السنة أو الحديث -مع أنه- وا أسفاه! -كان رئيس قسم السنة بالجامعة.

فهو يخلط في نسبة الأقوال إلى أهلها أو بلغة أهل الحديث فإن الدكتور يقلب الأسانيد، فقد يكون الكلام لزيد ويجعله لعمرو. ومن أمثلة ذلك، ما جاء في رده -الباطل- "في حده الفاصل" الذي رد به على الشيخ بكر أبي زيد -حفظه الله

---

[1] "تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي" (ص: 135-136/ هـ:4).

تعالى- إذ أورد كلاما للحاكم[1]، قام الإمام الذهبي باختصاره، ولا عجب في ذلك فكتابه إنما هو تلخيص للمستدرك، فحسب الدكتور الألمعي أن الذهبي هو نفسه صاحب الكلام فعزاه له، فانقلب السند من الحاكم إلى الذهبي.

قال الدكتور:

-وقال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب[2] -في خطبة نهى فيها عن المغالاة في المهور-:

(...وأخرى تقولونها لمن قتل في مغازيكم هذه ومات، قتل فلان شهيدا، وعسى أن يكون قد أثقل عجز دابته، أو أردف راحلته ذهبا... وورقا يبتغي الدنيا، فلا تقولوا ذلك، ولكن قولوا كما قال رسول الله ﷺ: **«من قتل أو مات في سبيل الله فهو في الجنة»** قال الحاكم: "هذا الحديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه".

وأكده الذهبي بقوله: "رواه عدة عن ابن سيرين"[3].

قلت: الدكتور لا يحسن القراءة الصحيحة، فما أكد الذهبي شيئا، لتنسب إليه أنه قال: "رواه عدة عن ابن سيرين" فهذا كلام الحاكم اختصره و لم ينشئه، فالحاكم أورد الحديث وصححه ثم قال: "وقد رواه أيوب السختياني[4]

---

[1] سبقت ترجمته.

[2] قلت: رضي الله عنه.

[3] "الحد الفاصل" (ص: 123).

[4] هو أيوب بن أبي تميمة، واسمه كيسان، السختياني، أبو بكر البصري، ويقال: أبو عثمان، مولى عترة، ويقال مولى جهينة، ومواليه حلفاء بني الحريش، ولد سنة: (66هـ)، وتوفي سنة: (131هـ). انظر "تهذيب الكمال" (404/2)، و"تهذيب التهذيب" (251/1).

وحبيب الشهيد[1] وهشام بن حسان[2] وسلمة بن علقمة[3] ومنصور بن زادان[4] وعوف بن أبي جميلة[5] ويحيى بن عتيق[6] كل هذه التراجم من روايات صحيحة عن محمد بن سيرين، فلخص الذهبي ذلك وقال: "رواه عدة عن ابن سيرين" فما أكد ولا أيد، لولا القصور الذي يعاني منه الدكتور! فوا حسرتاه إذا كان رئيس قسم السنة يكبو على هذا النحو، فماذا عن المرؤوسين فكيف بالطلبة المساكين؟!

دعنا الآن من هذا، فهذا الحديث: الظاهر أنك صححته تبعا للحاكم، بل ادعيت أن الذهبي مثلك أيد الحاكم –رحمه الله تعالى– على تصحيحه، ولكن

---

[1] هو حبيب بن الشهيد الأزدي أبو محمد، ويقال: أبو شهيد، البصري مولى قريبة، تابعي أدرك أبا الطفيل قال أحمد بن حنبل: ثقة مأمون، وهو أثبت من حميد الطويل، توفي سنة: (145هـ) "تهذيب الكمال" (121/4).

[2] هو هشام بن حسان الأزدي القردوسي، أبو عبد الله البصري، والقراديس ولد قردوس ابن الحارث بن مالك بن فهم، قال الحاكم أبو أحمد الحافظ: والقراديس، والحراميز، والعقاة، ولقيط، وعرمان، أخوة بني الحارث بن مالك بن فهم. توفي سنة: (148 هـ)، "تهذيب الكمال" (241/19).

[3] هو سلمة بن علقمة التميمي، أبو بشر البصري، من ولد عامر بن عبيد، انظر "تهذيب الكمال" (448/7).

[4] هو منصور بن زادان الواسطي، أبو المغيرة الثقفي، توفي سنة: (129هـ) "تهذيب الكمال" (388/18) .

[5] هو عوف بن أبي جميلة العبدي الهجري، أبو سهل البصري المعروف بالأعرابي، و لم يكن أعرابيا، توفي سنة: (147هـ)، "تهذيب الكمال" (448/14).

[6] هو يحيى بن عتيق الطفاوي البصري، "تهذيب الكمال" (168/20).

هيهات! بل لو فرضنا أن الذهبي قال: "رواه عدة عن ابن سيرين" ففوق ابن سيرين أبو العجفاء السلمي أورده الذهبي في الميزان فقال: "أبو العجفاء السلمي [عو] عن عمر، يقال اسمه هرم، وقال أبو أحمد الحاكم: ليس حديثه بالقائم، قال البخاري في حديثه نظر، وقال ابن معين: ثقة بصري".

قلت: يروي ابن سيرين عنه، سمع عمر يقول: "لا تغالوا لصدقات النساء" ومن هذا حاله، لا يحتج به يا دكتور، ولذلك أورده الذهبي في الضعفاء، ولخص الكلام فيه الحافظ وقال عنه "مقبول"[1] وهذا يعني أن لا يقبل إلا ما اعتضد بغيره، لا ما كان منه بمفرده! فأين أنت من هذا يا رئيس قسم السنة سابقا؟!

وإذ الأمر هكذا فمن الخطأ أن تقول "أيده الذهبي" لأن الكلام جاء عقب ذكرك تصحيح الحاكم الحديث، وغاية الأمر أن الذهبي صحح السند إلى ابن سيرين، فكيف تلبس وتدلس؟! أم أن الحال أنه ليس في الإمكان أفضل مما كان! عندها نقول لك: ﴿**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**﴾.

لكن أقعد والزم مكانك الذي تستحق، وكسر قلم الحديث كما أوجب عليك فضيلة الشيخ بكر أبو زيد تكسير قلم الأدب -فيما يبدو- بل كسر كل أقلامك فتريح وتستريح!!

---

[1] "التقريب" (ص: 658).

أما قولك -معتذرا عن الرد على بكر أبي زيد بأنك ما كنت تريده- فقلت: "علم الله أنني رفضت الرد عليه مع كثرة الإلحاح علي والحث لي[1] على ذلك"[2] فدعك منه، وقل إني لا أحسن الرد حتى لو حثوك على ذلك كما فعل مالك -وهو من هو- حين سئل عما لا يحسنه، فقال: لا أحسنه، فتعجب السائل وتحسر ماذا يجيب من أرسلوه من بلاد بعيدة إلى عالم زمانه فقال له مالك -رحمه الله-: ويحك! قل لهم مالك لا يحسن الجواب؟!

لكن ما للدكتور ولأهل السنة، إنه شرطي في زي أهل العلم!!

خلاصة الأمر أن الدكتور -وهو الذي يتغنى بالسلفية وأهل السنة- ليس ممن يصلح أن يفهم ما يقرأ فكيف يعقب وينتقد؟!

ومن تلاعبات الدكتور بالنصوص التي ينقلها إخفاؤه لما لا يناسبه، وحذفه لما لا يعجبه، لكنه يسرق بخفاء ويخون في صمت، فها هو يخفي كلام البقاعي -رحمه الله تعالى- الذي اعترض على الذين لا يؤولون الصفات والمتشابهات المتعلقة بالعقائد، ويؤولون كلام من يجوز عليهم الخطأ فقال:

---

[1] الصواب أن تقول: "وحثي على ذلك" فحث متعد بنفسه، وجعله متعديا من ركاكات الدكتور التي لم نسجلها في هذا الرد وإلا لتضاعف حجم هذا الكتاب!! انظر "معجم الأفعال المتعدية بحرف" (ص: 44).

[2] "الحد الفاصل" (ص: 6).

"ومن العجب أنهم يعاندوننا، لأننا لا نؤول لمن يجوز عليه الزلل، وينصرون من يتعصبون له، وهو لا يؤول المتشابه من كلام المعصوم، بل يجريه على ظاهره خلافا لإجماع الأمة مع تأديبه ذلك إلى إبطال الشرع، ويدعون الإسلام"[1].

♦ كن شجاعا يا دكتور!

لماذا سرقت هذا النص من السياق يا دكتور؟! وما هذا الجبن، كن على الأقل كمحقق الكتاب الذي صدع في حق البقاعي بما يعتقد، وهجم عليه بشجاعة -مع قلة أدب-، شجاعة عنترية وأدب ربيعي؛ فقال: "قوله[2] هذا يجافي الحق ويجانب الصواب... أقول هذا لأن البقاعي يعني بالمتشابه آيات الصفات وأحاديثها، وهذا رأي ساقط الاعتبار، لم يدن به إلا عبيد الفلسفة ومخانيث الكلام"[3-4].

السر واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، فهذا الكلام يصير به البقاعي جهميا جلدا!! بل كلامه يقتضي أن الدكتور في عين البقاعي بما أنه لا يؤول المتشابه من الآيات والأحاديث؛ فهو يدعي الإسلام مع أنه يؤدي إلى إبطال الشرع! فهنيئا لك يا دكتور بهذا الذي وكلته محاميا عنك في اتهام سيد بما لا حقيقة له أصلا، إلا في خيالك، ومن كيس ضلالك!!

---

[1] "تنبيه الغبي" (ص: 254-255).

[2] أي قول البقاعي.

[3] قلت: بل دان به من سادات الأمة وفضلائها من أئمة الأشاعرة، ولا يليق نعتهم بعبيد الفلسفة، فهذه الزعارة ليست مناسبة بمن خطؤه -إن شاء الله- هو فيه معذور بل مأجور !

[4] انظر تعليق المحقق على "تنبيه الغبي" (ص: 254-255)).

لأجل هذا خنس الدكتور أمام هذا النص، و لم يحر له مخرجا، فحول قلمـــــه إلى مقص فبدل أن يكتب الكلام قصه، وظن أن الأمر ينتهي بسلام!! ها هو البقـــاعي تحول إلى محامي لسيد بدل أن يكون ضده، واعتبر ما ذهب إليه سيد مــــن تـــأويل للصفات هو إجماع الأمة[1]، فهل ثمة مهزلة أكثر من هذه المهزلة؟!

*****

[1] وهذا خطأ بلا شك، بل الصواب عدم التأويل.

-نقد الفصل العاشر-
"غلو سيد في تعطيل صفات الله كما هو شأن الجهمية"

كان بإمكاننا أن نقول جملة واحدة ننفي بها كل ما أورده الدكتـــــور في هـــذا الفصل، ولا نتجشم تسجيل ما سوده هنا من اتهامات، ودعوى وافتراءات! تلـــك الجملة هي قول سيد قطب -رحمه الله تعالى-، وقد خبر خطأ المنهج الذي يدعـــو إلى تأويل صفات الله، فتنكب عنه وحاد عن سبيله وعزم أن يعيد الأمر إلى نصابـه، ويرد الفكر إلى صوابه، فقال:

"وما أبرئ نفسي أنني فيما سبق من مؤلفاتي والأجزاء الأولى من هذه الظلال قد انسقت إلى شيء من هذا...وأرجو أن أتداركه في الطبعة التالية إذا وفق الله... ومـا أقرره هنا هو ما أعتقد الحق بهداية من الله"[1].

إن هذه هي النهاية التي انتهى إليها سيد قطب -رحمه الله-، وهو أن يعتقـــد في الصفات ما اعتقده سلف الأمة الصالح، ليضع حدا للحيرة التي اختلجته في موضوع كبير، وينهي الوساوس التي أقلقته في أمر خطير، كيف وهو أمر يتعلـــق بصفـــات العلي القدير؟!

وليس سيد أول من اكتشف أن العدول عن منهج السلف في مسألة الصفـــات، ضرب من التيه الذي يدفع صاحبه إلى لما لا يعلم --سوى الله- من حيرة ومعانــــاة وحسبه من هذا ما قاله أبو المعالي[2] إمام الحرمين، وهو من هو في الذكاء، والفقه بما لا يبخسه فيه العلماء، لكنه اعترف بخطئه وأعلن ذلك بين الناس بقوله --رحمه الله-

---

[1] "الظلال" (3730/6 - 3731/ هـــ 1)، انظر (ص:55).

[2] هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمـــد بـــن حيوية الطائي السنبسي الجويني إمام الحرمين، صـــاحب البرهـــان، والورقـــات، والتحفـــة والتلخيص، ومؤلفات عدة، ولد سنة (419 هــــ) وتوفي يـــوم 25 ربيـــع الآخـــر ســـنة (478هــ) . انظر "سير أعلام النبلاء" (468/18).

"يا أصحابنا؛ لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام، يبلغ بي ما بلغ ما اشـتغلت به"[1] وقال له أبو جعفر الهمداني: "أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها، مـا قال عارف قط: يا الله! إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنـــة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا، أو قال: فهل عندك دواء لدفع هـــذه الضرورة التي نجدها؟ فقال: يا حبيبي ما ثم إلا الحيرة، ولطم على رأسه، ونزل وبقي وقت عجيب، وقال فيما بعد: حيرني الهمداني"[2]، لكنه تاب من حيرته وفي "الآخـر رجح مذهب السـلف في الصـفات وأقره"[3] كمـا قـال الذهبي —رحمـــه الله تعالى-.

نعم كان بإمكاننا أن نختزل الحديث في هذا الفصل بإيراد تلك الجملة من سـيد قطب التي قرر فيها مذهب السلف، وحط عن كاهله أعباء مذاهـب وآراء، فارتـاح واستراح، لكننا، وتمشيا مع ما عملنا في غير هذا من فصول، آثرنا الدخول مع هـذا الرجل فيما أورده هنا من تعليقات، حتى ولو اعتبرناها تتعلق بكلام منسوخ تبرأ منه صاحبه، لكن الدكتور أحرص من صاحبه على إبقائه. وهذا يذكرنا بقصة مجنون فر من مستشفى المجانين بقميص طبيب، وما أن خرج إلى الشارع حتى نـادى عليـه جماعة من الناس تجمعوا حول رجل أغمي عليه، فلم يكن للمجنون بد من تلبيتـه النداء وتقديم ما يتوقع من الإسعاف! فتقدم إلى الرجل المغمـى عليـه متظـاهرا بفحصه، ثم نادى على رجل —أقل ما يقال فيه إنه غير ذكي- وقال له: هذا الرجـل قد مات، فاحرسه حتى أرجع مع سيارة الإسعاف! وبعد لحظات، بدأ المغمى عليـه يتحرك، ثم قام فزعا مذهولا يتساءل ما به؟ فإذا بالرجل الذي على رأسه يقول لـه: -أنت ميت كما قال الطبيب المجنون- فعد إلى موتك، هل تفـهم أحسـن مـن الطبيب؟!

---

[1] "نفسه" (474/18).

[2] "السير" (475/18).

[3] "نفسه" (472/18).

فلنشرع إذن في مناقشة ما ذكره الدكتور في هذا الفصل!

◆ مذهب السلف أقوم والخلف معذورون بل مأجورون.

قبل كل شيء لا بد من التذكير هنا أن الذي نرتضيه دينا، ونؤمن بـــه يقينـــا أن صفات الله وأسمائه لا تشبه في شيء صفات المخلوقين وإن تشابهت الأسماء، وهـــذا هو المذهب الذي عزاه ابن كثير إلى "مالك والأوزاعي والثوري[1] والليث بن سعد[2] والشافعي[3] وأحمد وإسحاق بن راهويه[4] وغيرهم من أئمة المســـلمين"[5] والـــذي يتلخص في "إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظـــاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله."[6] هذا المذهب هـــو المذهـــب الأقـــوم والأحكم، وبالتالي هو الأسلم! وقد نصب أصحابه عليه أدلة؛ كل مـــن يطالعـــها

---

[1] هو الإمام شيخ الإسلام سيد الحفاظ، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، طلب العلم وهو حدث، مناقبه مستوفاة في مجلد كامل لابن الجوزي، ولد سنة: (97هـــ) وتوفي ســنة: (161هـــ). انظر "تذكرة الحفاظ" (203/1). باختصار.

[2] هو شيخ الديار المصرية وعالمها الإمام الحافظ، الليث بن سعد، أبو الحـــارث الفـــهمي مولاهم، الأصبهاني الأصل المصري (توفي سنة: 175 هـــ) وله إحدى وثمانون ســنة رحمه الله تعالى، انظر "تذكرة الحفاظ" (224/1).

[3] هو الإمام العلم حبر الأمة، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن الســائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف، ينتهي نسبه إلى رســـول الله ﷺ، ولد سنة: (150هـــ)، وتوفي سنة: (204هـــ) بمصر، انظر "تذكرة الحفـــاظ" (361/1) باختصار.

[4] هو الإمام الحافظ الكبير، أبو يعقوب التميمي، الحنظلي المروزي، نزيل نيسابور وعالمـها، المعروف بابن راهويه، قال أبو زرعة ما رئي أحفظ منه . ولد سنة (161هـــ، وتوفي ســـنة: (238 هـــ)، انظر "تذكرة الحفاظ" (433/2).

[5] "التفسير" (353/3) لابن كثير.

[6] "نفسه".

بتؤدة وتريث، ويغوص فيها بصبر وسبر، لا يرجع ولا يعود إلا إلى أن يحط رحلـــه حيث حط السلف رحالهم في هذه المسألة الكبيرة، ونحسب أن الدكتور لا يختلـــف معنا في هذه المسألة والحمد لله، لكنه يختلف معنا في التي تليها، وهي كما يلي:

◆ مذهب الأشاعرة في الصفات مذهب مرجوح لكنه لا يستوجب ذما.

وهذا ما نجد أنفسنا في خلاف فيه مع الدكتور وهو الذي يتحاشى ذكرهـــم إلا إذا كان يريد أن يتعزز بهم، كما رأينا في الباب الأول وكذلك إذا قال سيد قطب قولا من أقوالهم، ترى الدكتور يتنكب ذكرهم، ويبحث عن فرقة من فـــرق الضـــلال تقول بمثل ذلك فيلحقه بهم عنوة! ولا نذهب بعيدا، فها هو ينسب ما قام به ســـيد من تأويل للصفات، -أول الأمر- إلى الجهمية، لا إلى الأشاعرة، إمعانا من الدكتور في الإساءة إليه، كأنه لا يدري عواقب مثل هذا العمل الشنيع! ثم إن الدكتور يعتقد أن الأشاعرة مبتدعة وهو ما لا نراه ولا نوافقه عليه ليس كل من وقع في البدعـــــة مبتدعا ولا كل من قال كلمة الكفر كافرا!

وي وي! إذا كان الأشاعرة مبتدعة، فإن سواد الأمة مبتدعة، لأن المذهب الأشعري يقول به كثير من علماء الملة وكفى بنا إزراء أن يكون هذا حالنا!

إن الدكتور يريد أن يفتح من جديد معارك عف عنها الزمان، وطوتها صفحــــات التاريخ وتراكم عليها النسيان!

اسمع يا دكتور إلى شيخك وهو يقول: من الظلم أن يقال عن هؤلاء إنهم مبتدعـة[1]، وهو يشير إلى أمثال النووي وابن حجر، وهما أشعريان! وكأني بك تريد أن تعترض وتقول إن هذين إمامين كبيرَي القدر، جليلي الرتبة، فيغتفر لهمـــا مـــا لا يغتفـــر لسواهما! والجواب أن ما يسري عليهما يسري على سائر علماء الأمة الصــــالحين وكل رجالها الصادقين الذين لاحَت في الناس دلائل حرصهم، وأمارات إخلاصهم، ونحسب سيدا واحدا منهم ولذا يشمله ما يشملهم!

---

[1] في شريط سمعي برقم 109، تسجيلات الهداية القرآن، فاس، المغرب. فهل تتجاهل كلام شيخك حيث لا يروقك!

وبعد هذا فلننظر ما قال الدكتور، لقد أورد نصين لسيد قطب أحدهما من "الظلال" والآخر من "التصوير الفني" وعلق عليهما بما يلي:

◆ **وفي هذين النصين دلالات خطيرة:**

أولاها: أن سيدا لم يرجع عما دونه في كتابه التصوير الفني في القرآن، وقد كتبه في مراحله الأولى؛ كما يقال.

وثانيتها: إنه لم يرجع عن تعطيل الصفات الذي دونه في التصوير الفـــني، ولم يرجع عن تعطيله في "الظلال" بعد التنقيح المدعى.

وثالثتها: في "الظلال" و"التصوير" تعطيل لصفة الاستواء.

ورابعتها: اعتقاده الخطير أن هذه الصفات معان مجردة؛ أي: هي أمور ذهنية لا وجود لها، وهذا هو غاية التعطيل والضلال.

وخامستها: تعطيله لعدد من الصفات؛ كالاستواء، والنزول، واليد، ولا يستبعد أنه يجري على هذا المنوال في كل الصفات.

سادستها: إنكاره لرفع عيسى[1] إلى السماء.

سابعتها: معرفته بالخلاف بين أهل السنة والجهمية والمعتزلة، ثم انحيازه إلى أهــل البدع، واعتماده على قواعدهم الباطلة في تعطيل صفات الله؛ فمن المغالطـــات أن يقال: إن سيد قطب يجهل مثل هذه الأمور، أو إنه قد رجع عنها إلى عقيدة السلف ومنهجهم[2].

وتعليقنا هنا سوف يقتصر على الأسلوب الخاطئ الذي يتناول به هذا الرجـــل منهج النقد.

أما المضمون، وهو أن النصين الذين أوردهما لسيد لا نختلف معــه أن فيــهما تأويلا للصفات، إلا أن الجملة التي وعد فيها سيد قطب -وهو مصدق في وعــده-

---

[1] أيها الذي يعيب على غيره قلة الأدب مع الأنبياء ويبخل عليهم بالسلام!

[2] "الأضواء" (ص: 169-170).

بأنه سوف يتجاوز مذهب الخلف إلى مذهب السلف، تكفينا نحن في أن نفـــرح له -وإن أحزنت الدكتور- بما وفقه الله تعالى إليه، لهذا نقول:

◆ السرعة تقتل!

من الشعارات التي ترفع عندنا -بالمغرب- من قبل اللجنة الخاصة بحوادث السير على الطريق قولهم "السرعة تقتل"، وينصبون أجهزة مراقبة للذين يتجاوزون السرعة المحددة وبالتالي يرتبون رسوما يدفعها كل مخالف!

وإذا انتقلنا من ميدان الطرق إلى ميدان النقد، وجدنا أن عداد الدكتور يســـير بسرعة يستحق بموجبها أن يعاقب بدفع رسوم السرعة المفرطة، ونرفع في وجهـــه شعار انتبه فإن "السرعة تقتل"! تلك تقتل الأرواح، وهذه تقتل الحقيقة!

فالأرقام الأول والثاني والثالث والرابع والخامس كلها متضمنة في واحد منـــها، فبدل أن يكتب العداد رقما واحداً أجهض خمسا، وهذه مخالفة فاحشة! فبدهـــي أنك إذا قلت إنه يعطل الصفــــات -هكذا معرفة، وهو ما يفيد العمـــوم، بـــل صرحت بالتعميم- فإنه يعطل بعضها، وإذا كان هذا التعطيل بغير قيد، فإنه يشـــمل "الظلال" و"التصوير" وغير ذلك من هنا فقولــــك "أولاهـــا وثانيتـــها وثالثتـــها ورابعتها... وخامستها[1]...سادستها.. سابعتها..." ينبغي أن تعدل فيه، وتسير على مهل، ففي التأني السلامة وفي العجلة الندامة!

◆ كذب وافتراء:

لما تجاوز الدكتور الحد في عده خمس مؤاخذات على سيد بدل واحدة، ثم جـــاء إلى ما جعله رقما سادسا فقال إن سيدا ينكر رفع عيسى إلى السماء، فماذا يقـــول لربه ليدفع عن نفسه هذا الكذب وغـــيره؟! وما ظن من يدافعـــون عـــن منـــهج الدكتـــور في هـــذا؟! مـــاذا تركتم لغيركم، تتـــهمونهم بـــالتعصب للشـــيوخ،

---

[1] ما السر في إسقاط واو العطف؟! ومن العجائب أن تلك الخمسة الـــتي جمعتـــها بـــواو العطف هي واحدة .

والسكوت عن عيوبهم؟ إذا كنتم تتآمرون على هذا النحو وأنتـــم تعلمـــون! ردوا صاحبكم إلى الحق الذي شرد عنه، وألجموه ليرجع إلى المنهج السلفي الذي يدعيـه! واعملوا فيه قول نبيناﷺ: **«انصر أخاك ظالما أو مظلوما»**![1]

لماذا كذبت يا دكتور فالكذب حرام!؟

إن النص الذي فيه ذكر عيسى -عليه السلام-[2] مما ذكر الدكتور لسيد قطـــب، والذي علق عليه تلك الفرية بجيد سيد هو الآتي مختصرا[3]:

"هذه الطريقة المفضلة في التعبير عن المعاني المجردة سار الأســـلوب القـــرآني في أخص شيء يوجب التجريد المطلق والتتريه الكـــامل، فقـــال: ﴿**يـــد الله فـــوق أيديهم**﴾[4]. ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾[5] ﴿**وجـــاء ربـك والملك صفا صفا**﴾[6]. ﴿**إني متوفيك ورافعك إلي**﴾[7] ...الخ، وثار ما ثـــار من الجدل حول هذه الكلمات، حينما أصبح الجدل صناعة والكلام زينة، وإن هـــي إلا جارية على نسق متبع في التعبير، يرمي إلى توضيح المعـــاني المجـــردة وتثبيتـــها، وتجري على سنن مطرد، لا تخلف فيه ولا عوج، سنن التخييل الحسي والتجسيم في كل عمل من أعمال التصوير[8].

---

[1] رواه البخاري (2443-2444) في: المظالم، (4) باب: أعن أخاك ظالمـــا أو مظلومـــا، و(6951) في: الإكراه، (7) باب: يمن الرجل لصاحبه؛ إنه أخوه، إذا خاف عليـــه القتـــل أو نحوه.

[2] أيها الذي يعيب على غيره قلة الأدب مع الأنبياء، ويبخل عنهم بالسلام!

[3] ما أسقطنا سوى بعض الآيات المشتملة على بعض الصفات.

[4] (الفتح/10).

[5] (الأنفال/17).

[6] (الفجر/22).

[7] (آل عمران/55).

[8] "الأضواء" (ص: 168-169).

أبهذا النص تتهم سيدا أنه ينكر رفع الله لعيسى -عليه السلام-؟ أهي الغفلـــة أم التغافل؟!

◆ هلا اتهمت سيد قطب بإنكار توفي عيسى -عليه السلام- من قبل الله تعالى!

إذا كان الدكتور رمى سيدا بتهمة منكرة من قوله تعالى: ﴿إنـــي متوفيـــك ورافعك إلي..﴾ [1] فقال إنه ينكر رفع عيسى -عليه السلام- أيضا. ثم يســـتنبط من ذلك -على طريقته - أن عيسى خالد لا يموت أبدا -عليه الســـــلام-، أم أن الدكتور خشي أن يفتضح، -وما درى أنه افتضح- فعدل عن ذلك!؟

لو فرضنا جدلا يا دكتور أنه تلجلج في صدرك معنا مما رميت به سيدا، أعجزت أن تعود إلى المكان الذي يتوقع أن يعبر فيه سيد قطب بما لا لبس فيه عنـــدك، وإلا فعندنا هنا لا لبس في أن سيدا لم يحم مجرد حوم حول الشك في رفع عيسى -عليه السلام- في هذا النص أيضا.

فلماذا تفسر الآية بدل سيد، عوض أن ترجع إليه لترى ما قال فيها؟! لو فعلـــت ذلك لألفيته يقول: "لقد أرادوا صلب عيسى-عليه الســـلام- وقتلـــه وأراد الله أن يتوفاه، ويرفعه إليه: وكان ما أراده الله، وأبطل الله كيد الماكرين... فأما كيـــف كانت وفاته... وكيف كان رفعه.. فهي أمور غيبية تدخل في المتشابهات الـــتي لا يعلم تأويلها إلا الله..."[2]

فما ظنك يا دكتور؟! هذا المعنى —لولا الغفلة أو التغافل— كان بإمكـــانك أن تفهمه من سياق النـــص الـــذي "عذبته تعـــذيبا" قبل أن يدلي بالمعنى الـــذي أردت! مع أنك لو تأملت لوجدته خاصا بصفات الله، والتي ينفـــي فيـــها ســـيد

---

[1] (آل عمران/55).

[2] "الظلال" (403/1).

إمكــــــانية معرفة الكيف، وهو ما أكده في تفـسير ما نــحن بصدده، فهو أثبت الرفع و لم يبحث عن الكيف، وهــــو عـــين الصواب[1].

◆ **افتراء آخر وكذب جديد: سيد يرى أن عرش الله العظيم رمز وليس بحقيقة:**

وتأمل قول الدكتور "وليس بحقيقة" أي العرش من أين للدكتور بهذه الفرية؟!

وأين قالها سيد قطب، أم مرة أخرى تفهم ما تريد؟! فلا حاجة لكــي تســوق النصوص إذن؟!

فقل في صفحة كل عناوين الفصول، وإذا سئلت عن الدليل، فليكن جوابـــك: دليلي قولي، وقولي دليلي! هذه حقيقة الأمر وهذا واقع تصرفات الدكتور!

لقد جاء الدكتور بنصين لسيد، استخلص منهما هذا البهتان!

أولهمــــــا: قول سيد -رحمه الله-: "وهم يصفونه بأنه له شركاء، تـــتره الله المتعالي المسيطر رب العرش، والعرش رمز الملك والسيطرة والاستعلاء"[2].

وثانيهما: "...ويشهد بأنه الملك الحق، المسيطر الحق، الذي لا إلـــه إلا هـــو، صاحب السلطان والسيطرة والاستعلاء، ﴿رب العرش الكريم﴾[3] فكلام ســـيد هذا وظفه الدكتور للافتراء -وهو حرام- عليه، ضاربا بعرض الحائط كل الآيـــات والأحاديث التي تحرم التقول على المسلم! بل، حتى لو بلغه عنه ما يشينه فلابد مـــن التثبت، ومع ذلك يزعم أنه يتبع الكتاب والسنة! دعك من المزاح، وتب إلى الله يـــا دكتور!

---

[1] وسيد قطب مهما أول مرات ومرات، فإنه أحيانا ينطق بما هو مذهب السلف، وينصره، لكنه يعود في مكان آخر ويؤول، واستمر -رحمه الله- في تذبذبه هذا، فتارة يثبت بغير تكييف وتارة يؤول، إلى أن استقر على المذهب الذي عليه السلف والحمد لله على توفيقه.

[2] "الأضواء" (ص:170) .

[3] "نفسه" (ص:170-171).

◆ **أحلاهما مر:**

إن هذا الافتراء الذي ألصقه الدكتور بسيد قطب، سببه أحد أمرين: إما جـــهل بكلام العرب ولسانهم، وهذا عيب سيما والدكتور يصول ويجول، ويغزو أعـــراض المسلمين غزوات يجعلها تحت اسم البدعة أي يزعم أنه يغزو المبتدعة، وهو لا يدري لسان القوم! هذا احتمال أول إذن!

وإما أن الرجل يعلم أن ما قاله سيد قطب لا يفهم منه أنـــه ينكـــر العـــرش في حقيقته ومع ذلك اتهمه بتلك التهمة، وهذا كذب صريح، فهما احتمالان لا ثـــالث لهما، مع أن خيرهما شر وأحلاهما مـــر! فــــ: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾[1].

فإذا فهمت يا دكتور، يا من ابتلي طلبتنا بالمثول بين يديك متتلمذين تســـرب إليهم الفساد، وتدربهم على أكل الأعراض! أقول إذا فـــهمت أن في قـــول سـيد "العرش رمز الملك والسيطرة والاستعلاء" نفي للعرش حقيقة، فما أصغر عقلــــك! انظر إلى الجملة التي قبلها حيث وصف سيد قطب الله تعالى بأنه "المتعالي المســـيطر رب العرش" فلو كان سيد ينفي العرش حقيقة، كيف يقول "رب العرش"، أم أنـــه يحتمل أن يقول "رب العدم" عن الله؟!

ما أقبح التعالي بغير فهم، وما أسوأ التطاول بغير علم !

إن العبارات التي تصحح لك الفهم كانت أمام أنفك، بل كتبتها بخـــط يـــدك، وأنت تسوقها لتنال من الرجل، فعميت بصيرتك عنها، فرميته بضدها فعجبا لـــك! نسأل الله المعافاة.

ثم إذا ذهلت عن هذه بسبب قربها منك، ألم تطلع على غيرها وأنت الذي قرأت "الظلال" فعثرت فيه على البدع والمنكرات؟! ألم تقرأ قول سيد في قصـــة سـليمان -عليه السلام- مع بلقيس والهدهد، وذكر العرش حيث قال ســـيد -رحمـــه الله تعالى- عن الهدهد أنه "يلمح في ختام النبأ يقصه، إلى الملك القهار، رب الجميـــع،

---

[1] (الدخان/49).

صاحب العرش العظيم[1] الذي لا تقاس إليه عروش البشر "فهل عـــروش البشـــر لا حقيقة لها؟! كن شجاعا وقل نعم لتبقى منسجما مع قولك الأول، وإلا فأعلنـــــها صريحة، وقل: أستغفر الله قد ظلمت الرجل! إن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن كثير" والله لئن فعلت لتكبرن في أعين الناس ويكون كأن شيئا لم يكن!

ألا ترى أنه لا يستحق أن يقاس العدم إلا بالعدم، وما دامت العروش إلى أيامنـــا هذه ليست عدما، فأولى أن يكون عرش الرب العظيم ليس كذلك فالله يسامحك يـا دكتور ويهدينا وإياك سواء السبيل!

◆ **أقوال السلف في المعطلين لصفات الله:**

هذا هو العنوان الذي ختم به الدكتور -كعادته- هذا الفصل الذي لولا ما بينـه وبين سيد قطب لما كان أصلا، لأنه كالذي يناقش المسلمين ويعيب عليهم إباحـــة الخمر، ويعرض بهم لأجلها! مع أن المسألة طويت وباتت خبرا لا غير!

فلنأت إلى الأخبار التي انتقاها الدكتور من كتاب "خلق أفعال العباد" للبخـــاري -رحمه الله-:

الخبر الأول وجاء فيه: "وقال سعيد بن عامر: الجهمية أشر قولا مـــن اليـــهود والنصارى، قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان أن الله تبارك وتعالى علـــى العرش، وقالوا هم: ليس على العرش شيء" والكلام على هذا الخبر من وجوه:

أولا: الجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان الذي وصفه الذهبي برأس الضلالـــة وأنه ينكر الصفات ويقول بخلق القرآن وأن الله في الأمكنة كلها![2]

فهل -تستطيع أنت أو غيرك- يا دكتور أن تصف سيدا بواحـــدة مـــن هـــذه الأوصاف فضلا عن جميعها أو ما لم يذكر من مثيلاتها في الشناعة أو الضلالة؟!

إن قلت: نعم، قلنا لك: أنت وما ترى، حتى تتبين مكانتك للناس، ليختاروا أي المناهج هو السليم، وأيها هو السقيم!

---

[1] أي صاحب العدم العظيم على فهم الدكتور.

[2] "سير أعلام النبلاء" (202/10).

وإن قلت لا، لا أستطيع أن أصف سيدا ببعض ذلك، فضلا عن كله قلنا لـــك: فلم أوردت الخبر عمن لا علاقة لسيد بهم، وما محل مضمونه مما نحن فيـــه، فـــهل اختلطت بين يديك الأوراق حتى لا تدري ما تأخذ وما تدع؟! أم دخلت مرحلـــة اختلاط مبكر؟!

الحقيقة أن هذا النص ليس هذا محله بتاتا، وإنما محله إذا كنت تناقش أحد ضـلال الجهمية أو غلاة المعتزلة أو الرافضة وما شابـــه ذلك، أمـــا وأنت في نقاش مع مـــن -كان- يقول بمذهب الأشاعرة في تأويل الصفات، فهذا النص مقحم في غير محلـه، وضيف لا مرحبا به! أتستطيع أن تنتقد الإمام النووي أو العز بـــن عبـــد الســـلام سلطان العلماء، ثم تختم نقدك بهذا الخبر؟!

ثانيا: كلمة ذهبية وتعليق فضي: أما الكلمة فهي ذهبية —حقيقة ومجازا- قـــال الذهبي: ومن كفر ببدعة وإن حلت، ليس هو مثل الكافر الأصلي، ولا اليـــــهودي والمجوسي، أبى الله أن يجعل من آمن بالله ورسله واليوم الآخر، وصام وصلى وحـــج وزكى وإن ارتكب العظائم وضل وابتدع، كمن عاند الرسول، وعبد الوثن، ونبـذ الشرائع وكفر، ولكن نبرأ إلى الله من البدع وأهلها"[1] ثم علق فضيلـــة الشيـــــخ شعيب الأرنـــؤوط —حفظه الله تعالى— على هذا بكلمة من فضة جميلة فقـــــال: "هذا كلام صادر عن إنصاف وتعقل وعلم، فرحم الله المؤلف رحمة واسعة، فإنــــه يتوخى دائما جانب الإنصاف في التراجم، وقلما تجد من يقاربه في ذلك"[2]. وبهـــذا ندين الله تعالى، فلا نسوي، فضلا عن أن نرجح كلام اليهود والنصارى على كـلام المسلمين، مهما ضلوا وابتدعوا!

ولهذا فنحن لا نقبل هذه العبارات التي ردد منها الدكتور الشيء الكثير في هـــذا الكتاب، و لم يقيد إطلاقها، أو يخصص عامها، وأرسلها بلا خطم ولا أزمــــة، ولا ينبغي له!

---

[1] "نفسه" (202/10).

[2] "نفسه" (هــ/3).

ثم هل هذا الخبر الذي ساقه الدكتور -ولم ينتقده- يريد إشعارنا أن سيد قطب أضل من اليهود والنصارى؟!

أما هو فندعه وما يرى، وأما نحن فنعتقد أن الرجل مات على ملة الإسلام[1] ومعاذ الله أن نفضل على من مات على ملة الإسلام من يدين لغيرها. ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم؟ كيف تحكمون﴾[2]؟

الخبر الثاني: جاء في "الأضواء"[3]: "وقال (يعني: على بن المديني): احذر من المريسي وأصحابه؛ فإن كلامهم يستجلب الزندقة".

◆ ما هذا التخليط؟

قبل كل شيء نصحح للدكتور هذه الطريقة التي اتخذها في العزو! ففي الخبر الأول يقول: قال البخاري... وقال سعيد بن عامر..الخ الكلام، ثم بعده مباشرة نجد: وقال (يعني: على بن المديني)[4]: أحذر من المريسي!! الخ فقوله وقال ينصرف به الفهم إلى تقدير أحد المذكورين، وهما البخاري أو سعيد بن عامر، ولكننا نفاجأ باسم جديد لم تسبق الإشارة إليه، وبالتالي يستحيل تقديره، فما هذا التخليط؟!

والصواب أن يقول -الدكتور- ولا حياء في التعلم:

---

[1] كذلك نحسبه والله حسيبه.

[2] (القلم/35).

[3] (ص:171).

[4] الإمام الجليل حافظ العصر وقدوة أرباب هذا الشأن، أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم المدني ثم البصري صاحب التصانيف، قال أبو حاتم الرازي: كان علي علما في الناس في معرفة الحديث والعلل، وكان أحمد لا يسميه إنما يكنيه تبجلا له، وما سمعت أحمد سماه قط . تكلم فيه أحمد ومن تابعه لأجل إجابته في المحنة، وقوله بخلق القرآن، وقد اعتذر الرجل وتاب وأناب. ثم كان يقول بعدها: القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر، ولد سنة: (161 هـ) وتوفي سنة: (234هـ)، انظر "تهذيب الكمال" (327/13)، و"تهذيب التهذيب" (219/4) و"تذكرة الحفاظ" (428/2).

وقال علي (أي ابن المديني)، عندها يفهم القارئ أن البخاري قال: وقال علـــي، فخشي الدكتور أن لا يعرف القارئ من هو، ففسره بين قوسين.

بعد هذا نقول:

أولا: عرفنا في الخبر الأول من هو الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الجهميـــة التي حشرها الدكتور وهو يرد على سيد قطب، فمن هو هذا المريسي الذي حـــذر منه ابن المديني -رحمه الله تعالى-؟! إنه بشر بن غياث المريسي غصن من أغصـــان الجهمية، بل صار جذعا فيها! قال الذهبي "نظر في الكلام، فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى وجرد القول بخلق القرآن، ودعا إليه، حتى كان عين الجهميـــة في عصره وعالمهم، فمقته أهل العلم، وكفره عدة"[1].

بعد هذا نقول: هذا الذي كفره عدة، وقال بخلق القرآن، وانسلخ من الـــورع والتقوى، ما دخله في قول سيد بتأويل الصفات كما هو مذهب الأشـــاعرة لـــو افترضنا أنه بقي عليه ولم يرجع كما زعم الدكتور؟!

هل تستطيع أن تترجم للحافظ البيهقي، وتأتي بهذا الخبر في حقه؟!

الخبر الثالث: هل تصلي خلف القاضي عياض، وتأكل ذبيحته يا دكتور؟!

هذا السؤال موجه إلى الدكتور، لأنه احتج واستشهد بالقاضي عيـــاض في غـــير موضع والقاضي عياض: مذهبه مذهب الأشاعرة يؤول الصفات كما كـــان سـيد يفعـــل، وفي هذا الخبر الأخير الذي نورده جاء من قـــول البخـــاري -رحمــه الله تعالى-:

"ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي أم صليت خلف اليهود والنصـــارى، ولا يسلم عليهم، ولا تؤكل ذبائحهم".[2]

وإذا كنت لا تأكل ذبيحة القاضي عياض -رحمه الله تعالى- ولا تصلي خلفـــه، وتزدريه على هذا النحو، فكيف استشهدت به على سيد قطب؟!

---

[1] "سير أعلام النبلاء" (200/10).

[2] "خلق أفعال العباد" (ص: 35).

وإذا كنت توقره وتجله وترفع مقامه، وإن خالفته في تأويل الصفات فما محل هذا الخبر هنا؟! لأنك إن رأيته مناسبا لسيد قطب فهو مناسب لكل الأشاعرة، فتأمل!

*****

-نقد الفصل الحادي عشر-
"إنكاره -سيد قطب- للميزان على طريقة المعتزلة والجهمية"

في هذا الفصل يحكي الدكتور ربيع تهمة رئيسة، ويفرع عنها أخرى -كعادته- إمعانا في تصوير سيد قطب للقارئ على الصورة التي يزدريه بها كل من يصدق التهمة! وما للقارئ لا يصدق، والمتهم عضو -أو رئيس- هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية؟! والتهمة الرئيسة اليوم هي أن سيد قطب ينكر الميزان، والتهمة الفرعية عنها، هي أن إنكاره للميزان هو على طريقة المعتزلة والجهمية، وهذا بلا شك يغلق بين يديه كل منافذ تخفيف الحكم، ليوقع بسيد قطب أقصى عقوبة ممكنة!

لقد دخل الدكتور قاعة المحاكمة كما عودنا، مقطب الوجه، يتطاير الشرر من عينيه، ويغلي مرجل الغيظ في أعصابه، ويصرخ أن "ذلك"[1] من الضلالات التي احتدم فيها النزاع بين أهل السنة والمعتزلة وسيد قطب لا يجهل ذلك[2]، يردد هذا الكلام وهو يلوح بيده اليمنى ممسكا بوثيقتين خطيرتين يدعي أن فيهما دليل إدانة سيد قطب!

الوثيقة الأولى:

وجاء فيها: قال -سيد قطب- في كتابه "التصوير الفني":

"ثم لما كان هذا التجسيم خطة عامة؛ صور الحساب في الآخرة كما لو كان وزنا مجسما للحسنات والسيئات: ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**﴾[3]، ﴿**فأما من ثقلت موازينه**[4]... **وأما من خفت**

[1] أي إنكار سيد قطب للميزان كما زعم!

[2] "الأضواء" (ص: 173).

[3] (الأنبياء/47).

[4] (القارعة/6).

موازينه﴾[1] ﴿وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها﴾[2] ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾[3] ﴿ولا يظلمون نقيرا﴾ وكل ذلك تمشيا مع تجسيم الميزان.

وكثيرا ما يجتمع التخييل والتجسيم في المثال الواحد من القرآن، فيصور المعنوي المجرد جسما محسوسا، ويخيل حركة لهذا الجسم أو حوله من إشعاع التعبير.

وفي الأمثلة السابقة نماذج من هذا؛ ولكنا نعرض هذه الظاهرة في أمثلة جديدة؛ فلدينا وفر من الأمثلة على كل قاعدة"[4].

الوثيقة الأولى:

يضعها الدكتور بين يدي القضاة، ثم بدأ مباشرة، ودون تعليق في فض الوثيقة الثانية التالية:

الوثيقة الثانية:

لا تزال حرارة الغضب تتناثر من كل جنبات الدكتور، وصراخه المزعج يملأ المكان، وهو لا يبالي ولا يخفض من صوته، فاستمر في القراءة لا يلوي على شيء فقال:

وقال في تفسير قول الله تعالى من سورة الأعراف: ﴿والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون...﴾[5] الآية[6].

"ولا ندخل هنا في طبيعة الوزن، وحقيقة الميزان، كما دخل المتجادلون بعقلية غير إسلامية في تاريخ الفكر الإسلامي، فكيفيات الله كلها خارجة عن الشبيه والمثيل، مذ كان الله سبحانه ليس كمثله شيء؛ فحسبنا تقرير الحقيقة التي يقصد

---

[1] (القارعة/8).

[2] (الأنبياء/47).

[3] (النساء/49).

[4] "الأضواء" (ص: 173-174).

[5] (الأعراف/8).

[6] "الظلال" (ج 1261/3).

إليها السياق من أن الحساب يومئذ بالحق، وأنه لا يظلم أحد مثقال ذرة، وأن عملا لا يبخس ولا يغفل ولا يضيع"[1].

وضع الدكتور هذه الوثيقة بدورها بين يدي القاضي، ولسان حاله، بل وقاله أنه لم يبق عليك أيها القاضي سوى الحكم على هذا الضال بالسجن المؤبد الذي اسمه "سجن المعتزلة والجهمية" فذلك المكان الطبيعي له ولأمثاله!

التفت القاضي إلى المترافع عن سيد قطب، وفسح له المجال إن كان لديه أي تعقيب أو تعليق على مضمون الوثيقتين، فكان الرد؛ أن الوثيقتين هما فعلا لموكلي، إحداهما -وهي الأولى- كان فيهما الحديث عن فن من الفنون البيانية التي تضمنها كتاب الله المعجز، إنه التصوير الفني الذي كان لسيد فيه قصب السبق بجدارة، واعتقد أنه يستحق به بدل اللوم والهجاء كل التقدير والثناء!

أما الوثيقة الثانية لموكلي، فهي الأخرى لا أريد أن أذكر شيئا عن مضمونها، وأدع ذلك المضمون حين تقرأه هيئة القضاء أو "القراء" الموقرة فهو الدفاع الأساس الذي يبطل ما زعمه دكتور الادعاء!

عندئذ قام هذا الدكتور المدعي! ليقول عن الكلام المتضمن في الوثيقتين إن فيه انحيازا "إلى أهل البدع من المعتزلة، وغيرهم في إنكار الميزان، واقاما لأهل السنة الذين يثبتون الميزان احتجاجا بنصوص الكتاب والسنة، بأهم مجادلون بعقلية غير إسلامية، فلا فرق بينهم وبين أهل البدع والضلال في نظر سيد قطب، بل أهل الضلال أرجح عنده وأولى بالحق والعياذ بالله".

هنا وجد الدفاع نفسه مجبرا على أخذ الكلمة، التي أعطيت له ليقول:

كنت أحسب أن زميلي "دكتور الادعاء" جاء بالوثيقتين ليقرأ منهما التهمة أو التهم التي ألصقها بموكلي، ولكني فوجئت وأنا أسمع تهما لا علاقة لها بالنصين، فربما هي تهم يوجهها لمتهم آخر غير موكلي، لأني كما عرفت الدكتور وعرفتموه! كثير الدعاوى، فأخشى أن يكون اشتبهت عليه الأمور ومعذرة عن المقاطعة!

---

[1] "الأضواء" (ص: 174).

وشعر الدفاع أن القاضي يود لو أنه زاد الأمر بيانا وتوضيحا، ويفسر "لدكتور الادعاء" مراده ومقصوده فقال: إن التهم التي تضمنها تعليق زميلي في الادعاء هي كالتالي:

أولا: أن موكلي منحاز إلى أهل البدع من معتزلة وغيرهم وينكر الميزان مثلهم!

ثانيا: أن موكلي يتهم أهل السنة الذين يثبتون الميزان احتجاجا بنصوص الكتاب والسنة أهم يجادلون بعقلية غير إسلامية.

ثالثا:إن أهل الضلال أرجح عند موكلي وأولى بالحق من أهل السنة، وتعوذ زميلي بالله من هذه القالة، ونحن نتفق معه ونضم صوتنا إليه ونقول نعوذ بالله ممن يقولها، ونزيد ونعوذ بالله من الكذابين!

هذه هي التهم التي سجلها زميلي، وادعاها على موكلي وإني أذكر هيئة القضاء أن نصي الوثيقتين هما أساس هذه التهم الغريبة في نظر "دكتور الادعاء". لهذا أود التعقيب على هذا الفهم العجيب فأقول:

أولا:

لا يخفى عليكم أن الدعاوى المجردة، والادعاءات الباردة، لا تهدم حقا ولا تبني باطلا، لذلك فإن الزعم بأن سيدا ينكر الميزان، لا نجد في كلامه ما يجوز أن يقعد -فضلا عن أن يقوم- عليه، فإن الرجل صريح بعدما اعترف أن ثمة ميزانا لله لا يظلم أحدا، ولا يخدعه أحد، لم يرد أن يدخل في كيفية الميزان، ونأى بنفسه عن البحث عن طبيعة الوزن أهي حسية أم معنوية، لا سيما في غياب نص مبين وحاسم، وهذا دأبه في سائر شؤونه -رحمه الله-. فزعم زميلي "الدكتور المدعي" أنه منكر للميزان زعم باطل، وافتراء عليه إما لقصور عن فهم بيانه العالي، وإما لسوء ظن مبيت نحوه! ولا يعدو الضيم الذي وقع على موكلي أحد هذين الاحتمالين، فهو إما لشبهة وإما لشهوة، والله الموفق، وأحسب أن اللبيب ليس في حاجة إلى أكثر من هذا -بل دونه- ليرى دعوى الدكتور هاوية خاوية!

ومن جهة أخرى فإن دعوى زميلي إنكار موكلي للميزان مثل المعتزلة وغيرهم باطلة وجائرة أيضا، وفيها ظلم لكثير من المعتزلة الذين يصدقون بالميزان، وإن أوله بعضهم بالعدل، جاء في "طبقات المعتزلة "[1]: "إن أكثر أهل العدل[2] يثبتون الموازين لا ينكرونها كما نطق به الكتاب، وإنما أنكرها بعضهم..."[3] وعليه فحرام التسلق عليهم وتشويه صورهم فيما أصابوا فيه الحق، بسبب ما خالفوا فيه الصواب، والمنصف من يكيل لنفسه بنفس المكيال الذي يكيل به لغيره، فإن في كل شيء وفاء وتطفيفا[4] لهذا فلا يجوز "للدكتور المدعي" إطلاق لسانه في الأعراض، لاسيما إن كان المضمون كذبا وإلا فهل يقال فيمن يتساءلون كيف يكون الوزن على ما ذكرتم من استحالة ذلك في الأعراض؟ ثم يكون جوابهم: "إن المكلف قد وكل الله به من يكتب حسناته وسيئاته، فلا يمنع من وزن الصحف التي فيها الحسنات والسيئات فإذا رجحت كفة الحسنات كان علامة كونه من أهل الجنة وإذا رجحت كفة السيئات كان علامة كونه من أهل النار"[5] فهل يجوز تسمية من يقول هذا ونحوه منكرا للميزان؟!

لا أيها "الدكتور المدعي"!

لكن لا يستغرب فيمن يهجم على من ينتسب إلى أهل السنة كسيد قطب وينسب إليه الآراء، أن يفعل مع غير أهل السنة ما هو مثله وأكثر!

---

[1] (ص: 204).

[2] المعتزلة.

[3] "طبقات المعتزلة " (ص: 204).

[4] أحسب أني حفظت نحو هذه العبارة عن ابن القيم في أحد كتبه، قد يكون حادي الأرواح أو غيره فليعلم ذلك !

[5] "طبقات المعتزلة" (ص: 204).

ثانيا: الدكتور الملقن.

لقد كشفت هذه "الأضواء" وما هي بأضواء، بلى هي أضواء على ما كان مستورا للدكتور من عيوب، رأينا العديد منها في ما سبق، وما زال الجديد والمزيد فيما يلحق -إن شاء الله- وقديما قالوا "الصمت حكمة" وأضاف الدكتور بعدا آخر لهذا المثل فأصبح "الصمت سترة"! ومن المسائل التي كانت مستورة فألقت عليها الأضواء الأضواء أن الدكتور ملقن! إن علماء الحديث يصفون من يتلاعب بالأحاديث إسنادا أو متنا، ثم يأتي إلى بعض الشيوخ ويوهمهم أنها من أحاديثهم، فتنطلي على المغفلين منهم، فيروونها مزيفة كما لقنوها، قلت من يفعل هذا بهؤلاء الشيوخ يعده علماء الحديث ملقنا ويجرحونه بفعله ولا يثقون به.

ومع الأسف الشديد فإن الدكتور يلقن في كتبه لكنه لا يلقن الأحياء بل الأموات! لأنه يقول سيد قطب ما لم يقل وينسب إليه ما لا يفهم من كلامه، فحقق بذلك نفس ما يحقق الملقن!

وإلا، فكل من يفهم كلام سيد قطب على طبيعته، وقبل أن يعبث به قلم الدكتور لا يجد فيه اتهام سيد قطب لأهل السنة، فهذه العبارة لم ترد منطوقة ولا مفهومة فواعجبا للدكتور كيف خيل إليه ما خيل! إن سيد قطب ينتقد من خاض في الموزون أهو الأعمال -وهي أعراض- أم الصحف أم ماذا؟! هذا الخوض سماه موكلي يا سادة دخولا بعقلية غير إسلامية، فحرف دكتور الادعاء هذا، ليجعل من موكلي خصما لأهل السنة، فماذا يسمى هذا؟!

إن التساؤل عن حقيقة الميزان وطبيعة الوزن يتضمن جانبين:

الأول: كيف يزن الله تعالى الأعمال؟

فهذا هو الذي قال فيه "كيفيات الله كلها خارجة عن الشبيه والمثيل" فحرف زميلي -وما كان ينبغي هذا- لإيهام القاضي -أقصد القارئ- أن سيد قطب يقول: إن الميزان من صفات الله عز وجل، ثم تعقبه قائلا: إن الميزان مخلوق توزن به صحائف الأعمال وكتبها، ولا يقولون إنه من صفات الله، وصدق من قال: رمتني

بدائها وانسلت! فليس موكلي من يقول إن الميزان من الصفات حتى يعترض عليه بمثل هذا، ولكن شبه "للدكتور المدعي" فليراجع أوراقه!

الثاني: كما أن موكلي لا يبحث عن حقيقة الميزان الذي لم يرد فيه من النصوص سوى أن له كفتين، فلا يراه سيد قطب كافيا لمعرفة حقيقة الميزان.

وإذا كان الدكتور خاض -وتورط- حين اعتمد على ما اخترعه الناس في ما يتعلق بوزن الحرارة والبرودة[1] وهي أعراض، فأي نص -عن المعصومﷺ- ورد فيه أن الأعراض هي التي توزن؟ "السلفية الربيعية" تختار ما تشاء، متى تشاء، كيف ما تشاء؟

*****

---

[1] ... يكفي أن تقول ميزان الحرارة فهو نفسه يقيس البرودة !

-نقد الفصل الثاني عشر-
"اعتقاد سيد قطب أن الروح أزلية منفصلة من ذات الله"

ختم الدكتور هذا الفصل بخلاصة اتهامه لسيد قطب، فقال:

"فيا عجبا لسيد قطب! يثبت أن الروح أزلي! مع إجماع أهل السنة على أنه مخلوق؛ استنادا إلى كتاب الله وسنة رسوله! ويقول عن القرآن: إنه مخلوق! مع أن القرآن والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة أنه كلام الله وصفة من صفاته المقدسة اللائقة بجلاله[1].

إن الذي يطالع هذه الخاتمة للفصل، ويقف على قول الدكتور إن سيدا "يثبت أن الروح أزلي" يتبادر إلى ذهنه -ولا شك- ويرتسم في تصوره صورة -غير حسنة- لسيد وهو يصول ويجول، ويقوم ويقعد، ويعلل وينتقد،حتى ينتهي إلى تقرير هذه الحقيقة؛ التي هو فيها مخالف لما دل عليه الكتاب والسنة، ومخالف لما عليه إجماع أهل السنة والجماعة.

وقبل أن نسوق أي تعليق بشأن هذه المسألة، نقدم للقاري النص الوحيد الذي أورده الدكتور لسيد قطب في هذا الفصل، ثم بعد ذلك ننظر في الدعوى أو الدعاوى التي قررها.

◆ **جاء في "الأضواء"**[2]

"قال سيد قطب":

لقد قال الله للملائكة: ﴿**إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**﴾[3]، وقد كان ما

---

[1] "الأضواء" (ص: 179).

[2] (ص: 177-178).

[3] (الحجر/ 28).

قاله الله فقوله تعالى إرادة، وتوجه الإرادة ينشئ الخلق المراد، ولا نملك أن نسأل كيف تلبست نفخة الله الأزلي الباقي بالصلصال المخلوق الفاني، فالجدل على هذا النحو عبث عقلي، بل عبث بالعقل ذاته، وخروج به عن الدائرة التي يملك فيها أسباب التصور والإدراك والحكم، وكل ما ثار من الجدل حول هذا الموضوع، وكل ما يثور، إن هو إلا جهل بطبيعة العقل البشري وخصائصه وحدوده، وإقحام له في غير ميدانه؛ ليقيس عمل الخالق إلى مدركات الإنسان، وهو سفه في إنفاق الطاقة العقلية، وخطأ في المنهج من الأساس، إنه يقول كيف يتلبس الخالد بالفاني وكيف يتلبس الأزلي بالحادث، ثم ينكر أو يثبت ويعلل! بينما العقل الإنساني ليس مدعوا أصلا للفصل في الموضوع؛ لأن الله يقول: إن هذا قد كان، ولا يقول: كيف كان(؟)[1] فالأمر إذن ثابت، ولا يملك العقل البشري أن ينفيه، وكذلك هو لا يملك أن يثبته بتفسير من عنده، غير التسليم بالنص، لأنه لا يملك وسائل الحكم، فهو حادث، والحادث لا يملك وسائل الحكم على الأزلي في ذاته، ولا على الأزلي في تلبسه بالحادث، وتسليم العقل ابتداء بهذه البديهية أو القضية، وهي أن الحادث لا يملك وسائل الحكم على الأزلي في أي صورة من صوره، يكفي ليكف العقل عن إنفاق طاقته سفها في غير مجاله المأمون".

كأني بالقارئ لا زال ينتظر ماذا سيقول سيد في شأن أزلية الروح، وينافح ويكافح لإثباتها رغم الصعوبات التي تعترضه، والأقوال التي تواجهه، والأدلة التي سيرفع رايتها، والأسس التي يقيم رأيه عليها، وغير ذلك، قبل أن نراه أثبت أن الروح أزلية ومنفصلة من ذات الله! لكن، ولو كان كلامي هذا مخيبا لما ينتظر القارئ، ويعذرني إن اتهمته بقلة الفهم، أو أحرجته حين أخبره أن كل تلك التهم التي ذكرت مرت في السطور التي تكون النص الذي سقناه آنفا، ففيه سر الدكتور، بل أسراره التي لم يسبق إلى اكتشافها، فهنيئا مريئا! لأجل هذا نعود لنطمئن القارئ

[1] سبق ونبهنا أن علامة الاستفهام من كيس الدكتور وهي تغير المعنى المراد من سيد! مما يؤكد أن الرجل قاصر عن فهم مراد الأديب الشهيد!!

على فهمه، لأن المعاني التي ينتظرها لا وجود لها في الحقيقة، كل مـا في الأمـر أن الدكتور ضغط -بمنهجه- على مجموعة أزرار في نص سيد قطب، فانكشفت لـه مجموعة أسرار!! فلخصها بقوله:

"في هذا النص أن كلام الله هو إرادته، وهذا تعطيل لصفة الكلام، تعالى الله عـن ذلك، وفيه اعتقاد سيد أن الروح أزلية غير مخلوقة، أي أنها جزء من الله، تعالى عـن هذا القول علوا كبيرا."[1]

ثم بعد هذا انطلق الدكتور طائرا بما كشف له نص سيد قطب مـن عيـوب، وحسب أن التهمة ثبتت، والحجة قامت، فلم يبق سوى معرفة أحكام أهل العلـم فيمن ضبط متلبسا بالتهمة التي ضبط الدكتور سيد قطب متلبسا بها، فقال:

"قال ابن القيم[2] رحمه الله ومحمد بن نصر المروزي[3]:

"تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح آدم ما تأولته النصـارى في روح عيسى وما تأوله قوم من أن الروح انفصل عن ذات الله، فصار في المؤمـن، فعبد صنف من النصارى عيسى ومريم جميعا؛ لأن عيسى عندهم روح من الله صـار في مريم، فهو غير مخلوق عندهم.

وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض: إن روح آدم مثل ذلك، إنه غـير مخلوق، وتأولوا قوله تعالى: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾[4] وقوله تعـالى: ﴿ثـم

---

[1] "الأضواء" (ص: 178).

[2] هو الإمام الجليل شيخ الإسلام الحافظ الأصولي الفقيه، صاحب التآليف الماتعة، شمـس الدين أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر، الزرعي الدمشقي المعروف بـ: ابن قيم الجوزية، ولـد سنة: (691 هـ) وتوفي سنة: (751 هـ)، انظر "البداية والنهاية" (14/ 270) لابن كثير.

[3] هو الإمام الحافظ الفقيه، أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي ، كان من أعلـم النـاس باختلاف الصحابة، والتابعين فمن بعدهم. ولد سنة (202 هـ) وتوفي سنة: (294 هـ) انظر "البداية والنهاية" (11/115) و"تهذيب التهذيب" (5/312) .

[4] (الحجر/ 29).

سواه ونفخ فيه من روحه﴾[1] فزعموا أن روح آدم ليس بمخلوق، كما تأول من قال: إن النور من الرب غير مخلوق. قالوا: ثم صاروا بعد آدم في الوصي بعده، ثم هو في كل نبي ووصي، إلى أن صار في علي ثم الحسن والحسين، ثم في كل وصي وإمام فيه، يعلم الإمام كل شيء، ولا يحتاج أن يتعلم من أحد.

ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح التي في آدم وبنيه وعيسى ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله، خلقها وأنشأها وكونها واخترعها، ثم أضافها إلى نفسه، كما أضاف إليه سائر خلقه، قال تعالى: ﴿**وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه**﴾.[2]

وحسب الدكتور أنه بهذا فرغ ونفض يديه من المهمة، وأنه حسم أمر التهمة، وعزز حكمه على صاحبها بأقوال الأئمة، وانتهى الأمر[3]!

هذا ما حسبه الدكتور، وأحسب أولا أننا بينا بما يكفي من الأدلة أن دعوى أن سيدا يقول بأزلية الروح خرافة من الخرافات، ننصح الدكتور أن يشارك بها في مسابقة من مسابقات الروايات والحكايات التي تقام هنا وهناك، وليجعلها ضمن روايات الخيال العلمي، عله يفوز بإحدى الجوائز، فمن يدري: فإن الجنون فنون كما يقال! ثم بعد ذلك نزيد هنا بعض ما لم يذكر في الفصل الأول، وليكن على سبيل الإيجاز ونبدأ من حيث انتهى الدكتور، فنقول:

---

[1] (السجدة/ 9).

[2] (الجاثية/ 13).

[3] أود أن أبث القارئ الكريم ما أجده من حقه علي وأنا أتوجه إليه بمرافعاتي هذه عن منهج أهل السنة، قبل أن أترافع عن زيد أو عمرو سيما إذا كان انتقل إلى ذمة الله! أود أن أبوح به للقارئ، و لم أفعل حتى الآن: أني أحيانا أتساءل وأنا أرى هذا الرجل يقرر اتهامات عينة من نصوص يوردها، هل حقا هو جاد في ذلك أم هو مازح؟ مع أني أعلم أن أعراض المسلمين ليست ميدانا للمزاح، لكني أجدني مدفوعا لذلك للسذاجة التي يتصرف بها الدكتور، فصدق أو لا تصدق !!

أولا: إن ظن الدكتور أنه عثر لسيد على القشة التي تقسم ظهر البعير، أذهلـــه وذهب بعقله حتى اختلطت عليه النصوص، فلا يدري من القائل، لذلك جـــاء في أضوائه كما مر: قال ابن القيم رحمه الله ومحمد بن نصر المـــروزي: "تـــأول... الخ الكلام ثم أحال على كتاب "الروح" (ص: 194-195)".! فهل اتفقا على نفـــس الكلام في المبنى والمعنى؟! كلا! وهل كلاهما له كتاب "الروح"، ثم كلاهمـــا أورد الكلام في نفس المكان؟! كل هذا ليزف إلى القارئ تلك البشـــرى عـــن ســـيد! فالبشرى بعثرت الذهن وأرعشت القلم، والصواب أن القائل هو المروزي -لا ابـــن القيم- وأن صاحب كتاب الروح هو ابن القيم -لا المروزي- رحمهما الله تعالى[1].

ثانيا: إنك أرسلت جملة اتهامات في سيد منها: أنه يقول عن القرآن إنه مخلـوق، وجئت بكلام محمد بن نصر لتحتج به، فهو كلامه -لا كلام ابن القيم فانتبه!- مع أنه جاء في "سير أعلام النبلاء" ما يلي: "قال الحافظ أبو عبـــد الله ابـــن منده[2] في مسألة الإيمان: صرح محمد بن نصر في كتاب "الإيمان" بأن الإيمـــان مخلـــوق، وأن الإقرار، والشهادة، وقراءة القرآن بلفظه مخلوق، ثم قال: وهجره على ذلك علمـــاء وقته، وخالفه أئمة خراسان والعراق".[3]

فلا أدري هل اطلع الدكتور على هذا، ولأجله لم يعز الكلام له، ودلس اسمه مع اسم ابن القيم؟!

كيفما كان الحال، فالاستشهاد على سيد قطب بمثله لا سيما وقد اتهمه بـــالقول بخلق القرآن غير مناسب تماما، وهذا طبعا لا يعني أننا نزري بهذا الإمـــام، حاشـــا، ويشهد الله أنه ليس لنا هذا المنهج، بلى نقول فيه ما قاله الإمام الذهبي وهو:

---

[1] نترحم عليهما جميعا لا على واحد منهما وفي سطر واحد كما فعلت يا دكتور!

[2] هو الحافظ الإمام الرحال أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده، واسم منده إبراهيـــم بـــن الوليد بن سنده بن بطة بن اسبندار العبدي مولاهم الأصبهاني، جد الحافظ الشهير أبي عبد الله محمد بن إسحاق، توفي سنة: (301 هـــ)، "تذكرة الحفاظ" (741/2) للحافظ الذهبي.

[3] "السير" (39/14).

ثالثا: "لو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفورا له قمنا عليه، وبدعناه،[1] وهجرناه، لما سلم معنا لا ابن نصر، ولا ابن منده، ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة"[2] ونقول بدورنا "نعوذ بالله من الهوى والفظاظة"

رابعا: ما علاقة "الزنادقة والروافض"[3] بسيد قطب، إن المروزي -رحمه الله تعالى- يحكي عن أقوام يعبدون عيسى "لأن عيسى عندهم روح من الله صار في مريم، فهو غير مخلوق عندهم" فهل علمت سيد قطب يعبد آدم -عليه السلام- ويعتقده غير مخلوق؟!

الجواب: لا طبعا، فما وجه القياس إذن؟! هذا من جهة، ثم إن الروافض الذين تحدث عنهم المروزي تأولوا ما جعلهم يعتقدون أن عليا وحسنا وحسينا وكل وصي يعلم كل شئ بموجب حلول الأنوار الإلهية وغير ذلك من الترهات، فما وجه الاستشهاد -فضلا عن الاستدلال- على سيد قطب بنحوه؟! سبحانك هذا بهتان عظيم!

خامسا: إن سيد قطب يعتبر خطأ في المنهج التساؤل عن "كيف يتلبس الخالد بالفاني وكيف يتلبس الأزلي بالحادث" فهنا واضح أن المقصود عنده بالخالد والأزلي هو الحق تبارك وتعالى، كما أنه واضح أن المقصود بالفاني والحادث آدم عليه السلام فأين تقرأ يا دكتور؟! إنك ضغطت على العبارات، بل خنقتها لتفهمك أن المراد بالأزلي هو الروح فعجبا لك؟

---

[1] كأنما تصف الدكتور ربيع بن هادي المدخلي يا ابن الذهبي!

[2] "السير" (40/14).

[3] قوم من الشيعة، سموا بذلك لأنهم تركوا زيد بن علي؛ قال الأصمعي: كانوا بايعوه ثم قالوا له: ابرأ من الشيخين نقاتل معك، فأبى وقال: كانا وزيري جدي فلا أبرأ منهما، فرفضوه وارفضوا عنه فسموا الروافض. "لسان العرب" مادة: رفض).

سادسا: وهو ما مللنا من إعادته لك مرات بل كرات أنك لو عثرت على خطأ لأحد من المسلمين، من أهل العدل والصدق، فلا تعقد المقارنة بينه وبين الفئات المنحرفة، فتقول أنه ساير أو جارى أو يقول قول الزنادقة[1] والمعتزلة[2] والخوارج[3]، الخ الورد الربيعي، ويحسن أن يطلق عليه "ورد شتم سيد قطب"، فأنت تذكره في سائر كتبك وتلهج به في كل محاضراتك، صباحا ومساء، ليلا ونهارا، مع أن ربك أمرك: ﴿أن سبحوا بكرة وعشيا﴾[4].

*****

[1] ج. زنديق، وهو الذي يؤمن بالزندقة، والزندقة: هي القول بأزلية العالم، وأطلق على الزرادشتية، والمانوية: (أصحاب الماني ابن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان شابور بن أزدشير)، وغيرهم من الثنوية (أصحاب الاثنين الأزليين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان)، وتوسع فيه فأطلق على كل شاك، أو ضال، أو ملحد، انظر "الملل والنحل" للشهرستاني (2/80-81)، و"المعجم الوسيط" (مادة: تزندق).

[2] قوم من القدرية يلقبون بالمعتزلة أتباع واصل بن عطاء رأس المعتزلة، زعموا أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم، يعنون أهل السنة والجماعة والخوارج الذين يستعرضون الناس قتلا، ومر قتادة بعمرو بن عبيد بن باب فقال: ما هذه المعتزلة؟ فسموا المعتزلة! انظر "لسان العرب" (مادة: عزل) و"الفرق بين الفرق" لعبد القاهر بن طاهر البغدادي: (ص: 15-16-17).

[3] هم قوم يكفرون مرتكب المعصية، ويطبقون عليه أحكام الكفار في الدنيا فلا يرث ولا يورث ولا يدفن في مقابر المسلمين وفي الآخرة الخلود في النار، وقد وافقتهم المعتزلة في الحكم على مرتكب الكبيرة بالخلود في النار تمشيا مع أصلهم الفاسد وهو إنفاد الوعيد. انظر "الإيمان" لابن منده (41/1). بتحقيق الفقيهي.

[4] (مريم/ 11).

-نقد الفصل الثالث عشر-
"موقف سيد من معجزات الرسولﷺ ودلائل النبوة"

ركب الدكتور مرة أخرى مركبا صعبا ليظفر بشيء يصلح -في نظره طبعـــا- لإدانة سيد قطب، والتفتيش عما يعود عليه بالعيوب، وهذا هو حرمان التوفيق كما قال ابن عبد البر -رحمه الله تعالى- فيمن لا يتبع سوى مثالب العلماء[1].

وهنا أيضا رأى الدكتور "ببركة منظاره" -لا بارك الله فيه- أن سيدا ساير فئـــة من "المغضوب عليهم"، وكم أنفق الدكتور من مسايرات لم يبخل و لم يقتر بـلى زاد حتى أسرف! فسيد قطب مساير للخوارج في التكفير -بل يتضاءل مذهبهم أمـــام مذهبه- ومساير للشيوعيين، بل هو من غلاهم ومســـاير للمعتزلـــة، ومســـاير للروافض، ومساير لأهل الوحدة والاتحاد، ومساير لأهل الجبر! لا إله إلا الله! مـــاذا بقي يا دكتور؟! أن تجعله مسايرا لإبليس! !

وكأين ترى من صامت لك معجب* * * زيادته أو نقصـــه في التكـــلـــم
لسان الفتى نصـــف ونصف فؤاده * * * فلم يبق إلا صورة اللحم والدم[2]

على كل حال، ما لنا بد من النظر في موضوع المعجزات، وما الخبر الذي يـــود الدكتور إطلاعنا عليه في هذا الشأن، فإنا قلنـــا وكررنا إنـــه -والحق يقال- يـــرى ما لا نرى!

---

[1] ولفظه كما في "انتقائه" (ص: 18) بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبـــو غـــدة -رحمـــه الله تعالى-: "ومن لم يحفظ من أخبارهم إلى ما بدر من بعضهم في بعض، على الحسد والهفـــوات والغضب والشهوات دون أن يعني بفضائلهم: حرم التوفيق، ودخل في الغيبـــة وحـــاد عـــن الطريق".

[2] ذكره ابن الجوزي في "أخبار الحمقى" (ص: 118) عن بعض من كان الصمت ســـاترا لعيوبه فما أن نطق حتى افتضح !.

لقد مهد الدكتور لهذا الفصل بكلمات عن معجزات الرسل، ومكانتها، واهتمام أهل العلم بها، وتساءل عن موقف سيد منها، فأجاب:

"إنه يقلل من شأن المعجزات، ويرى أن معجزة الرسولﷺ الوحيدة هي القرآن فقط"[1].

فها هنا اتهامان: أحدهما أن سيدا يقلل من شأن المعجزات، وثانيهما أن معجزة الرسول ﷺ الوحيدة هي القرآن. وهذان الاتهامان ما الدليل عليهما -في نظر الدكتور-؟! دليله ما جاء في النص الثاني لسيد قطب: "إن الإسلام لم يشأ أن تكون وسيلته إلى حمل الناس على اعتناقه هي القهر والإكراه، في أي صورة من الصور، حتى القهر العقلي عن طريق المعجزة،[2] لم يكن وسيلة من وسائل الإسلام، كما كان في الديانات قبله، من نحو الآيات التسع لموسى، والكلام في المهد، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص لعيسى...لقد شاء الإسلام أن يخاطب القوى المدركة في الإنسان، ويعتمد عليها في الإقناع بالشريعة والعقيدة، وذلك جريا على نظرته الكلية في احترام هذا الإنسان وتكريمه"[3]

فاستل الدكتور ربيع من هذا النص دينك الاتهامين، وعززهما بقوله إن "المعجزات التي يجريها الله على أيدي رسله ليس فيها قهر ولا إكراه، وليس فيها ما ينافي نظرية الإسلام الكلية في احترام الإنسان".[4] ونود أن نقف وقفة مع الدكتور، نجلي فيها بعض غلطاته أو بعض مغالطاته. فنقول:

ما قال سيد قطب إن المعجزات فيها قهر أو إكراه.

ومرة أخرى نقف أمام الكيفية التي يقرأ بها الدكتور كلام سيد حتى يفهم منه تلك الأشياء التي لا علاقة لسيد بها، كما لو أنك نسبت إليه -خطأ- كلام

---

[1] "الأضواء" (ص: 181).

[2] والمراد طبعا المعجزة الحسية والظاهرة نحو الخوارق التي أشار إليها -رحمه الله تعالى-.

[3] "الأضواء" (ص: 181-182).

[4] "نفسه".

شخص آخر، بمعنى آخر إلا أن الفرق أن الدكتور يأتي بنفس النص ولكن بمعنى مغاير، والنتيجة واحدة طبعا هي تحميله ما لا يخطر له على بال!

فهنا مثلا فإن سيدا قال: "إن الإسلام لم يشأ أن تكون وسيلته إلى حمل الناس على اعتناقه هي القهر والإكراه..." وهو معنى مقرر في قوله تعالى: ﴿**لا إكراه في الدين**﴾[1] لكن سيد قطب لاحظ أن الشريعة الخاتمة زادت هذا المعنى بعدا حين لم تكن الوسيلة التي تدل على صدقها، والبراهين التي تبين صحتها، وأنها إلهية المصدر، من نوع الوسائل التي عرفتها الشرائع السابقة وذلك من خلال خوارق تهجم على العقل كإحياء الموتى مثلا فلا يشك عاقل أن الذي يصدق بناء على هذه المشاهدة الخارقة التي يجريها الحق تبارك وتعالى على يد أنبيائه لم يبذل عقله من التأمل والتدبر ما يبذله من صدق برسالة الإسلام بناء على تأمله وتدبره للقرآن لأن نصيب العقل في تأمل القرآن نصيب كامل لا يشاركه شيء من الحواس الأخرى كالذي يبصر البحر قد انشق أمامه شطرين. ولهذا شاء الإسلام في صورته الكاملة "أن يخاطب القوى المدركة في الإنسان، ويعتمد عليها في الإقناع".

من هنا انطلق سيد قطب ليشير إلى أن الإكراه حتى في الجزء المعنوي في الإنسان. الذي يمثل العقل قطبه الرئيس، وعضوه الأساس، فلم يعد يجبر على التصديق بما يشاهده غيره من الأعضاء لكنه بات المعني الأول والأخير في الخطاب الإسلامي.

ثم إن هذا التمييز الواضح الذي قاله سيد قطب -رحمه الله تعالى- إنما هو مستوحى من حديث النبيﷺ الذي قال فيه: **«ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»**.[2] وكان على الدكتور أن يشير إلى

---

[1] (البقرة/156).

[2] رواه البخاري (4981) : فضائل القرآن (1) باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل، و(7274) في: الاعتصام بالكتاب والسنة، (1) باب: قول النبيﷺ: **((بعثت بجوامع الكلم))**=

هذا الحديث الشريف الذي هو الأصل الذي انطلق منه سيد قطب لينوه بمعجزة القرآن التي تميزت عن غيرها بأنها ليست مما يقهر العقل ويغلبه، بل كلمات تسوي حججها وإعجازها في عروق الفطرة، وتنادي القوى المدركة فيها أن هذا الكتاب ليس من صنع إنسان أو أساطير يتلوها جن أو شيطان!

أما فيما سبق فكان التصديق يتحقق -لمن وفقه الله للإيمان- من خلال الآيات التي لا يستطيع العقل دفعها، حتى ولو عاند وجحد. فهي آيات تقهره وتغلبه، هذا هو الذي قاله سيد قطب، وليس وحده! فها هو الحافظ يفسر قوله عليه الصلاة والسلام "ما مثله آمن عليه البشر" بأن عليه "بمعنى اللام أو الباء الموحدة"[1] وقلل إن "النكتة بالتعبير بها تضمنها معنى الغلبة، أي يؤمن بذلك مغلوبا عليه، بحيث لا يستطيع دفعه عن نفسه[2] وبدهي أن قول الحافظ "لا يستطيع دفعه عن نفسه"، المراد "عن عقله" فهو المعنى بالتكليف، والمغلوب والمقهور شيء واحد، فهو قريب، وقول الحافظ هذا الذي وصف به آيات ومعجزات الأنبياء أنها تغلب أو تقهر النفوس، لا يقتضي بأي حال من الأحوال أنه يغض أو يحتقر تلك الآيات أو يقلل من شأنها، بل هو ما زاد -وسيد قطب مثله- على أن شرح مضمون الحديث، فهل رسول اللهﷺ يقلل من معجزات إخوانه من الأنبياء بمدحه معجزته بأبي هو وأمي؟! حاشاه! وتبا لرأي يكون هذا الاستنتاج من لوازمه!! إن مدح شيء من الأشياء لا يعني ذم غيره، فأنت إذا قلت إن النبيﷺ سيد الأنبياء، لا يحمل الكلام مفهوما هنا، فلا ينبغي أن نستنبط منه سوى ما ذكر، أما أن نقول بأن هذا يقتضي الغض من سائر الأنبياء، فكلا!

=ومسلم (239) في: الإيمان (70) باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمدﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بمثله ، بشرح النووي.

[1] "الفتح" (6/9).

[2] "نفسه".

وكذلك إذا نوه سيد قطب بالمعنى الذي تميزت -بل وامتازت- به معجزة القرآن من تشريف للعقل وعدم غلبته وقهره -على النحو الذي تقدم- فليس ذلك تحقيرا أو تقليلا من سائر المعجزات يا دكتور! وقبل مغادرة هذه المسألة، أعرض على القارئ ما ختم به الحافظ كلامه على هذا الحديث حيث قال: "وقيل المراد إن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه، وهذا أقوى المحتملات وتكميله في الذي بعده" أي أن الحافظ اعتبر ما سيأتي من معنى مكمل لأقوى المعاني التي يحتملها الحديث وهو أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح، وعصا موسى، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من تبعه لأجلها أكثر، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض المشاهد، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا.

قلت: -ابن حجر-: "ويمكن نظم الأقوال كلها في كلام واحد؛ فإن محصلها لا ينافي بعضها بعضا."[1] وبهذا يتبين أن هذا المرء مطبوب بسوء الفهم، ونقف عند هذا الحد! والله المستعان.

◆ **المعجزات تناسب الأوقات:**

ثم إن الحكم على المعجزات يجب أن يؤخذ فيه الزمان الذي جاءت فيه بعين الاعتبار فمن حكمة الله تعالى أن أرسل لكل قوم المعجزة التي تناسب المقام، وإذا عرفت هذا، علمت السطحية التي ينطلق منها الدكتور، إزاء العمق الذي يغوص فيه سيد قطب، وهو ما يجعل نظرات الدكتور مضببة، وتتسم بالغبش، فيحسب كل الناس سيفهمون كلام سيد قطب على ذلك النحو الساذج، وكثيرا ما يؤتى الدكتور من هذا الوجه.

---

[1] "الفتح" (7/9).

وللمزيد من التوضيح ليعلم الدكتور أن الحكم على شيء في تاريخ أو زمان معين -ولو كان من عند الله- لا يحمد على وجه، ولا يرسو على قول، بل قد يحمد في زمان ويذم في زمان، كما هو شأن التشريع، فالزواج بأختين معا مرفوض في شرعنا، فإذا قام أهل العلم وسخفوا الملل التي تبيح مثل هذا التشريع لا يعتبر ذلك طعنا أو ازدراء للتشريع الإلهي الذي كان يقره! كلا، فتحريمه مناسب في شرعنا وإباحته مناسبة في شرع من قبلنا.

وكذلك القول في المعجزات فإن معجزات الأنبياء ليست مناسبة لعصر الإسلام في نصه الأخير كما هو الأمر بالنسبة للقرآن، وهذا الحكم لا يتنقص المعجزات في مكانها وزمانها بل هي الحكمة بعينها لأن الحسن والقبح إنما هما تبع للشرع لا للعقل، وإن كان العقل السليم يستحسن كل تشريع صحيح، ويستبشع كل تحريم صريح!

ولذلك قرر العلماء أن "معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه.."[1] فلا يقال إنهم ينتقصون أو يقللون من قدر المعجزات، ولكنه الفهم السليم والمنهج المستقيم والحمد لله.

هذا كان عن الاتهام الأول، وهو اتهام أملاه ما يدور في رأس الدكتور من أوهام، وإنا لنشعر أنه بإمكاننا في عدد من الفصول أن نأتي باتهامات الدكتور ونردفها بأقوال سيد قطب التي نقلها الدكتور نفسه، ونحن على يقين أنها كافية في تحطيم تلك الاتهامات "الربيعية"، وتفنيدها، وإنما نمثل أحيانا للحضيض المنهجي الذي يتخبط فيه الدكتور، وهيهات أن يقاس منهجه بمنهج السلف وأهل السنة فذلك سماء وأي سماء! وهذا عماء وأي عماء!!

ولنأت الآن إلى الاتهام الثاني في هذا الفصل وهو أن سيد قطب يرى أن "معجزة الرسولﷺ هي القرآن فقط".

[1] "الفتح" (6/9) .

◆ **القرآن الآية العظمى والمعجزة الخالدة.**

لابد قبل كل شيء أن نذكر أن سيد قطب يعتقد القرآن معجزة الإسلام العظمى، وهذا ما لا يخالف فيه الدكتور، ولا غيره والحمد لله، وهذا القاضي عياض[1] -رحمه الله تعالى- بعدما أشار إلى كثرة المعجزات النبوية قال أن: "واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر..."[2].

هذا أولا، ثانيا: إن سيد قطب -رحمه الله تعالى- يقر ويعترف ويؤمن بما جرى على يد رسول الله ﷺ من آيات باهرات ولا ينكرها، لكن هو لا يرى أنها معجزة، وهذا محل النزاع، فمثلا قصة الإسراء هي خارقة باتفاق، بل اعتبرها سيد قطب خارقة حتى ولو كانت رؤيا خلافا للدكتور كما سيأتي -إن شاء الله تعالى- ولكنه لا يسميها معجزة، فهل الخطب إذن يستدعي أن نقيم الدنيا عليه ونقعدها، ونقول إنه لا يريد أن يسمي معجزات النبيﷺ معجزات؟!

واستظهر الدكتور -وهذا عجيب!- بكلام القاضي عياض -رحمه الله تعالى- الذي يسمي تلك الآيات التي أجراها الله تعالى على يد نبيهﷺ معجزات، والأمر كما علمت إنما يتعلق بقضية اصطلاح، والحديث الذي ورد آنفا يؤيد سيد قطب، لأن الحديث ورد فيه ذكر القرآن مقابل معجزات الأنبياء، و لم يذكر النبيﷺ غير

---

[1] هو الإمام الكبير في الحديث وعلومه، العالم بالتفسير وجميع علومه، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي، سبتي الدار والميلاد ، أندلسي الأصل، الفقيه الأصولي العالم بالنحو واللغة ، له مؤلفات كثيرة منها كتاب: "التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة"، وكتاب: "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"، وكتاب: "الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع"، وغيرها كثير. ولد سنة: (476 هـ) وتوفي سنة: (544 هـ) بمراكش ، أنظر و"فيات الأعيان" (483/3) و"الديباج" (ص: 168) و"شجرة النور الزكية" (ص: 140).

[2] "الشفا" (253/1) نقلا عن "الأضواء" (ص: 182) .

القرآن، بل واستعمل في ذلك كلمة "إنما" التي تفيد الحصر، فأين اتباع الكتاب والسنة يا دكتور؟!.

على كل حال لا مشاحة في الاصطلاح، لكن الأمر الغريب وهو استشهادك برجل يؤول الصفات، وأنت وصفت سيد قطب -وهو الذي صرح بأنه استقر على عدم التأويل- بأنه "يعطل الصفات كما هو شأن الجهمية" ثم ذكرت أقوال السلف في المعطلة ومن ذلك قول البخاري -رحمه الله تعالى-: "نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس، فما رأيت أضل في كفرهم منهم، وإني لأستجهل من لا يكفرهم، إلا من لا يعرف كفرهم"[1].

فإذا كان هذا اعتقادك فكيف تستشهد بمن يتضاءل كفر اليهود والنصارى والمجوس أمامهم، وإن كان كلام البخاري لا يشمل القرطبي، لا يشمل سيد قطب أيضا وإن كنت غير موافق على ظاهر كلام البخاري فلم أوردته؟!

إنك ذكرتنا بقولة أحد الساسة الماكرين، الذي استعد أن يتحالف مع الشيطان لقضاء وطره فواعجبا[2] !

إن المسألة كما عرفت لا تتجاوز مشكلة اصطلاح، غاية ما يمكن أن يقال إن سيد قطب ترك الاصطلاح الأكثر والأشهر، ولا نوهم القارئ أنه رفض الإيمان بما جرى على يد المصطفىﷺ أو أنكرها!

هذا ومن الأمثلة التي مثل بها الدكتور، قصة الإسراء والمعراج فلنقف معه في مثاله لننظر ما أعد لنا هذه المرة، لقد جاء في "الأضواء": ما يلي:

"ذكر -سيد قطب- في تفسير قول الله تعالى: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا**﴾[3] الاختلاف في الإسراء

---

[1] "الأضواء" (ص: 171).

[2] وهو وزير الخارجية الأنجليزي "تشرتشيل"! فهل ترضى يا دكتور أن تكون تشرتشيل في الإسلام تتحالف مع المعطلة للإيقاع بسيد قطب ؟!

[3] (الإسراء/1).

أكان يقظة أو مناما؟ ثم ذكر عن عائشة[1] أنها قالت: "إن العروج كان بروحه".
أقول: وهذا لم يثبت عنها، لأن ابن إسحاق روى هذا عن بعض آل أبي بكر عنها، وهذا البعض مجهول، وذكر عن الحسن: "كان في المنام رؤيا رآها" أقول: وهذا لم يثبت عن الحسن، بل روى ابن إسحاق عنه ما يدل على أنه كان في اليقظة.

ثم قال:

"على أننا لا نرى محلا لذلك الجدال الطويل الذي ثار قديما ويثور حديثا حول طبيعة هذه الواقعة المؤكدة في حياة رسول اللهﷺ، والمسافة بين الإسراء والمعراج بالروح أو بالجسم وبين أن تكون رؤية في المنام أو رؤية في اليقظة... المسافة بين هذه الحالات كلها ليست بعيدة، ولا تغير من طبيعة هذه الواقعة شيئا، وكونها كشفا وتجلية للرسولﷺ عن أمكنة بعيدة وعوالم بعيدة في لحظة خاطفة قصيرة... والذين يدركون شيئا من طبيعة القدرة الإلهية ومن طبيعة النبوة، لا يستغربون في الواقعة شيئا، فأمام القدرة الإلهية تتساوى جميع الأعمال التي تبدو في نظر الإنسان وبالقياس إلى قدرته وإلى تصوره متفاوتة السهولة والصعوبة حسب ما اعتاده الناس وما رآه، والمعتاد المرئي في عالم البشر ليس هو الحكم في تقدير الأمور بالقياس إلى قدرة الله، أما طبيعة النبوة؛ فهي اتصال بالملأ الأعلى، على غير قياس أو عادة لبقية البشر، وهذه التجلية لمكان بعيد أو عالم بعيد، والوصول إليه بوسيلة معلومة أو مجهولة، ليست أغرب من الاتصال بالملأ الأعلى والتلقي عنه، وقد صدق أبو بكر رضي الله عنه وهو يرد المسألة المستغربة المستهولة عند القوم إلى بساطتها وطبيعتها، فيقول: إني لأصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء"[2].

---

[1] هي الصحابية الجليلة الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين زوج النبي ﷺ، عائشة بنت أبي بكر الصديق -رضي الله تعالى عنهما- وأمها أم رومان بنت عامر الكنانية، ولدت بعد المبعث بأربع سنين، أو خمس، وتوفيت سنة: (58 وقيل: 57 هـ)، انظر "الإصابة" (139/8) للحافظ ابن حجر.

[2] "الأضواء" : (ص: 183-184).

إن هذا النص الذي اقتطعه الدكتور، ثم انطلق منه للنيل من سيد قطب ليحقق ما حتم الله تبارك وتعالى عليه من بيان الحق! بعدما عرفه كي لا يكون غاشا للمسلمين، أقول: هذا النص لو قرأه أي إنسان سليم الفهم، سليم الرؤيا -حيث لا يحتاج إلى منظار من نوع معين!- سليم الصدر نحو سيد قطب وحسن الظن فيه؛ لما ألفى فيه ما يعاب، بل لأخذه ذلك الوصيف الجميل والرسم الدقيق، والفقه العميق الذي علق به سيد قطب على قصة "الإسراء والمعراج". هذا الذي ينتظر من القارئ أن يراه في كلام سيد قطب، الذي اقتطعه الدكتور على قدر، ليفصله على عيوب رآها هو، ويكسو سيد قطب منه ثوبا يزري به ويعيبه أن يرى فيه! لماذا؟ لأن الدكتور يود نصيحة المسلمين، وتحذيرهم من "الشيطان الرجيم"[1]!! وبدافع من هذه النصيحة قال الدكتور:

"إن معالجة الخلاف في هذه القضية الكبيرة بهذا الأسلوب يعتبر تهربا عن بيان الحقيقة.. إن الفروق كبيرة جدا بين الرؤية في النوم، وبين أن يسرى برسول اللهﷺ بروحه وجسده إلى السماوات العلا، إلى رب السماوات والأرض، وتكليم الله إياه، ومشاهدة الآيات الكبرى بعينه في اليقظة في السماوات كلها وعند سدرة المنتهى.

إن هذه التسوية والتقصير في البحث وترجيح ما دلت عليه الأحاديث المتواترة من الإسراء والعروج برسول اللهﷺ بروحه وجسمه إلى ربه في اليقظة ناشئ عن تصور سيد قطب لعدم الجدوى لهذه المعجزة العظيمة، بل لجميع المعجزات...

وإن هذا لتفريط كبير، وتهاون جسيم، عافانا الله منه".[2] ا هـ كلام الدكتور. ونحن نضم صوتنا إلى صوته ونقول مثله: "عافانا الله"! إذن ها هنا قراءتان.

الأولى: التي يقرؤها القارئ العادي.

---

[1] معتزلي+ خارجي+ رافضي+ شيوعي + اتحادي قائل بالوحدة + مشرع مع الله + حلولي + جبري + ... كفى، فمجموع هذا يساوي: شيطان رجيم!.

[2] "الأضواء" (ص: 184).

والثانية: قراءة الدكتور هذه ولا وجه للمقارنة بين الأولى والثانية بل يجزم المقارن بينهما أنهما نصان وليس واحدا وأنهما لشخصين لا لواحد وينوه ويشاد بصاحب النص الأول ويغضب ويسخط من صاحب النص الثاني! لكن النصيب الأكبر من العجب -والحق يقال- يستحقه الدكتور على قدرته على جعل هذين النصين لشخص واحد! وكيف لا تعجب ممن ساوى بين الإعجاب والتقدير وبين السخط والتحقير!؟

إذا كنت حريصا على معرفة الكيفية التي تحول بها النص من شطر المعادلة الأولى إلى شطرها الثاني فلتعلم أن الدكتور أجرى عمليات ثلاث على النص وهي: خيانة في النقل وخيانة في الفهم وخيانة في الحكم!

أولا: خيانة في النقل:

وتتجلى في القص والبتر الذي تعرض له النص الأصلي لسيد قطب -رحمه الله تعالى- فقد قصه الدكتور من أطرافه، وبتره من مفاصله ليبدو النص متفككا، ويظهر بالصورة المشوهة التي رسمها له الدكتور، وهكذا فلتكن الشجاعة العلمية والأمانة في النقل.

إن الدكتور حين نقل ما ذكر في "الظلال" في اختلاف حول (الإسراء والمعراج) هل كان رؤيا أو حقيقة بالجسد والروح نقل مباشرة كلام سيد قطب (على أننا لا نرى محلا لذلك الجدال) ليوهم القارئ أن سيدا لم يختر قولا، ولم يرجح في المسألة رأيا مع أن سيد قطب رجح أن الإسراء والمعراج كان بالجسد والروح، حيث قال مباشرة بعد ذكر الخلاف الذي ألمح إليه الدكتور:

"والراجح من مجموع الروايات أن رسول اللهﷺ ترك فراشه في بيت أم هانئ[1] إلى المسجد، فلما كان في الحجر عند البيت، وأن فراشه عليه الصلاة والسلام لم يبرد حتى عاد إليه"[2].

إلا أن سيدا مع ترجيحه واختياره لم ير جدوى من إطالة الكلام وإكثار الخصام حول المسألة، لأنها لا تنقص من قدر الخارقة في حد ذاتها، كما سيأتي -إن شاء الله تعالى- لهذا قال: "على أننا لا نرى محلا لذلك الجدال.. الخ كلامه".

هكذا هو النص في الأصل، ذكر للخلاف ثم، ترجيح واختيار لسيد قطب.[3] ثم بيان عدم جدوى الجدال حول مسألة لا تنقص في قدر الخارقة.

لكن النص بعد إخراج الدكتور له: فيه ذكر للخلاف، بعده قال الدكتور ثم قال: وذكر النص الأخير فعجبا لك يا دكتور، أهذه هي الشجاعة أم الجبن الذي يسكنك، فلا تقوى على مواجهة كلام سيد الذي يبدو لك متماسكا في قيمة التركيب واللسان، وساميا في التصوير والبيان فتأتي إليه حبوا تتسلق إليه وتبعثره "بمنهجك السلفي" وتلطخه بقلم "أهل سنتك وجماعتك"، وتختال ولا تواجه، شأن الجبناء؛ الذين يختالون في المعارك ولا يقاتلون خوفا من مواجهة الأبطال الأقوياء!! ثم أخيرا تتجبر وتتبختر؟!

لا بل إن سيادة الدكتور اتهم سيدا بالهروب من "بيان الحقيقة" وصدق من قال: رمتني بدائها وانسلت!

فمن الهارب الحقيقي من المواجهة أنت أم سيد قطب الذي رجح بوضوح؟!

---

[1] هي الصحابية الجليلة أم المؤمنين أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية بنت عم النبيﷺ، قيل اسمها فاختة، وقيل فاطمة وقيل هند، والأول أشهر، قال الترمذي وغيره عاشت بعد علي، انظر "الإصابة" (287/8) للحافظ ابن حجر.

[2] "الظلال" (2210/4) وهي نفس الصفحة التي نقلت منها ما جاء بعد من كلام.

[3] وقد اختار مذهب أكثر العلماء كما في تفسير ابن كثير -رحمه الله تعالى-.

إنك لو أثبتت كلام سيد يا دكتور لسقط كل حرف من كلامك، وبطل كل ما جاء في اهامك!

ثانيا: خيانة في المفهوم.

وهي مبنية على الخيانة في النقل وامتداد لها ومع ذلك فإن ثمة خيانة حتى في فهم النص المتبقى، لما صرفه الدكتور عن المعنى الحقيقي الذي يرمي إليه سيد، فقول الدكتور "إن الفروق كبيرة جدا بين الرؤية في النوم وبين أن يسرى برسول اللهﷺ بروحه وجسده إلى السماوات العلى[1] ..الخ كلامه" يشي للقارئ أن سيدا يسوي بين "الإسراء والمعراج" بالروح والجسد، وبين الرؤية كقصة، بينما هو يسوي بينهما كعبرة. ولا فرق في نظره -بل وفي نظر أهل السنة- في ذلك من حيث القدرة الإلهية، لأنه كما قال "فأمام القدرة الإلهية تتساوى جميع الأعمال التي تبدو في نظر الإنسان وبالقياس إلى قدرته وإلى تصوره متفاوتة السهولة والصعوبة...الخ كلامه، فالتساوي الذي يرمي إليه سيد قطب غير التساوي الذي فصله الدكتور على قد التهمة التي خطط لها. وهذا النوع من الخيانة عريق ولصيق -مع الأسف- بالدكتور، كما تكرر معنا في هذا البحث. ولا زال منه الشيء الكثير مما سنذكره -إن شاء الله تعالى- ومما لم نذكره أكثر!

هذا عن التساوي الذي ذهب به الدكتور المذهب الذي يريد، وبعد به عما أراده منه صاحبه، ومثلها قول الدكتور "إن هذه التسوية بين هذه الأمور المتفاوتة[2] والتي منها التجلية والكشف التي يدعيها ضلال الصوفية لأمر عجيب" فهو أيضا من

---

[1] لا يكون الإسراء إلى السماوات العلى، إنما هو المعراج أم أنك لا تسمه كذلك فنتهمه بالتقليل من شأن المعراج؟!

[2] متفاوتة بالنسبة لمن؟ لله ؟ تعالى الله عن ذلك فالكل رهن قوله عز وجل "كن فيكون" وهذا مراد سيد قطب الصريح، أم متفاوتة بالنسبة لغير الله؟ إن أردت هذا فابحث عمن يقوله، فسيد ليس هو!

الغش والخيانة والتلاعب بمعاني النصوص، ويتبين ذلك من خلال النظر في السياق الذي ورد فيه كل من الكشف والتجلي، لقد جاء ذلك عندما عرض سيد رأي من قال إن الإسراء والمعراج كان رؤية، فبين أنها حتى لو كانت كذلك[1]، فلا "تغير من طبيعة هذه الواقعة شيئا وكونها كشفا وتجلية للرسولﷺ عن أمكنة بعيدة وعوالم بعيدة في لحظة خاطفة..."

فأنت ترى أن المعنى الوارد للكشف والتجلي يتعلق بالإسراء والمعراج، لا بخرافة من خرافات الصوفية، بله ضلال الصوفية! فمن اعتقد أن ذلك كان بالروح والجسد وصفه بأنه رؤيا عين، ومن اعتقد أن ذلك كان رؤية في اليقظة فهذا "كشف وتجلية". ولا علاقة لهذا بكشف ضلال الصوفية الذين يدعون ما لا يجوز كتحليل الحرام وتحريم الحلال وما شابه. فهل كلام سيد من هذا يا أولي الألباب؟!

ثالثا: خيانة في الحكم.

طبيعي جدا أن يكون الحكم الذي بناه الدكتور على خيانتين خيانة أخرى، فالمبني على الحرام حرام، والقائم على الباطل باطل.

وهكذا خرج الدكتور النص تخريجا مناقضا لطبيعته، ويأتي بالتالي الحكم عليه بخلاف حقيقته.

مع الأسف تحول الدكتور إلى محترف في التزوير، فماذا يقول للعلي الخبير؟!

◆ **عبرة: براءة سيد قطب بقلم الدكتور.**

رأينا في هذا المثال كيف بتر النصوص التي لا تساعده في الإيقاع بسيد، لاسيما ذلك النص الذي صرح فيه بما يراه راجحا في هذا الموضوع، كما بتر الدكتور نصوصا أخرى نحو قول سيد إن "هذا الإسراء آية من آيات الله، وهو نقلة عجيبة بالقياس إلى مألوف البشر" وقوله "والإسراء آية صاحبتها آيات" وغير ذلك ليتسنى له شفاء غليله والنيل من سيد وتحقيق مراده وتصويره بأنه لا يرى جدوى" لهذه

---

[1] مع أنك عرفت أنه رجح خلاف ذلك.

المعجزة العظيمة بل لجميع المعجزات..."[1] كما رأينا كيف حرف الباقي منها -النصوص- إما عن قصد أو عن غير قصد فلا نحكم على النيات ولكن على الكلمات!

لقد تعب الدكتور حقا ليوقع بسيد لكن جاء في الأخير فبرأه من حيث لا يدري، فواعجبا! قال الدكتور آخر النقد: "إن هذه التسوية[2] والتقصير في البحث[3] وترجيح ما دلت عليه الأحاديث المتواترة من الإسراء والعروج برسول اللهﷺ بروحه وجسمه إلى ربه في اليقظة ناشئ عن تصور سيد قطب لعدم الجدوى لهذه المعجزات العظيمة، بل لجميع المعجزات..."[4]

فأنت ترى قلم الدكتور، -وقلمه فقط- يتهم سيد قطب بترجيح الروايات المتواترة التي دلت على أن الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد، فما العيب إذن يا دكتور؟! بل أنت لا تريد هذا، أنت تريد أن تقول: إن هذه التسوية والتقصير في البحث وعدم ترجيح ما دلت...الخ فهل يكون لك في هذا عبرة؟!

وعبرة أخرى، ومرة ثانية سببها كلمة "عدم"، وذلك لما أردت تعليل الاتهام الذي نسبته لسيد وقلت إنه "ناشئ عن تصور سيد قطب لعدم الجدوى لهذه المعجزة.." والصواب أن تقول:" ناشئ عن تصور سيد قطب لجدوى هذه المعجزة" "فعدم" زائدة هنا، أمام جدوى[5] وناقصة هناك فخذها من هنا إلى هناك! خذ "عدم" من "جدوى" إلى "ترجيح".

وقبل ذلك اسمع هذه القصة يا دكتور، أنقلها لك من كتاب الحمقى والمغفلين الذي صاحبنا طيلة هذا البحث

---

[1] "الأضواء" (ص:184) وتأمل قوله "بل لجميع المعجزات" واحكم!

[2] التي في خيال الدكتور.

[3] أما سيد قطب فقد رجح، وأما أنت فإنك أعلم بنفسك.

[4] "الأضواء" (ص: 184).

[5] أو تقول عن عدم تصور سيد لجدوى "ففي كلتا الحالتين "عدم" ليست في محلها.

قال ابن الجوزي -رحمه الله تعالى- في "المغفلين من الأئمة"[1]:

"وعن المدائني قال: قرأ إمام ولا الظالين بالظاء المعجمة، فرفسه رجل من خلفه فقال الإمام: آه ضهري، فقال له رجل: يا كذا وكذا خذ الضاء من ضهرك اجعلها في الظالين وأنت في عافية".

فننصحك يا دكتور أن تأخذ "عدم" من "جدوى" إلى "ترجيح" لتنال طلبتك وتحقق إرادتك!

على كل حال، هذا المثال الذي مثل به الدكتور لينال من سيد قطب لم يزد على أن نال من نفسه وفضحها، وكانت في ستر فكشفها، ولله في خلقه شؤون.

ثم بعد هذا، انتقل الدكتور إلى نصوص أخرى لسيد نعترف للدكتور أن نفسنا فيها لا يجاري نفسه، والرجل كلما علق على شيء زاد في الافتضاح ومتى أراد القيام طاح وحسبنا ما لخصنا به المؤاخذات التي توهمها، وتبين أنها سراب وأوهام، ونكتفي هذه المرة بما ذكرنا، ولا نحسب القارئ في حاجة للمزيد[2]، والله المستعان.

*****

---

[1] "أخبار الحمقى والمغفلين" (ص:87).

[2] ولعلنا في مناسبات أخرى نضيف ما تمليه الظروف -إن شاء الله تعالى-.

-نقد الفصل الرابع عشر-
"سيد لا يقبل أخبار الآحاد الصحيحة في العقيدة، بل لا يقبل الأحاديث المتواترة"

لو أردنا أن نلخص ملاحظاتنا في هذا الفصل، لجعلناها في ثـــلاث كلمـــات: صواب، وتعسف، وافتراء. أي أننا نؤيد الدكتور في بعض ما انتقد فيه سيدا في هذا الموضوع -موضوع الآحاد- ونعتقد أنه أصاب في تخطئة سيدا! ولكننا في الوقـــت نفسه نراه تعسف في النقد، وعنف في الحكم، وسدد إلى سيد قطب عبـــارات لا يحتملها ما وقع فيه من خطإ، هذا عن موضوع الآحاد، أما عن التواتر فإننا نجـزم أن الدكتور مفتر على سيد قطب، كاذب عليه، فوا أسفاه!

◆ توطئة حول أخبار الآحاد.

جاء في "نخبة الفكر" للحافظ ابن حجر: "الخبر إما أن يكون له طرق بلا عـــدد معين، أو مع حصر بما فوق الإثنين، أو بهما، أو بواحد... وكلـــها ســـوى الأول آحاد"[1].

وعلى هذا فالحديث -وهو أخص من الخبر عند الجمهور[2]- إما متواتـــر وإمـــا آحاد، وتقسيم العلماء، الحديث إلى هذين القسمين ليس عبثا منـــهم، ولا ترفـــا عندهم، ولكنه تقسيم له قيمته وعنده أهميته، وأهم شيء يعنينا في هذا التقســيم أن المتواتر بلغنا من طرق تفيدنا ما لا نستفيده من القسم الأول، من هنا قرر العلماء أنه يفيد العلم، وإن اختلفوا في أي العلمين هو المستفاد: الضروري وهو "الذي يضطـــر الإنسان إليه بحيث لا يمكنه دفعه"[3] أم النظري وهو الذي "يتحصل بطريق النظـــر"

---

[1] "نزهة النظر" (ص: 23-26).

[2] وساوى البعض بينهما، ولا مشاحة في الاصطلاح طبعا !

[3] "النزهة " (ص: 26).

لكنهم اختلفوا في الآحاد فزعم البعض أنه يفيد العلم وذهب الأكثرون إلى أنه إنما يفيد غلبة الظن، وهذا هو الصواب -إن شاء الله تعالى-.

◆ أحاديث الآحاد[1] لا تفيد العلم.

هذا الذي ندين الله به، ونعتقده وهو قول الأكثرين، قال الحافظ ابن الصلاح في مقدمته بعدما عرف الحديث الصحيح: "ومتى قالوا هذا حديث صحيح فمعناه أنه اتصل سنده مع سائر الأوصاف المذكورة وليس من شرطه أن يكون مقطوعا به في نفس الأمر"[2] وذلك -كما قال الحافظ العراقي -في شرح ألفيته في الحديث- "لجواز الخطأ والنسيان على الثقة هذا هو الصحيح الذي عليه أكثر أهل العلم"[3] لأن "القطع إنما يستفاد من التواتر"[4] وهو الذي "ذهب إليه جمهور العلماء من المحدثين والفقهاء والأصوليين"[5].

وهذا الذي رجحه الجمهور من العلماء، خالف فيه إمامان بارزان وعلمان مشهوران لا بأس من الوقوف عند حججهما ومناقشتها، الأول هو أبو محمد علي ابن حزم إمام الظاهرية -رحمه الله تعالى- والثاني الإمام العلامة أبو بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية شيخ الإسلام وتلميذ شيخ الإسلام الوفي -رحمهما الله تعالى جميعا-.

◆ مناقشة ابن حزم في دعواه أن الآحاد تفيد العلم.

رغم أن ابن القيم وافق مذهبه مذهب ابن حزم في هذه المسألة، فإن ابن حزم تميز عن ابن القيم من ناحيتين:

---

[1] وكلامنا هنا عن الآحاد التي لم تتقو بشيء.

[2] "انظر المقدمة" مع "التقييد والإيضاح" (ص: 21).

[3] "التبصرة والتذكرة" (15/1).

[4] "فتح المغيث" (19/1).

[5] "نفسه".

الأولى: جرأته وشجاعته في تحمل تبعات مذهبه ولوازم قوله.

والثانية: شدته وغلظته في القول على مخالفيه، وإذا كانت الميزة الثانية أشهر من نار على علم في حقه، ولا تحتاج إلى مثال يدل عليها. فإن ابن حزم أدرك أن قولـه أن الآحاد تفيد العلم يقتضي أن يعتقد العصمة في الرواة مع أنك قد علمت أنهـم عللوا عدم إفادة الآحاد العلم بجواز الخطأ والنسيان على الثقة، لذلك قـال بكـل شجاعة: "فإن قالوا: يلزمكم أن تقولوا إن نقلة الأخبار الشرعية التي قالها رسـول اللهﷺ معصومون في نقلها، وأن كل واحد منهم معصوم في نقله من تعمد الكـذب ووقوع الوهم منه، قلنا لهم: نعم، هكذا نقول، وبهذا نقطع ونبت، وكل عدل روى خبرا عن رسول اللهﷺ في الدين أو فعله عليه السلام، فذلك الراوي معصـوم مـن تعمـد الكـذب -مقطوع بذلك عند الله تعالى- ومن جواز الوهم فيه عليـه إلا ببيان وارد -ولابد- من الله تعالى ببيان ما وهم فيه، كما فعل تعالى بنبيـه عليـه السلام، إذ سلم من ركعتين ومن ثلاث واهما، لقيام البراهين التي قدمنا من حفـظ جميع الشريعة وبيانها مما ليس منها، وقد علمنا ضرورة أن كل من صدق في خبر مـا فإنه معصوم في ذلك الخبر من الكذب والوهم بلا شك فأي نكـرة في هـذا "[1] اهـ.

◆ **وبعد، فماذا قال سيد قطب؟! وماذا قال له وفيه الدكتور ربيع؟!**

أما سيد قطب فقال:"[2]وقد وردت روايات، بعضها صحيح ولكنه غير متواتـر، وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة، والمرجع هو القرآن، والتواتر شـرط

[1] "الأحكام في أصول الأحكام" (126/1).

[2] في مسألة سحر النبي ﷺ، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت «**سـحر رسـول اللهﷺ يهودي من يهود ابن زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول اللهﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله**». رواه البخاري (5763) في: الطب (47) باب: في السحر، و(5765) في: الطب (49) باب: هل يستخرج السـحر، و(5766)، في: "الطـب" (50)=

للأخذ بالأحاديث في أصول الاعتقاد"[1]. وهذا الذي قاله سيد لو أردنا تلخيصه في جملتين لقلنا:

- سيد قطب لا يأخذ بالآحاد في أصول الاعتقاد.
- وسيد قطب يشترط التواتر في أصول الاعتقاد.

وأما الدكتور فاعترض على كلام سيد، وقال معقبا:

"ولكن؛ هذا الشرط ما دليله؟ ومن قاله؟

إنهم فرق الضلال من الجهمية والمعتزلة والخوارج الذين جاراهم سيد وخالف جماهير العلماء من السلف والخلف، حيث ذهبوا إلى أن خبر الآحاد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقا له وعملا بموجبه أفاد العلم، وعلى هذا المذهب الصحيح أهل الحديث قاطبة، وأحاديث الصحيحين من هذا النوع... الخ كلامه[2].

فهذا كلام الدكتور، وهذاك كلام سيد قطب، وأما ملاحظاتنا فهي كالتالي:

أولا: أحاديث الآحاد حجة في كل شيء: "قال ابن عبد البر الحافظ -رحمه الله تعالى- بعدما حكى اختلاف العلماء فيما يوجبه حديث الآحاد العلم أم العمل": الذي نقول به: إنه يوجب العمل دون العلم وعلى ذلك أكثر أهل الفقه والأثر، وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها ويجعلها شرعا، ودينا في معتقده على ذلك جماعة أهل السنة"[3] وهذا الذي تطمئن إليه النفس أنه متى صح الخبر نقول به ونأخذ بمضمونه سواء كان موضوعه الأصول أو الفروع وسواء تعلق الأمر بالعقيدة في أصولها أم كان في فروعها وجزئياتها وإن

=باب: في السحر. ورواه مسلم (43) في: السلام (17) باب: السحر، وفيه قصة. بشرح النووي.

[1] "الظلال" (4008/6).

[2] "الأضواء" (ص: 203-204).

[3] "التمهيد" (8/1).

كنا نرى أن أصول العقيدة لم يثبت فيها شيء بمجرد الآحاد، فبقي على هذا الخلاف نظريا لا ثمرة له في الواقع!

◆ **اعتراض ابن تيمية على ابن عبد البر ورده.**

علق ابن تيمية -رحمه الله تعالى- على كلام ابن عبد البر فقال: قلت: "هذا الإجماع الذي ذكره في خبر الواحد العدل في الاعتقادات يؤيد قول من يقول: إنه يوجب العلم، وإلا فما لا يفيد علما ولا عملا كيف يجعل شرعا ودينا يوالى ويعادى عليه؟"[1] واعتراض ابن تيمية هذا، ألزم فيه ابن عبد البر ما لا يلزمه. نعم يكون الاعتراض مقبولا لو كان ابن عبد البر يقول إن العقيدة لا نقبل فيها إلا ما أفاد العلم، كما هو مذهب الأشاعرة، فلو رأينا أشعريا قال في العقيدة بمقتضى حديث الآحاد -لاغير- اعتبرنا هذا نقدا ونقضا لقوله، لأن الأصل أن لا يقبل إلا ما كان مقطوعا بصحته، فإنهم يستظهرون بمثل قوله تعالى: ﴿**إن يتبعون إلا الظن**﴾[2] الذي فيه ذم لمنهج الكفار في اعتقادهم الذي لا يبنى على العلم، فأرادوا الاحتراز من هذا المعنى الذي استنبطوه، وقرروا أن لا يقبل في أمور العقيدة التي لا بد من الجزم فيها إلا ما كان متواترا، ويبدو أن شيخ الإسلام أقر هذا غير ما مرة، فإنه قال كما في "المسودة"[3]: "ذهب أصحابنا[4] أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات" وعليه فالآحاد دون هذه القرينة -وهي تلقي الأمة لها بالقبول- لا تصلح لإثبات أصول الديانات، وبناء عليه، فاعتراض شيخ الإسلام ابن تيمية على ابن عبد البر إنما هو بناء على مذهبه هو، أو ما ظنه أنه مذهب ابن

---

[1] "المسودة" (ص: 245).

[2] (النجم/23)

[3] "نفسه" (ص: 248).

[4] يعني الحنابلة.

عبد البر، وهو اشتراط التواتر في أصول العقائد، ولكن ابن عبد البر لا يقول بذلك، فسقط الاعتراض.

ثم نعود فنقول إن الحديث حجة في كل شيء، ضمن القواعد الاستدلالية الـتي تقررت في أصول الفقه، ولهذا فنحن مع الدكتور نخالف سيدا في شـرطه التواتـر لقبول الآحاد في أصول العقيدة، ونضم صوتنا إلى صوته فنقول: "هذا الشرط مـا دليله؟" لكننا نزيد شيئا ما إلى الأمام ونقول لسيد قطـب –رحمه الله تعـالى– إن المسألة التي نفيتها برد الحديث ليست من أصول العقيدة. فاعتقاد جواز السحر على النبيﷺ بما لا يمس الشريعة هو من فروع الاعتقاد، لا من الأصول، لأن الذيـن لم يردوا الحديث لم يقولوا إن النبيﷺ سحر بما يخل برسالته. فهذا القرطبي بعدما رجح جواز ذلك في حقهﷺ قال: "إن الأنبياء من البشر، وأنه يجوز عليهم من الأمـراض، والآلام والغضب والضجر والعجز والسحر والعين، وغير ذلك ما يجوز على البشر، لكنهم معصومون عما يناقض دلائل المعجزة من معرفة الله تعالى والصدق والعصمة عن الغلط في التبليغ"[1].

ولا أدري لم يعترض الدكتور على هذا؟ فهل هو الآخر يعتقد أن المسألة مـن أصول الاعتقاد فأقر سيدا عليه؟! فما عهدناه يقره على ما أصاب فيه فكيف فيمـا أخطأ فيه؟! على كل حال، فإن الآحاد مقبولة في فروع وأصول العقيدة وهذا مـا نخالف فيه سيد قطب ونوافق الدكتور ربيع.

◆ غلطة في غير محلها:

وإذا كنا وافقنا الدكتور حين اعترض على اشتراط سيد قطب تواتر الحديـث، حتى يقبل في أصول العقيدة، فلسنا معه في اللهجة التي اعترض بها، والغلظـة الـتي قابل بها كلام سيد، فضلا على عدم الدقة في النقد.

---

[1] "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" (570/5).

أما أنه غير دقيق في نقده، فلأن سيدا اشترط التواتر في الآحاد وهـــو الـــذي لم تحتف به القرائن. ومع ذلك استدل عليه بأقوال أهل العلم فيما احتفت به القرائـــن؟
أما عن الغلطة التي لم نوافق عليها فقوله:

◆ هذا الشرط ما دليله؟ ومن قاله؟

"إنهم فرق الضلال من الجهمية والمعتزلة والخوارج الذين جاراهم ســيد..."[1] إن الشعور بقوة دليل المرء لا يسمح له بتزييف رأي المخالف، ليحشره ضمن طائفـــة من الطوائف الغير مقبولة، ثم بعد ذلك يستعرض ما عنده ليستظهر بذلك عليـه، إن من يفعل هذا كمن يدعي البطولة لانتصاره على بطل في قيوده أسير، إنها ولا شـك بطولة مزيفة، فضلا عن كونها مناظرة غير متكافئة...

ولا يستحق كل من وافق -خطأ- مذهب فئة منحرفـــة أن نـنـسـبه إليـــها، أو نلـــحقه بها وننعتـــه -كما فعل الدكتور- بأنه جاراها ولكن نعتذر له ونتـــأول في ذلك ما يستحقه ما لم يكن مبتدعا صرفا، فلسنا نشغل أنفسنا بالاعتذار عنه.

وهذا لو كان صاحب ذلك شاذا ومنفردا، ولا شك أن الدكتور يعلم أن هنـــاك علماء كبارا وأئمة تملأ شهرتهم الأمصار والأعصار يقولون بما يقول به سيد قطـب، أي أن "التواتر شرط للأخذ في أصول الاعتقاد كما سيتبين"؟

◆ مذهب سيد مذهب الأشاعرة.

نحن إذا ما اعتبرنا ما اشترطه سيد قطب في الخبر -كي يأخذ بـــــه في أصـــول الاعتقاد- خطأ، فإنا لا نلومه ولا نعنفه، لاسيما والذي ذهب إليــــه هـــو قـــول الأشاعرة عموما، قال القرافي[2] -رحمه الله تعالى- في اعتراضه على من منع التعبـــد

---

[1] "الأضواء" (ص. 203).

[2] هو الإمام العلامة الحافظ وحيد دهره وفريد عصره شهاب الدين أبو العباس أحمد بـــن إدريس القرافي الصنهاجي المصري ألف كتبا كثيرة، منها: كتـــاب: "الذخـــيرة في الفقـــه"، و"التنقيح في أصول الفقه مقدمة للذخيرة والفروق والقواعد"، وغيرها كثـــير، تـــوفي ســـنة: (684هـــ) انظر "الديباج" (ص: 62) و"شجرة النور الزكية" (ص: 188).

بخبر الواحد بدعوى إفادته الظن: "إن ذلك مخصوص بقواعد الديانات وأصول العبادات القطعيات"[1] أي: أن أصول العبادات والديانات هو الذي يشترط فيه التواتر الذي يفيد العلم.

وقال الخطيب البغدادي[2] حافظ المشرق في عصره -وليس هو من فرق الضلال-: "خبر الواحد لا يقبل في شيء من أبواب الدين المأخوذ على المكلفين العلم بها والقطع عليها...ولا يقبل خبر الواحد في منافاة حكم العقل[3] وحكم القرآن الثابت المحكم والسنة المعلومة والفعل الجاري مجرى السنة وكل دليل مقطوع به وإنما يقبل به فيما لا يقطع به مما يجوز ورود التعبد به كالأحكام.."[4]

فهذا كلام الخطيب الذي قلت فيه "الحافظ الكبير محدث الشام والعراق"[5] يا دكتور هو يشترط التواتر في المسائل التي هي...من أبواب الدين ونحوها، فهل تراه جارى فرق الضلال؟!

إن قلت نعم فما بالك غششت المسلمين وسكت عن ضلاله لا سيما وكتبه عمدة من جاء بعده حتى قيل إن: "كل من أنصف، علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال عليه"[6] وإن قلت لا وحاشاه رحمه الله، وإنما هو خطأ تابع فيه الأشاعرة وهو

---

[1] "التنقيح" (ص: 358).

[2] هو الإمام الحافظ الكبير محدث الشام والعراق، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ابن مهدي البغدادي صاحب التصانيف. ولد سنة: (392 هـ) وتوفي سنة: (463 هـ) "تذكرة الحفاظ" (1135/3) للذهبي، باختصار.

[3] ماذا كان سيكون موقف الدكتور لو كان قائل هذا الكلام هو سيد قطب -رحمه الله تعالى-؟

[4] "الكفاية" (ص: 432).

[5] "النكت" (263/1/ هـ 7).

[6] "التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد"(170/1) مع اختلاف يسير.

واحد منهم[1] ولا يغض ذلك من قدره وإن غض من أجره فلم يستحق في نظـــرك أجرين بل أجرا وحدا، عندئذ نقول لك؛ جزاك الله خيرا وأحسنت في الأدب ومثل هذا تقابل به سيد قطب، ولا تكل بمكيالين "فويل للمطففين"!

وهذا الإمام البخاري[2] -رحمه الله تعالى- يقول في كتاب التوحيد من صحيحه: "باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائـض والأحكام "ولم يزد على الأحكام" ولم يذكر الاعتقاد فضلا عن أصولـــه، وفســر الحافظ هذا الباب، فقال: "وقوله الفرائض بعد قوله: في الأذان والصلاة والصوم من عطف العام على الخاص، وأفرد الثلاثة بالذكر للاهتمام بها، قال الكرماني: ليعلم إنما هو في العمليات لا في الاعتقادات[3]" فهل الإمام البخاري والكرماني والعسقلاني من فرق الضلال؟

◆ ابن تيمية والآحاد.

رأينا في الباب الأول أن ابن تيمية لا يقبل الآحاد في أصول الدين أيضا ولا يجرؤ الدكتور أن يتطاول عليه كما تطاول على سيد قطب، ولسنا نرضى لـــه تطـاول اللسان أصلا، لأن من طال لسانه، افتضح أمره. ونزيد هنا من كلام شيخ الإســلام -رحمه الله تعالى- ما يجعل الدكتور يقف أمام حقائق إما أن يكون مطلعا عليـــها، وأخفاها ليسوغ السخائم التي سلها قلمه على سيد قطب وغيره وإمـــا أن يكـــون جاهلا بها نصا أو فهما فهذا أوان تعلمها بلا فخر -إن شاء الله تعـــالى-:

---

[1] وترجمه ابن عساكر في "بيان كذب المفتري" (ص: 268).

[2] هو شيخ الإسلام وإمام الحفاظ وأمير المؤمنين في الحديث، محمد بن إسماعيل بن إبراهيـم ابن المغيرة بن بردزبة، وقيل بردزية، وقيل ابن الأحنف الجعفي مولاهم، أبو عبد الله بـــن أبي الحسن البخاري، صاحب "الصحيح". كتب عن أكثر من ألف شيخ. قال ابن خزيمة: ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخاري، توفي سنة: (256 هـــ) انظر "تهذيـب الكمـال" (84/16)، "تهذيب التهذيب" (33/5) "تذكرة الحفاظ" (555/2)، للذهبي، باختصار.

[3] "فتح الباري" (231/13).

جاء في "مجموع الفتاوى": "فصل"[1]:

-وأما "نسخ القرآن بالسنة" فهذا لا يجوزه الشافعي، ولا أحمد في المشهور عنه ويجوزه في الرواية الأخرى، وهو قول أصحاب أبي حنيفة وغيرهم[2] "ثم ذكر ابن تيمية رأي من زعم وقوع ذلك وضرب بعض الأمثلة للأحاديث التي زعم أنها ناسخة للقرآن منها حديث **«إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه»**[3] فتعقبه شيخ

---

[1] (399-397/20) باختصار.

[2] لماذا لا يجوز هؤلاء يا دكتور أن تنسخ السنة (الآحاد) القرآن وكله من عند الله! لأن القرآن ثبت بما يفيد العلم، والسنة إنما تفيد الظن في ثبوتها، فعز على أهل العلم أن يرفعوا حكما ثبت يقينا بآخر ظنيا.

[3] رواه عبد الرزاق (16308)، وأحمد (267/5)، وأبوا داود (2870) في الوصايا (7) باب: ما جاء في الوصية للوارث، و(3565) في: الإجارة (90) باب: في تضمين العارية، والترمذي (2120) في: الوصايا (5) باب: ما جاء لا وصية لوارث، وقال: وفي الباب: عن عمرو بن خارجة وأنس، وهو حديث حسن صحيح، وابن ماجه (2713) في: (6) باب: لا وصية لوارث، من طرق عن إسماعيل بن عياش، عن شرحبيل بن مسلم الخولاني، عن أبي أمامة الباهلي مرفوعا.

ولفظه: «**سمعت رسول الله ﷺ في خطبته عام حجة الوداع: إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث، والولد للفراش وللعاهر الحجر وحسابهم على الله، ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله التابعة إلى يوم القيامة، لا تنفق المرأة شيئا من بيتها إلا بإذن زوجها، فقيل: يا رسول الله، ولا الطعام؟ قال: ذلك أفضل أموالنا**»، قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «**العارية مؤداة، والمنحة مردودة، والدين مقضي، والزعيم غارم**»، واللفظ لأحمد. وهذا إسناد حسن، إسماعيل بن عياش رواه عن شامي وهو شرحبيل.

وللحديث **شاهدان:**

الأول: عن أنس بن مالك:

الإسلام وقال: "هذا الحديث إنما رواه أبو داود ونحوه من أهل السنة، ليس في الصحيحين،ولو كان من أخبار الآحاد لم يجز أن يجعل مجرد خبر غير معلوم الصحة ناسخا للقرآن" لأن الذي يجوز أن ينسخ القرآن هو الخبر المعلوم الصحة لا المظنون الصحة، ثم ختم كلامه فقال:

"وبالجملة فلم يثبت أن شيئا من القرآن نسخ بسنة بلا قرآن"وسبق شيخ الإسلام إلى هذا الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-، وكذلك فإن الشيخ العثيمين

= رواه ابن ماجه (2714) في: الوصايا (6) باب: لا وصية لوارث، والدارقطني (70/4)، في الفرائض من كتاب "السنن"، والطبراني في "مسند الشاميين" (541)، من طرق عن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر، عن سعد بن أبي سعيد، عنه مرفوعا، نحوه.

قال البوصيري في "الزوائد" إسناده صحيح.

قلت: إسناد صحيح رجاله ثقات، رجال الصحيحين.

الثاني: عن عمرو بن خارجة:

رواه أحمد (238/4-239)، والترمذي (2121) في: الوصايا، (5) باب: ما جاء لا وصية لوارث، وابن ماجه (2712) في: الوصايا (6) باب: لا وصية لوارث والنسائي (3641-3642-3643) في: الوصايا (5) باب: إبطال الوصية للوارث، وسعيد بن منصور (428) في: الوصايا، باب: لا وصية لوارث، من طرق عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن ابن غنم، عنه مرفوعا.

ولفظه: «**إن الله أعطى لكل ذي حق حقه ولا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر، ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه رغبة عنهم فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا**»، (واللفظ للترمذي)، قال: وسمعت أحمد بن الحسن يقول قال أحمد ابن حنبل لا أبالي بحديث شهر بن حوشب قال: وسألت محمد بن إسماعيل عن شهر بن حوشب فوثقه وقال: إنما يتكلم فيه ابن عون ثم روى ابن عون عن هلال بن أبي زينب عن شهر ابن حوشب. اهـ

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قلت: بل إسناد ضعيف، شهر بن حوشب، كثير الإرسال والأوهام، لكن يشهد له ما قبله، فالحديث صحيح -إن شاء الله تعالى- والله المستعان.

-رحمه الله تعالى- وهو منك في المقام الذي تعرفه مع أنه قال: "لا يشترط أن يكون الناسخ أقوى[1] لأن محل النسخ الحكم ولا يشترط في ثبوته التواتر"[2] لكن حين أراد أن يضرب مثالا لما نسخ من القرآن بالسنة قال: "ولم أجد له مثالا سليما".[3]

◆ أحاديث الآحاد التي تلقتها الأمة بالقبول كأحاديث الصحيحين ونحوها.

عرفنا أن أحاديث الآحاد لا تفيد على الراجح سوى غلبة الظن، ومع ذلك نعمل بها ونؤمن بها، إلا أن يبدو فيها ما يجعلنا نتوقف فيها، وهذا هو الذي نعتقده وندين الله تعالى به، وإن كنا لا نعنف من بالغ في الاحتياط وغالى في الحذر فلم يقبل الآحاد في أصول الاعتقاد كالأشاعرة وغيرهم، وكذلك من تبعهم وارتضى قولهم كسيد قطب، خلافا للدكتور الذي رأينا تشنيعه ومبالغته في الرد.

ومن الزيادة في التشنيع ذكر الدكتور ما يتعلق بأحاديث الصحيحين وأنها تفيد العلم وأنها متلقاة بالقبول وحشد جماعة من العلماء الذين اختاروا هذا المذهب وأيدوه، ليهول بذلك الموضوع ويعزل سيد قطب في دائرة الشذوذ والشرود!!

وجوابا على هذا فلتعلم يا دكتور أن هذه القاعدة هي نظرية أكثر منها عملية، وتصرف القائلين بها مع أحاديث الصحيحين -الغير منتقدة، لا من الغساني[4] ولا

---

[1] أي ثبوتا، فإنه قال هذا عن كلامه عن جواز نسخ المتواتر بالآحاد والرد على من نسخه.

[2] "الأصول من علم الأصول" (ص: 43).

[3] "نفسه".

[4] هو الإمام الحافظ الثبت محدث الأندلس، أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الجياني الأندلسي، ولد في المحرم سنة: (427هـ)، وتوفي : ليلة الجمعة لاثني عشرة ليلة خلت من شعبان سنة: (498هـ)، صحح من الكتب ما لم يصححه غيره، من الحفاظ فكتبه حجة بالغة، جمع كتابا في رجال الصحيحين سماه: "تقييد المهمل وتمييز المشكل"، انظر "تذكرة الحفاظ" (1233/4)، للحافظ الذهبي.

من الدارقطني-[1] تؤيد كلام الإمام النووي -رحمه الله تعالى- ومن ذهب مذهبه الذي قال: "وكيف يحصل العلم واحتمال الغلط والوهم والكذب وغير ذلك متطرق إليه؟ "[2] وكم هي الأحاديث التي في الصحيحين وردها من ردها، وهو من القائلين بهذه القاعدة؟!

◆ **ابن تيمية -رحمه الله تعالى-**

ذكر الحافظ عند شرحه حديث السبعين ألفا، الذين يدخلون الجنة بغير حساب:[3] وهو في مسلم بلفظ: "**لا يرقون**" بدل "**لا يكتوون**" ثم قال:

"وقد أنكر الشيخ تقي الدين ابن تيمية هذه الرواية، وزعم أنها غلط من راويها، واعتل بأن الراقي يحسن إلى الذي يرقيه فكيف يكون ذلك مطلوب الترك"[4] فأنت ترى تعليل ابن تيمية لحديث بناء على اجتهاده، الذي رأى به أن الذي يستحق المزية الواردة في الحديث يناسبه أن يكون ممن "لا يسترقي" ولكن لا يناسبه "ألا يرقي" غيره، مع أن الحديث في صحيح مسلم وهو من الأحاديث التي تلقتها الأمة بالقبول و... الخ تلك النظرية. وابن تيمية -رحمه الله تعالى- من القائلين بها ومع ذلك لم يلتفت إليها.وحتى ابن حجر وقد حاول تأييدها، لم

---

[1] الإمام الجليل حافظ الزمان، وطبيب العلل، صاحب السنن، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد ابن المهدي البغدادي الحافظ الشهير، الدارقطني، ولد سنة (306هـ) وتوفي سنة (385هـ). انظر "تذكرة الحفاظ" (491/3)، للحافظ الذهبي.

[2] "صحيح مسلم"، "بشرح النووي".

[3] رواه البخاري (6541-6542-6543) في:الرقاق، (50) باب: «**يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب**»، ومسلم (367 - 368 - 369 -370-371- 372 - 373-374-375) في: الإيمان (94) باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، بشرح النووي.

[4] "فتح الباري" (498/11).

يعترض بها على ابن تيمية، و لم يسرد عليه -كما فعل الدكتور مع سيد- تلك القائمة من الأقوال وإنما نقده نقدا حديثيا صرفا فقال:

"وأجاب غيره أن الزيادة من الثقة مقبولة، وسعيد بن منصور حافظ وقد اعتمده البخاري ومسلم واعتمد مسلم على روايته هذه وبأن تغليط الراوي مع إمكان تصحيح الزيادة لا يصار إليه..." ثم بعد ذلك نقد المعنى الذي لأجله رجح شيخ الإسلام خطأ الزيادة. ولا يعنينا هنا من المصيب[1] بقدر ما يعنينا أن كلا من الحافظ وابن تيمية لم يحتج بقاعدة التلقي بالقبول التي يحظى بها كل من الصحيحين، و لم يقل إن هذا حديث تلقته الأمة بالقبول وهو يفيد العلم، لأنه لو كان مفيدا للعلم عند ابن تيمية مثلا لما رده باجتهاد من عنده -رحمه الله تعالى- فتأمل!

◆ الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- يضعف ما يفيد العلم على الصحيح في رأي الدكتور.

قال الشيخ الألباني في "سلسلة الأحاديث الضعيفة" (407-406/2) عن حديث هناك: ضعيف مرفوعا أخرجه مسلم (37/4 بشرح النووي)...والخ ثم بين علة ضعفه في نظره فقال: "وهذا سند ضعيف وله علتان:

الأولى: عنعنة أبي الزبير فقد كان مدلساً...

الثانية: ضعف عياض بن عبد الله (أحد الرواة)..."

فهل تصرف الشيخ الألباني هنا يا دكتور تصرف من يرى أن أحاديث الصحيحين تفيد العلم إذا تلقتها الأمة بالقبول؟! وهل هذا الحديث من الأحاديث التي انتقدها الدار قطني؟! كلا! ولا انتقدها الغساني، ومع ذلك لم يصححها فضلا عن أن تفيد العلم عنده -الشيخ الألباني- فهل تعذر شيخك في هذا ومثله؟! إن

---

[1] لأن زيادة الثقة ليست مقبولة مطلقا، فإذا روى جماعة من الحفاظ حديثا وانفرد واحد بلفظ أو جملة فالمحدثون يتوقفون في قبولها، وينظرون في ذلك خلافا للأصوليين كما هو معلوم.

قلت نعم فكذلك سيد قطب معذور، بل هو من باب أولى، وإن قلت لا أعـــذره، قلنا لك أنت وشأنك، واعلم أنك إن انضممت بمنهجك-المشلول- هذا إلى مـــن شنع على الشيخ بتضعيفه أحاديث في الصحيحين ليست منتقدة من قبـل المتقدمين[1] وشهر في وجهه هذه القاعدة، أما نحن فنحترم الشيخين ومكانتهما ونقدهما علـــى غيرهما، ولا نتعجل نقدهما، ولكن لا نجعل كل ما لم ينتقدا فيه من قبل المتقدمـــين مقطوعا بصحته، يأبى الله ذلك إلا لكتابه!

ونكتفي بهذه الأمثلة الدالة على أن إشهار هذه القاعدة في وجه سيد قطب لـرده حديثا صحيحا لا ينقص من قدره وفضله -رحمه الله تعالى- هـــو مخطـئ في رد حديث صحيح ثم ماذا؟ إنه خطأ مغفور بل مأجور -إن شاء الله تعالى- كما وعـد بذلك المصطفىﷺ.

قال ابن تيمية بعد ذكر الاعتقاد الذي دافع عنه في المناظرات التي عقدت لـــه -رحمه الله تعالى- "ثم قلت لهم[2]: وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقـــاد يجب أن يكون هالكا، فإن المنازع: (1)[3] قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطأه.

(2) وقد يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة.

(3) وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته".[1]

---

[1] كما فعل المحدث العلامة حبيب الرحمن الأعظمي وكذلك ممدوح سعيد ممدوح في تنبيهه ولسنا معه في تسليط القاعدة في وجه الشيخ الألباني، ولا في أدبه معه بمـا لا يسـتحق مـن عتاب، خصوصا أن شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم أمثال أحمد وعبد الله الغماريـان، همـا بدورهما حكما على أحاديث في الصحيحين بالبطلان فكان على السيد ممـدوح أن يوجـه نصيحته لمن هو أقرب إليه، أو على الأقل ينصف الشيخ الألبـاني بـدل أن يخصـه بـالنقد والتجريح. ورحم الله ابن عبد البر القائل: "من بركة العلم وآدابه الإنصاف فيـه، ومـن لم ينصف لم يفهم، و لم يتفهم".

[2] للمناظرين.

[3] الأرقام للتوضيح فحسب.

فكان على الدكتور أن يأخذ كل هذا بعين الاعتبار قبل أن يسترسل في لوم سيد بالليل والنهار! واسمع إلى تقرير ابن تيمية الذي قال فيه "وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية"[2] فهل كلام شيخ الإسلام يشمل سيدا أم أن الدكتور استثناه؟!

◆ **افتراء وكذب على سيد قطب.**

وهذا الشطر الأخير من ملاحظاتنا في هذا الفصل، فقد وافقنا الدكتور في وجوب قبول الخبر في العقيدة والعبادة وسائر الأحكام،خلافا لسيد قطب الذي اشترط ما اشترطه أهل العلم المنتسبين إلى المذهب الأشعري. وخالفنا الدكتور ثانيا في تعنيفه المبالغ فيه، وشدته المفرطة على سيد قطب، لأن ما وقع فيه لا يهدرُ له كرامة، ولا يقطع له حرمة.

وهنا نحن أيضا نخالف الدكتور، بل نرى أنه كذب وافترى على سيد قطب، حين أعلن في عنوانه أن سيدا لا يقبل الأحاديث المتواترة في العقيدة، مع أنه نقل بخطه أن سيدا يشترط التواتر في أصول الاعتقاد، بل كتب بقلمه معترضا على هذا الشرط وقال "من اشترطه؟" ومع ذلك محاه من عقله وقال ما قال!

وعجيب أن يترك الدكتور كلام سيد الفصيح وقوله الصريح في قبول المتواتر في قضايا الاعتقاد وينسب إليه عكس ذلك قائلا إنه لا يقبل"الأحاديث المتواترة" في العقيدة، لا بل نزل به دون ذلك حين قرر أنه لا يكتفي بعدم الاحتجاج بها بل لا يستأنس بها، ليصل بالقارئ إلى أن سيدا يترل الحديث المتواتر في العقيدة دون مترلة الحديث الضعيف في الأحكام، باعتبار أن كثيرا من العلماء وإن لم يحتجوا بالضعيف إلا أنهم قد يستأنسون به، بل يحتج به البعض إذا لم يجد غيره! فتأمل هذا الافتراء القبيح، وهذا الكذب الصريح!

---

[1] "مجموع الفتاوى" (179/3).

[2] "نفسه" (ص:229) .

وأغرب من هذا اعتماد الدكتور في زعمه -بل في كذبه- أن سيدا لم يحتج و لم يستأنس بالأحاديث المتواترة "في صفة الاستواء على العرش والعلو عليه ولا في صفة المجيء، ولا في رؤية المؤمنين ربهم، ولا في تكليم الله لرسله وعباده، ولا في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، ولا في الإسراء والمعراج".

والسؤال الذي يوجه للسيد ربيع أولا: هل إذا لم يأت سيد قطب بالأحاديث المتواترة! ليستشهد بها يدل على عدم قبولها؟! نحن نعلم -ما يجهله أو يتجاهله الدكتور- أن كثيرا من الآيات القرآنية تشهد لها آيات أخرى -بل تفسرها- فهل يقال للمفسر إذا لم يستشهد بآية ليفسر بها معنى آية أخرى أنه لا يقبل القرآن؟!

ثم إن كل من يقرأ ظلال القرآن يدرك أنه ليس تفسيرا بالمعنى الاصطلاحي فما أراده سيد قطب كذلك ولكنه كما جاء في مقدمته، "بعض الخواطر والانطباعات من فترة الحياة في ظلال القرآن، لعل الله ينفع بها ويهدي. وما يشاء إلا أن يشاء الله[1].

ثم إن قول الدكتور إن سيد قطب لم يحتج بأحاديث متواترة في صفة المجيء مثلا، يوحي أن ثمة روايات متواترة تصف المجيء فأين هي؟

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى- مع أن تفسيره تفسير بالمأثور عند آية المجيء: "وجاء ربك" يعني لفصل القضاء بين خلقه...فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفا صفوفا "[2] وهذا كل ما ذكره لم أختصر منه سوى إشارته إلى أن هذا الأمر يكون بعد شفاعة المصطفىﷺ حذفته لأنه -كما هو واضح - لا علاقة له بتفسير "صفة المجيء" فأين هي الأحاديث المتواترة في صفة المجيء؟! إن هذا لا وجود له إلا في رأس صاحب "الأضواء" أما ابن كثير وقبله إمام المفسرين ابن جرير الطبري وغيره ما ذكروا في هذا المقام أحاديث يستشهدون أو يستأنسون بها، وعلى هذا المنوال سار سيد قطب فقال عند

---

[1] "ظلال القرآن" (18/1).

[2] "تفسير ابن كثير" (314/8).

هذه الآية: "فأما مجيء ربك والملائكة صفا صفا فهو أمر غيبي لا ندرك طبيعته ونحن في هذه الأرض...أما حقيقة ما يقع وكيفيته فهي من غيـــب الله المكنـــون ليومـــه المعلوم.

إنما يرتسم من وراء هذه الآيات ومن ظلال موسيقاها الحادة التقسيم، الشـــديدة الأسر، مشهد ترجف له القلوب، وتخشع له الأبصار، والأرض تدك دكـــا دكـــا! والجبار يتجلى ويتولى الحكم والفصل"[1] هذا مجمل ما قاله سيد قطـــــب وهـــو في حقيقته ما ذكره أهل التفسير ممن تخصصوا فيه بل حتى من فسر بالمنقول لم يـــورد شيئا يشهد لصفة المجيء لأن الصفات أمرها عند السلف مستتب كما علمنــــا، في موقف بين التشبيه والتعطيل! لكن سيد قطب لا بد أن يكون مخطئا في عين الســـيد ربيع! تذكرت قصة شيخ من الشيوخ -رحمه الله تعالى- قال عن استنطاق رجـــال المخابرات له إنهم اعترضوا عليه في كل جزئية من جزيئات خطبة الجمعـــة، فقـــال الشيخ للمخبر: قل لي بربك ماذا أقول في الخطبة؟ فأجابه: قـــل: ﴿قل هو الله أحد﴾[2].

فرد الشيخ كل المصلين يعلمون هذا، ومع ذلك أقسم لو أني قرأت هذه الســـورة لاعتقلت بتهمة العمل على تقويض الوحــــــدة الوطنية لعلمك أن هناك من يعتقـد "أن الله ثالث ثلاثة".

ومع الأسف فإن صنيع صاحب الأضواء يتلقف كلام سيد قطب مـــــن أســـوأ وجوهه إن افترضنا له بعض الاحتمالات السيئة، وإلا فإنـــــه يفترضـــها في عقلـــه وينسبها إليه وهذا حرام.

وما حصل في "صفة المجيء" حصل في غير ذلك، فلا ينظر الدكتور ربيــــع إلى سيد قطب إلا بعين المساوئ غير أنه في مسألة نزول عيسى عليه السلام أخفى على القارئ أن سيدا أورد في ذلك حديثين، بينما ابن جرير لم يورد أي حديث يتعلـــق

---

[1] "الظلال" (3906/6).

[2] (الإخلاص/1).

بمسألة نزول عيسى -عليه السلام- في آخر الزمان، ولكن فضيلتـه صـب جـام سخطه على سيد قطب لأمر يعلمه، بل الحق أنه كذب على سيد لما زعم أنه مـا احتج ولا استأنس بأحاديث في هذا الباب ولنذكر ما قاله سيد قطب عنـد قولـه تعالى عن عيسى -عليه السلام-:

﴿**وإنه لعلم الساعة**﴾[1] قال سيد:

"وردت أحاديث شتى عن نزول عيسى -عليه السلام- إلى الأرض قبيل السـاعة وهو ما تشير إليه الآية: ﴿**وإنه لعلم الساعة**﴾ بمعنى أنه يعلم بقـرب مجيئـها ثم ذكـر حديثـين في نزول عيسى -عليه السلام- حديث أبي هريرة[2] وحديـث جابر[3] ثم قال:

"وهو غيب من الغيب الذي حدثنا عنه الصادق الأمين وأشـار إليـه القـرآن الكريم، ولا قول فيه لبشر إلا ما جاء من هذين المصدرين الثابتين إلى يوم القيامة"[4].

فهل تترك يا أستاذ ربيع المحكم من كلامه وتتبع متشابهات في عقلك، أم هـو الزيغ الذي حذر منه القرآن الكريم، اللهم سامح مخطئنا؟! واهد الضال منا!

ثم هذا ابن كثير لم يورد أي حديث في نزول عيسى عليه السلام عند هذه الآية.

---

[1] (الزخرف/61).

[2] أبو هريرة، الصحابي الجليل حافظ الصحابة، اختلف في اسمه و اسم أبيه، قيـل عبـد الرحمن ابن زخر وقيل ابن غنم و قيل عبد الله بن عائد و غير ذلك، وذهـب الأكـثرون إلى الأول. توفي سنة 57 هـ، انظر "الإصابة في تمييز الصحابة" (7/199، الكنى)، و"التقريـب" (680) باختصار.

[3] هو الصحابي الجليل، جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصـلوي السلمي، أبو عبد الله، أحد المكثرين عن النبيﷺ، توفي سنة (78 هـ على الراجـح)، انظـر "الإصابة" (1/222) و "تهذيب الكمال" (3/291).

[4] "الظلال" (5/3198).

واكتفى في آخرها بقوله: "تواترت الأحاديث عن رسول اللهﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا"[1].

وكذلك الطبري لم يورد أي حديث، وسيد قطب مع أنه قال مثل قول ابن كثير، وزاد عليه وعلى الطبري حديثين فإنه لا يحتج بالمتواتر في العقيدة في رأي سيد ربيع، رغم قوله: "عن نزول عيسى -عليه السلام- باعتباره غيبا إنه لا قول فيه لبشر إلا ما جاء من هذين المصدرين الثابتين إلى يوم القيامة".

إن مثل هذه الاستنتاجات التي ينتهي إليها السيد ربيع يندى لها الجبين ويزداد الأمر سوءا عندما نتذكر أنه قائم على تدريس أبنائنا، فإن كان هذا حال الأستاذ في الإخلال بأمانة النقل وإساءة الظن، والتزيد على الغير فعلى منهج "الجرح والتعديل العفاء" وإذا كان هذا صنيعه مع المحكمات من أقوال سيد، فماذا يكون صنيعه عند المتشابه، فما بالك حال الخطأ.

أدعو الأستاذ مرة أخرى إلى التأمل وإنصاف المخالف، حتى ولو كان مبتدعا واضح البدعة.

وما أظن أحدا -يحترم العلم، ويخشى الله تعالى- يتجرأ ويكذب على رجل خلاف ما صرح به اعتمادا على أنه تصرف خلاف ما صرح -لو سلمنا- أن سيدا كان في حاجة أن يورد مقتضى ما صرح به و لم يفعل لأنك كما لو قلت عن شخص يعتقد وجوب الزكاة ورأيته في وضع من الأوضاع لم يزك، فقلت في الناس "إنه لا يعتقد وجوب الزكاة" بدل أن تقول إنه لا يزكي.

فهل يا دكتور أنت مستعد إذا سئلت -وأنت مسؤول لا محالة-: لم قلت عن سيد قطب لا يقبل الأحاديث المتواترة مع تصريحه بخلاف ذلك؟ أنت مستعد أن تجيب: لأني رأيته لم يحتج بها في مسألة كذا وكذا**!!**

---

[1] "تفسير ابن كثير" (201/7).

إن قلت نعم فما أجرأك! وإن قلت لا فما أكذبك!! وفي كلتا الحالتين لسنا معك.

والله المستعان!

*****

-نقد الفصل الخامس عشر-
"سيد قطب يجوز للبشر أن يشرعوا قوانين لتحقيق حياة إسلامية"

قال سيد قطب -رحمه الله تعالى-: "لقد كمل هذا الدين وتمت به نعمة الله على المسلمين. ورضيه الله لهم منهج حياة للناس أجمعين. و لم يعد هناك من سبيل لتعديل شيء فيه أو تبديله، ولا لترك شيء من حكمه إلى حكم آخر، ولا شيء من شريعته إلى شريعة أخرى. وقد علم الله حين رضيه للناس، أنه يسع الناس جميعا، إلى يوم الدين وأي تعديل في هذا المنهج -ودعك من العدول عنه- هو إنكار لهذا المعلوم من الدين بالضرورة. يخرج صاحبه من هذا الدين. ولو قال باللسان ألف مرة، إنه من المسلمين!>

وقد علم الله أن معاذير كثيرة يمكن أن تقوم وأن يبرر بها العدول عن شيء مما أنزل الله واتباع أهواء المحكومين المتحاكمين... وأن هواجس قد تتسرب في ضرورة الحكم بما أنزل الله كله بلا عدول عن شيء فيه، في بعض الملابسات والظروف... وأولى هذه الهواجس: الرغبة البشرية الخفية في تأليف القلوب بين الطوائف المتعددة، والاتجاهات والعقائد المتجمعة في بلد واحد، ومسايرة بعض رغباتهم عندما تصطدم ببعض أحكام الشريعة، والميل إلى التساهل في الأمور الطفيفة، أو التي يبدو أنها ليست من أساسيات الشريعة!... إن شريعة الله أبقى وأغلى من أن يضحى بجزء منها في مقابل شيء قدر الله أن لا يكون! ...وإنها لتعلة باطلة إذن، ومحاولة فاشلة، أن يحاول أحد تجميعهم على حساب شريعة الله!..."[1].

وقال -رحمه الله تعالى-: ... "وأهم من هذا كله أن يذعن أصحاب هذا النظام لألوهية الله وربوبيته، فلا يدعون لأنفسهم حق إصدار الشرائع والأنظمة لأن هذا

---

[1] "الظلال" (903-902/2) باختصار.

الحق لله وحده في الإسلام، وهنا يفترق النظام الإسلامي عن كل الأنظمة البشرية الافتراق الأساسي"[1].

إن رجلا يكتب هذا الكلام على هذا النحو من الوضوح، ويدافع بهذه القوة عن شريعة الله أصولا وفروعا، ويؤمن أن الله تعالى أعلن للناس "إكمال العقيدة وإكمال الشريعة معا... فهذا هو الدين... و لم يعد للمؤمن أن يتصور أن بهذا الدين -بمعناه هذا- نقصا يستدعي الإضافة ولا محلية أو زمنية تستدعي التطوير أو التحوير... وإلا فما هو بمؤمن..."[2]

أقول: إن رجلا يغار على شريعة الله هذه الغيرة، ويتعصب لها إلى هذه الدرجة[3] يلفي نفسه مدانا في محكمة الدكتور بأنه "يجوز للبشر بأن يشرعوا قوانين لتحقيق حياة إسلامية صحيحة "[4]! واعجبا. لكن ما العجب وقد ألفنا الدكتور يجمع بين الضب والنون كما تقول العرب! فحيعلا نرى من أي شبهة -وقد عودنا الحوم حول الشبهات والصيد منها- استقى هذه التهمة التي تسخر منها وتدحضها كل كتابات سيد، ولعل هذا الذي همس به الشيخ بكر أبو زيد في أذن الدكتور ولكن يبدو أنه لم يصغ إلى همسه، وربما لا يسمع حتى لصراخه ، فقد صمت أذن الدكتور عن سماع أي خير في سيد قطب، وعميت عينه عن إبصار أي نور يشع من كلامه!

قال الدكتور في فصله الخامس عشر المعنون: "سيد يجوز للبشر أن يشرعوا قوانين لتحقيق حياة إسلامية صحيحة": "ومع أن سيدا يكفر من لم يحكم بما أنزل الله مطلقا، ويتشدد في ذلك؛ فإنه يرى أنه يجوز لغير الله أن يشرعوا قوانين لتحقيق

---

[1] "العدالة الاجتماعية في الإسلام" (ص:79) الطبعة الثانية عشرة.

[2] "الظلال" (843/2).

[3] بل وصفه الدكتور أنه متشدد في ذلك كما سيأتي بعد قليل -إن شاء الله تعالى-.

[4] "الأضواء" (ص :207).

حياة إسلامية صحيحة؛ قال:[1] فإذا انتهينا من وسيلة التوجيه الفكري؛ بقيت أمامنا وسيلة التشريع القانوني لتحقيق حياة إسلامية صحيحة تكفل فيها العدالة الاجتماعية للجميع.

وفي هذا المجال لا يجوز أن نقف عند مجرد ما تم في الحياة الإسلامية الأولى، بل يجب الانتفاع بكافة الممكنات التي تتيحها مبادئ الإسلام العامة وقواعده المجملة.

فكل ما أتمته البشرية من تشريعات ونظم اجتماعية ولا تخالف أصوله أصول الإسلام، ولا تصطدم بفكرته عن الحياة والناس، يجب أن لا نحجم عن الانتفاع به عند وضع تشريعاتنا، ما دام يحقق مصلحة شرعية للمجتمع، أو يدفع مضرة متوقعة.

ولنا في مبدأ المصالح المرسلة ومبدأ سد الذرائع، وهما مبدآن إسلاميان صريحان ما يمنح ولي الأمر سلطة واسعة لتحقيق المصالح العامة في كل زمان ومكان"[2].

هذا هو النص الذي استل منه الدكتور -بطريقته في تحريف الكلم عن مواضعه- تلك التهمة التي تخرج صاحبها عن الإسلام، كيف لا وهو يجوز لغير الله أن يشرع ؟!

هذا النص الأبيض الناصع الذي تحول بنظارات الدكتور إلى كفر قاطع نشير أولا إلى أنه عزاه إلى نسخة واحدة ولا يحتاج القارئ بعدما خبر من أحوال الدكتور ما خبر أنها الطبعة المنسوخة -أعني الخامسة- فما السر يا ترى ؟ ثم هناك سؤال -ولا ينبغي للدكتور أن يضجر من سؤالاتنا- فإن هذا الأمر دين وليس هزلا هل أطلعت المشايخ الذين تنوم بأسمائهم القراء في ديباجة كتبك لا سيما الشيخ الألباني والشيخ ابن باز -رحمهما الله تعالى- على هذا الفصل وهل وافقوك عليه؟!

---

[1] القائل هو سيد قطب.

[2] "الأضواء" (ص: 207-208).

فإن كان الجواب إيجابيا أي أهما موافقاك فهل تعدهما غشاشين لسكوهما عن هذا الضلال ردحا من الزمان ؟ لا بل قال الشيخ الألباني إنه –سيد- هو الأستاذ الكبير "[1] مترحما عليه كلما ذكره.

وما أظنك تتجرأ أو تفوه بهذا كما لا تفوه بغمز ابن تيمية لأنك حينئذ تقطع كل حبال الوصل!

أما إن كان هؤلاء الأفاضل لم يوافقوك أو لم يطلعوا على باطلك فلا تدلس على القراء وتتصيد السذج بامتهان أساليب الإشهار الماكرة التي تروج بها السلع ! ثم ماذا –وهذا هو الأهم- ماذا تقول لربك حين تفهم القارئ أن سيدا يقول بجواز التشريع من غير الله مع أنك تقرأ كلامه الواضح في هذه المسألة مرات ومرات، مرات في كل نسخة أو طبعة من طبعات الكتاب حيث يدندن سيد على عدم جواز التشريع لغير الله، ويلهج بذلك، ومرات أخرى لتتبعك الطبعات المختلفة تقرأ فيها نحو قوله إن "المسلم لا يملك أن يتلقى في أمر يختص بالعقيدة والتصور العام للوجود، أو يختص بالعبادة، أو يختص بالخلق أو يختص بالقيم والموازين التي تحكم في المجتمع، أو يختص بالمبادئ والأصول في النظام السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، أو يختص بتفسير بواعث النشاط الإنساني وبحركة تاريخه إلا من ذلك المصدر الرباني..."[2].

تقرأ هذا كله وأنت سادر في سكرة الحنق على سيد أو على إخوانه -لأسباب الله يعلم وحده حقيقتها، ولا بد أن تظهر يوما- تصفهم للقراء بخيانة واضحة بل فاضحة فتقول: "كأن سيدا يرى أن الإسلام غير كامل ولا واف بمتطلبات الأمة الإسلامية". ماذا يسمى من يقول مثل هذا

---

[1] "مختصر العلو" (ص: 59)، ونقل عنه قرابة صفحتين كاملتين أو ثلاثة مستشهدا بكلامه.

[2] "العدالة الاجتماعية في الإسلام" (ص: 200/ الطبعة الثانية عشرة).

في رجل كتب بالخط العريض وصرخ بالصوت الجهير أنه كمل هذا الديـــــن ..و لم يعد هناك من سبيل لتعديل شيء فيه أو تبديل و...؟! الخ كلامه الذي هو نـص في نسف هذه التهمة، هويت يا دكتور في أول طريقـــك إلى مسالك إن لم تتب مـــن آفاقا وتعدل عنها إلى منهج الحق فإنا نخشى عليك والله أن تدفع ثمن جـــدالات في غير محلها، وحروب مع غير مستحقيهـــا، ويحسن بك أن تراجع قبـــــل فـــوات الأوان هذا الانحراف الذي لا تزيده الأيام سوى بعدا عن الصراط المستقيم، يا شيخ حذار أن تبقى أسير خطأ بدر منك فترتكب لأجل الظهور والغلبة أخطاء وأخطـاء، ولئن فاتتك سكته فلا تفتك أوبة!

قد تقول إني اهمت سيدا بتجويز التشريع لغير الله بناء على ما سقته من كـــلام له، فيفهم من قوله إن "كل ما أتمته البشرية من تشريعات ونظـــم اجتماعيـــة ولا تخالف أصوله أصول الإسلام ولا تصطدم بفكرته عن الحياة والنـــاس يجـــب أن لا نحجم عن الانتفاع به عند وضع تشريعاتنا ما دام يحقق مصلحة شرعية للمجتمع أو يدفع مضرة متوقعة" يفهم منه جواز التشريع -لغير الله تعالى- ولا يعنيني أن يكـــون صرح بمعنى مخالف لهذا في كتاب آخر لأن النصوص عندك إن لم تكن كتابـــا أو سنة فلا يعتبر فيها العام والخاص والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ كما تعـــارف عليه أهل الفقه!

أجل قد تتعلل بهذا ، ومع أننا بينا في نقد منهجك في الفصل الأول عيوب هـــذا المذهب وانحرافه عن منهج الحق، فإنا نسوق كلاما مـــن العدالـــة الاجتماعيـــة في الإسلام يشرح لك ولمقلديك مقصـــــود سيد، فإنه بعد سوق رفضه للمســـلم أن يتلقى أي شيء يتعلق بالعقيدة أو الشريعة أو الأخلاق، و...الخ ما ذكر، اســـتطرد قائلا: ولكن "المسلم يملك أن يتلقى في العلوم البحتة، كالكيمياء والطبيعة والأحياء

.

والفلك والصناعة والزراعة وطرق الإدارة من الناحية الفنية الإدارية[1] وطرق العمل من هذه الناحية كذلك، و... الخ ما يدخل في هذا المعنى من المصالح المرسلة، كما ذكر في النص الأول الذي شوهت معناه بقراءتك التي تثبت النص وتزيف المعنى أو تنقص منه من باب: "ويل للمصلين" فهو قرآني نصا مزيف معنى! لأن المعنى الذي يفهمه القارئ بعيد جدا عن سياقه وسباقه الوارد فيه، وكذلك العنوان الذي لخصت فيه فهمك لعبارة سيد بعيد جدا بل مناقض لما ساقه سيد لأجله لتتجلى مرة أخرى براءته هو وتثبت إدانة الدكتور بالتحامل المجاني والاتهام البارد والخروج عن المنهج لإخلاله بالأمانة التي هي أحد أعمدة ذلك المنهج السني كما أن الإخلال بها إحدى ركائز المناهج المبتدعة.

ثم ماذا استنبط الدكتور من كلام سيد هذا، إضافة إلى أنه يرى كأن الإسلام غير كامل؟! لقد فهم من كلام سيد أنه "يمكن لأي دولة تنتمي للإسلام أن تأخذ كل ما تهواه من القوانين الوضعية بحجة تحقيق المصالح ودرء المفاسد وبحجة أنها لا تتنافى مع أصول الإسلام، ولو كانت مصادمة لأصوله ونصوصه" وهذا الكلام يستلزم ويفرض علينا أن نتساءل أين يقرأ الدكتور حين يقرأ كلام سيد: ما في السطر أو ما فوق السطر أم ما تحته أولا هذا ولا ذاك ولا ذلك؟ أما ما في السطور أو فوقها أو تحتها فليس فيه ما ذكر، بلى فيه عكس ما ذكر فلو زاد أول الكلام أداة نفي نحو أن يقول: إن سيدا يرى أنه "لا" يمكن لأي دولة. الخ لكان عين الصواب، فمن أين قرأ ما فهم أو من أين فهم ما قرأ؟! لقد أوضحنا أن سيدا حسم حسما باتا ، وحكم حكما نهائيا بعدم جواز استعارة التشريعات سواء لهوى أو لعجز أو لغير ذلك إذا كان المراد بالتشريع الأحكام والعقائد، بل وكل لون من ألوان النشاط الفكري لأن الشأن فيها" ليس كالأمر في علوم الكيمياء والطبيعة

---

[1] أي مما لا دخل للعقيدة أو التشريع فيه دخل.

والفلك والطب وما إليها" وهذه هي التي لا بأس من أخذها عن كل واحد دون شرط أن يكون من أهل الإسلام، لكن حتى هذه الوسائل لا بد من وضع قيود وشروط لخصها سيد قطب في عدم مخالفة أصول الإسلام أو الاصطدام بفكرته عن الحياة والناس، وذكر أن الباب الذي تلج منه مثل هذه التشريعات هو باب شرعي أصلا يتمثل في مبادئ مطروقة منذ عصور، ومفتوح باها من قبل العلماء منذ دهور حسب مقتضيات التطور والحاجة للمجتمع الإسلامي، وعلى رأس تلك المبادئ مبدأ المصالح المرسلة ومبدأ سد الذرائع، ففيهما متسع للمصالح المرتقبة والمنافع المتجددة !

وهذا الذي ذكره سيد قطب هو الذي ذكره العلماء قبله بقرون، فهذا ابن القيم -رحمه الله تعالى- يقول: "إذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العقل، وأسفر صبحه بأي طريق كان؛ فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره، والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلته وأمارته في نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر، بل بين بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استخرج ها الحق ومعرفة العدل وَجَبَ الحكم بموجبها ومقتضاها، والطرق أسباب ووسائل لا تراد لذواها، وإنما المراد غايتها التي هي المقاصد، ولكن نبه بما شرعه من الطرق على أسباها وأمثالها، ولن تجد طريقا من الطرق المثبتة للحق إلا وهي شرعة وسبيل للدلالة عليها، وهل يظن بالشريعة الكاملة خلاف ذلك ؟! اهـ[1].

ثم إن الاجتهاد بابه مفتوح لمن تأهل له، والمجتهد يشرع بناء على قواعد الدين وأصول الإسلام، ولا يحرم عليه ذلك ، وبين يديك يا دكتور مسائل كثيرة لا سيما ما يتعلق منها بأحكام الحج، يفتي فيها علماء بلدك بما لم يسبقوا إليه نظرا لما جد

[1] "إعلام الموقعين" (373/4).

من أحوال الناس، و لم يقفوا فيها عند الحد الذي وقف فيه علماء المجتمع الإسلامي عبر التاريخ، وثمة لجنة الفتوى بالمملكة - وعلى رأسها الشيخ الفاضل عبد العزيز ابن باز- تتصدر لتلك التشريعات فما العيب في ذلك ؟! وهل يجوز لأحد أن يقول مثل ما قلت أنت: "لجنة الفتوى بالمملكة العربية السعودية تشرع من دون الله ؟!

فمن المعلوم أن الشرع أمر بأشياء ونهى عن أشياء وسكت عن أشياء، فالمسكوت عنه ينظر فيه على ضوء قواعد الدين، ثم يقرر بأي القسمين يلحق، والدولة التي تشرع تبعا للهوى -وتزعم أن تشريعاها وقوانينها لا تعارض أصول الإسلام- ادعى الدكتور أن ذلك يقتضي أن يكون جائزا في نظر سيد فهذا صحيح إذا قرئ كلام سيد بحروف غير عربية وإلا لو سأل نفسه ما رأي سيد في حكومات عصره، لراجع فهمه لتلك الجملة، إن كان فعلا فهمها الدكتور على ذلك النحو الممسوخ! وهذا من أكبر عيوبه أنه خشية تحريف الكلام بالبتر والتنقيص، فإنه يعمد إلى إيراده كما هو نصا، لكن يتصرف فيه كما شاء مضمونا، وهذه بدعة شنيعة تميز منهج الدكتور، ولا تخطئها عين القارئ في جل كتاباته التي ينتقد فيها الغير! !

فقد استنبط من كلام سيد قطب أن الإسلام كأنه غير كامل مع أنه قرأ قوله: "لقد كمل هذا الدين" واستنبط أنه "يمكن لأي دولة تنتمي للإسلام أن تأخذ كل ما تهواه من القوانين الوضعية بحجة تحقيق المصالح ودرء المفاسد وبحجة أنها لا تتنافى مع أصول الإسلام، ولو كانت متصادمة لأصوله ونصوصه"، وهل لقائل هذا الكلام عقل وهو يرى سيدا يرى كفر من يشرع ضد شرع الله "باعتباره رافضا لألوهية الله -سبحانه- واختصاصه بالتشريع لعباده" وهذا أحد مسوغات الحكم عليه بالكفر، وثمة مسوغ آخر لتكفير المشرع خلاف شرع الله،

هو "ادعاؤه حق الألوهية بادعائه حق التشريع للناس". فليت شعري كيف يكون صاحب هذا الكلام يقول بجواز التشريع لغير الله ؟! وماذا يسمى من ينسب إليه هذه التهمة الشنيعة؟! معذور والله الشيخ بكر أبو زيد حين قال: لقد اقشعر جلدي وأنا أقرأ هذا العنوان.. وذكر هذه الفرية التي افتراها الدكتور ربيع على الرجل -رحمه الله تعالى- !

أهذا هو الواجب الذي حتمه الله عليك؟! ما أراه إلا شيطانا لبس عليك باسم النصيحة فأصاب منك المقاتل باسم الغيرة، ومكر بك ليوقعك في البدعة باسم محاربة البدعة، فأفق على منادي العدل وهاتف الإنصاف الذي يؤذن في أعماق الفطرة، ولا تدعه خافت الصوت يوشك أن يختنق من ثقل الباطل الجاثم عليه!

فهل يستفيق الدكتور، أم الْخُنْزُوَانَةُ والتعالي تحول دون ذلك! كيف ما كان الأمر، هذا بلاغ لعقلك ونداء لضميرك ونصيحة لمستقبلك "فاعتبروا يا أولي الألباب"!!

*****

نقد الفصل السادس عشر[1]
"إيمان سيد قطب بالاشتراكية المادية الغالية"

في هذا الفصل قرر الدكتور أن سيد قطب -رحمه الله تعالى- يؤمن "بالاشتراكية المادية الغالية" وتأمــل جيــدا هــذه التهمة، وتأمل أكثر -لحاجتك إلى ذلــك- "قوة الحجج" التي سيسوقها الدكتور لبيان مدعاه، لتدرك إلى أي حد غارق هــذا الرجل في وحل -بل أوحال- من الأخطاء المنهجية والسلوكية! ومما يتفتــت لــه الكبد، أن يكون هذا الصنف مفروضا على تنشئة الأجيال وتعليمها!

يا أيهـــا الرجـــل المعلـــم غيره ** هلاًّ لنفسك كان ذا التعليـــم**
ابـــدأ بنفســك! فانهـــا عن غيها ** فإذا انتهت عنه فأنت حكيـــم**
فهنـــاك يقبـــل ما تقول ويقتـــدى ** بالعلم منـــك وينفـــع التعليـــم**
تصف الدواء لذي السقام من الضنا ** كيما يصح به وأنـــت سقيـــم**
وأراك تلقـــح بالرشـــاد عقولنـــا ** نصحا، وأنت من الرشـــاد**
عديم لا تنـــه عن خلق وتأتي مثلـــه ** عار عليك إذا فعلـــت عظيـــم**[2]

إنه ليحز في النفس أن يتسلم مثل الدكتور ربيع أمانة تعليم مناهج هو السباق في خيانتها والأول في الخروج عن سبيلها، ليتخرج على يده"عصابة من ذوي الأقلام الجارحة والألسن القبيحة " تزري بعلماء المسلمين، فضلا عن عامتهم وتلصق بهم العيوب التي هم منها أبرياء، بسبب تلك السخائم المنهجية التي تشربوها على أيدي أمثال هؤلاء !

ولنأت الآن إلى حجج الدكتور الدامغة -ومعظم حججه والحق يقال دامغــة![1]- التي اكتشف بها أن سيدا يؤمن بالاشتراكية، ولكن ليســت أي اشــتراكية، إنهــا

---

[1] "الأضواء " (ص: 213).

[2] "جامع بيان العلم" (196/1) الأبيات: لأبي الأسود الدؤلي، وتروى للعرزمي.

الاشتراكية الغالية! فقد ساق بعض الفقرات من كلام سيد، تتعلق بأحكام الأموال في المجتمع المسلم، وبما أن الدكتور "مفتح العين للوقوف على أدنى هفوة يشبع بها نهمة عشقه للعثرات، ويروي ظمأ حبه للسقطات، ورأى بعض ما يشبه أحكام الاشتراكية فصاح بأن سيد قطب يؤمن "بالاشتراكية الغالية" لماذا يا حضرة الدكتور؟! لأنه : "لا يخفى أن هذه حجج الشيوعيين والاشتراكيين على ابتزاز أموال الناس وتأميمها باسم العدالة والمساواة، وباسم المصلحة للجماعة وتلك هي حجج الشيوعيين والاشتراكيين..."[2].

هذا هو منهج الدكتور، وذاك سلوكه في إقامة الأدلة، وقبل الخوض في الرد على هذا الذي حسبك منه أن تقرأه وتسمعه، لتقتنع بتهافته، دعنا نذكر بالتعريف ببعض المصطلحات التي أرسلها الدكتور في وجه سيد قطب، مثل الاشتراكية والشيوعية. ففي "المعجم الوسيط": "الاشتراكية مذهب سياسي اقتصادي يقوم على سيطرة الدولة على وسائل الإنتاج وعدالة التوزيع والتخطيط" ومعلوم أن الاشتراكية كما أراد لها أهلها هي مرحلة يتراجع فيها دور الدولة شيئاً فشيئاً، ثم يَنمحِي نهائيا، ليفضي بعدئذ إلى الشيوعية التي هي "مذهب يقوم على إشاعة الملكية، وأن يعمل الفرد على قدر طاقته، وأن يأخذ على قدر حاجته"[3]. أي لا ملكية مطلقا.

بعد هذا نقول:

الدكتور ألصق بسيد تهمة الإيمان بالاشتراكية الغالية فإن كان يقصد "الشيوعية" فهذا كذب مفضوح لأن الملكية الفردية -مقيدة أو مطلقة- منتفية تماما في المجتمع الشيوعي، فأين سيد قطب من هذا وهو الذي نقلت من كلامه أن: "أول مبدأ

---

[1] لكنها لا تدمغ الباطل، وإنما تدمغ الحق!

[2] "الأضواء" (ص: 215-216).

[3] "المعجم الوسيط" (ص:1/499).

يقرره الإسلام بجوار حق الملكية الفردية[1]"... الخ ويقول أن "الإسلام لا يدع حـــق الملكية الفردية المطلقة بلا قيود ولا حدود...[2] " إن كل حرف من هذه الحـــروف ليرسل إليك ما لا يحصى من معاني التوبيخ ويصرخ بقوة في وجه من لا يستحيي من اتهام من يقرر الملكية الفردية "بالاشتراكية الغالية" على هذا المعنى، أما لو قرأ القارئ مـــا لم تذكره وأخفيته لما صدقك حتى أتباعك فضلاً عن فضلاء العقلاء! وها أنـــا ذا أعرض على القارئ ما أخفاه الدكتور" الأمين"!!

قال سيد -رحمه الله تعالى- في فصل "سياسة المال في الإســـلام" بعـــد تمـــهيد مقتضب:

وبعد فلنأخذ في التفصيل والبيان.

◆ **الملكية الفردية.**

حق الملكية الفردية: يقرر الإسلام حق الملكية الفردية للمال -بوسائل التملـــك المشروعة التي سيرد بيانها بعد قليل- ويجعلها هي قاعدة نظامه..."[3]. فهل يَلْتَفـــتُ بعد هذا أحد إلى كلام الدكتور الذي اتهم سيداً بالاشتراكية الغالية إلا أن يكـــون مطموس البصيرة؟!

قد يقول الدكتور[4]: لا، أنا ما قصدت "بالاشتراكية الغالية" الشيوعية، إنما اشتراكية فحسب، إلا أنها مفرطة في اشتراكيتها ودون أن تبلغ في إفراطها وغلوها الشـيوعية، عندئذ نقول: صدقنا وآمنا، فما تريده نقبله، فإذا قلت أنا ما خطر ببالي اتهام ســـيد قطب أنه شيوعي، عندها نقول يا دكتور فلماذا تقول "هي حجـــج الشـــيوعيين

---

[1] "الأضواء" (ص: 213).

[2] "نفسه" (ص: 215).

[3] "العدالة الاجتماعية في الإسلام" (ص: 88). الطبعة الثانية عشرة.

[4] ويتوجع ويتعذر لنفسه، أنا لا أدري لماذا قلت أو فعلت، أو لم أكن أعلم كيت وكيـــت وغيرها من الأعذار التي يستحقها وحده دون أمة محمدﷺ!

والاشتراكيين[1] وتكررها وتقول "وفي مصير الأنظمة الشيوعية والاشتراكية أعظـــم عبرة للمعتبرين"؟! كان عليك الاكتفاء بذكر ما يتعلق بما أنت بصدده، أم أنه العداد العجيب الذي ابتليت به، فصارت الأمور مضخمة ببركته لا بارك الله فيه! وتعـال الآن إلى موضوع الاشتراكية المزعومة لنقول:

◆ هل سيد قطب يؤمن بالاشتراكية الغالية؟!

هذا ما قاله الدكتور وقرره، لكن:

هل صح قول من الحاكي فنقبله ** أم كل ذاك أباطيل وأسمـــار**

أما العقول فآلت أنه كـــــذب ****والعقل غرس له بالصدق أثمار[2]

قال الدكتور:

"لقد قرر سيد قطب الاشتراكية المادية الغالية في عدد من كتبه؛ كـــــــ" العدالـــة الاجتماعية"؛ أي: الاشتراكية الغالية[3]، و... الخ كلامه[4] وسنأتي على ذكـــر كـــل ذلك -بحول الله وقوته-. ونقف هنا عند الفقرات التي بموجبها استنبط الدكتـــور، بعدما فكر وقدر، أن سيدا مؤمن بالاشتراكية المادية الغالية.

قال فضيلته أصلح الله شأنه باتباع منهج أهل السنة بالرفع لا بالخفض:

ومن أقواله[5] بهذا الصدد:

"وأول مبدأ يقرره الإسلام بجوار حق الملكية الفردية:

1 - أن الفرد أشبه شيء بالوكيل في هذا المال عن الجماعة.

---

[1] "الأضواء" (ص: 126).

[2] "اللزوميات" (435/1)، للمعري.

[3] العنوان الكامل للكتاب هو "**العدالة الاجتماعية في الإسلام**" فهل معنى هذا أن الدكتور أبدل العنوان ليصبح هكذا: " "الاشتراكية الغالية في الإسلام"؟! هو وما يدري!

[4] "الأضواء" (ص: 213).

[5] أي أقوال سيد التي تدل على اشتراكيته الغالية فترقب!

2 – وأن حيازته له إنما هي وظيفة أكثر منها امتلاكاً.

3 – وأن المال في عمومه إنما هو أصلا حق الجماعة.

4 – والجماعة مستخلفة فيه عن الله الذي لا مالك لشيء سواه.

5 – والملكية الفردية تنشأ عن بذل الفرد جهدا خاصا لحيازة شيء معين من هذه الملكية العامة التي استخلف فيها جنس الإنسان".

هذا هو النص الأول الذي رأى فيه الدكتور رأيه، وجعله حجة ودليلا على اشتراكية سيد قطب مع أن كل مضمونه لا يخرج عما ذكره المفسرون عند قوله تعالى ﴿**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما**﴾[1] فرغم أن المال هو ملك للسفيه فقد نسبه الله تعالى إلى الجماعة باعتبارها محتاجة إليه لقيام حالها وشأنها، وهو ملك لله على الحقيقة جعلنا مستخلفين فيه، فوجب مراعاة أحكامه تعالى في ذلك. فهذه المعاني معاني قرآنية إسلامية لا اشتراكية مادية يا دكتور، واسمع ما قال ابن كثير وهو عالم موحد لا اشتراكي ملحد!: قال –رحمه الله تعالى–: "ينهى سبحانه وتعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياما، أي تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها ومن هنا يؤخذ الحَجْرُ على السفهاء وهم أقسام، فتارة يكون الحجر للصغر...، وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين..."[2] وهذا الذي ذكره ابن كثير–رحمه الله تعالى– عبر عنه سيد قطب أن "حق التصرف مرهون بالرشد، وإحسان القيام بالوظيفة، فإذا لم يحققها المالك: وقفت النتائج الطبيعية للملك، وهي حقوق التصرف" فهذه المفاهيم المستلة من نصوص الوحي مفاهيم إسلامية وليست اشتراكية، بل صرحت النصوص أن المالك الحقيقي لكل شئ وليس للمال وحده هو الخالق جل وعلا، قال سبحانه وتعالى: ﴿**ءامنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين**

---

[1] (النساء/5).

[2] "تفسير ابن كثير" عند تفسيره للآية الخامسة من سورة "النساء".

فيه﴾[1] قال العلامة ابن عاشور "وجـــاء بـــالموصول في قولـــه **﴿مما جعلكـم مستخلفين فيه﴾** دون أن يقول: وأنفقوا من أموالكم. أو مما رزقكـم الله لمـا في صلة الموصول من التنبيه على غفلة السامعين[2] عن كون المـال لله جعـل النـاس كالخلائف عنه في التصرف فيه مدة ما "[3] فهل هؤلاء جميعا اشتراكيون يا دكتور؟!

◆ عقدة الخلط.

إن الدكتور يعاني كثيرا من هذه العقدة فليس كلما قال أحد قولا صحيحـا في نسبته إلى الإسلام، ووافق قوله ذلك قول فئة من الفئات الضالة، رمينـاه بتهمـة الإيمان بمذهب تلك الفئة. فمن المقرر في الإسلام أنه إذا تعارض حق الفرد مع حـق الجماعة يهدر الأول لصالح الثاني، فإن قالت الاشتراكية أو غيرها مـن المذاهـب بنفس القول، لا يكون القائل بموجب دينه لهذا الحكم اشتـراكيا أو شـيوعيا ولا عبرة بالتشابه الذي قد يوجد بين المذهبين في الحكم والاحتجاج له.

لكن الدكتور سلك مسلكا مغايرا، وانقض على عبارات سيد حين رآها تشـابه في بعض وجوهها[4] ما يقوله الاشتراكيون، فقال:"ولا يخفـى[5] أن هـذه حجـج الشيوعيين والاشتراكيين على ابتزاز أموال و... الخ" هذيانه.

◆ هل الرسولﷺ كان اشتراكيا؟

أستغفر الله على هذا الكلام الذي هو لازم للمنهج المبتدع الذي يتصدره أمثـال الدكتور، ويكفي برهانا على انحراف هذا النوع من الاستنباطات أنا لـو طردنـاه لقادنا إلى نتائج عياذا بالله منها، ونستغفره من مجرد ذكرها ! فهذا نبينا ﷺ يقـول:

---

[1] (الحديد/7).

[2] من أضراب الدكتور.

[3] "التحرير والتنوير" (369/27).

[4] لا كلها طبعا فشتان بين شرع العلي القوي وبين القانون الوضعي!!

[5] على الدكتور وحده.

«المسلمون شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار»[1] فهل يكون عليه الصلاة والسلام" اشتراكيا لأن الاشتراكية تؤمم هذه الثروات؟! وإذا قال مسلم أو عمل بتوجيه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم يكون اشتراكيا لمجرد موافقة الاشتراكيين له في ذلك؟! عجيب أمرك يا دكتور! وأعجب منه تماديك على هذا السبيل، واسترسالك في اقتفاء منهج عليل، فهل تعود يوما إلى الصواب، وعفا الله عما سلف؟! هذا رجاؤنا لك، إن اتهام سيد بالاشتراكية رغم كلامه الصريح في نقدها والسخرية من مبادئها التي تتعارض مع الشريعة العصماء، ليؤكد أن الدكتور يحكم الهوى في الحكم على الناس وتقويمهم، ولو وضعنا أي عالم من العلماء لوزنه وفَتْشِه لهوت كفته لنجده في الأخير محشورا في زمرة فرقة من فرق البدع والأهواء ! وحسبك من هذا أن لازم منهجه أن يكون نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من رواد الشيوعية أو الاشتراكية فيا للعار والشنار، وقبح الله سبيلا يفضي إلى هذه النتائج !

فهذا الإمام الطبري -رحمه الله تعالى- يقرر وينتصر للمذهب القائل إن الذبيح من أبناء إبراهيم عليه السلام هو إسحاق كما تقول النصرانية، لا إسماعيل كما يقول جمهور المسلمين، وعليه فمنهج الدكتور يقضي أن نكتب بالخط العريض أن

---

[1] رواه أحمد (364/5)، وأبو داود (17) في كتاب: البيوع والإجازات، (62) باب: من منع الماء (الحديث: 3477). وابن عدي في " الكامل" (451/2-452). من طرق عن حريز بن عثمان، عن أبي خداش (واسمه: حبان بن زيد الشرعبي)، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرفوعا.

وهذا إسناد صحيح، رجاله رجال الصحيح، غير حبان بن زيد الشرعبي وهو ثقة وله شاهد من حديث أبي هريرة.

رواه ابن ماجه (2373) في: الرهون، باب: المسلمون شركاء في ثلاث، عن عبد الله بن يزيد عن سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عنه مرفوعا.

ولفظه: ((**ثلاث لا يمنعن الماء، والكلأ، والنار**)).

وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحيحين.

قيدوم المفسرين وإمام المؤرخين يؤمن بالنصرانية لمجرد تشابه أحكامه لأحكامها أو حججه لحججها فوا عجبا! وكذلك موافقة شيخ الإسلام ابن تيمية[1] -رحمه الله تعالى- للمعتزلة في مسألة "فناء النار" يقتضي -على هذا- اتهامه "بالإيمان بمذهب الاعتزال " لأن ثمة تشابها بين احتجاجه لما ذهب إليه، واحتجاجات المعتزلة لمذهبهم!

◆ **إذا كان سيد قطب اشتراكيا فالدكتور ربيع رأسمالي.**

إن الاشتراكية والرأسمالية مذهبان متضادان، وإن كانا وجهين لعملة كافرة واحدة، لأجل هذا فسيان في اللوم، ومتشابه في الإثم أن يقال فلان اشتراكي أو فلان رأسمالي! وإذا كان الأمر كذلك فلا يمكن للدكتور أن يثبت اشتراكية سيد إلا إذا اعترف برأسماليته هو، بحيث أن الدليل الذي يستسرجه الدكتور لإدانة سيد هو نفس الدليل الذي يطوق عنقه بتهمة الرأسمالية! فإذا كان سيد اشتراكيا غاليا لقوله إن الدولة المسلمة إن رأت ضررا يمكن أن يلحق سواد مجتمعها جاز لها التدخل في الملكية الفردية لرفع ذلك الضرر، أقول إذا كان هذا يجعل من سيد اشتراكيا غاليا، فاعتراض الدكتور على هذا يجعل منه إقطاعيا من الدرجة الأولى! هذا مع أن سيدا مؤيد بنصوص وقواعد وأقوال أئمة الإسلام، خلافا لصاحبنا هذا الذي صار منهجه نتوءا تنبت لمسخ الصورة الجميلة التي تأسس عليها فقهنا الإسلامي، لتحقيق المصالح ودرء المفاسد، وإقامة العدل والقسط بين الناس، وما أروع ما قاله ابن القيم[2] -رحمه الله تعالى- في إعلامه أن "الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي مصالح كلها ورحمة كلها وعدل كلها وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أُدخلت فيها

---

[1] وكذلك تلميذه ابن القيم. (انظر رفع الأستار للإمام الصنعاني).

[2] "إعلام الموقعين" (3/3) باب: بناء الشريعة على مصالح العباد في المعاش والمعاد.

بالتأويل!! لله در ابن القيم فكأنما يوبخ أمثال الدكتور، كلا ! فما للدكتور ليحشر نفسه أو يقحم عقله مع العقول الكبار الذين فهموا الكتاب والسنة وأبصروا بهما الطريق، أين هو حتى يتطفل على موائدهم، ويفتات على آرائهم، ولما يشتد عوده بعد، شريطة أن يعتدل ذلك العود ما دام في الأمر متسع، أما إذا استمر نباته على اعوجاجه المنهجي فهيهات، هيهات!

إن طريقة الدكتور هذه في تقرير أحكامه -أعني اتهاماته-[1] تذكرني بمنهج بعض الاشتراكيين الذين رأوا بعض أقوال الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري[2] تشبه ما قرره مُنَظروا نظرية الاشتراكية فصاحوا بلا حياء أو استحياء إن أول الاشتراكيين العرب هو أبو ذر! فما أشبه السبيلين وإن تباينت أسماؤهما!

وكذلك ذكرني هذا المنهج المريض الذي قرر به الدكتور اشتراكية سيد، بشبيه له في الماضي، اتهم الحافظ الدارقطني -فريد عصره وقريع دهره- بالتشيع لا لشيء سوى لأنه يستشهد لبعض أقواله في اللغة بشعر أحد الشعراء الشيعة الحميري!

قاتل الله هذا الغباء الذي لا يفرق بين الجد والهزل ولهذا لما ذكر الذهبي هذه الرواية في تذكرته علق بقوله "ما أبعده عن التشيع" وكذلك نقول ما أبعد سيد عن الاشتراكية، غالية كانت أم رخيصة!!

خلاصة الأمر أنا أريناك نموذجا من النصوص التي اتكأ عليها الدكتور، وحسبها تقوم بخدمته فيما أراد من إساءة إلى سيد، وحجته "تشابه احتجاج سيد باحتجاج الاشتراكيين" فهذه المقدمة تؤدي إلى تلك النتيجة: إذن: "سيد يؤمن بالاشتراكية".

---

[1] لأن معظم أحكامه تتبع عورات المسلمين والتشهير بأخطائهم -إن وجدت- وافترائها إذا لم توجد ! وقد عرف القارئ أمثلة كثيرة من ذلك.

[2] هو أبو ذر الغفاري الزاهد المشهور الصادق اللهجة، كان من السابقين إلى الإسلام وقصة إسلامه في الصحيحين على صفتين بينهما اختلاف كانت وفاته رضي الله عنه بالربذة سنة: (31 هـ) وقيل في التي بعدها وعليه الأكثر. "الإصابة في تمييز الصحابة" (60/8 الكنى).

وعلى هذا الأساس فإن اتفقت حجتنا للاستدلال على وجود الخالق سبحانه مع حجج النصارى مثلا أفضى بنا هذا إلى الإيمان بالنصرانية.

إن الاختلاف مع مذهب من المذاهب لا يقتضي أن يحصل تناقض في كل كبيرة وصغيرة، كما لا يعني الاتفاق في مسألة أو مسائل أن تتساوى بذلك المذاهب. وهذه مسألة تتفق عليها بداهة آراء العقلاء، فلا زالت هناك قواسم مشتركة يمكن أن يلتقي عليها الناس مهما تناقضت مذاهبهم، وابتعدت آراؤهم، ولا أدل على ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: **«حضرت حلفا في بيت عبد الله بن جدعان، ما أحب أن لي به حمر النعم»**، وفي رواية: **«لو دعيت إليه في الإسلام لأجبت»**[1]. فهذا الحلف قائم على مبادئ اتفقت على احترامها عدة فئات، على ما بينها من شقاق، وتلاقت على الدفاع عنها دون أن يذوب تلاقيها هذا المسافة التي تفصل الكفر عن الإسلام!

---

[1] رواه أحمد (1/190-193)، والبخاري في "الأدب المفرد" (256)، وأبو يعلى في "المسند" (1/387-388)، والحاكم (2/219-220)، وابن حبان (4373)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (2/38)، و"السنن الكبرى" (6/366)، من طرق عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف مرفوعا.

قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رجال الصحيحين، غير عبد الرحمن بن إسحاق استشهد به الشيخان وهو ثقة.

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة:

رواه ابن حبان (4374)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (2/38)، عن معلى بن مهدي، عن أبي عوانة، عن عمر بن أبي سلمة (في الدلائل: ابن أبي أسامة، وهو تصحيف)، عن أبيه مرفوعا.

قلت: وهذا إسناد حسن في الشواهد، رجاله ثقات، رجال الصحيحين، غير عمر بن أبي سلمة، قال عنه الحافظ في "التقريب": صدوق يخطئ.

◆ هل هذه حجج الاشتراكية أم حجج المسلمين؟

كل ما تقدم مبني على التسليم للدكتور أن بعض الأحكام التي قررهـا سيد قطب، والأدلة التي أدلى بها تشبه حجج الاشتراكيين، لأن ذلك التشابه لابد كائن مع كل نحلة ومذهب، دون أن يفيد -كما علمت- انصهار نحلة في نحلة أو تداخل مذهب في مذهب.

لكن لو قلنا للدكتور هل حجج سيد في كلامه عن سياسة المال في الإسلام تشبه حقا حجج الاشتراكيين؟! فهل يقول الاشتراكيون -فضلا عن الشيوعيين- ما قال سيد في أن "الملكية لا تثبت إلا بإثبات الشارع وتقريره أمر متفق عليه بين فقهاء الإسلام، لأن الحقوق كلها، ومنها حق الملكية لا تثبت إلا بإثبات الشارع لها وتقريره أسبابها"[1] .. ولهذا الحكم قيمته في توضيح نظرية الإسلام في حق الملكية... لأن الأصل أن المال مال الله مستخلف فيه بنو الإنسان، وكل إذن بتخصيصه لابد أن يصدر من الشارع حقيقة أو حكما".[2]

هل سمعت اشتراكيا يقرر أن المال لا بد من صرفه بإذن من الله ؟! أي صفاقة هذه، وأي خلط للأوراق هذا ؟! إن المالك في الإسلام -كما قال سيد قطب- هو الله سبحانه وليس الشعب أو البروليتاريا كما تقرر المذاهب الاشتراكية فهل مع هذا الاختلاف الكبير في المرجعية، تكون الاحتجاجات واحدة أو متشابهة؟! لو لم يكن إلا هذا التباعد في مرجعية التشريع بين الطريقين لكانت دعوى تشابه الحجج طيش عقلي وسفه فكري، وجرأة على المغالطة وإقدام على احتقار الناس بما لا مثيل له!

ثم أمر يكون فيه اتفاق الفقهاء ويقرره سيد قطب، كيف يكون بذلك وحده اشتراكيا دون باقي المسلمين؟!

---

[1] "العدالة الاجتماعية في الإسلام" (ص: 95)

[2] "نفسه".

إن اتفاق النتيجة مع اختلاف المرجعية أو اختلاف النية لا يكون منه تشابه في الاحتجاج أبدا ؟

ولنفترض قبيلة من القبائل نزلت بهم نازلة اجتاحت خضراءهم، وأكلت نعماءهم وبقيت صبابة نعمة هنا وهناك لديهم، فاتفقوا على اقتسامها باسم فلسفة أرضية اشتراكية أو شيوعية، فهذه بادرة لا تشبه بتاتا بادرة قبيلة فعلت مثل ذلك لنفس الأسباب لكن الدفع لها، تعاليم الإسلام، كما قالﷺ: **«إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»**[1] فلا صار الأشعريون بفعلهم شيوعيين ولا اعتبر النبي ﷺ بإقراره وقوله " أنا منهم" شيوعيا مثلهم، حتى لو كانت صورة فعلهم تشبه صورة فعل أولئك الشيوعيين، لافتراق المنطلقات وتباين النيات والمرجعيات، فأين أنت يا دكتور؟!

◆ الإمام الشاطبي ليس اشتراكيا.

وقد يرى الدكتور سيداً اشتراكيا لكونه يغلب مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ويرى في هذا شبها بالاشتراكيين، لذلك أختم معه رد هذا النوع من الأوهام وأحيله على كلام نفيس للإمام الشاطبي يبين فيه بأن روح الإيثار، والتغلب على نزوة الاستبداد التي تهواها النفس هو من صميم ديننا، وأمر محمود في شرعنا وليس الإمام الشاطبي اشتراكيا إذا قال: "إن إسقاط الاستبداد والدخول في المواساة على السواء" أمر محمود جدا.. ذلك أن مسقط الحق هنا قد رأى غيره مثل نفسه، وكأنه أخوه أو ابنه أو قريبه أو يتيمه أو غير ذلك ممن طلب القيام عليه ندبا أو وجوبا- فإذا صار كذلك لم يقدر على الاحتجاج لنفسه دون غيره ممن هو مثله، وفي مسلم

---

[1] رواه البخاري (2486) في الشركة (1) باب: الشركة في الطعام والنهد والعروض، ومسلم (167) في فضائل الصحابة (39) باب: من فضائل الأشعريين، رضي الله عنهم. بشرح النووي.

عن أبي سعيد -رضي الله عنه- قال: "بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا، فقال رسول الله ﷺ: **«من كان معه فضل ظهر[1] فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له»**[2]". قال فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل[3]... الخ كلامه النفيس -رحمه الله تعالى- فارجع إليه لكن حذار أن تنظر إليه بعيني منهجك لأنك ملزم بالحكم عليه بأنه شيوعي لاسيما عند استشهاده بالحديث الذي فيه **«حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا في فضل»** فلو قارنته مع قولهم في تعريف "الشيوعية" أن يعمل الفرد على قدر طاقته، ويأخذ على قدر حاجته" لقلت هذا من هذا. لكن شتان بين الشريعة السمحاء الغراء والشيوعية الحاقدة الحمراء! ولا يمكن أن يخلط بين الأمرين -على ما يبدو من تشابه في بعض النواحي- إلا رجل كالذي ذكره ابن الجوزي في "أخبار الحمقى والمغفلين"[4] وقد سئل لم تبغض الشيعة ؟! فأجاب: لأني رأيت كل شئ فيه الشين مبغض فعدد أسماء نحو الشيطان والشر و... الخ فما أقوى حجته! فما أدري ما يكون رأيه في نبي الله شعيب وشيت، كما لا أدري ما حكم الدكتور على الشاطبي!

وأختم هذا التعليق مبينا ما أخفاه الدكتور ربيع من "الظلال"[5] -وهو كثير- من ذلك على سبيل المثال:

---

[1] أي زيادة ما يركب على ظهره من الدواب، وخصه اللغويون بالإبل.

[2] رواه مسلم (18) في اللقطة، (4) باب: استحباب المواساة بفضول المال. بشرح النووي.

[3] "الموافقات" (353/2-354)، باختصار.

[4] كما أنه يذكر أخبارا لأناس عقلاء أذكياء، لكن يأتون بأشياء غريبة تشبه أخبار الحمقى والمغفلين، كما هو الشأن بالنسبة للدكتور ربيع.

[5] "الظلال" (2131/4-2132).

ومن ثم يصبح القول بأن ما يسمى"الاشتراكية العلمية" منهج مستقل عن المنهج المادي مجرد جهالة أو هراء! ويصبح الأخذ بما يسمى "الاشتراكية العلمية" - وتلك قاعدتها ونشأتها ومنهج تفكيرها وبناء أنظمتها- عدولا جذريا عن الإسلام: اعتقادا أو تصورا ثم منهجا ونظاما. حيث لا يمكن الجمع بين الأخذ بتلك "الاشتراكية العلمية" واحترام العقيدة في الله بتاتا. ومحاولة الجمع بينهما هي محاولة الجمع بين الكفر والإسلام... وهذه هي الحقيقة التي لا محيص عنها... إن الناس في أي أرض وفي أي زمان، إما أن يتخذوا المادية دينا، فإذا اتخذوا الإسلام دينا امتنع عليهم أن يتخذوا "الاشتراكية العلمية" المنبثقة من "الفلسفة المادية"، والتي لا يمكن فصلها عن الأصل الذي انبثقت منه، نظاما... وعلى الناس أن تختار... إما الإسلام، وإما المادية، منذ الابتداء!

إن الإسلام ليس مجرد عقيدة مستكنة في الضمير. إنما هو نظام قائم على عقيدة... كما أن "الاشتراكية العلمية" –بهذا الاصطلاح- ليست قائمة على هؤلاء، إنما هي منبثقة انبثاقا طبيعيا من "المذهب المادي" الذي يقوم بدوره على قاعدة مادية الكون وإنكار وجود الخالق المدبر أصلا، ولا يمكن الفصل بين هذا التركيب العضوي... ومن ثم ذلك التناقض الجذري بين "الاشتراكية العلمية" بكل تطبيقاتها!

ولا بد من الاختيار بينهما...ولكل أن يختار وأن يتحمل عند الله تبعة ما يختار!!هـ.

إنه لمن العار أن يتهم صاحب قلم تفنن كل هذا التفنن في وصف القطيعة العقدية والمفارقة الشاملة بين"الاشتراكية العلمية" وبين الإسلام، بأنه يقول بالاشتراكية المادية لا! بل والغالية!! بربك ما الفرق بين من يقول هذا ومن يتهم ستالين أو لينين بأنه مسلم!!

*****

-نقد الفصل السابع عشر-
"الــولاء والبراء عنــد سيــد قطــب"

وهذا هو الفصل الأخير الذي أودع فيه الدكتور آخر التهم التي رمى بها سيد قطب ظلما وعدواناً، وهي الأخرى لا تختلف عن سابقتها من التهم، لأنك لا تجدها فيما خطه سيد بقلمه وإنما وليدة أوهام أصابت الدكتور في عقله! وكما عودنا طوال هذا البحث، يترك ميدان التحقيق، ويختلف إلى غيره ليعدو لوحده، وينتصر على نفسه ثم يعود بالنتيجة التي ضمتها فصول هذا الكتاب.

وإلا فهل يعقل من يقول إن سيدًا "يزعم " أن الإسلام يشرع موادة الكفار الذين لا يحاربوننا من الذميين وغيرهم؛ يهوداً كانوا أو نصارى أو مجوسا أو شيوعيين؛ فكل من لم يحاربنا؛ فالإسلام يشرع موادهم ومحبتهم ورحمتهم وحمايتهم وحماية عقائدهم ومعابدهم، والدفاع عنهم.

وبهذا يكون قد جنى على الإسلام جناية كبيرة، وسعى في تمييع وتضييع مبدأ الولاء والبراء، وقال على الله ما لم يقل، بل قال بضد ما قاله الله وقرره في محكم كتابه وبضد ما قاله "رسول اللهﷺ" في سنته وما قرره علماء الإسلام.

وسيد قطب يجاري في هذا الذي ينسبه إلى الإسلام أفراخ الاستعمار من الكتاب والأحزاب الضالة التي ضيعت الإسلام، وهدمت مبدأ الولاء والبراء في نفوس المسلمين وبلاد الإسلام"؟[1]

أقول: هل يعقل من يتهم سيدا بتمييع "الولاء والبراء" ويستدل عليه بقوله تعالى: ﴿**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله...**﴾[2] الآية مع أن سيدا قال في تفسيرها" وفي النهاية تجيء القاعدة الثابتة التي يقف عليها المؤمنون، أو الميزان الدقيق للإيمان في النفوس...

---

[1] "الأضواء" (ص: 217-218).

[2] (المجادلة/22).

إنها المفاصلة الكاملة بين حزب الله وحزب الشيطان، والانحياز النهائي للصف المتميز، والتجرد من كل عائق وكل جاذب، والارتباط في العروة الواحدة بالحبل الواحد، فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وما يجمع إنسان في قلب واحد وُدَّيْنِ، ودا لله ورسوله وودا لأعداء الله ورسوله! فإما إيمان أو لا إيمان. أما هما معا فلا يجتمعان!

وجاء أيضا في"الظلال[1] "في الحديث عن أهل الكتاب: "إن الإسلام لا يكرههم على ترك معتقداتهم واعتناق الإسلام لأنه لا إكراه في الدين ولكن هذا ليس معناه أنه يعترف بما هم عليه "دينا" ويراهم على "دين"... ومن ثم فليس هناك جبهة تدين يقف معها الإسلام في وجه الإلحاد! هناك "دين" هو الإسلام... وهناك "لا دين" هو غير الإسلام... ثم يكون هذا اللادين... عقيدة أصلها سماوي ولكنها محرفة، أو عقيدة أصلها وثني باقية على وثنيتها. أو إلحادا ينكر الأديان. تختلف فيما بينها كلها، ولكنها تختلف كلها مع الإسلام، ولا حلف بينهما وبين الإسلام ولا ولاء..." اهـ.

فهذا موقف سيد الواضح من موادة الكفار، وذاك اهامك الفاضح لخطأ المنهج الذي تسير عليه، وكلام سيد قطب عال حقيقة ومجازا، وكلامك نازل حقيقة ومجازا أيضا ولا أراك وأنت تحاول النيل منه إلا:

كناطح صخرة يوما ليوهنها**فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل[2]**

فكلامه الفصيح وقوله الصحيح هو الصخرة التي تكسرت عليها قرون أوعال شبهاتك، فوا أسفاه على " الجرح والتعديل" إن كان اليوم رجاله على هذا النحو، الذي يشمت بنا الأعداء من المبتدعة والملحدين والضالين! منهج من يشتهي الخطأ لأخيه عوض أن يتمنى له الصواب، فإذا لم يجد خطأ اخترع له خطأ في المعنى إن فاته المبنى!!

---

[1] (915/2).

[2] الأعشى ميمون بن قيس.

ما أبعد مواقف الدكتور ربيع -ومن يسير على منهجه أو يثني على طريقته- ومواقف السلف الصالح! وإليك -إن لم يكفك ما تقدم من مواقف أئمة السنة حقا وصدقا- هذا الموقف من أحد رجال هذا الشأن لا إناثه!! وهو يحيى بن سعيد القطان، فاسمع يا دكتور وابك على حالك، واندم على ما بدر منك، وكن شجاعا في الاعتراف، واعدل عن مسالك الانحراف، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. قال الذهبي -رحمه الله تعالى- في ترجمة عفان بن مسلم الصفار[1]: "قال الفلاس[2]: رأيت يحيى (القطان) يوما حدث بحديث، فقال له عفان ليس هو هكذا، فلما كان من الغد أتيت يحيى، فقال: هو كما قال عفان، **ولقد سألت الله أن لا يكون عندي على خلاف ما قال عفان!**"[3] رحم الله يحيى القطان، يدعو الله أن يكون اعتراض تلميذه أو أحد أقرانه صوابا، ولا يستنكف من ذلك! والدكتور ربيع إنما يتصرف على نقيض ذلك، فمن أسعد بالسلف، وأي المنهجين هو منهج أهل السنة؟! لندع الدكتور- ومن والاه- يختار ما يشاء، أما نحن فنأخذ بركاب يحيى وإخوانه ونقول لك كما قال الذهبي معلقا على صنيعه

---

[1] هو عفان بن مسلم، أبوعثمان الأنصاري مولاهم البصري الصفار محدث بغداد، الحافظ الثبت، كان ممن لم يجب في المحنة، ولد بعد سنة: (130 هـ)، وتوفي سنة: (220 هـ)، "تهذيب الكمال" (100/13)، و"تهذيب التهذيب" (174/4)، و"تذكرة الحفاظ" (379/1) للإمام الذهبي.

[2] هو عمرو بن علي بن بحر بن كنيز، أبو حفص الفلاس، الصيرفي الباهلي، البصري، الثقة الحافظ، توفي سنة: (149هـ)، صنف المسند والعلل والتاريخ، كان بعض أصحاب الحديث يفضلونه على علي بن المديني ويتعصبون له، "تهذيب الكمال" (297/14)، و"تهذيب التهذيب" (367/4)، "التقريب" (ص: 424).

[3] حدث عن عبد الله بن بكر بن عبد الله، عن الحسن في مسجد الجامع في الوصية. "تهذيب الكمال" (106/13).

المشرف: "**هكذا كان العلماء، فانظر يا مسكين! كيف أنت عنهم بمعزول!**"[1] إي والله معزل وأي معزل!! معزل من اشتهاء العثرات للناس، وإساءة الظن بهم، وأشياء كثيرة، وراءها مآرب شتى، جعلت طريق السلف لا ترى في كتاباتك سوى أسماءهم أما تصرفاتهم ومناهجهم فكأنها عدم!

على كل حال لنعد إلى دعوى الدكتور أن سيد قطب يدعو إلى موادة الكفار مجاراة لأفراخ الاستعمار والأحزاب الضالة و...الخ الطوائف المنحرفة التي "يعشق" الدكتور عشقا أن ينسب سيداً إليها بالجائز والحرام، والممكن والمستحيل! فما هي الشبهة التي تعلق بها يا ترى؟ قال في "**ظلماته**" -أعني التي يراها أضواء -: "ومع تشدد سيد قطب وتكفيره للمجتمعات الإسلامية وتقرير معاداتهم وبغضهم ومفاصلتهم، ودعوة أتباعه إلى ما يسمى بالعزلة الشعورية؛ فإنه مع ذلك يدعو إلى موادة الكفار على مختلف مللهم إذ لم يحاربوننا، وينسب ذلك إلى الإسلام، فيقول: "والإسلام لا يكفل لأهل الذمة دماءهم فقط كما يقول الرسول ﷺ: ((**من قتل معاهدا؛ لم يرح رائحة الجنة**))[2]، ولا أموالهم وحرياتهم فقط ((**من ظلم معاهدا أوكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه**))[3]. ثم يدعهم في عزلة اجتماعية، مكتفيا بحماية أرواحهم وأموالهم وحرياتهم... كلا؛ إنما هو يفسح في رحابه وبين أهله أن يعيشوا

---

[1] "سير أعلام النبلاء" (249-248/10).

[2] رواه البخاري (3166) في الجزية والموادعة (5) باب: إثم من قتل معاهدا بغير جرم.

[3] رواه أبو داود (3052) في الخراج والإمارة والفيء، باب: في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، والبيهقي في "السنن" (205/9)، والبغوي في "شرح السنة" (180/11)، عن صفوان ابن سليم عن عدة (قال البيهقي: ثلاثين) من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم عن رسول الله ﷺ به. قال الحافظ العراقي في "فتح المغيث" (4/4): هذا إسناد جيد وإن كان من لم يسم،= =فإنهم عدة من أبناء الصحابة يبلغون حد التواتر الذي لا يشترط فيه العدالة، والسخاوي في "المقاصد" (ص:392) قال: سنده لا بأس به ولا يضر جهالة من لم يسم من أبناء الصحابة فإنهم عدد منجبر به جهالتهم ولذا سكت عليه أبو داود.

مواطنين محترمين، تربط بينهم وبين المسلمين صلات المودة والتبادل الاجتماعي والمجاملات العامة، فلا يعزلهم في أحياء خاصة، ولا يكلفهم أعمالا خاصة، ولا يمنعهم الاختلاط بالمسلمين، على نحو ما يمنع البيض السود في أمريكا والملونون في جنوب إفريقيا.

إن الذميين في الإسلام يودون ويوادون، ويعيشون في جو اجتماعي طلق، يدعون إلى ولائم المسلمين، ويدعون المسلمين إلى ولائمهم، ويتم بينهم ذلك التواد الاجتماعي اللطيف ﴿**اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم**﴾.[1]

هذا هو النص الذي استنبط منه الدكتور ما استنبط وقال: "انظر كيف يلح سيد في حديثه عن الإسلام على قضية الموادة بين المسلمين أولياء الله وبين أعدائه الذميين من أهل الكتاب وغيرهم، والله تبارك قد حرم الموادة بين المؤمنين والكافرين في نصوص كثيرة قاطعة، مثل قوله تعالى: ﴿**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله**﴾[2] الآية، فأين يذهب سيد قطب عن هذا الأمر البدهي؟! "[3]

سؤالك هذا يا دكتور يوجب علينا جوابا، وإليك الجواب:

أولا: قال ابن الجوزي في "**أخبار الحمقى والمغفلين**":

"وعن ميمون بن هارون قال: قال رجل لصديق له: ما فعل فلان بِحِمَارِهِ؟ قال(بَاعِهِ)، قال: قل (بَاعَهُ) قال فلم قلت بِحِمَارِهِ؟ قال الباء تجر، قال: فمن جعل باءك تجر وبائي ترفع؟" لقد ظن هذا الرجل أن الباء لها وظيفة واحدة ومعنى واحد، فطرد معناها كلما وردت بصرف النظر عن كونها جارة أو أصلية أو غير ذلك. وكذلك الدكتور كلما وجد كلمة ود ومودة في كلام سيد حملها على معنى الود

---

[1] (المائدة/5).

[2] (المجادلة/22).

[3] "الأضواء" (ص: 218-219).

القلبي والموالاة ولذلك استظهر لفهمه بالآية التي أوردها وقال إنه تـــرك نصوصـــا كثيرة تحرم الموادة بين المؤمنين والكافرين غيرها، فأراد أن تكون كل مودة حرامـــا، كما أراد ذلك الرجل أن تكون كل باء جارة، فما أشبه السبيلين!!

ثانيا: لو كان الدكتور حريصا فعلا على معرفة وجهة نظر سيد قطب في قضيـــة الموالاة، هل من الناحية المنهجية يجوز له تجاهل أقواله التي ذكرها عند تفسير هـــذه الآية ومثيلاتها يا أولي الألباب؟! لو فعل لطبب ما بعقله من مس يدعو إلى إيقـــاع التهم بسيد، وتلبيسه العيوب!

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة ** وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم**

ولن نخوض في ترجيح أي الأمرين، واختيار إحدى المصيبتين، فـــإن كنـــت لا تدري أن الواجب المنهجي يقتضيك أن تطلع على ما فسر به سيد الآيـــات الـــتي تتعلق بموضوع الموالاة، لأن فيها حرر -رحمه الله تعالى- مذهبه وميز فيها بين موادة وموادة، وبين أن إحداهما -وهي المشروعة بل المستحبة- تعني التسامح والإنصـــاف والعدل ونحو ذلك، مما تدل عليه أدلة كثيرة، وهذه غير الموادة القلبيـــة أو المـــوالاة الوجدانية التي تعني النصرة ونحو ذلك، فهذا حرام كما بين فيما نقلنا من كلامـــه حين قرر أنه لا يمكن أن يجتمع ودان في قلب مسلم، وإذا كان الأمر خافيا، والفرق غامضا في عين صاحب الأضواء، فليته استفاد من تفسير سيد ليدرك الفـــرق بـــين الأمرين، حين قال -رحمه الله تعالى-: إن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شـــيء، واتخاذهم أولياء شيء آخر، ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين..." كما اختلـــط على الدكتور -على الافتراض الأول إن كنت لا تدري- فســـلط آيـــات المـــودة والموالاة على معاني الود والتسامح الاجتماعي الذي خاض فيـــه ســـيد، فيكـــون الدكتور على الافتراض الأول دائما من الذين "ينقصهم الحس النقي بحقيقة العقيدة، كما ينقصهم الوعي الذكي لطبيعة المعركة وطبيعة موقف أهـــل الكتـــاب فيـــها" وبسبب هذا النقص المزدوج الذي ألمح إليه سيد قطب يتشخص المرض الذي يعـــاني منه بعض الناس -والدكتور على رأسهم- إن افترضنا عدم علمه بالفرق بين الودين

وهو "مرض الخلط" الذي يجعلهم "يخلطون بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه[1] مكفولي الحقوق، وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسلمة".

فالود بالمعنى الأول تتناوله نصوص كثيرة بعضها ذكره سيد قطب في الجملة التي انتقضه بسببها الدكتور وهو لا يدري[2] أنها في سياق الحديث عما شرعه الإسلام من معاني الرفق والإحسان بالغير -وإن لم يكن مسلما- إن كان مسالما، ومن تلك النصوص قوله -عليه الصلاة والسلام- **((من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة))**[3] وقوله عليه -الصلاة والسلام- **((من ظلم معاهدا؛ أو كلفه فوق طاقته؛ فأنا حجيجه))**[4] قال الحافظ عند شرح الحديث الأول عن المعاهد: "المراد به من له عهد مع المسلمين سواء بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم"[5] فكل هؤلاء لا يجوز إنزال الحيف بهم، والاعتداء على أعراضهم وأموالهم وأنفسهم، وإلا تعرض من يفعل بهم ذلك إلى الوعيد الشديد "لم يرح رائحة الجنة".

ترى يا دكتور هذه نصوص الشيوعيين وأفراخ المستعمرين، أم هي نصوص المسلمين؟

---

[1] وهذا المعنى هو الذي أراده سيد قطب في الكلام الذي ساقه الدكتور ربيع واعتبر بموجبه سيدا ممن يدعو إلى موادة الكفار الذميين بالمعنى الذي تضمنته الآية، فأبعد النجعة كما ترى!

[2] فما زلنا مع الافتراض الأول أنه لا يدري حقيقة الفرق بين ودّ يراد به التسامح والمعاملة الحسنة، حتى في جدال الآخرين، وود يراد به الولاء والنصرة ونحو ذلك مما لا يجوز إلا بين المسلمين!

[3] سبق تخريجه في (ص: 369).

[4] سبق تخريجه في (ص: 369).

[5] "فتح الباري" (259/12).

على كل حال فثمة نصوص كثيرة غير ما ذكره سيد قطب تشرع إنصاف أهل الذمة ومن في حكمهم، وأؤكد أنها نصوص إسلامية "لا شرقية ولا غربية" أوحاها رب العالمين إلى رسوله الأمين وليس من كلام ماركس ولينين!

والخلاصة أن الدكتور لا يفرق -على الافتراض الأول- بين وُدٍّ يُرَادُ به التسامح وهو وُدٌّ مشروع وود قلبي يترجمه الولاء والنصرة وهو ود ممنوع، وعلى هذا فيناسب أن يقال فيه - وفي أمثاله:

إن من الخطأ أن تقول ما لم تعلم ** وأن تعلم قبل أن تتعلم**

وأن لا تخاف أن تأثم ** وإذا أثمت لا تندم**

فإذا كان هذا حال الدكتور، ما باله تسلق جدارا يعرض فيه نفسه للهلاك، فكان الأولى والحال هذه أن يتدرج شيئا فشيئا، ولا يدفع ساقيته لتلاطم بحرا!! وفي المثل: ليس هذا عشك فأدرجي.

لكن إن كان الدكتور على علم بالفرق بين ود وود، ويدري أن سيد قطب قرر موقف الإسلام واضحا في تحريم أي ولاء إلا أن يكون لله وللرسول وللمؤمنين، ويعلم أن مراده فيما ساق من كلامه لا يقصد به هذا النوع من الولاء، ومع ذلك أوهم القارئ أنه يريده فأصابه بسهام التنقيص، واحتج عليه بالآية التي يعلم ما قال سيد قطب في تفسيرها، حيث ذكر كلاما ناصحا، وأودع في ظلالها كلمات بينات تطاولت في بنائها وتقاصر عنها فهم الدكتور، أقول إن كان الأمر هكذا فلا باب للدكتور يلجه سوى باب الاستقالة من التدريس، ويتوب إلى الله، حتى لا يزيد الطين بلة والمريض علة! تدريس ماذا؟! الكذب والافتراء على الناس؟

وأي كذب أكبر من قولك عن سيد قطب إنه يدعو إلى موادة الكافرين بمعناها هذا مع أنك تقرأ وتفهم —على الافتراض الثاني- أنه قال -رحمه الله تعالى-: إن القرآن نزل " ليثبت الوعي اللازم للمسلم في المعركة التي يخوضها بعقيدته، لتحقيق منهجه الجديد في واقع الحياة، ولينشئ في ضمير المسلم تلك المفاصلة الكاملة بينه وبين كل من لا ينتمي إلى الجماعة المسلمة ولا يقف تحت رايتها الخاصة، المفاصلة

التي لا تنهي السماحة الخلقية، فهذه صفة المسلم دائما. ولكنها تنهي الولاء الذي لا يكون في قلب المسلم إلا لله ورسوله والذين آمنوا...". على كل حال ندع الدكتور وشأنه يعتقد ما يشاء في مبدأ الولاء والبراء عند سيد قطب، أما أولوا الألباب فبعض ما ذكرنا يكفي ليعترفوا للرجل أنه كان على السنن الأبين والصراط الأقوم، فكيف بكل ما ذكرنا، فضلا عما تركنا!!

ثم ماذا قال الدكتور في هذا الباب؟! لقد قال عبارات تستحق أن تكون ملحقا لبعض ما كتبه ابن الجوزي في شأن "الحمقى والمغفلين"، وقد تتقبض بعض الوجوه لهذا الكلام فلا تستعجل، علها ترى ما يعتبر مجرد تقبض الوجه في حقه قليلا فاسمع إلى الدكتور وهو يعترض —ولا أدري على من؟!- "إن الإسلام ما كلفنا بحماية كفار مجرمين ليس بيننا وبينهم عهد ولا اتفاق!!" و يتساءل -ويتجاوب، لكن مع نفسه- إن كنا سنضحي "بدماء المسلمين وأموالهم وقوهم لحماية الشيوعيين" فمن أمرك بهذا التكليف، ومن دعا إليه؟! ألم تقرأ في الصفحة (175) التي نقلت منها ما شئت مما تحسبه يدين سيد قطب -مع أنه في الحقيقة لا يدين أحدا سواك، ويفضح بأن منهجك أعوج وسيرك أعرج- وتركت كلاما لو ذكرته لأرحت واسترحت. وإليك ما أخفيته يا من حتم الله عليه أن يؤلف كتب سب المسلمين -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-:

"والإسلام يواجه القوى الواقفة في وجهه بواحدة من ثلاث:

الإسلام أو الجزية أو القتال.

فأما الإسلام فلأنه الصورة الأخيرة لدين الله الخالد، ولأنه الهدي للبشرية جميعا ولأنه الناموس الذي يحقق العدالة الإنسانية الشاملة للجميع.

وأما الجزية فلأنها دليل الكف عن المقاومة، وتحقيق حرية الدعوة، وإزالة القوة المادية التي تصد الناس عنها.

وأما القتال فلأنه في هذه الحالة هو الرد الباقي على مقاومة كلمة الله عن إصرار وعناد وحرمان البشرية، بما تحمله لها هذه الكلمة من نور ومن عدل ومن سلام شامل كامل لبني الإنسان.

فإذا استسلم من يطلب السلام، فهؤلاء هم الذميون؛ أي: الذين أعطاهم الإسلام ذمتهم وعهده لحمايتهم ورعايتهم، وهؤلاء لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين بنص الإسلام الصريح".[1]

فهذا هو السياق الذي أورد فيه سيد قطب -رحمه الله تعالى- الجملة التي أسقطها الدكتور ربيع ثم بعد ذلك اعترض على سيد وقال:

"إن الإسلام بريء كل البراءة مما ينسبه سيد إلى الإسلام!

فلا والله، ما سوى الإسلام بين الذميين الكفار أعداء الله ورسوله والمؤمنين وبين أوليائه المؤمنين.

قال تعالى: ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين، ما لكم كيف تحكمون**﴾[2]

ولا كلفنا الإسلام بحماية كفار مجرمين ليس بيننا وبينهم عهد ولا اتفاق!!

أفنضحي بدماء المسلمين وأموالهم وقوهم لحماية الشيوعيين؟!..."[3]

●والجواب من أوجه:

أولا: صدق الدكتور وأصاب، فإسلام ربيع بريء مما قاله سيد أما إسلام أهل السنة وفقههم فهو عين ما ذكره سيد قطب في هذا الباب، فالذين هم في ذمة الإسلام: أليس بموجب ذلك تكفل المسلمون بحمايتهم... من أي اعتداء، ورعايتهم؟!

---

[1] "السلام العالمي" (ص:175).

[2] (القلم/35-36).

[3] "الأضواء" (ص:225-226).

وقد ذكر سيد قطب هنا أن عمرا -رضي الله عنه- رأى شيخا ضريرا يسأل على باب، فسأل، فعلم أنه يهودي، فقال له: ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: الجزية والحاجة والسن، وأخذ عمر بيده، وذهب به إلى مترله، فأعطاه ما يكفيه ساعتها، وأرسل إلى خازن بيت المال، "انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم. ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين**﴾[1] وهذا من مساكين أهل الكتاب".

فهذا الذي صنعه عمر ود على مذهبك يشمله قوله تعالى ﴿**لا تجد قوما يؤمنون**﴾[2] الآية.

أما على ما ذهب إليه سيد قطب فهو ود بمعنى رحمة وعناية وإنصاف يا من لا يعرف الإنصاف!

وهل تتصور عمرا -رضي الله عنه - يحب دين اليهود حين ذهب باليهودي إلى بيته ورق له قلبه، فسد حاجته، وأمر بالعناية به وبأضرابه؟! حاشا وكلا!

أم تراك تظن أن عمرا -وقد أخذ بيد اليهودي- سوف يسمعه بغضه لدينه، ويقول له أثناء الطريق لعنة الله على دينك، وقبح الله اعتقادك و..الخ حتى لو كان هذا هو ما يعتقده عمر؟! كلا وحاشا! فلكل مقام مقال، وإنما هي آداب وأخلاق دعا إليها الإسلام، ولا يعرف الدكتور عنها نقيرا ولا قطميرا.

ثانيا: أما قول الدكتور: "فلا والله ما سوى الإسلام بين الذميين و..الخ" فهذا الاعتراض يناسب أن يقول المعترض عليه "إن الإسلام سوى بين الذميين والمسلمين" فهل وقف على كلام لسيد قطب فيه شيء من هذا الذي لا ينطق به العالم العاقل وإنما يليق أن يصدر من مجنون جاهل! أم أن الدكتور فهم من قول سيد عن أهل الذمة أن "هؤلاء لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين بنص الإسلام الصريح"

---

[1] (التوبة/60).

[2] (المجادلة/22).

أن هذه تسوية بين المسلمين والمجرمين على حد قوله؟! وحري بالدكتور أن يفهم هذا لسببين اثنين:

أولا: عودنا أن يفهم ما يشاء مما يشاء.

ثانيا: لو ذكر كلام سيد من أوله حين قسم القوى الواقفة أمامه إلى فئات ثلاث:

الأولى: التي أسلمت فلا كلام عليها.

الثانية: فئة حرب وصد عن سبيل الله، فلا مصالحة معها فضلا عن المساواة!

الثالثة: لم تقبل الإسلام و لم تتعرض لصده وحربه، وقبلت الجزية، فهؤلاء أهل الذمة، فهل يعقل أن يكون سيد يعتقد مساواة نفسه بذمي؟! أكان سيد قطب يعطي الزكاة أم كان يعطي الجزية؟! حسب الدكتور هذا ليكتشف القارئ إلى أي حد يستهين هذا الرجل بأعراض الموحدين، فضلا عن إخلاله بمنهج علماء المسلمين، فما محل الآية التي استشهدت بها، وهي قوله تعالى: ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين...**﴾[1]؟! إن الذمي من حقه أن يشرب الخمر فهل تعتقد أن سيد قطب يرى من حق المسلم شرب الخمر؟!

إن سيدا حين قسم الفئات التي تواجه الإسلام إلى ثلاث أراح واستراح، لأن تقسيمه يبين أن الفئات ليست متساوية في كل شيء، وإلا فما معنى التقسيم؟!

لكن الدكتور ربيع حين كسر السياق وبتر الكلام انتهى إلى النتيجة التي أراد الانتهاء إليها؟ أي أنه أراد أن يعترض على سيد قطب، فاختار المادة المناسبة -بعدما جردها مما لها من معنى ضمن السياق الذي وردت فيه، قبل أن يخطفها قلم الدكتور- ثم تسنى له الاعتراض حينئذ، وفعله هذا يشبه النكتة التي تروى عن إبليس وقد سئل إن كان يحفظ شيئا من القرآن فأجاب: نعم، ثم قرأ:

---

[1] (القلم/35).

"لا تقربوا الصلاة" ثم سكت متظاهراً أنه يتجشأ، فاستأنف قائلاً "ويل للمصلين" ليصل إلى المعنى الذي يريد، وهو معنى لكلمات اختطفت خطفا من سياقها ففقدت معناها وحياتها! وكذلك فعل الدكتور -مع الأسف- فواعجبا!!

◆ عقدة عدم التمييز راسخة في عقل الدكتور.

إن السيد ربيع يشكو -في منهجه- من عقدة عدم التمييز بين كون الشيء محبوبا لله عز وجل من وجه، ومبغضا له من وجه، فالذمي مثلا وهو متلبس بنوع من أنواع الكفر، يبغضه الله لتحريفه وشركه، ولكن يحب الله الإحسان إليه ويحب العدل معه ونحو ذلك، وهذا المعنى واضح في كلام سيد قطب -تبعاً لما قرره علماء الإسلام-، لذلك جمع هذا في قوله إنه "حيثما كان ظلم ؛ فالإسلام منتدب لرفعه ودفعه وقع هذا الظلم على المسلمين أو على الذميين -أي الذين أعطاهم الإسلام ذمته ليحميهم- أو على سواهم ممن لا يربطهم بالمسلمين عهد ولا اتفاق"[1].

ولكن الدكتور انفعل لهذا الكلام، وتجهم لمحتواه، وقال: "إن الإسلام لم يكلفنا بحماية كفار مجرمين ليس بيننا وبينهم عهد ولا اتفاق!! "[2]

أقول: ما أحسن الوضوح، ما بالك يا دكتور لا تسلك سوى المسالك المظلمة، كالذي لا يحب الصيد إلا في الماء العكر؟! فكلمة "مجرمين" ماذا تريد بها؟! هل أوردتها بنفس المعنى الذي وردت فيه في الآية[3]، فيكون الإجرام وصفا للكفر الذي تلبسوا به؟! فعندئذ يكون كلامك أن الإسلام، إن لم يكلفنا حماية الكفار الذين لا عهد يربطنا بهم، وعليه فالجواب أن الإسلام، إن لم يكلفنا ذلك فهو لم يحرمه علينا

---

[1] "السلام العالمي" (ص :174).

[2] "الأضواء" (ص: 226).

[3] لأن الدكتور قد يريد معنى ثانيا لا ثالث له، ويكون وصفا زائدا على الكفر، ومعنى هذا: أن هؤلاء الكفار محاربون للمسلمين، فإذا كان كذلك فكذب صريح أن ينسب إلى سيد قطب المعنى الذي اعترض عليه.

وإن كانت الشهامة الإسلامية أقرب إلى الدفاع عن هؤلاء[1] عند حاجتهم إلى عوننا وعدلنا. وما دام الإسلام لم يحرم علينا ذلك، فلا وجه لاعتراضك يا دكتـور! وإذا ذكرت قوله تعالى: ﴿**وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان، الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها**﴾[2] الآية وجدت سيد قطب أسعد بها دليلا منك، فالآية وإن كـانت كما في التفسير خاصة السبب فالعبرة بعمومها كما هو معلوم ومفهوم! فـروح الإسلام تدعو لرفع كل ظلم عن كل مظلوم، ترى يا دكتور لو وقع بصرك علـى امرأة كافرة- ليست ذمية ولا معاهدة-تسير مع طفل أو طفلين من صغارهـا، ثم رأيت مسلما –فضلا عن كافر!- يركض خلفها يريد اغتصابها في مالها أو عرضـها ما تراك تفعل؟! فإن أقدمت وخلصتها مما أحدق بها ففي سبيل من تفعـل هـذا، ولوجه من تغامر وتخاطر؟! ألست ترجو -إن فعلـت- بذلـك جـزاء مـن الله تعالى؟! وإن لم تقدم على هذه المخاطرة فهل تعترض على من يقدم عليها وتقـول له: إن الإسلام ما كلفنا...الخ كلامك؟! سبحان الله! ما أكـثر الاختـلاط في منهجك، وفي رأسك! إن مشكلة "الباء التي تجر والتي لا تجر" ملازمـة لطريقـة نظرتك للأمور، ثم حين تبدو الأمور أمام عينيك، وفي رأسك متناقضـة تحسـبها كذلك في نفس الأمر، فتقفز معترضا على الذي تكون الأشياء واضحة بين يديـه وأمام عينيه. إن المسلم إذا تصدق على مسكين كافر فهل ذلك يعني حبه لدينـه، أو مودة وموالاة لاعتقاده؟! كلا! ومن ملامح الاختلاط الذي يعاني منه الدكتـور، ويتعذر عليه معه الجمع بين ما جمع بينه الإسلام، ما علق به سيد على قوله تعـالى: ﴿**الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر**

---

[1] حين لا يكونوا حربيين طبعا كما هو بين في سياق سيد.

[2] (النساء/75).

فيها اسم الله كثيرا﴾[1] حيث قال –رحمه الله-: "وذلك هو ضمان حرية العقيدة عامة للمسلمين وغير المسلمين، وتحقيق الخير في الأرض والصلاح؛ فهو[2] يقول إنه لولا مقاومة بعض الناس وهم المؤمنون لبعض الناس وهم الظالمون؛ لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد، والصوامع معابد الرهبان، والبيع كنائس النصارى، والصلوات كنائس اليهود، والمساجد مصليات المسلمين، وهو يقدم الصوامع والبيع والصلوات في النص على المساجد توكيدا لدفع العدوان عنها[3]؛ فهي إذن دعوة إلى ضمان حرية العبادة للجميع واحترام أماكن العبادة جميعاً.."[4].

هذا الكلام المحكم الجيد من قلم الأستاذ الأديب سيد قطب توجع له عقل الدكتور، وارتفعت الحرارة في رأسه، لأنه لا يقوى على الجمع بين كوننا نعادي عقائد الآخرين من جهة ونحميها إن دخلوا في ذمتنا من جهة أخرى، وليته نظر في أقوال أهل العلم لوجد ما ذكره سيد خارجا من مشكاتها، وإن كان فعل، ونظر فيها ومع ذلك كتب معلقا على سيد قطب وحده "نعوذ بالله من هذا الادعَاء الكبير الخطير على الإسلام! فوالله؛ إنه ليس للإسلام أي علاقة بهذه الدعوة التي يزعمها سيد قطب"[5].

أقول: رويدك يا دكتور، ومهلا فقد عرفنا لك منهجا فريدا في نسبة الأشياء[6] وحنثت يمينك فكفر عنها، لأن الراجح عند أهل التفسير أن المراد بالآية ما قاله سيد قطب أي أنه لولا مقاومة بعض الناس وهم المؤمنون لبعض الناس وهم

---

[1] (الحج/40).

[2] سبحانه وتعالى.

[3] كتب هذه الجملة التي تضمنت مختلف المعابد بالخط البارز ليشعر القارئ أنه عثر على كنز، بينما لم يزد على أن فضح نفسه بعدما كان مستورا، فلله في خلقه شؤون!

[4] "الأضواء" (ص: 233).

[5] "نفسه" (ص:223/هـ1).

[6] سواء إلى الإسلام أو إلى أهل السنة، فتكاد تكون هذه اصطلاحات خاصة بك!!

الظالمون[1] لهدمت صوامع..الخ الآية، فهذا ابن القيم -رحمه الله تعالى- يقول في نفس الكتاب -الذي أخذت منه ما اشتهيت-[2] يقول بعدما ذكر الأقوال في تفسيرها:

"...وقال الحسن[3]: يدفع عن مصليات أهل الذمة بالمؤمنين"[4].

فهل يتبرأ إسلامك يا دكتور من إسلام الحسن البصري سيد التابعين لأنه فسر الآية كما فسرها سيد قطب؟! أنت وما تراه يا دكتور! فإنك ترى ما لا نرى وليس هذا فحسب بل زاد ابن القيم: "وهذا القول هو الراجح إن شاء الله وهو مذهب ابن عباس في الآية"[5].

فأي إسلام تبرأ منه؟! إسلام ابن عباس والحسن البصري وابن القيم وسيد قطب؟! أنت وما تريد! إنه الاختلاط وصعوبة الهضم بين هذه المتضادات، وسبق وكشف لك سيد أنه لا تعارض بين ود أهل الكتاب بمعنى السماحة وبين بغض دينهم ومعاداة معتقداتهم، ولندع القلم لعالم محبوب لدينا ولديك يوضح هنا ما استعصى على معدتك هضمه! يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- إن "الآية[6] دلت على الواقع، لم تدل على كون هذه الأمكنة -غيرا لمساجد- محبوبة مرضية له، لكنه أخبر أنه لولا دفعه الناس بعضهم ببعض لهدمت هذه الأمكنة التي كانت محبوبة له قبل الإسلام وأقر منها ما أقر بعده وإن كانت مسخوطة له، كما أقر أهل الذمة وإن كان يبغضهم ويمقتهم، ويدفع عنهم بالمسلمين، وهو سبحانه يدفع عن متعبداتهم

---

[1] أي الذين يعتدون على تلك المعابد التي ذكرت!

[2] كما أخذت من حياة سيد "مرحلة" معينة عرفها القارئ من خلال قراءته للأضواء!

[3] أي البصري.

[4] "أحكام أهل الذمة" (117/2).

[5] "نفسه".

[6] ما عدا المساجد فلا يقصدها ابن القيم كما هو ظاهر!

التي أقروا عليها شرعا وقدرا: فهو يحب الدفع عنها وإن كان يبغضها كما يحب الدفع عن أربابها وإن كان يبغضهم"[1].

فليتأمل القارئ قول ابن القيم "يحب الدفع عنها أي أن الله يحب الدفاع عن معابد اليهود والنصارى وليقارن باعتراض الدكتور ربيع على سيد قطب مهولا في مطلع الفصل أن سيدا يشرع موادهم و!... وحماية عقائدهم ومعابدهم..."[2] ثم علق على هذا " وبهذا يكون قد جنى على الإسلام جناية كبيرة.[3] والخ هذيانه الذي لا يستقيم إلاّ إذا كان الإسلام الذي يعنيه غير إسلام ابن عباس والحسن البصري وابن القيم وأمثالهم -رحمة الله عليهم أجمعين-. وإن كان كلام ابن القيم لم يطبب أوجاع الدكتور فإليك قول عالم معاصر له لكنه ليس مشرقيا كأبي بكر شمس الدين -رحمه الله- بل هو مغربي مالكي، وهو القرافي وبين الرجلين تشابه لا يخفى فضلا عن أنّ كليهما يعتبر مدونا ومترجما لعلم شيخه، فابن القيم لابن تيمية والقرافي للعز بن عبد السلام -رحم الله الجميع- ففي الفرق التاسع عشر والمائة بين قاعدة بِرِّ أهل الذمة وبين قاعدة التودد لهم" قال القرافي بعدما ذكر النصوص التي تنهى عن الموالاة والتي تأمر للإحسان لأهل الذمة: "لابد من الجمع[4] بين هذه النصوص، وإن الإحسان لأهل الذمة مطلوب، وإن التودد والموالاة منهي عنهما، والبابان متلبسان فيحتاجان إلى الفرق"[5] وهذا الفرق الذي ضل عنه الدكتور بينه القرافي فأنصح الدكتور بالعودة إليه، وقد ختمه القرافي بوصفة لا محالة تتنغص لها

---

[1] أي الكفار الذين لا يحاربوننا -وكلام سيد يتعلق بمن في حكم أهل الذمة- فلا تتزيد على الرجل فالأمانة من إسلامنا!.

[2] "الأضواء" (ص: 217).

[3] "نفسه" (ص: 47).

[4] وهذا الجمع استعصى وتأبّى على عقل الدكتور، فانقض على سيد قطب معيبا عليه تمييع الإسلام! رمتني بدائها وانسلت!!.

[5] "الفروق".

أمعاء الدكتور -لكن الدواء مر كما يقال- فقال القرافي إن من "اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الإذاية، أو أعان على ذلك، فقد ضيع ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وذمة الإسلام".

وأختم هذا الفصل وإن كان لا زال الكثير مما يحتاج إلى رد بل ردود بكلمة الإمام ابن حزم، الذي يرى من واجبات الإسلام الموت في سبيل الدفاع عن أي حق من حقوق أهل الكتاب حيث قال:" من كان في الذمة وجاء أهل الحرب بلدنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك، صونا لمن هو في ذمة الله وذمة رسوله ﷺ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة وحكي في ذلك إجماع" اهـ.

والله المستعان.

*****

خاتمة

ها هو هذا الرد قد آل إلى خاتمته بعدما نيف على سبعة عشر فصلا تجاوزت بنا الحد الذي رسمناه والهدف الذي توخيناه... لولا أن الدكتور جذبنا إلى ذلك العدد من الفصول عندما رمى سيد قطب -رحمه الله تعالى- بسبع عشرة تهمة من أخطر التهم التي عرفها تاريخ أمتنا القديم والوسيط والحديث، بل زاد كما رأينا تهما في المستقبل، ومن يدري لعله يتهمه في الآخرة، فلدى الدكتور دائما الجديد والمزيد!!

وقد كشف ردنا هذا أزمة المنهج المتدني الذي يسير عليه هذا الرجل في تجريح الناس قبل أن يكشف سلامة سيد قطب من معظم العيوب التي ألصقها به، لأن تصحيح الأخطاء المنهجية مما علق بها من بدع أكبر من مجرد بيان براءة زيد أو عمرو سيما إذا كان ممن انتقل إلى مولاه، كما أن كل من سوى المعصوم لا يستغرب أن يعثر له على أخطاء وعيوب، بل خطايا وذنوب!

لكن الأهم أن يحذر الناس عوار المنهج -الربيعي- الهدام، وخطر هذا الانحراف عن الإسلام باسم الإسلام.

لقد آذى الدكتور نفسه، وأساء إليها، وآذى معه شباب الأمة الإسلامية الذين يصدقون كل شيء سذاجة أو جهلا، حين افترى على سيد قطب واتهمه بما نقضه بقلمه كما هو الشأن في مسألة عدم أخذ سيد قطب في العقائد بالخبر المتواتر، مع أنه نقل عنه أن المتواتر شرط للقبول في أصول العقيدة، كما افترى عليه في مسألة تجويز سيد قطب لغير الله أن يشرع، مع أن قضية الحاكمية لزمت سيد قطب لزوم الظل للأشياء، بل لو لخص أحد معركة سيد قطب ضد انحرافات عصره بقوله صراع لتكون الحاكمية لله وحده لما أبعد، ويكون قد أصاب كبد الحقيقة، لأن تجريد "الحاكمية له" تجري في دم سيد قطب، وتسري في كل شرايينه، فيا له من افتضاح أن يخصص الدكتور فصلا كاملا ينعى فيه على سيد قطب تسويغه لغير الله أن يشرع للناس!!

وبهذا يستثني في نعمة فهمه الخاص من المثل المشهور: "**كل ذي نعمة محسود**"، فلا يحسد هو في فهمه هذا.

والحقيقة أن هذا البحث المتواضع فضح الكثير والكثير من الافتراءات وغض الطرف عن مثل ذلك، وحسب اللبيب ما سيق من الأمثلة الفاضحة لهذا العار والموبخة لهذا الشنار!!

كما أن هذا البحث أيد بالأمثلة والنماذج ما قرر الدكتور بكر أبو زيد من أن الدكتور ربيع لم يستطع أن يسمو بفهمه، ولا أن يرتقي بقلمه ليقف أمام قلم عال في أسلوبه، عميق في تصويره، ولذلك تجد الدكتور يفهم غير ما كتب، وينتقد غير ما فهم، وشرط المعترض على شيء أن يحيط علما بما يعترض عليه ﴿**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه...**﴾[1] ومن هذا تجد سيد قطب متهما بموادة الكفار والدعوة إلى موادهم، مع تصريحه "نصا" بخلاف هذا ونجده يقول بوحدة الوجود لأن الدكتور التبست عليه عبارات لم يخبرها فأوقعه سوء الفهم هذا على أم رأسه.

وكشف لنا هذا البحث أن الدكتور ربيع ليس قاصرا -على تقدم سنه- في فهم لغة سيد قطب العالية، بل حتى المواد الشرعية التي -وا أسفاه- وكل إليه تدريسها لم يتجاوز فيها مرحلة التلمذة. بل حتى السنة النبوية التي ابتليت به رئيسا لشعبتها في الجامعة، صدر منه من المبكيات والمضحكات ما أطلعناك على بعض أمثلة منه، حتى أنك تجده يمر بالأسانيد فيسوقها محتجا بها احتجاج من روى النص بأصح الأسانيد!!

بل حتى عند نقل إسناد من كتاب لا تجده يحسن النقل، إذ ينقل عن شيخ سنده فيجعل شيخ ذلك الشيخ شيخا له، وما قصة الفزاري منا ببعيد!!

على كل حال لا نريد أن نزيد أكثر من هذا، بقي لنا أن نذكر أنا لا ننتمي إلى سيد قطب ولا إلى الإخوان ولا إلى غير ذلك من التنظيمات الحزبية أكثر من انتمائنا الإسلامي، إسلام سلفنا الصالح، وأذكر الدكتور ربيع وأتباعه فأقول: والله

---

[1] (يونس/ 39).

الذي لا إله إلا هو لأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أتحزب، ويعلم الله أني كنت ممن هو زاهد في ما كتب سيد قطب -رحمه الله- لكن فزعني هول التهم التي حشدها الدكتور ربيع لإدانته وكدت أصدقها[1]، لكني -بفضل الله تعالى- عدت إلى تحكيم منهج أهل الحديث -الذين أتشرف بجبي الانتساب إليهم- فقصدت كتب سيد لأعرضها على ركام الجرح الذي قذفه به الدكتور ربيع، فرأيت هول ما أطلعتك عليه -أو على بعضه- في هذا الكتاب، ورجع الجرح على الجارح في نظري وتذكرت كلمة للحافظ الذهبي -رحمه الله تعالى- في الخوارج وغيرهم من الطاعنين في السلف قال: "إن قولهم صار جرحا[2] في الطاعنين فانظر إلى حكمة ربك نسأل الله السلامة"[3]. فنكرر مع الذهبي ونقول: "فانظر إلى حكمة ربك نسأل الله السلامة" والحمد لله رب العالمين.

*****

---

[1] كما صدقها ولا يزال يصدقها عدد من المغرورين والمخدوعين، قاصري الباع عن إدراك الحقائق، ومعرفة الحق على وجهه الصحيح.

[2] في الأصل حرما وهو خطأ، والسياق يأباه.

[3] "معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد" (ص:46).

فهرس الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

البقرة

مريـــــــم

طــــــــه

الأنبيـــاء

الحــــج

المؤمنون

القـــصص

الدخـــان

الجاثيــة

الفتـــح

الحجرات

ق

الذاريات

النجـــم

الحديــد

البينة

القارعة

المسد

الإخلاص

*****

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



فهرس المصادر والمراجع

1. **القرآن الكريم.**
2. - **أبو حنيفة،** لمحمد أبي زهرة، ط: دار الفكر العربي.
3. - **أحكام أهل الذمة،** لابن قيم الجوزية، المتوفى سنة: (751 هـــ)، ط:دار الكتب العلمية، ط: الأولى 1415 هـــ.
4. - **أخبار الحمقى والمغفلين،** لابن الجوزي، المتوفى سنة: (597هـ) مطبعة البصري، بغداد.
5. - **أزهار الرياض في أخبار عياض،** لأبي العباس، أحمد بن محمد المقري، المتوفى سنة: (1041 هـــ)، صندوق إحياء التراث الإسلامي، ت: سعيد أحمد أعراب ومحمد أعراب ومحمد بن تاويت.
6. - **أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره،** لربيع المدخلي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى.
7. - **إعلام الموقعين عن رب العالمين،** لابن القيم، ط: دار الجيل.
8. - **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر،** د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط: الأولى: 1407 هـــ.
9. - **الأدب المفرد،** لمحمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة: (256 هـــ)، مؤسسة الكتب الثقافية.
10. - **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان،** للأمير علاء الدين علي بن بلبان

الفاسي، المتوفى سنة: (739 هـــ) مؤسســـة الرســالة، ت: شـعيب الأرنؤوط. الطبعة الأولى 1408 هــــ.

11. - **الإحكام في أصول الأحكام،** لابن حزم الأندلسي المتوفى ســـنة: (456 هـــ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

12. - **الإصابة في تمييز الصحابة،** لابن حجر العسقلاني، المتــوفى ســنة: (852 هـــ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

13. - **الاستقامة،** لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية، المتــوفى سنة: (728هـــ)، توزيع مكتبة السنة، ت: د. محمد رشاد سالم. الطبعــة الثانية.

14. - **الاعتصام،** للشاطبي، المتوفى سنة: (790 هــــ) دار الفكر.

15. - **الإعلام لحدود قواعد الإسلام،** للقاضي عيــاض، ط: وزارة الأوقــاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، الطبعة الرابعة: 1403 هــــ.

16. - **الاقتراح في بيان الاصطلاح،** لابن دقيق العيــــد المتــوفى ســنة: (702 هـــــ)، دار الكتب العلمية.

17. - **الانتقاء،** ليوسف بن عبد البر، المتوفى ســـنة: (463 هـــــــ)، مكتــب المطبوعات الإسلامية بحلب.

18. - **الإيمان،** لمحمد بن إسحاق بن منده، المتوفى سنة: (395 هـــــــ)، إحيــاء التراث الإسلامي.

19. - **البداية والنهاية،** لابن كثير، المتوفى سنة: (774 هــــ) مؤسسة التــاريخ العربي.

20. - **البدر الطالع، بمحاسن من بعد القرن السابع،** لمحمد بن علي الشــوكاني، المتوفى سنة: (1250هــــ) دار المعرفة.

21. - **البيان والتحصيل**، لأبي الوليد ابن رشد القرطبي، المتوفى سنة: (520 هـ)، دار الغرب الإسلامي.

22. - **التاريخ الكبير**، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ط: دار الفكر.

23. - **التبصرة والتذكرة**، للحافظ العراقي، المتوفى سنة: (806 هـ) ط: دار الكتب العلمية.

24. - **التحرير والتنوير**، للطاهر بن عاشور، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع تونس.

25. - **التصوير الفني في القرآن**، لسيد قطب، المتوفى سنة: (1387هـ) ط: دار الشروق.

26. - **التقريب لفقه ابن قيم الجوزية**، لبكر عبد الله أبي زيد، مطابع دار الهلال.

27. - **التقييد لمعرفة الرواة والمسانيد**، لابن نقطة، المتوفى سنة: (629 هـ)، ط: دار الكتب العلمية.

28. - **التقييد والإيضاح**، للحافظ العراقي، دار الفكر.

29. - **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لابن عبد البر، المتوفى سنة: (463 هـ)، مطبعة فضالة، المحمدية المغرب.

30. - **الثقات**، لابن حبان البوستي، المتوفى سنة: (354 هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية.

31. - **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، لأبي بكر الخطيب، المتوفى سنة: (463 هـ)، مكتبة الفلاح، ت: د. محمد رأفت سعيد.

32. - **الجرح والتعديل**، لابن أبي حاتم الرازي، المتوفى سنة: (327 هـ)، ط: دار الكتب العلمية.

33. - **الحد الفاصل بين الحق والباطل**، لربيع المدخلي، بلا تاريخ ولا دار

النشر.

34. - **الخصائص**، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي، المتوفى سنة: (392هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ت: محمد علي النجار.

35. - **الخطاب الذهبي**، لبكر أبي زيد. مكتبة السنة.

36. - **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، للحافظ ابن حجر، ط: دار الجيل، بيروت، لبنان.

37. - **الديباج المذهب**، لابن فرحون، المتوفى سنة: (799 هـ)، ط: دار الكتب العلمية.

38. - **الزهد**، لعبد الله بن المبارك، المتوفى سنة: (181 هـ)، ط: دار الكتب العلمية، ت: حبيب الرحمن الأعظمي.

39. - **السلام العالمي**، لسيد قطب، دار الشروق.

40. - **السنة**، لابن أبي عاصم، المتوفى سنة: (287 هـ) ط: المكتب الإسلامي، ت: الشيخ الألباني.

41. - **السنة**، للخلال المتوفى سنة: (311 هـ)، دار الراية للطباعة والنشر.

42. - **السنن الكبرى**، لأحمد، بن الحسن بن الحسن بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة: (458 هـ) ط: دار الفكر.

43. - **الشريعة**، لمحمد بن الحسين الآجري، المتوفى سنة: (360 هـ)، دار الكتب العلمية.

44. - **الشفا للقاضي عياض**، دار الفكر.

45. - **الضعفاء الصغير**، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار المعرفة.

46. - **الضعفاء الكبير**، لمحمد بن عمرو العقيلي، المتوفى سنة: (322هـ)، دار الكتب العلمية.

47. - **الضعفاء والمتروكين**، لأبي الفرج ابن الجوزي، دار الكتب العلمية.

48. - **الضعفاء والمتروكيين**، للنسائي، المتوفى سنة: (303هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، دار المعرفة.

49. - **الضوء اللامع**، لشمس الدين، أبي الخير السخاوي، المتوفى سنة: (902 هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة.

50. - **الطبقات الكبرى**، لمحمد بن سعد، المتوفى سنة: (230 هـ)، ط: دار صادر، بيروت لبنان.

51. - **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، لسيد قطب، المتوفى سنة: (1386 هـ)، دار الشروق الطبعة الثانية عشر.

52. - **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، لابن الجوزي، ط: دار الكتب العلمية، قدم له وضبطه الشيخ خليل الميس.

53. - **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، للحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، المتوفى سنة: (385 هـ) دار طيبة، ت: وتخريج، د، محفوظ الرحمن زين الله السلفي، الطبعة الأولى.

54. - **العلل ومعرفة الرجال**، لأحمد بن حنبل، ط: المكتب الإسلامي، دار الخاني، ت: وصي الله عباس.

55. - **الفروق**، للقرافي، ط: دار الكتب العلمية.

56. - **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، لابن حزم، المتوفى سنة: (456 هـ)، وبهامشه الملل والنحل: للشهرستاني، المتوفى سنة: (548 هـ)، ط: دار الفكر.

57. - **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، للحافظ الذهبي، المتوفى سنة: (748 هـ)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ت: عزت علي

عيد عطية، وموسى محمد علي الموشي.

58. - **الكامل في الضعفاء**، لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، المتوفى سنة: (365هـ)، ط: دار الفكر.

59. - **الكفاية في علم الرواية**، للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية.

60. - **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، لجلال الدين السيوطي، المتوفى سنة: (911 هـ)، دار المعرفة.

61. - **اللزوميات**، لأحمد بن عبد الله بن سليمان، أبو العلاء المعري، المتوفى سنة: (449 هـ)، دار صادر: بيروت.

62. - **المبشرات التليدية**، لعبد الله التليدي المطبعة المهدية، تطوان المغرب.

63. - **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، لابن حبان، ط: دار الوعي، حلب، ت: محمود إبراهيم زايد.

64. - **المراسيل**، لأبي داود، المتوفى سنة: (275 هـ)، المطبوع مع السنن، دار الفكر.

65. - **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبد الله الحاكم، المتوفى سنة: (405 هـ)، ط: دار المعارف العثمانية، الهند.

66. - **المسودة**، لآل تيمية، مطبعة المدني، 1384 هـ، دار الكتاب العربي.

67. - **المعجم الأوسط**، لأبي القاسم الطبراني، المتوفى سنة: (360 هـ) ط: مكتبة المعارف، الرياض، ت: محمود الطحان.

68. - **المعجم الكبير**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ط: دار إحياء التراث العربي، ت: حمدي عبد المجيد السلفي.

69. - **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، من وضع: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار الفكر.

70. - **المعجم الوسيط**، لمجموعة من الدكاترة، دار عمران.

71. - **المغني في الضعفاء**، لشمس الدين الذهبي، ط: دار الكتب العلمية.

72. - **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، ط: دار ابن كثير،دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى: 1417هـ.

73. - **المقاصد الحسنة**، لشمس الدين أبي الخير السخاوي.ط: مطبعة المدني. القاهرة، ت: عبد الله بن الصديق.

74. - **الموافقات**، للشاطبي، ط: دار ابن عفان السعودية تقديم: بكر أبو زيد، ت: أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سليمان، الطبعة الأولى 1417 هـ.

75. - **الموضوعات**، لأبي الفرج ابن الجوزي، دار الفكر.

76. - **الموطأ** ، للإمام مالك، المتوفى سنة: (179هـ) دار الآفاق الجديدة المغرب.

77. - **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، لابن تغري، المتوفى سنة: (874 هـ) ط: وزارة الثقافة مصر.

78. - **النكت على كتاب ابن الصلاح**، للحافظ ابن حجر العسقلاني، المجلس العلمي إحياء التراث الإسلامي، تحقيق ودراسة: الدكتور ربيع.

79. - **النهاية في غريب الحديث**، لابن الأثير، المتوفى سنة: (630 هـ)، ط: دار الفكر.

80. - **النونية**، لابن قيم الجوزية، المكتب الإسلامي.

81. **الوافي بالوفيات**، لصلاح الدين الصفدي، المتوفى سنة: (764 هـ)، دار البشر فرانز.

82. - **انصر أخاك ظالما أو مظلوما، "نظرات سلفية في آراء الشيخ ربيع**

المدخلي"، لأبي عبد الله صالح بن عبد اللطيف النجدي. مكتب الطيب، مصر، الطبعة الأولى: 1419 هـ.

83. - **بدائع الفوائد،** لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

84. - **بيان فساد المعيار** لربيع المدخلي، مكتبة الغرباء الأثرية.

85. - **تاريخ الإسلام،** للحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي، ت: د. عمر عبد السلام تدمري.

86. - **تاريخ الثقات،** لأحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، المتوفى سنة: (261 هـ)، مكتبة الدار، المدينة المنورة.

87. - **تاريخ الملوك والأمم،** لابن جرير الطبري، المتوفى سنة: (310هـ)، ط: دار التراث.

88. - **تاريخ بغداد،** لأبي بكر الخطيب البغدادي، الكتاب العربي.

89. - **تاريخ دمشق،** لابن عساكر، المتوفى سنة: (571 هـ)، ط: دار الفكر، ت: عمر بن غرامة العمري.

90. - **تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري،** لابن عساكر، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

91. - **تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة،** للعلائي، المتوفى سنة: (761 هـ)، مؤسسة الرسالة، دار البشير، ت: د. محمد سليمان الأشقر.

92. - **تذكرة الحفاظ،** للإمام الذهبي، إحياء التراث العربي.

93. - **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،** للقاضي عياض، مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، ت: أحمد بكير محمود. 1415 هـ.

94. - **تصحيح الكتب**، لأحمد شاكر، المتوفى سنة: (1377 هـ) اعتنى به وعلق عليه، وأضاف إليه أبو غدة، ط: مكتب المنشورات الإسلامية، الطبعة الأولى، 1414 هـ.

95. - **تفسير ابن أبي حاتم**، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز. الطبعة الأولى: 1417 هـ.

96. - **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، دار الفكر.

97. - **تقريب التهذيب**، لابن حجر العسقلاني، دار الرشيد.

98. **تكملة الصلة**، لابن الأبار، مكتبة الخايجي بمصر، والمثنى ببغداد، 1375هـ.

99. - **تلخيص المستدرك**، للحافظ الذهبي، المطبوع مع المستدرك، ط: دار المعارف العثمانية الهند.

100- **تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي**، للبقاعي، المتوفى سنة: (885 هـ)، دار الكتب العلمية.

101- **تهذيب التهذيب**، لابن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي.

102- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، لأبي الحجاج المزي، المتوفى سنة: (742 هـ)، دار الفكر.

103- **جؤنة العطار**، لأحمد بن الصديق الغماري، مخطوط.

104- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لابن جرير الطبري، ط: دار المعرفة، ت: محمود محمد شاكر.

105- **جامع بيان العلم وفضله**، لابن عبد البر، ط: دار الكتب العلمية.

106- **جدوة الاقتباس**، لأحمد بن القاضي، المتوفى سنة: (1025 هـ)، ط: دار المنصور للطباعة والوراقة.

107- **جمهرة اللغة**، لابن دريد، المتوفى سنة: (321 هـ)، ط: دار العلم للملايين، ت وتقديم رمزي منير.

108- **حادي الأرواح**، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1403 هـ.

109- **حلية الأولياء**، لأبي نعيم الأصفهاني، المتوفى سنة: (430 هـ)، ط: دار الفكر.

110- **خزانة الأدب**، لعبد القادر بن عمر البغدادي، المتوفى سنة: (1093 هـ)، ط: دار الكتب العلمية.

111- **خلق أفعال العباد**، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار عكاظ.

112- **درء تعارض العقل والنقل**، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المتوفى سنة: (728 هـ)، **تحقيق محمد رشاد سالم**، توزيع مكتبة ابن تيمية.

113- **دراسات في الجرح والتعديل**، لمحمد الأعظمي، ط: عالم الكتب.

114- **دلائل النبوة**، لأحمد بن الحسين البيهقي، ط: مطابع الأهرام التجارية.

115- **ديوان الضعفاء**، لشمس الدين الذهبي، ط: دار القلم.

116- **ديوان الهذلين**، ط: الدار القومية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

117- **رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار**، للأمير الصنعاني، المتوفى سنة: (1182 هـ)، ط: المكتب الإسلامي، ت: الشيخ ناصر الدين الألباني.

118- **زاد المسير**، لابن الجوزي، ط: المكتب الإسلامي.

119- **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث، ط: دار الفكر، ت: صدقي محمد جميل.

120- **سنن ابن ماجه**، المتوفى سنة: (275 هـ)، دار إحياء الكتب العربية،

القاهرة، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

121. - **سنن الترمذي**، لأبي عيسى الترمذي، المتوفى سنة: (297 هـــــ)، ط: دار الكتب العلمية، ت: أحمد شاكر.

122- **سنن الدارقطني**، لعلي بن عمر الدارقطني، ط: عالم الكتب، بيروت، لبنان.

123- **سنن النسائي**، لأحمد بن شعيب النسائي، دار البشائر، بيروت لبنان.

124. - **سنن سعيد بن منصور**، المتوفى سنة: (227 هـــ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

125. - **سير أعلام النبلاء**، للحافظ الذهبي، ط: مؤسسة الرسالة، ت: شعيب الأرنؤوط.

126. - **شجرة النور الزكية**، لمحمد بن محمد مخلوف، دار الفكر.

127. - **شذرات الذهب**، لابن العماد، المتوفى سنة: (1089هـــــ) المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.

128. - **شرح أبيات المغني**، لعبد القادر بن عمر، ط: دار المأمون للتراث، دمشق، ت: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق. الطبعة الأولى: 1393 هـــ.

129. - **شرح السنة**، للحسن بن مسعود البغوي، المتوفى سنة: (516 هـــــ)، ط: دار الفكر، ت: سعيد اللحام.

130. - **شرح العقيدة الطحاوية**، لعلي بن علي بن أبي العز، المتوفى سنة: (722 هـــ)، المكتب الإسلامي، تحقيق ومراجعة: جماعة من العلماء، خرج أحاديثها: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

131. - **شرح مسند أحمد بن حنبل**، لأحمد شاكر، مكتبة التراث الإسلامي.

132- **شرح تنقيح الفصول**، للقرافي، المتوفى سنة: (684 هـــ) دار الفكر،

ت: طه عبد الرؤوف سعيد.

133- **شرح صحيح مسلم**، ليحي بـــن شـــرف النـــوري، المتـــوفى ســـنة: (676هـــــ)، ط: دار الكتب العلمية.

134- **شرح علل الترمذي**، لابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة: (795 هـــ) عالم الكتب، ت: صبحي السمرائي.

135. - **شرف أصحاب الحديث**، لأبي بكر الخطيب البغدادي، جامعة أنكـــــره، ت: محمد سعيد خطيب أوغلى.

136- **شعب الإيمان**، لأحمد بن الحسين البيهقي، ط: دار الكتب العلميـــة، ت: محمد السعيد زغلول.

137- **صحيح البخاري**، لمحمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة العصرية.

138 **صحيح مسلم**، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتـــوفى سنة: (261هـــ).

139- **صيد الخاطر**، لابن الجوزي. دار الفكر.

140- **طبقات الحفاظ**، لجلال الدين السيوطي، المتوفى ســـنة:(911 هـــــــ)، مكتبة وهبة، بعابدين، ت: علي محمد عمر.

141- **طبقات الشافعية الكبرى**، لعبد الوهاب السبكي، المتـــوفى ســـنة: (771 هـــــ) عيسى البابلي.

142- **طبقات المدلسين**، للحافظ بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلميـــة، ت: الدكتور عبد الغفار سليمان البندري والأستاذ محمد أحمد عبد العزيز. ط. الأولى: 1405 هـــــ.

143- **طبقات المعتزلة**، للقاضي عبد الجبار، المتوفى سنة: (415 هــــــ)، الـــدار التونسية للنشر.

144- **طريق الهجرتين**، لابن قيم الجوزية، مكتبة النهضة الإسلامية، الطبعة الثانية: 1399 هـ.

145- **عمل اليوم والليلة**، لأبي بكر ابن السني، المتوفى سنة: (364 هـ)، حيدر أباد الدكن.

146 **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، عالم الكتب.

147- **فتح الباري، شرح صحيح البخاري**، للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط: نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

148- **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الإمام الطبري، ت: علي حسن علي.

149- **فرائد الفوائد في اختلاف القولين لمجتهد واحد**، لشمس الدين محمد السلمي الشافعي الشهير بـ" المناوي"، ت: أبو عبد الله محمد بن الحسن ابن إسماعيل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

150- **في ظلال القرآن**، لسيد قطب، ط: دار الشروق، الطبعة الشرعية التاسعة.

151- **كشف الأستار عن زوائد البزار**، لعلي أبي بكر الهيثمي، المتوفى سنة: (807 هـ)، ط: مؤسسة الرسالة، ت: حبيب الرحمن الأعظمي.

152- **كشف الظنون**، لحاجي خليفة، المتوفى سنة: (1067 هـ)، ط: دار الفكر.

153- **لسان العرب**، لابن منظور الإفريقي، المتوفى سنة: (711 هـ)، ط: دار صادر.

154- **لسان الميزان**، للحافظ بن حجر، دار الفكر.

155- **ما يجب في التعامل مع العلماء**، لعادل علي الفريدان، دار النجاح للنشر

والتوزيع.

156- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمـــي، ط: دار الكتب العلمية.

157- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام**، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بـــن قاسم النجدي وابن محمد.

158- **مختصر العلو**، للشيخ ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي.

159- **مختصر زوائد البزار**، لابن حجر العسقلاني، ط، دار الكتب الثقافية، ت: صبري بن عبد الخالق أبو زر.

160- **مدارج السالكين**، لابن قيم الجوزية، ط: دار الفكر.

161- **مسند أبي بكر الصديق لأحمد بن علي المروزي**، المتـــوفى ســـنة: (292 هــــ)، ط: المكتب الإسلامي، ت: شعيب الأرنؤوط.

162- **مسند أبي يعلى الموصلي**، المتوفى سنة: (307 هـــــ)، دار القبلة للثقافـــة الإسلامية، جدة، ت: إرشاد الحق الأثري.

.163 - **مسند أحمد بن حنبل**، المتوفى سنة: (241 هــــ)، ط: الميمنية.

164- **مسند الروياني**، المتوفى سنة: (307 هــــ)، دار الكتب العلمية.

165- **مسند الشاميين**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبري، مؤسسة الرســـالة، ت: حمدي عبد المجيد السلفي.

166- **مصنف ابن أبي شيبة**، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، المتـــوفى سنة: (235 هــــ) دار التاج.

167- **مصنف عبد الرزاق الصنعاني**، المتوفى سنة: (211 هــــ)، ط: المكتـــب الإسلامي، ت: حبيب الرحمن الأعظمي.

168- **مطاعن سيد قطب في أصحاب الرسول ﷺ**، لربيع المدخلـــي، مكتبـــة

الغرباء الأثرية.

169- **معالم السنن**، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، المتوفى سنة: (388 هـ)، ط: المكتبة العلمية.

170- **معالم في الطريق**، لسيد قطب. دار الشروق.

171- **معجم الأفعال المتعدية بحرف**، دار العلم للملايين.

172- **معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد**، للحافظ الذهبي، ت: إبراهيم سعيدان، دار المعرفة.

173- **معرفة علوم الحديث**، لأبي عبد الله الحاكم. ط: دار إحياء العلوم. الطبعة الأولى 1406 هـ

174- **مفتاح دار السعادة**، لابن قيم الجوزية، ط: دار الفكر.

175- **مقومات التصور الإسلامي**، لسيد قطب، ط: دار الشروق، الطبعة الرابعة، 1414 هـ.

176- **مناقب الإمام أحمد**، لأبي الفرج ابن الجوزي، ط: مكتبة الخانجي بمصر، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى: 1399 هـ.

177- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط: دار الفكر.

178- **منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف**، لربيع المدخلي، ط: دار المنار.

179- **موسوعة أطراف الحديث**، لمحمد سعيد زغلول، ط: عالم التراث.

180- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، لشمس الدين الذهبي، ط: دار الفكر، ت: علي محمد البجاوي.

181 **نزهة النظر شرح نخبة الفكر**، لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية،

شرح وتعليق صلاح محمد عويضة.

182- **وفيات الأعيان،** لابن خلكان، المتوفى ســـنة: (681 هـــــ)، ط: دار صادر، ت: إحسان عباس.

ومن المجلات:

1-**مجلة الفيصل**، العدد: 256، الصادرة في شهر شوال سنة: 1418هـــ.

ومن الأشرطة السمعية:

1-**منهج الموازنة،** للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، تسجيلات طيبة.

2- **الاعتدال** في سيد قطب، محمد ناصر الدين الألباني.

3- **مع شباب الإمارات،** محمد ناصر الدين الألباني تسجيلات الهدايـــة القرآنيـــة، فاس، المغرب، رقم الشريط: 109.

*****

الغرباء الأثرية.

169- **معالم السنن**، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، المتوفى سنة: (388 هـ)، ط: المكتبة العلمية.

170- **معالم في الطريق**، لسيد قطب. دار الشروق.

171- **معجم الأفعال المتعدية بحرف**، دار العلم للملايين.

172- **معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد**، للحافظ الذهبي، ت: إبراهيم سعيدان، دار المعرفة.

173- **معرفة علوم الحديث**، لأبي عبد الله الحاكم. ط: دار إحياء العلوم. الطبعة الأولى 1406 هـ

174- **مفتاح دار السعادة**، لابن قيم الجوزية، ط: دار الفكر.

175- **مقومات التصور الإسلامي**، لسيد قطب، ط: دار الشروق، الطبعة الرابعة، 1414 هـ.

176- **مناقب الإمام أحمد**، لأبي الفرج ابن الجوزي، ط: مكتبة الخانجي بمصر، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى: 1399 هـ.

177- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط: دار الفكر.

178- **منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف**، لربيع المدخلي، ط: دار المنار.

179- **موسوعة أطراف الحديث**، لمحمد سعيد زغلول، ط: عالم التراث.

180- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، لشمس الدين الذهبي، ط: دار الفكر، ت: علي محمد البجاوي.

181 **نزهة النظر شرح نخبة الفكر**، لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية،

شرح وتعليق صلاح محمد عويضة.

182- **وفيات الأعيان**، لابن خلكان، المتوفى ســـنة: (681 هـــــ)، ط: دار صادر، ت: إحسان عباس.

ومن المجلات:

1-**مجلة الفيصل**، العدد: 256، الصادرة في شهر شوال سنة: 1418هـــ.

ومن الأشرطة السمعية:

1-**منهج الموازنة**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، تسجيلات طيبة.

2- **الاعتدال** في سيد قطب، محمد ناصر الدين الألباني.

3- **مع شباب الإمارات**، محمد ناصر الدين الألباني تسجيلات الهدايـــة القرآنيـــة، فاس، المغرب، رقم الشريط: 109.

*****

الفهرس الموضوعي للمحتويات

المحتويات الصفحة

*****

صورة الرسالة التي رد بها الشيخ مقبل بن هادي
الوادعي التي استفسرته فيها عن رأيه فيما كتبه
الدكتور ربيع بن هادي المدخلي عن سيد قطب

بسم الله الرحمن الرحيـــــم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :
فقد رأيت الأخ السائل وهو أبو بلال عبد القادر منير المغربي مندفعا بحماس للدفاع عن سيد قطب وعن كتبه ويقول : ان ذلك عارا على العلماء أن يتركوا جماعة من الشباب الذين يزعمون أنهم من السلف الصالح يروجون كتابا تحت عنوان (أضواء اسلامية على عقيدة سيد قطب) لربيـــع ابن هادي مدخلي والذى دعاني أن أكتب الى فضيلتكم أن هؤلاء الامعة أتباع كل ناعق أصبحـوا يطيرون في مجالس المسلمين بشعارات لا تختلف عن شعارات الغرب في تشويه الصالحين من هذه الأمة .

س) والسؤال : ماقولكم أدام الله فضيلتكم وأعز الله الاسلام بكم فيما جاء في فصول هذا الكتاب من عناوين استفزازية التي ظاهرها الكفر والالحاد والزندقة كما عبر عنها الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله في رسالته التي وجهها الى الدكتور ربيع بن هادى حفظه الله (وهي الخطاب الذهبي) .

ج) فالجواب : أن الذى ندين الله به أن ماقاله ربيع بن هادى جزاه الله خيرا هو منقول من كتب سيد وقد نقل قبله ورد عليه الشيخ عبد الله بن محمد الدويش في رسالة سماها (المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال) وشيخنا حفظه الله ورعاه ومتع المسلمين بعلمه وأبقاه فقد سمعته أكثر من مرة وهو يثني على كتب الشيخ ربيع حفظه الله وعلى بعض الكتب التي ترد على المبتدعة الا أنه يقول : ان بعض الكتاب المصريين نصبوا أنفسهم للدفاع عن الحكام وهذه نقيصة فان الله تعالى يقول : (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما) الآية الى قوله : (هاأنتم جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا) فننصح الأخ أن لا يضيع وقته بالجدل من فلان وعلان وأن ينصح الشباب أن لا يضيعوا أوقاتهم فلان قال وفلان رد عليه فقال : ويكون الخوض في هذه المسألة بقدر الحاجة ولا بأس أن يحذر من القراءة في مثل هذه الكتب التي أصحابها انما هم أدباء فان سيدا انما هو رجل أديب فتفسيره انما هو عبارة عن أدب وفيه المخالفة الكثيرة كما سترى وقد أغنانا الله عن تفسيره بتفسير ابن كثير رحمه الله وتفسير الطبرى محمد بن جرير وتفسير القرآن يكون بالقرآن وبصحيح السنة فان لم فبأقوال الصحابة فان لم فبلغة العرب أما بالهذيان فلا نحتاج الى ذلك ونحن قد وضعنا كتاب الظلال في كتب الضلال ووضعنا عليها اعلان بالخط العريض هذه كتب الضلال . فتفسير الظلال فيه طامات نقلتها بخطي من الظلال وغيره والبك بعض ماقال ففي (ج ٢ ص ١٠٥٧) يقول مانصه : فقد ارتدت البشرية الى عبادة العباد والى جور الأديان ونكصت عن لا اله الا الله وأن ظل فريق منها يردد على المآذن : لا اله الا الله ، دون أن يدرك مدلولها ودون أن يعي هذا المدلول وهو يرددها ودون أن يرفض شرعية الحاكمية التي يدعيها العباد لأنفسهم ثم يقول : ان البشرية عادت الى الجاهلية وارتدت عن لا اله الا الله فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهيــة ولم تعد توحيد الله وتخلص له الولاء ثم يتابع ويقول البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن : لا اله الا الله بلا مدلول ولا واقع وهؤلاء أثقل اثما وأشد عذابا يوم القيامة لأنهم ارتدوا الى عبادة العباد .اهـ

فانظر رحمك الله كيف حكم على من يشهد أن لا اله الا الله على المآذن أنهم أثقل اثما وأشد عذابا يوم القيامة (١٨) والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لأسامة بن زيد لما قتل الرجل بعد ما قال لا اله الا الله : أقتلته بعد ما قال : لا اله الا الله ، فقال : انما قالها متعوذ فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : هلا شققت على قلبه . فنحن لنا الظاهر من المسلم حتى نعلم خلاف ذلك أما أن نحكم على أهل الأرض قاطبة بأنهم لا يعلمون مدلول لا اله الا الله فهذا تهور والعياذ بالله من ذلك ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب .

يقول السيد قطب في تفسير سورة العنكبوت (ج ٥ ص ٢٧١٩) الظلال : يقول في الحروف المقطعة التي اختيرت في تفسيرها أنها للتنبيه (لأنها) أنها مادة الكتاب الذي أنزله (١٩) على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي أن قال ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا مثل هذا الكتاب لأنه من صنع الله لا من صنع انسان وهذا أقول وهذا الكلام باطل فان القرآن كلام الله وليس من صنعه فان الذي من صنعه هو المخلوق والقرآن ليس بمخلوق كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة وانظر كتاب الدويش (المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال) ص (١٢٩) .

وقال سيد : في (ج ٤ ص ٢٣١٣) عند قوله تعالى : (وناديناه من جانب الطور الأيمن) قال ونحن لا ندري كيف كان هذا الكلام وكيف أدركه موسى أكان صوتا تسمعه الآذان أم يتلقاه (٢٠) الكيان الانساني (٢١) (الكيان) فقال عبد الله بن محمد الدويش في كتابه المورد : أما قوله ونحن لا ندري كيف هذا الكلام ان كان قصده كنه ذلك فهذا صحيح وان كان قصد نفي صفة الكلام ونفي كونه فهذا (غير) صحيح ان كان نفي صفة الكلام ونفي كونه بحرف وصوت فهذا قول أهل البدع كالجهمية والمعتزلة ونحوهم وأما أهل السنة فيقولون ان الله يتكلم بحرف وصوت فيصفون الله تعالى بالصوت قال وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين رحمه الله تعالى في الدرر السنية (ج ٣ ص ٣٠٩) وقد ذكرنا فيما تقدم أن مذهب أهل السنة أن الله يتكلم بحرف وصوت فيصفون الله بالصوت وهو ما يتأتى سماعه والقرآن والسنة يدلان على أن الله يتكلم بصوت قال تعالى : (فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن) وذكر آيات والنداء لا يكون الا بصوت فدل على أنه كلمه بصوت وموسى لم يسمع الا الحروف والصوت وهذا بالاضطرار . ثم قال : وأما السنة ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال يقول الله تعالى يوم القيامة : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك فينادي بصوت أن الله يأمرك أن تبعث بعثا الى النار ثم نقل عن عبد الله بن أحمد رحمه الله قال : سألت أبي فقلت : ان الجهمية يزعمون أن الله لا يتكلم بصوت فقال كذبوا انما يريدون التعطيل . الخ كلامه رحمه الله تعالى .

انظر المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال (ص ١٣٢ — ١٣٣) .

يقول السائل : ان الناس يقولون : ان سيدا يقول بوحدة الوجود ؟ .
الجواب : انظر الظلال (ج ٦ ص ٤٠٠٢) على قوله تعالى : (قل هو الله أحد) قال سيد انها أحدية الوجود فليس هناك حقيقة الا حقيقته وليس هناك وجود حقيقي الا وجوده وكل موجود آخر فانما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية الخ كلامه الهذيان الذى لا يدرى ما يخرج من رأسه .
وقد رد على هذا الشيخ عبد الله بن محمد الدويش رحمه الله تعالى فقال : الكلام على هذا من وجوه الوجه الأول : قوله انها أحدية الوجود — الى قوله — : ان لم يخلص من الشعور بوجود شئ هذا الذى أشار اليه هو تحقيق المتصوفة وهو حال ناقص مخالف لما عليه الصحابة والتابعون وهذا هو الفناء الذى يوجد في كلام بعض المتصوفة .
قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى (ج ١٠ ص ٣٣٧) فصل : الفناء الذى يوجد في كلام الصوفية يفسر بثلاثة أمور ؛ أحدها : فناء القلب عن ارادة ما سوى الرب والتوكل عليه وعبادته وما يتبع ذلك فهذا حق صحيح — الى أن قال — : الأمر الثانى : فناء القلب عن شهود ما سوى الرب فذاك فناء عن الارادة وهذا فناء عن الشهادة ذاك فناء عن عبادة الغير والتوكل عليه وهذا فناء عن العلم بالغير والنظر اليه فهذا فناء فيه نقص فان شهود الحقائق على ما هى عليه وهو شهود الرب مدبرا لعباده آمرا بشرائعه أكمل من شهود وجوده أو صفة من صفاته أو اسم من أسمائه الخ .
الثالث : فناء عن وجود السوى بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لا وجود لسواه ولا بغيره وهذا القول والحال للاتحادية الزنادقة من المتأخرين كالبلبانى والتلمسانى والقونوى ونحوهم الذين يجعلون الحقيقة أنه عين الموجودات وحقيقة الكائنات . . الخ كلامه باختصار انظر المورد (ص ٣١١ — ٣١٢) .
وأما قول السائل : ان سيدا ينكر الأحاديث الصحيحة في العقيدة ؟ فانظر في الظلال عند تفسير قل أعوذ برب الفلق) فانه قال في (ص ٤٠٠٨) (ج ٦) في الكلام على حديث أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سحر فقال : ولكن هذه الروايات تخالف أصل العصمة النبوية في الفعل والتبليغ الى أن قال : وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة والمرجع هو القرآن والتواتر شرط للأخذ بالأحاديث في أصول الاعتقاد وهذا لا شك أنه وافق فيه فرق الضلال مثل المعتزلة والجهمية والخوارج الذين لا يأخذون الا بالمتواتر .
وأما قول سيد المخالف لقول السلف في الميزان ، فانظر تفسير سورة الأعراف عند قول الله تعالى : (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون) وعند الآيات التى يذكر فيها الميزان فانه قال في الظلال (ج ٣ ص ١٢٦١) ولا ندخل هنا في طبيعة الوزن وحقيقة الميزان كما دخل فيه المتجادلون بعقلية غير اسلامية في تاريخ الفكر الاسلامى فكيفيات أفعال الله كلها خارجة عن التشبيه والتمثيل . . الخ كلامه . وقد قال الأخ عبد الله بن محمد الدويش في كتابه المورد ان كان قصد القول في ذلك بلا علم فصحيح وان كان قصد البحث فيه بعلم فليس بصحيح وقد أجمعت الأمة على الأخذ بظاهر الأدلة الواردة في الميزان وأنه ميزان حقيقة وأن له كفتين ولسانا وأنه يثقل ويخفف وأن بعض الأعمال يجعل في كفه وبعضها يجعل في الكفة الأخرى انظر (ص ٦٩) .

وقول السائل : انهم قالوا ان مبدا تجوز للبشر أن يشرعوا فقد قال ذلك في كتابه (العدالة الاجتماعية (ص ٢٦٦) الطبعة الخامسة يقول : انتهينا من وسيلة التوجيه الفكري بقيت أمامنا وسيلة التشريع القانوني لتحقيق حياة اسلامية صحيحة تكفل فيها العدالة الاجتماعية وفي هذا المجال لا يجوز أن نقف عند مجرد ماتم في الحياة الاسلامية ... الأولى بل يجب الانتفاع بكافة الممكنات التي تتيحها مبادئ الاسلام العامة وقواعده المجملة فكل ما أتمته البشرية من تشريعات ونظم اجتماعية ولا تخالف أصوله أصول الاسلام ولا تصطدم بفكرته عن الحياة والناس يجب أن لا نحجم عن الانتفاع به عند وضع تشريعاتنا مادام يحقق مصلحة شرعية للمجتمع أو يدفع مضرة متوقعة . . . الخ .

فهو في قوله هذا أن للبشرية تشريعات يؤخذ بها ويعمل بها مادامت تحقق مصلحة شرعية ونحن نقول : ان الله أعلم بمصالح العباد وقد قال في كتابه الكريم : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ويقول سبحانه : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) فقد بين الله في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما فيه الكفاية : (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) ويقول : (وأنزلنا اليك الكتاب تبيانا لكل شيء قل أأنتم أعلم أم الله) هذا ماوفق الله بجمعه فلله الحمد والمنة وأسأله التوفيق والسداد انه قادر على ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل .

تنبيه : وقد يقول قائل ان هذا الرجل مات شنقا مظلوما من قبل الظلمة وكيف تقولون فيه هذا وهو وان أخطأ فانه لا يريد الا الخير ؟ فنقول : كما قال عبد الله بن مسعود : فكم من مريد للخير لا يصيبه وليس هو معصوم من الخطأ والعلماء انما أرادوا بيان ما أخطأ فيه وليس مرادهم الطعن بالباطل فقد قال الامام مالك رحمه الله كل يؤخذ من قوله ويرد الا صاحب هذا القبر وسيد وان قتل على أيدي الظلمة فانه كان يسعى لأخذ السلطة من أيديهم وهم يقولون : الملك عقيم وهذه طريقة الاخوان المفلسين فانهم لا يرون في الأرض منكرا وان بلغ ما بلغ أعظم من تغيير الحكم وربما اذا تمكنوا من الحكم لا يرجعون الا على أهل السنة كما قيل :

أسد علي وفي الحروب نعامة   فتخاء تهرب من صفير الصافر

وكما في المثل الشعبي : الجمال اذا لم تجد ماتأكله أكلت الرحال .

هذا وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

قرئ على ما كتبه الشيخ الفاضل صالح بن أحمد الماوري حفظه الله وجزاه الله خيرا مقبل بن هادي الوادعي



بسم الله الرحمن الرحيم

((نص الرسالة التي رد بها الشيخ مقبل على رسالتي بالحرف))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد رأيت الأخ السائل وهو أبو بلال عبد القادر منير المغربي مندفعا بحماس للدفاع عن سيد قطب وعن كتبه ويقول:ان ذلك عارا على العلماء أن يتركوا جماعة من الشباب الذين يزعمون أنهم من السلف الصالح يروجون كتابا تحت عنوان (أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب) لربيع بن هادي مدخلي والذي دعاني أن أكتب الى فضيلتكم أن هؤلاء الامعة أتباع كل ناعق أصبحوا يطيرون في مجالس المسلمين بشعارات لا تختلف عن شعارات الغرب في تشويه الصالحين من هذه الأمة.

س والسؤال: ما قولكم أدام الله فضيلتكم وأعز الله الاسلام بكم فيما جاء في فصول هذا الكتاب من عناوين استفزازية التي ظاهرها الكفر والالحاد والزندقة كما عبر عنها الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله فى رسالته التي وجهها إلى الدكتور ربيع بن هادى حفظه الله (وهى الخطاب الذهبي).

ج فالجواب: أن الذى ندين الله به أن ما قاله ربيع بن هادى جزاه الله خيرا هو منقول من كتب سيد وقد نقل قبله ورد عليه الشيخ عبد الله بن محمد الدويش فى رسالة سماها (المورد الزلال فى التنبيه على أخطاء الظلال) وشيخنا حفظه الله ورعاه ومتع المسلمين بعلمه وأبقاه فقد سمعته أكثر من مرة وهو يثنى على كتب الشيخ ربيع حفظه الله وعلى بعض الكتب التى ترد على المبتدعة الا أنه يقول: ان

بعض الكتاب العصريين نصبوا أنفسهم للدفاع عن الحكام وهذه نقيصة فـــان الله تعالى يقول:﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب مـــن كان خوانا أثيما﴾ الآية الى قوله: ﴿ها أنتم جادلتم عنـــهم فـي الحيـاة الدنيا فمن يجادلُ اللَّهَ عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا﴾[1].

فننصح الأخ أن لا يضيع وقته بالجدل عن فلان وعلان وأن ينصح الشـــباب أن لا يضيعوا أوقاتهم فلان قال وفلان رد عليه فقال: ويكون الخـــوض في هـــذه المسألة بقدر الحاجة ولا بأس أن يحذر من القراءة في مثل هذه الكتب التي أصحابهـــا إنما هم أدباء فان سيدا انما هو رجل أديب فتفسيره انما هو عبارة عـــن أدب وفيـــه المخالفة الكثيرة كما سترى وقد أغنانا الله عن تفسيره بتفسير ابن كثير رحمـــه الله وتفسير الطبرى محمد بن جرير وتفسير القرآن يكون بالقرآن وبصحيح السنة فان لم فبأقوال الصحابة فان لم فبلغة العرب أما بالهذيان فلا نحتاج الى ذلك **ونحـــن قـد وضعنا كتاب الظلال فى كتب الضلال ووضعنا عليها إعلان[2] بالخط العريـــض هذه كتب الضلال.** فتفسير الظلال فيه طامات نقلتها بخطى من الظـــلال وغـــيره واليك بعض ما قال ففى (ج 2 ص 1057) يقول ما نصه: فقد ارتدت البشـــرية الى عبادة العباد والى جور الأديان ونكصت عن لا اله الا الله وأن (كذا) ظل فريق منها يردد على المآذن: لا اله الا الله، دون أن يدرك مدلولها ودون أن يعى هذا المدلـــول وهو يرددها ودون أن يرفض شرعية الحاكمية التي يدعيها العباد لأنفسهم ثم يقول: ان البشرية عادت الى الجاهلية وارتدت عن لا اله الا الله فأعطت لهـــؤلاء العبـــاد

---

[1] هكذا سمعها الشيخ من في الطالب، أو بالأحرى الطويلب، فأجازها لـــه، وهـــي خطـــأ، والصواب: ﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا.....﴾ (النساء: 109) .

[2] اقرأ وتعجب لمستوى هذا الطويلب، وموافقة الشيخ له على هذا الخطأ الفاحش.

خصائص الألوهية و لم تعد توحيد(كذا) الله وتخلص له الـولاء ثم يتابع ويقول البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن: لا اله الا الله بلا مدلول ولا واقع وهؤلاء أثقل اثما وأشد عذابا يوم القيامة لأنهم ارتدوا الى عبادة العباد .اهـ

يقول السائل: ان الناس يقولون: ان سيدا يقول بوحدة الوجود ؟

الجواب: انظر الظلال (ج6 ص4002) على قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ قال سيد انها أحدية الوجود فليس هناك حقيقة الا حقيقته وليس هناك وجودحقيقي الا وجوده وكل موجود آخر فانما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية الخ كلامه الهذيان الذى لا يدرى ما يخرج من رأسه .

وقد رد على هذا الشيخ عبد الله بن محمد الدويش رحمه الله تعالى فقال: الكلام على هذا من وجوه الوجه الأول: قوله انها أحدية الوجود -الى قوله -: ان لم يخلص من الشعور بوجود شئ هذا الذى أشار اليه هو تحقيق المتصوفة وهو حال ناقص مخالف لما عليه الصحابة والتابعون وهذا هو الفناء الذى يوجد فى كلام بعض المتصوفة.

قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى فى مجموع الفتاوى (ج10 ص337) فصل: الفناء الذي يوجد فى كلام الصوفية يفسر بثلاثة أمور: أحدهما: فناء القلب عن ارادة ما سوى الرب و التوكل عليه وعبادته وما يتبع ذلك فهذا حق صحيح- الى أن قال -: الأمر الثاني: فناء القلب عن شهود ما سوى الرب فذاك فناء عن الإرادة وهذا فناء عن الشهادة ذاك فناء عن عبادة الغير والتوكل عليه وهذا فناء عن العلم بالغير والنظر اليه فهذا فناء فيه نقص فان شهود الحقائق على ما هي عليه وهو

شهود الرب مدبرا لعباده آمرا بشرائعه أكمل من شهود وجوده أو صفة من صفاته أو اسم من أسمائه الخ.

الثالث: فناء عن وجود السوى بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لا يوجد لسواه ولا بغيره وهذا القول والحال للاتحاديه الزنادقة من المتأخرين كالبليانى والتلمسانى والقونوى ونحوهم الذين يجعلون الحقيقة أنه عين الموجودات وحقيقة الكائنات . .الخ كلامه باختصار انظر المورد(ص311-312) .

وأما قول السائل: ان سيدا ينكر الأحاديث الصحيحة فى العقيدة؟ فلنظر فى الظلال عند تفسير قل أعوذ برب الفلق) فانه قال فى (ص4008) (ج6) فى الكلام على حديث أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سحر فقال: ولكن هذه الروايات تخالف أصل العصمة النبوية فى الفعل والتبليغ الى أن قال: وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها فى أمر العقيدة والمرجع هو القرآن والتواتر شرط للأخذ بالأحاديث فى أصول الاعتقاد وهذا لا شك أنه وافق فيه فرق الضلال مثل المعتزلة والجهمية والخوارج الذين لا يأخذون الا بالمتواتر[1] .

وأما قول سيد المخالف لقول السلف فى الميزان، فانظر تفسير سورة الأعراف عند قول الله تعالى:(والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأوائك هم المفلحون) وعند الآيات التى يذكر فيها الميزان فانه قال فى الظلال (ج3ص1261) ولا ندخل هنا فى طبيعة الوزن وحقيقة الميزان كما دخل فيه المتجادلون بعقلية غير

---

[1] ألا تستحيي أيها الرجل أن تنعت أئمة كبارا بهذه العبارات النابية؟ فهذا ابن تيمية – رحمه الله تعالى– يوافق سيد قطب، فيما ذهب إليه، ويقول في كتابه: "نقد مراتب الإجماع" (ص: 170): "**وهذا الحديث لو كان نصا فيما ذكر فليس هو متواترا فكم من حديث صحيح ومعناه فيه نزاع كثير**". ثم ما السر الذي جعلك تعدل عن ذكر الأشاعرة؟ راجع ما كتبناه في هذا الباب، في أحاديث الآحاد وأصول الاعتقاد.

اسلامية فى تاريخ الفكر الاسلامي فكيفات أفعال الله كلها خارجة عـــن التشـــبيه والتمثيل ..الخ كلامه. وقد قال الأخ عبد الله بن محمد الدويش فى كتابه المـــورد ان كـــان قصـــد القـــول فى ذلك بلاعلـــم فصحيـــــــح وان كـــــان قصــــد بالبحـــث فيـــه بعلـــم فليس

بصحيح وقد أجمعت الأمة على الأخذ بظاهر الأدلة الواردة فى الميزان وأنـــه ميزان حقيقة وأن له كفتين ولسانا وأنه يثقل ويخفف وأن بعض الأعمال يجعـــل فى كفه(كذا) وبعضها فى الكفة الأخرى. انظر: ص69).

فانظر رحمك الله كيف حكم علىمن يشهد أن لااله الاالله على المأذن (كذا) أنهم أثقل اثما وأشد عذابا يوم القيامة، والنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قـــال لأسامة بن زيد لما قتل الرجل بعد ما قال لا اله الا الله: أقتلته بعدما قال: لا الـــه الا الله، فقال: انما قالها متعوذ.فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: هلا شققت علـــى قلبه. فنحن لنا الظاهر من المسلم حتى نعلم خلاف ذلك أما أن نحكم علـــى أهـــل الأرض قاطبة بأنهم لا يعلمون مدلول لا اله الا الله فهذا تهور والعياذ بالله من ذلـــك ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب.

يقول السيد قطب فى تفسير سورة العنكبوت (ج5ص2719) الظلال: يقـــول فى الحروف المقطعة انى اخترت فى تفسيرها أنها للتنبيه لأنها مادة الكتاب الذى أنزلـه على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الى أن قال ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا مثل هذا الكتاب لأنه من صنع الله لا من صنع انسان وهذا القول وهـــذا الكـــلام باطل فان القرآن كلام الله وليس من صنعه فان الذي من صنعـــه هـــو المخلـــوق والقرآن ليس بمخلوق كما هى عقيدة أهل السنة والجماعة وانظر كتاب الدويـــش (المورد الزلال فى التنبيه على أخطاء الظلال) ص (149).

وقال سيد فى (ج4ص1313)[1] عند قوله تعالى: ﴿**وناديناه من جانب الطور الأيمن**﴾ وقال ونحن لا ندرى كيف كان هذا الكلام وكيف أدركه موسى أكان صوتا تسمعه الآذان أم يتلقاه الكيان الإنساني فقال عبد الله بن محمد الدويش فى كتابه المورد: أما قوله ونحن لا ندرى كيف هذا الكلام ان كان قصده عنه ذلك فهذا صحيح وان كان قصد نفى صفة الكلام ونفى كونه فهذا صحيح ان كان صفة الكلام ونفى كونه بحرف وصوت فهذا قول أهل البدع كالجهمية والمعتزية ونحوهم وأما أهل السنة فيقولون ان الله يتكلم بحرف وصوت فيصفون الله تعالى بالصوت قال وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين رحمه الله تعالى فى الدرر السنية (ج3 ص309) وقد ذكرنا فيما تقدم أن مذهب أهل السنة أن الله يتكلم بحرف وصوت فيصفون الله بالصوت وهوما يتأتى سماعه والقرآن والسنة يدلان على أن الله يتكلم بصوت قال تعالى: ﴿**فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن**﴾ وذكر آيات والنداء لا يكون الا بصوت فدل على أنه كلمة بصوت وموسى لم يسمع الا الحروف والصوت وهذا بالاضطرار. ثم قال: وأما السنة ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك فينادى بصوت أن الله يأمرك أن تبعث بعثا الى النار ثم نقل عن عبد الله بن أحمد رحمه الله قال: سألت أبي فقلت: ان الجهمية يزعمون أن الله لا يتكلم بصوت فقال كذبوا انما يريدون التعطيل. الخ كلامه رحمه الله تعالى.

انظر المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال(ص132-133).

---

[1] الإشارة غير صحيحة، صوابه: (ج4 ص 2313).

وقول السائل: انهم قالوا ان سيدا يجوز للبشر أن يشرعوا فقد قال ذلـــك في كتابه (**العدالة الاجتماعية**[1] (ص261) الطبعة الخامسة يقول: انتهينا مـــن وســيلة التوجيه الفكرى بقيـــت أمـــامنـــا وسيلـــة التشـــريع القـــانـــونى لتـــحقيـــق حيـــاة اســـــلاميـــة صـــحيـــحـــة تكفـــل فيهـــا العدالة الاجتماعية وفى هذا المجال لا يجوز أن نقف عند مجرد ما تم فى الحياة الاسلامية الأولى بل يجب الانتفـــاع بكافة الممكنات التى تتيحها مبادئ الاسلام العامة وقواعدة (كذا) المجملة فكل مـــا أنمته البشرية من تشريعات ونظم اجتماعية ولا تخالف أصوله أصول الاســـلام ولا تصطدم بفكرته عن الحياة والناس يجب أن لا تحجم عن الانتفاع به عنـــد وضـــع تشريعاتنا ما دام يحقق مصلحة شرعية للمجتمع أو يدفع مضرة متوقعة...الخ.

فهو في قوله هذا أن للبشرية(كذا) تشريعات يؤخذ بها ويعمل بها ما دامـــت تحقق مصلحة شرعية ونحن نقول: ان الله أعلم بمصالح العباد وقد قـــال فى كتابـــه الكريم: ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾ ويقول سبحانه: ﴿**وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزلنا اليهم**﴾ [2] فقد بين الله في كتابه وفي سنة رســوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما فيه الكفاية: ﴿**أولم يكفهم أنا أنزلنا عليـك الكتاب يتلى عليهم**﴾ ويقول: ﴿**وأنزلنا اليك الكتاب تبيانا لكـل شـيء**

[1] عنوان الكتاب: ((**العدالة الاجتماعية في الإسلام**)).

[2] هكذا سمعها الشيخ من الشيخ، على الخطأ، والصواب: ﴿**وأنزلنـــا إليـك الذكـر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم**﴾.

قل أأنتم أعلم أم الله﴾[1] هذا ما وفق الله بجمعه[2] فلله الحمد والمنة وأسألة التوفيق والسداد انه قادر على ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل.

تنبيـــــه: وقد يقول قائل ان هذا الرجل مات مشنوقا مظلوما مـــن قبـل الظلمة وكيف تقولون فيه هذا وهو وان أخطأ فانه لا يريد الا الخير؟ **فنقول:** كمـا قال عبد الله بن مسعود: فكم من مريد للخير لا يصيبه وليس هو معصوم من الخطأ والعلماء انما أرادوا بيان ما أخطأ فيه وليس مرادهم الطعن بالباطل فقد قال الامـــام مالك رحمه الله كل يؤخذ من قوله ويرد الا صاحب هذا القبر وسيد وان قتل علـى أيدي الظلمة فانه كان يسعى لأخذ السلطة من أيديهم وهم يقولون: الملك عقيـــم وهذه طريقة الاخوان المفلسين فانهم لا يرون في الأرض منكرا وان بلغ ما بلغ أعظم من تغيير الحكم وربما اذا تمكنوا من الحكم لا يرجعون الا على أهل السنة كما قيل:

أسد على وفي الحروب نعامة ****فتراه يهرب من صغير العافر

وكما في المثل الشعبي: **الجمال اذا لم تجد ما تأكله أكلت الرحال.**

---

[1] لا ذكر لهذه الآية في مصحف المسلمين، اللهم أن يكون عند الشيخ والشويخ مصحف غـير المصحف الذي بين أيدينا، وصواب الآيتين الكريمتين قوله تعالى: **﴿ونزلنا عليك الكتـاب تبيانا لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين﴾**.النحل/89.والآية الثانيـة: **﴿قـل أأنتم أعلم أم الله....﴾** ، هي آية مستقلة عن الآية الأولى وهي الآية: 140 مـــن ســورة البقرة.

[2] لو قلتما: هذا ما وفقنا الشيطان لجمعه لكان صوابا. لأن الله تعـــالى يقـــول في الحديـث القدسي، الذي رواه مسلم (2074)، وأبو داود (4990)، والـترمذي (1425-1930): ((**الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**)). وأنتما كنتما في عون الشيطان على أخيكمـــا. أو على الأقل كان عليكما أن تقولا: هذا ما وفقنا الله بجمعه، فإن كنا أصبنا فـــمن الله، وإن كنا أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان.

هذا وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

بسم الله الرحمن الرحيم.

قرئ على ما كتبه الشيخ الفاضل صالح بن احمد الماوي حفظه الله وجزاه الله خيرا.

مقبل بن هادي الوادعي.

هــذا الكتــاب

.. تقرأ في هذا الكتاب نقدا لانحراف خطير، وأســلوب بالسوء جهير، يود أن يسوق الــناس وفق ما يريد، لا وفق ما تقرر قواعد العلوم، لسان الحال، أن يكون مالك هذا الــزمان، فالمجــروح من جرحه، والمــعدل من عدله.. ولا يــفتأ صاحب هذا الشتم والــسباب، ورافع هذا المنهج القصاب، يزهو بعبارة يلوح بها هنا وهناك أن بعض أهل العلم قال فيه يوما ما: "رافع لواء الجرح والتعديل"، فلا يمل من إشهار هذا "الفيتو" في وجــه كل من تسول له نفسه أن ينصحه عن أكل "لحوم أهل الإسلام "والذين يقول في بعضهم أنهم "أشد خطرا على الإســلام من الدجال ومن أعداء الإسلام الواضحين..! " فما أدري ما أقول والرسول يقول إن الدجال شر غائب ينتظر!.

هذا الكتاب ليس دفاعا عن ســـيد قطب باعتباره مسلما مضى إلى رحمة ربه، بقدر ما هــو دفاع عن منهج يذبح على يد سلوك يشبه حاله حال المخلط الذي تنتابه حالة من فقدان التوازن؛ فلا يســتقر على خط، ولا يســـتمر على حفظ وضبط، تحمله رجل وتخونه أخرى وهكذا...

إن هــذا الكتاب يثب وثبة غضب للحقائق بصرف النظر عن موضوعها، ودون التقيد بمضمونها، وإن كان الدفاع عن المؤمنين شرفا نرفع به رؤوسنا، ونرجو به ثواب مولانا وخالقنا.

لقد جمع هذا الكتاب ما لسيد قطب، وما عليه، وكان ولله الحمد ماله أكثر؛ والله يغفر لنا وله، وفي الكتاب ما للدكتور ربيــع المدخلي وما عليــه، وللأســف ما عليه أكبر وأكثر، والله يهدينا وإياه، فما الذي قال في سيد، وما وجه الصواب و الخطإ في ذلك؟ الجواب ما تقرأ في هذا الكتاب...

الثمن: 65 درهما

طوب بريس: 2002